

تراثنا

مَخْتَارُ الْأَخْيَانِي

فِي

الْأَخْبَارِ وَالنِّهَايَةِ

اِخْتِيَار

ابْنِ مَنْظُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ

٦٢٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الرابع

تَحْقِيقٌ

محمد أبو الفضل إبراهيم

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأناباء والنشر  
الدار المصرية للتأليف والترجمة



خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج. ع. ٠٤٠

## حرف الراء

ربيعة بن مكرم\* (١)

ترجم صاحب الأصل على هذه الأخبار التي أوردتها هنا ترجمتين: يوم الكديد (٢)،  
ويوم الطعينة . وقد ترجمته أنا على هذا الأسم ؛ لأنه أشهر من تلك الواقعتين ،  
والله أعلم .

هو ربيعة بن مكرم بن عامر بن حُرثان (٣) بن جذيمة بن علقمة بن جذل  
الطعان بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة . أحد فُرسان مَضَرَ  
المعدودين ، وشجعانهم المشهورين ؛ قتله بُيُوشة بن حبيب السلمي في يوم  
الكديد .

وهو كما قال أبو عبيدة: وقع تدارؤ (٤) بين نفر من بني سليم بن منصور ،  
وبين نفر من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتل بنو فراس رجلين من بني سليم ،  
ثم ودوها ، ثم ضرب الدهر ضرباً ، فخرج بُيُوشة بن حبيب السلمي غازياً ، فلقى

\* الأغاني ١٦ : ٥٦ - ٧٨ (طبعة دار الكتب) .

(١) ب ، ج : « مكرم » بالراء تصحيف .

(٢) الكديد ، كأمير : موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة .

(٣) ب ، ج : « جوان » تحريف .

(٤) وردت هذه الكلمة في ب ، ج معرفة مضطربة ؛ والصواب ما أثبتته من الأغاني .

ظُنْمًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ بِالكَدِيدِ ، فِي رَكْبٍ مِنْ قَوْمِهِمْ ، وَبَصُرَ بِهِمْ <sup>(١)</sup> نَفَرٌ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ مَالِكٍ ، فِيهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جِدْلِ الطَّعَانِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ مَكْدَمٍ أَبُو الْفَارَعَةِ .  
— وَقِيلَ : الْفَرَعَةُ — وَأَخُوهُ رَيْبِعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ ، وَهُوَ مَجْدُورٌ <sup>(٢)</sup> يَوْمئِذٍ يُحْمَلُ فِي مِحْفَةٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُمُ أَبُو الْفَارَعَةِ قَالَ : هَؤُلَاءِ بَنُو سُكَيْمٍ يَطْلُبُونَ دِمَاءَهُمْ .

فَقَالَ رَيْبِعَةُ : أَنَا أَذْهَبُ حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَ الْقَوْمِ وَأَتِيَكُمْ بِخَبْرِهِمْ . فَتَوَجَّهَ نَحْوَهُمْ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ بَعْضُ الظُّنَمِ : هَرَبَ رَيْبِعَةُ . فَقَالَتْ أُخْتُهُ أُمُّ عَزْرَةَ بِنْتُ مَكْدَمٍ : أَيْنَ تَنْتَهِي فِرَّةَ الْفَتَى ؟ فَمَظَّفَ وَقَدْ سَمِعَ [ قَوْلَ النِّسَاءِ ] <sup>(٣)</sup> فَقَالَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نِيَّ غَيْرُ فَرَقٍ <sup>(٤)</sup> لَأَطْمَعُنَّ لِطَمَعِنَ وَأَعْتَقِي <sup>(٥)</sup>  
أَعْمَلُ فِيهِمْ حِينَ تَحَمَّرُ الْحَدَقُ عَضْبًا حُسَامًا وَسِنَانًا يَأْتَلِقُ

ثُمَّ أَنْطَلَقَ يَمْدُو بِهِ فَرَسَهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ ، فَأَسْتَطْرَدَ <sup>(٦)</sup> لَهُ فِي طَرِيقِ الظُّنَمِ ، وَأَنْقَرَدَ بِهِ رَيْبِعَةُ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ رَمَاهُ نُبَيْشَةَ أَوْ طَمَعْنَةَ ، فَلَحِقَ بِالظُّنَمِ يَسْتَدْمِي <sup>(٧)</sup> حَتَّى انْتَهَى إِلَى أُمِّهِ أُمَّ سَيَّارَ . فَقَالَ : سُدِّي عَلَى يَدِي عِصَابَةٌ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

سُدِّي عَلَى الْعَضْبِ أُمَّ سَيَّارَ      فَقَدِ رُزْتُ فَارِسًا كَالدِّ يَنَارُ  
\* يَطْمَعُنُ بِالرُّمْحِ أَمَامَ الْأَذْبَارِ \*

(١) ب ، ج : « ونصرتهم » ، تصحيف ، والصواب ما في الأغاني .

(٢) المجدور : المصاب بالجدري .

(٣) زيادة من الأغاني .

(٤) الفرق ، ككتف : الحائف الوجع .

(٥) الضناق والاعتناق بمعنى .

(٦) استطرد له ، أراه أنه يتقهقر ؟ خداعا له .

(٧) ب ، ج : « يشتد » ؛ والصواب ما أثبتته من الأغاني .



فَقَالَتْ أُمُّهُ :

إِنَّا بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ مُرْزَأُ خِيَارُنَا كَذَلِكَ  
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنِ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرُّزْءُ إِلَّا ذَلِكَ

وَشَدَّتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ عِصَابَةً فَأَسْتَقَاهَا مَاءً ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : إِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ مِثَّ ،  
فُكِّرْ عَلَى الْقَوْمِ ، فَكَّرَ عَلَيْهِمْ رَاجِعًا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ فَزَفَهُ الدَّمُ حَتَّى أُئِخِنَ <sup>(١)</sup> .  
فَقَالَ لِلظُّنَمِ : أَوْضِعْ <sup>(٢)</sup> رِكَابَكُنَّ خَلْفِي حَتَّى تَنْتَهِيَنَّ إِلَى أَدْنَى بَيْوتِ الْحَيِّ ،  
فَإِنِّي لِمَا بِي سَوْفَ أَقِفُ دُونَكَ لَهْمٌ عَلَى الْعَقَبَةِ ، وَأَعْتَمِدُ عَلَى رُحْمِي ،  
فَلَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيَّ كُنَّ لِمَكَانِي <sup>(٣)</sup> ، ففعلن ذلك ، فنجون إلى مَأْمَنِهِنَّ .

قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلا ولا ميتا حمى الظمان وهو ميت غيره ؛  
وإنه يومئذ لغلالم له ذؤابة ، فأعتمد على رحمه ، وهو واقف لهن على مئن فرسه ؛  
حتى يلقن مأمنهن ، وما تقدم القوم عليه . فقال نبيشة بن حبيب : إنه لما لائل العنق ،  
وما أظنه إلا قدم مات ؛ فأمر رجلا من خزاعة أن يرمي فرسه ، فرماها ، فقمصت <sup>(٤)</sup> ،  
فقال عنها ميتا .

[قال] <sup>(٥)</sup> ويقال : إن نبيشة هو الذي رمى فرسه . فانصرفوا عنه ، وقد فاتهم الظمن ،  
ولحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارث ، وقتلوه ، وألقوا على ربيعة أحجارا ، فمر به رجل  
من بني الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي على قبر ربيعة ، فقال

(١) نزفه الدم : سال منه بغزارة ، وأئخن ، أي ضعف من الجراحة .

(٢) الإيضاع : ضرب من السير ، سريع .

(٣) وردت هذه الكلمة محرفة في ب ، ج ؛ والصواب ما أثبتته من الأغاني .

(٤) قصت الفرس ؛ إذا رفعت يديها وطرحتهما معا .

(٥) تكلمة من الأغاني .

برثيه وَيَعْتَدِرُ أَلَا يَكُونُ عَقْرَ نَاقَتِهِ عَلَى قَبْرِهِ ، وَيَحْضُضُ عَلَى قَتَلَتِهِ وَيَمِيرُ مِنْ فَرٍّ وَأَسْلَمَهُ مِنْ قَوْمِهِ :

- |   |  |
|---|--|
| (١) بُنِيتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ   | نَفَرْتُ قَلْوَصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ    |
| (٢) شَرِيبِ حَمْرٍ مَسْعَرٍ لِجُرُوبِ           | لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ     |
| (٣) لَتَرَ كُتْمَهَا تَحْبُو عَلَى الثَّرَقُوبِ | لَوْلَا السَّفَارُ وَبُعْدُ حَرْقِ مَهْمِهِ  |
| (٤) أَنْجَاهُ مِنْ غَمْرَةِ الْمَكْرُوبِ        | فَرَّ الْفَوَارِسُ عَنْ رِبِيعَةٍ بَعْدَ مَا |
| فَلَقَدْ دَعَوْتَ هُنَاكَ غَيْرَ مُجِيبِ        | يَدْعُو عَلِيًّا حِينَ أَسْلَمَ ظَهْرَهُ     |
| (٥) لَمْ يُحْمَشُوا غَزْوًا كَوَلْعِ الذِّيبِ   | لِلَّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ إِنَّهُمْ        |
| (٦) يَوْمَ الْكَلْدِيدِ نُبَيْشَةَ بَنِ حَيْبِ  | نَعِمَ الْفَتَى أَدَى نُبَيْشَةَ بَزَّهُ     |
| (٧) وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بَدُنُوبِ      | لَا يَبْعَدَنَّ رِبِيعَةٌ بَنُ مَكْدَمٍ      |

ويقال: قائلُ هذا الشعر محمدُ بنُ ضِرَارِ بنِ الخَطَّابِ بنِ مُرْدَاسٍ، أحدُ بنِي مُحَارِبِ ابنِ فِهْرِ .

ويقال: هو لضرارٍ أبيه ؛ ويقال : هو لعمر بن شقيق أحد بنى فِهْرِ بن مالك ؛  
ويقال : هو مكرز بن حفص بن الأحنف الكنانى العامرى . ويقال : هو حسان (A)  
ابن ثابت ، وعمر بن شقيق أولى بها .

- (١) القلوص : الشابة الفتية من الإبل ، والحرة : الحجارة السود .  
(٢) فى الأغاني : « سباء » خر ، وسباء : مشتريها . وسعر الحرب : موقدها .  
(٣) الحرق : القلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح ؛ أى يشتد هبوبها . والمهمه : الفائزة المفقرة  
(٤) فى الأغاني : « غمة المكروب » .  
(٥) لم يحمشوا : لم يحرضوا ، وفى ب ، ج : « لم يحمشوا » ، وما أثبت من الأغاني .  
(٦) البز : السلاح .  
(٧) الغوادى : جمع غادية ؛ وهى السحابة ، والذنوب : الدلو فيه ماء .  
(٨) ب : « الحارث » تصحيف ؛ وقد أورد صاحب العقد فى الجزء الأول ص ١٣٦ ثلاثة  
آيات منها منسوبة لى حسان ؛ وليست فى ديوانه .

وقال عبدُ الله بنُ جذلِ الطَّعانِ ، واسمه بَلعاء :

لأطالبنَ ربيعةَ بنَ مكدَّمٍ      حتى أنالَ عُصِيَّةَ بنَ معيصِ (١)

- عَصِيَّةُ بنَ معيصِ بنَ عامرِ بنِ لؤيِّ بنِ غالبِ -

يَقْتادُ كلَّ طِمْرَةٍ مَمْحُوصَةٍ      ومقلِّصِ عَيْلِ الشَّوِيِّ مَمْحُوصِ (٢)

وقال ابنُ جِذَلِ الطَّعانِ أيضا في ذلك :

ألا لله دَرُّ بنى فِرَاسِ      لقد أوزَيْتُمُ حَزْناً وَجَيْعاً (٣)

غداةَ نوى ربيعةَ في مَكْرٍ      تمجُّ عُرُوقَه عِلْقاً نَجِيماً (٤)

فلن أنسى ربيعةَ إذ تَمالَى      بكاءَ الظَّمْنِ يدَعُو: يارَبيما

وقالت أم عمرو أختُ ربيعةَ ترى أباها ربيعةَ :

ما بالُ عَيْنَيْكَ منها الدَمْعُ مُهْرَاقُ      سَحًّا فلا عازِبُ منها ولا راقِ (٥)

أبكي على هالكِ أودي وأورثني      بعد التَّفَرُّقِ حُزْناً بعده باقِ

لو كان يَرَجِعُ مَيْتاً وَجَدُ ذِي رَحِمِ      أبقى أخى سالماً وَجَدِي وإِشْفاقِ

أو كان يُفْدِي لكان الأهلُ كلُّهم (٦)      وما أُمْرٌ من مالٍ له وإِقِ

(١) في الأغاني : « لأطالبن » .

(٢) يقْتادُ : يقود ، والطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . والمحصوة : القليلة لحم القوائم التي خلصت من الرهل . والمقاص : الطويل القوائم المنضم البطن . وعيل الشوى : ضخم الأطراف ، وفي ب ، ج : « مححوض » تحريف .

(٣) في الأغاني : « لقد أوزيتم » . وأوزيتم : أنزتم وأهجتم ؛ من ورى النار وأوراها ؛ إذا أوقدها .

(٤) نوى : أقام ، والمسكر : موضع الحرب . وتمج عروقه : ترى بدمها ، والعلق ، بالتحريك الدم ، والنجيع : المصبوب .

(٥) راقِ ، مخفف « راقى » ، وهو الساكن .

(٦) ب ، ج : « لو كان » ، والصواب ما أثبتته من الأغاني .

لكن سهاً المنايا من نصيب له  
فأذهب فلا يُبعدنك الله من رجلٍ  
فسوف أبكيك ما ناحت مطووفة  
أبكي لذكرته عبري مفعمةً

لم يُنجه طبّ ذى طبّ ولا راقٍ  
لاقى الذى كلّ حىّ مثله لاقى  
وما سرّيت مع السارى على ساقى  
ما إن يجف لها من ذكّرة ماقى<sup>(١)</sup>

وقال عبد الله يرثيه :

نادى الظّمانُ ياربِمةً بعد ما  
فأجابها والرّمحُ فى حيزومه  
ياربّط إن ربيمة بن مكدّم  
ولئن هلكت لرُبّ فارسٍ بهمة<sup>(٢)</sup>

لم يبق غيرُ حُشاشةٍ وفواقٍ<sup>(٣)</sup>  
أنفًا بطن من كالشّعبِ رفاقٍ<sup>(٤)</sup>  
وربيع قومك آذنا بفرّاقٍ  
فرجّت كُربته وضيقَ خناقٍ

ولما مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيمة بن مكدّم الكنانى بثنية كعب - وقيل :

ثنية غزال - وقال أبياته التى هى :

\* نقرت قلوصى من حجارة حرة \*

حتى قال :

لولا السّفارُ وبُعدُ حرقٍ مهمه  
لتركتها تحبّو على العرقوبِ  
فبلغ شعره بنى كنانة ، فقالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سوداء

الحداق .

خرج دُرَيْدُ بنُ الصّمّةِ فى فوارسٍ من بنى جُشم ، حتى إذا كانوا بوادٍ  
لبنى كِنانة ، يقال له : أخرم ، وهو يريد الغارة على بنى كِنانة ، رُفِعَ لهم رجلٌ

(١) ماقى ، مخفف « ماقى » .

(٢) الفواق : ريح يخرج من المعدة إلى النّم ؛ أراد أنه يلفظ أفضاسه الأخيرة .

(٣) الشعب : المرادة .

(٤) البهمة : الجليش .

في (١) ناحية الوادي مع ظمئنته (٢) ، فلما نظر إليه ، قال لفارسٍ من أصحابه :  
صَحَّحْ بِهِ أَنْ خَلَّ عَنْ الظَّمِينَةِ وَأَنْجُ بِنَفْسِكَ - وهو لا يعرفه - فَأَتَتْهُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ،  
فصاح عليه (٣) وألح ، فلما أتى ألقى زمام الراحلة وقال للظمينة :

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سَيْرَ الآمِنِ      سَيْرَ رَدَاحِ ذَاتِ جَأْشٍ سَاكِنِ (٤)  
إِنَّ أَنْثَانِي دُونَ قِرْنِي شَائِنِي      وَأَبْلِي بِلَائِي وَأَخْبِرِي وَعَايِنِي

ثم حمل على الفارس فطعنة فقتله وأخذ فرسه ، فأعطاه الظمينة ، فبعث دريدٌ  
فارسا آخر ينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريما ، فصاح به فتصامم عنه ، فظن أنه  
لم يسمع فغشيه ، فألقى الزمام إليها ، وحمل على الفارس فصرعه ؛ وهو يقول :

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ الْمَنِيمَةِ      إِنَّكَ لَأَقِي دُونَهَا رَبِيمَهُ  
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مُطِيمَةٌ (٥)      أَوْ لَا فَخُذْهَا طَعْنَةً مَرِيمَهُ

\* وَالطَّعْنُ مَنِّي فِي الْوَعْيِ شَرِيمَهُ \*

فلما أبطأ على دريد ، بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا ، فأتهى إليهما فوجدهما  
صريعين ، ونظر إليه يقود ظمئنته ، ويجرُّ رُمحه ، فقال الفارس : خَلَّ عَنْ الظَّمِينَةِ .  
فقال لها : اقصدي قصد البيوت ؛ ثم أقبل عليه فقال :

مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَتِيمِ عَائِسِ (٦)      أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ

\* أَرْدَاهُمَا عَامِلٌ رَمَحٌ يَابِسٌ \*

(١) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « من ناحية الوادي » .

(٢) الظمينة : المرأة ما دامت في الهودج ؛ وفي الأغاني : « معه ظمينة » .

(٣) في الأغاني : « فصاح به » .

(٤) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .

(٥) خطية ، يريد رمحا ، والرماح تنسب إلى الخط ، نغر بالبحرين .

(٦) الشقيم : الأسد الكريه المنظر .

ثم طعنه فصرعه ، وأنكسر رُحْمُه ، فأرتاب دريدُ وظنَّ أنهم قد أخذوا  
الظَّيْمِيَّةَ وقتلوا الرَّجُلَ ، فَلَحِقَ بِهِمْ ، فوجد ربيعةً لا رُمحَ معه ، وقد دنا من الحَيِّ ،  
ووجد القومَ قد قُتِلُوا .

فقال له دُرَيْدٌ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ، إِنَّ مِثْلَكَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنَّ الْخَيْلَ نَائِرَةٌ بِأَحْبَابِهَا ،  
وَلَا أَرَى مَعَكَ رُمْحًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ ، فَذُونَكَ هَذَا الرُّمْحُ ! فَأِنِّي رَاجِعٌ  
إِلَى أَحْبَابِي فَتَبَيَّنْتُ عَنْكَ . فَأَتَى دُرَيْدٌ أَحْبَابَهُ وَقَالَ : إِنَّ فَارِسَ الظَّيْمِيَّةِ قَدْ سَاحَاها وَقَتَلَ  
أَحْبَابَكُمْ <sup>(١)</sup> ، وَانْتَزَعَ رُمْحِي وَلَا طَمَعَ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَأَنْصَرَفَ الْقَوْمُ ؛ وَقَالَ دُرَيْدٌ  
فِي ذَلِكَ :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بِمِثْلِهِ	حامي الظمينةِ فارساً لم يُقتَلِـ
أَرْدَى فِوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً	ثم أستمراً كأنه لم يُفْعَلِ <sup>(٢)</sup>
متهلِّلاً تبدو أسيرةٌ وجهه	مثل الحسامِ جلاه كف الصيقلِ <sup>(٣)</sup>
يُرْجَى ظمِئْتُهُ وَيَسْحَبُ رُمْحَهُ	متوجهاً يميناه نحو المنزلِ <sup>(٤)</sup>
وترى الفوارسَ من مخافةِ رُمْحِهِ	مثل البغاثِ خشينَ وقع الأجدلِ <sup>(٥)</sup>
يا ليت شعري ! مَنْ أبوه وأُمُّه؟	يا صاحِ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهَلِ !

وقال ربيعة :

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْيَقِينُ فَسَائِلِي  
عَنْ الظَّيْمِيَّةِ يَوْمَ وَادِي الْأَحْرَمِ

(١) الأغاني : « فوارسكم » .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) في الأغاني : « جلته كف الصيقل » ؛ والصيقل : جلاء السيف .

(٤) يقال : توجه فلان يمينه ويمناه ؛ أى توجه ظافراً ؛ وضده : توجه فلان شماله ؛ أى على

أمر مشثوم . وفي إحدى نسخ الأغاني « يميناه » .

(٥) البغاث : الطيور الضعيفة . والأجدل : الصقر .

هل هي لأول من آتاهَا نَهْزَةٌ  
 إذ قال لي أوفى الفوارس منهم:  
 لولا طعان ربيعة بن مكدّم  
 خلّ الظمينة طائماً لا نندم<sup>(١)</sup>  
 عمدًا ليعلم بعض ما لم يعلم  
 فهوى صريماً لليدين وللنم  
 وهتكت بالرمح الطويل إهابه  
 ومنحت آخر بمدّه جياشة  
 ونجلاء فاعرّة كشدق الأعم<sup>(٢)</sup>  
 ولقد شفعتُهما بآخر ثالثاً  
 وأبي الفرار لي الغداة تكرمي<sup>(٣)</sup>

فلم يلبث بنو مالك بن كنانة ، رهط ربيعة بن مكدّم ، أن أغاروا على بني جُشم رهط دُرَيْدٍ ، فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ ، وأخفى نفسه . فبينما هو عندهم محبوبس ، إذ جاء نسوةٌ يمهدين إليه ، فصرختُ امرأةٌ منهنّ ، وقالت : هلكتم وأهلكتم : ماذا صنعتُم<sup>(٤)</sup> ! هذا والله الذي أعطى ربيعةَ رحمةَ يومِ الظمينة ، ثم أَلقتُ عليه ثوبها ، وقالت : يا آل فراس ، أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي ، فسألوه مَنْ هو ؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة ابن مكدّم . فقال : ما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سُليم . قال : فمن الظمينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : ربيعة بنتُ جذل الطمان ، وأنا هي ، وأنا أمرأته ؛ فأطلقته القوم ، وذمّوا أنفسهم<sup>(٥)</sup> ، وقالوا : لا ينبغي أن تكفرَ نعمةُ دُرَيْدٍ على صاحبنا .

وقال بعضهم : لا والله ، لا يخرج من أيدينا إلا برضا الخارق الذي أسره ؛ فأبغمت المرأة في الليل تقول :

(١) في الأغاني : « أدنى الفوارس مينة » .

(٢) جياشة ، أي طعنة تجيش .

(٣) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « إلى العداة » .

(٤) في الأغاني : « ماذا جر علينا قوما » .

(٥) في الأغاني . « وأمروا أنفسهم » .

سَنَجَزِي دُرَيْدًا عَنْ رِبِيعةَ نعمةً      وكلُّ فتي يُجَزِي بما كان قدَّمَا  
 فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه      وإن كان شراً كان شراً مذمماً  
 سَنَجَزِيه نُمَى لم تكن بصغيرةٍ      بإعطائه الرُّمَحَ السديدَ الموقِّمًا  
 فقد أدركتْ كَفَاهَ فينا جزاءه      وأهلُ بَأَن يُجَزِي الَّذِي كان أنما  
 فلا تكفروه حق نعماء فيكمُ      ولا تركبوا تلك التي تملأُ الفما  
 فلو كان حياً لم يضق بشوايه      ذرعاً غنياً كان أو كان مُعدماً  
 ففكروا دُرَيْدًا من إسارٍ مُخارقٍ      ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سُلماً

فأصبح القومُ فتعوانوا بينهم ، فأطلقوه و كسَّته زَبِيطةً وجهزته ، ولحق بقومه ،  
 ولم يزل كافئاً عن غزوِ بني فراس حتى هلك .

سأل عمرُ بنُ الخطَّابِ - رضی الله عنه - عمرو بن معدی كربَ الزُّبيديَّ :  
 من أشجعُ من رأيت ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لأخبرتُك عن أخيلِ الناس ،  
 وعن أشجعِ الناس ، وعن أجبِنِ الناس . فقال له : هات ، فقال : أربعت المدينة ، فخرجتُ  
 كأحسن ما رأيت ، وكانت لي فرس شقاء مقاء ، طويلة الأتقاء <sup>(٢)</sup> ، تمطقُ بالمرق تمطقُ <sup>(٣)</sup>  
 الشيخ بالمرق ، فركبتها ، ثم آليت ألا ألقى أحداً إلا قتلتُه ، فخرجتُ [وعلى مُدِّي] <sup>(٤)</sup>  
 فإذا أنا بفستي بين غرضين <sup>(٥)</sup> ، فقلت له : خذُ حذرَكَ فإنِّي قاتلك ! فقال : والله

(١) كذا في الأغاني ، وموضعا كلمة في الأصول غير واضحة .

(٢) شقاء مقاء : طويلة . والأتقاء : جمع تقو ؛ وهو عظم اليدين والرجلين والفخذين . وفي

الأغاني : « وكانت لي فرس شقمقة ، طويلة سريعة الإبقاء .

(٣) التمطق : إلصاق اللسان بالغار الأعلى ؛ فيسمع له صوت عند استطابة الشيء ؛ يريد أن

المرق بسيل من وجهها إلى فيها فتتمطق لإلقائها الجرى ومزاولة الأسفار .

(٤) تكلمة من الأغاني ، والمقد : حديدة يقدها الجلد ؛ يريد بها سيفه .

(٥) الغرض : شعبة في الوادي .



ما أنصفتنى يا أبا ثور ، أنا كما ترى أعزل أميل<sup>(١)</sup> عوارة - والعوارة الذى لا تُرْس معه - فأَنْظِرْنِي حَتَّى آخِذَ نَبِيلِي . فقلتُ : وما عَناؤُها عنكَ ! قال : أَمْتَنِعَ بِهَا ، قلتُ : خُذْهَا ، قال : لا والله ، أو تمطينى من اليهود ما يثلجنى أنك لا تروهنى حتى آخذها . قال : فَأَنْحَلْتُهُ<sup>(٢)</sup> . فقال : وإله قريش لا آخذها أبدا ، فَسَلِمَ مِنِّي وَذَهَبَ<sup>(٣)</sup> ؛ فهذا أخيل الناس .

ثم مضيتُ حتى اشتَمَلَ على اللَّيْلِ ، فإِنِّي لأَسِيرُ في قر زاهر ، هو كالتور الظاهر ، فإذا بفتى على فرسٍ يقود ظمينةً ، وهو يقول :

يَا لَيْتَنَا يَا لَيْتَنَا يَا لَيْتَنَا يُعْدَى عَلَيْنَا نُبَيْلِي بِالْذِّمَّةِ<sup>(٤)</sup>

ثم يخرج حنظلةً من مِخْلَافٍ فَيَرِي بِهَا فِي السَّمَاءِ ، فلا تَبْلُغُ الأَرْضَ حَتَّى يَنْظِمَهَا بِمَشَقَصٍ<sup>(٥)</sup> من نَبِيلِهِ . فَصِخْتُ بِهِ : خُذْ حِذْرَكَ ، نَكَلْتُكَ أُمَّكَ ! فَإِنِّي قَاتِلُكَ . فإلَّ عن فرسه ، فإذا هو في الأَرْضِ . فقلتُ : هذا الأَسْتِخْفَافُ<sup>(٦)</sup> ، فدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَصِخْتُ بِهِ : وَيْلَكَ ! فَمَا تَحْلَجَلْ وَلَا تَزَايِلْ عَن مَوْضِعِهِ ، فَشَكَّكَتُ بِالرُّمْحِ إِهَابَهُ ، فَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ قَد مَاتَ مِنْذُ سَنَةٍ ، فَضِيتُ وَتَرَكْتُهُ . فهذا أجبن الناس .

(١) الأعزل : الذى لا سلاح معه ، والأميل : الذى لا يستقر على الخيل .

(٢) فى الأغاني : « فأَنْحَلْتُهُ » .

(٣) فى الأغاني : « وَذَهَبَ » .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى الأغاني :

يَا لَدِينَنَا يَا لَدِينَنَا لَيْتَنَا يُعْدَى عَلَيْنَا

\* ثُمَّ يُبَيْلِي مَا لَدِينَنَا \*

(٥) المشقص : نصل طويل غير عريض .

(٦) فى الأغاني : « إن هذا إلا أستخفاف » .

ثم مضيت فأصبحتُ [بين دكادك هرشي إلى غزال] <sup>(١)</sup>، فنظرت، فإذا أبيات، فعدلتُ إليها، فإذا فيها ثلاثُ جوارٍ كأنهنَّ نجوم الثريا، فبكّين حين رأيتني. فقلت: ما يُكيكن؟ فقلن: لما أتينا <sup>(٢)</sup> به منك، ومن ورائنا أخت لنا هي أجل منا، فأشرفت من قدقد <sup>(٣)</sup>، فإذا بمرأى لم أر شيئاً قط أحسن منه، وإذا بغلام يَخِصِف نعله، عليه دُوابة يَسْحُبُها، فلما نظر إلى وثب على الفرس مبادرا، ثم ركض فسبقني إلى البيوت، فوجدهنَّ قد أرتعن، فسممته يقول [لهنَّ] <sup>(٤)</sup>:

مَهْلًا نُسَيَاتِي إِذَنْ لَا تَرْتَعْنَ      إِنَّ يُمْنَعَ الْيَوْمَ نِسَاءً تُرْتَمَعْنَ

\* أَرْضِينَ أَذْيَالَ الْمُرُوطِ وَارْتَعْنَ <sup>(٥)</sup> \*

فلما دنوت منه قال: أتطردني أم أطرُدك؟ [قلت: أطرُدك] <sup>(٦)</sup>، فركضت وركضت في أثره حتى إذا أمكنتُ السَّنانَ من لفتته - واللفتة أسفل من الكتف - اتكأت عليه، فإذا هو والله مع لَبِّ <sup>(٧)</sup> فرسه، ثم أستوى في سرجه؛ فقلت: أقلني. فقال: اطرُد، فتبعته حتى إذا ظننتُ أن السَّنانَ بين ناغضيه <sup>(٨)</sup> أعمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض والسنان ماض راح، ثم أستوى

(١) تكلمة من الأغاني. والدكادك: جمع دكدك؛ وهو ما تلبد من الرمل بعضه على بعض ولم يرتفع كثيرا. وهرشي: هضبة مائلة لا تنبت شيئا؛ على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة. وغزال: واد بين هرشي والجحفة.

(٢) في الأغاني: «لما ابتلينا».

(٣) القدقد: المكان المرتفع.

(٤) من الأغاني.

(٥) الأغاني: «واريعن».

(٦) زيادة من الأغاني.

(٧) لبب الفرس: نحره.

(٨) الناغض: غضروف الكتف حيث يجيء ويذهب فيه، وفي الأغاني: «ماضيه».

على فرسه ؛ فقلت : أقرني ؛ قال : أطرد ، فطرده حتى إذا أمكنت السنان من متنه  
اتكأت عليه ، وأنا أظن أنني قد فرغت منه ، قال في سرجه (١) حتى نظرت إلى  
بدنه (٢) في الأرض ، ومضى السنان رأحا ، ثم قال : أبعد ثلاث تريد ماذا ؟  
تطردي نكلك أمك ! فوليت وأنا مرعوب منه ، فلما غشيتني ، ووجدت  
حد (٣) السنان التفت ، وإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان ، فكف عني  
وأستزلي ، فنزلت . ونزل وجر ناصيتي ، وقال : انطلق ، فأنا أنفس بك  
عن القتل ، فكان ذلك عندي يا أمير المؤمنين أشد من القتل ؛ فذاك أشجع  
من رأيت .

وسألت عن الفتى فقيل : ربيعة بن مكدم الفراسي ، من بني كنانة . وكان  
عمرو بن معدى كرب على عظم محله مشهورا بالكذب .

قال يونس : قلت لخلف الأحمر : أكان عمرو يكذب ؟ فقال : يكذب  
في المقال ، ويصدق في الفعال .

قال سكين بن محمد : دخل عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه ، فقال : يا أبا ثور ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيد بن غزوم ، أعظمها  
هامة ، وأمدتها قامة ، وأقلها ملامة ، وأفضلها حلما ، وأقدمها سلما ، وأجرها  
مقدما . قال : ومن هو ؟ قال : سيف الله ، وسيف رسوله (٤) صلى الله عليه وسلم .

(١) الأغاني : « قال في ظهر فرسه » .

(٢) الأغاني : « إلى يديه » .

(٣) في الأغاني : « حس » .

(٤) يريد خالد بن الوليد .

قال : وأىُّ شيءٍ صنعتَ عنده ؟ قال : أتيتُهُ زائراً ، فدعاني بكَعْبٍ (١) وقوسٍ (٢) ،  
وثورٍ (٣) . فقال : وأبيك إنَّ في هذا لَشَبَعاً . قال : لى أو لك يا أمير المؤمنين ؟  
قال : لى ولك . قال : فوالله إنى لأكلُ الجذعة (٤) ، وأشربُ [ التبن من ] (٥) اللبَنِ  
رَبِيئَةً (٦) وصرفاً ، فلمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : أىُّ أحياء قومك  
خير ؟ قال : منذ حجج ، وكلُّ شيءٍ قد كان فيه خير ، شِداد فوارسها ، فوارس أبطالها ، أهل الرِّماح  
والرِّباج (٧) .

قال عمر : فأين سمعتُ العَشيرة ؟ قال : هم أشدُّنا شَرِيصاً ، وأكثرنا خَمِيصاً (٨) ،  
وأكرمنا رَيْصاً ، وهم الأوفياء البررة ، والمساير (٩) الفَجْرَة . فقال له عمر رضى الله  
عنه - : يا أبا ثور ، ألك عِلْمٌ بالسَّلاح ؟ قال : على الخيبر سَقَطَتْ (١٠) ، سلَّ عمَّا بَدالك !

(١) كذا في الأغاني ؛ وهو يوافق ما في اللسان : « كعب » ، والكعب من اللبن والسمن  
قدر صبة ، وفي ب ، ج « لفت » ، واللفت : اسم للعصيدة ؛ لأنها تلفت ؛ أى تفتل .  
(٢) القوس هنا : ما يبقى في أصل الجملة من التمر .  
(٣) الثور هنا : الكتلة من الأقط .  
(٤) الجذعة من الغم : ما تكون منها بين ستة أشهر وسنة .  
(٥) تكلمة من رواية الأغاني . واللسان ( تبن ) . والتبن : القدح الكبير .  
(٦) الربيضة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض ، فيروب من ساعته .  
(٧) في الأغاني : « أهل الربا والرماح » .  
(٨) الثمرس : الثمرس ، والحميس : الجيش ، وفي اللسان ثمرس : « هم أعظمنا خميسا  
وأشدنا شريصا » .

(٩) كذا في الأغاني ، والمساير : جمع مسعر ( بكسر الميم وفتح العين ) ، ومسعر الحرب :  
موقدها ومهيجها ، وفي ب : « المساعرة » ، وفي ج : « السامرة » تحريف .  
(١٠) على الخيبر سقطت ، مثل ؛ وأول من قاله مالك بن جبير العامري ؛ وكان من حكماء  
العرب ؛ وتمثل به الفرزدق حين أقبل من العراق ، فلقبه الحسين بن علي ، فادما من الحجاز فسأله :  
ما وراءك ؟ فقال : على الخيبر سقطت ؛ فلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والأمر ينزل من  
السماء . فقال الحسين : صدقتى . بجمع الأمثال ٢ : ٢٤

قال : أَخْبِرْنِي عَنِ النَّبْلِ ، قال : مَنَابِأَ تَضْطَبُءُ وَتُصِيبُ . قال : أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّمْحِ ، قال : أَحْوَكُ وَرَبْمَا خَانَكَ ، قال : أَخْبِرْنِي عَنِ التَّرْسِ . قال : ذَاكَ مَجْنُوعٌ عَلَيْهِ تَدْوُورُ الدَّوَائِرِ ، قال : أَخْبِرْنِي عَنِ الدَّرْعِ ، قال : مَشْغَلَةُ الْفَارَسِ ، مَتَعَبَةُ الرَّاجِلِ ؛ قال : أَخْبِرْنِي عَنِ السَّيْفِ ، قال : عَنْهُ قَارَعَتْكَ <sup>(١)</sup> لِأَمِّكَ التُّكُلُ <sup>(٢)</sup> ، فقال له عمر : لا بِلِ لِأَمِّكَ ، وَرَفَعَ عَمْرُ الدَّرَّةَ وَضَرَبَ بِهَا يَدَ عَمْرٍو ، وَكَانَ عَمْرُو مُحْتَبِيًا فَأُنْحَلَّتْ حُبُونُهُ فَاسْتَوَى قَائِمًا وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَتَضْرُبُنِي كَأَنَّكَ ذَوْرُعَيْنِ      بِخَيْرٍ مَعِيشَةٍ أَوْ ذُو نَوَاسِ  
فَكَمَّ مُلْكٍ قَدِيمٍ قَدِ رَأَيْنَا      وَعَزَّ ظَاهِرَ الْجَبْرُوتِ رَاسِ <sup>(٣)</sup>  
فَأَضْحَى أَهْلَهُ بَادُوا وَأَضْحَى      يُنْقَلُ مِنْ أَنَاسٍ فِي أَنَاسِ

فقال : صدقتَ يا أبا ثور ، وقد هدم ذلك الإسلامُ كله ، وقد أقسمتُ عليك لما جلستَ ؛ فجلس . فقال له [ عمر ] <sup>(٤)</sup> : هل كعمت <sup>(٥)</sup> عن فارس قطُّ ممن لقيتَ ؟ فقال : اعلم يا أمير المؤمنين أني لم أستحلَّ الكذبَ في الجاهلية ، فكيف أستحلُّه في الإسلام ! ولقد قلتُ لجريدة <sup>(٦)</sup> من خيل زبيد : أغيروا بنا على بني البكاء فقالوا : يبعُد علينا المغار ، فقلت : فعلى بني مالك بن كنانة ، فأتينا على قومٍ سرّاة ،

(١) المقارعة ، أصلها المضاربة بالسيوف في الحرب ؛ ويريد بها المصاولة باللسان .

(٢) في الأغاني : « لأمك الهبل » .

(٣) في الأغاني : « قاسى » .

(٤) تكلمة من الأغاني .

(٥) كعمت : ضعفت وجبت .

(٦) الجريدة : جماعة الخيل ؛ ويريد بها الفرسان . وفي الأغاني : « جبهة » ؛ وهي جماعة

الخيال أيضا .

فقال عمر : وكيف علمت بأنهم سرّاء ؟ فقال : رأيت مَدَاوِدَ<sup>(١)</sup> خَيْلٍ كَثِيرَةً ، وَقُدُورًا  
مُتَّفِقَةً<sup>(٢)</sup> وَقَبَابَ أَدَمَ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَرَاءٌ ، فَكَمَنْتُ<sup>(٣)</sup> خَيْلِي حَجْرَةً<sup>(٤)</sup> ، وَجَلَسْتُ  
فِي مَوْضِعٍ اسْتَمِعْتُ كَلَامَهُمْ ، فَإِذَا أَنَا بِبِجَارِيَةِ مِنْهُمْ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ خَيْمَةِ لَهَا ، فَجَلَسْتُ  
بَيْنَ صَوَاحِبِ لَهَا ، ثُمَّ دَعْتُ وَلِيدَةً مِنْ وَلَائِدِهَا ، فَقَالَتْ : ادْعِي فَلَانًا ، فَدَعْتُ لَهَا رَجُلًا  
مِنَ الْحَيِّ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّ خَيْلًا تُغَيِّرُ عَلَيَّ الْحَيَّ ، فَكَيْفَ أَنْتَ  
إِنْ زَوَّجْتُكَ نَفْسِي ؟ فَقَالَ : أَفَعَلْ وَأَصْنَعْ ، فَجَعَلَ يَصِفُ نَفْسَهُ فَيُفْرِطُ ، فَقَالَتْ لَهُ :  
انصِرْفِ حَتَّى أَرَى رَأْيِي ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى صَوَاحِبَاتِهَا فَقَالَتْ : مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ ؛ ادْعِي  
لِي فَلَانًا ، فَدَعْتُ آخَرَ ؛ فَخَاطَبْتُهُ فَأَجَابَهَا بِمِثْلِ جَوَابِهِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : انصِرْفِ حَتَّى أَرَى  
رَأْيِي ، وَقَالَتْ لَصَوَاحِبَاتِهَا : وَمَا عِنْدَ هَذَا خَيْرٌ أَيْضًا . ثُمَّ قَالَتْ لِلْوَلِيدَةِ : ادْعِي لِي  
رَبِيمَةَ بِنْتِ مَكْدَمٍ ، فَدَعْتُهُ ؛ فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ قَوْلِهَا لِلرَّجُلَيْنِ . فَقَالَ لَهَا : إِنَّ أَعْجَزَ  
الْعَجْزِ وَصَفُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ ، وَلَسَكُنِّي إِنْ<sup>(٥)</sup> لَقِيتُ أَعْدَرْتُ ؛ وَحَسَبُ الْمَرْءِ غِنَاءً  
أَنْ يُعْذِرَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ زَوَّجْتُكَ نَفْسِي ، فَأَحْضِرْ عِدًّا مَجْلِسَ الْحَيِّ لِيَعْلَمُوا ذَلِكَ .  
فَأَنْصَرَفَتْ مِنْ عِنْدِهَا ، فَاتَّبَعَتْ حَتَّى ذَهَبَ اللَّيْلُ وَوَلَّاحَ الْفَجْرُ ، فَفَرَجَتْ  
مِنْ مَكْمَنِي ، فَرَكِبَتْ فَرَسِي ، وَقَلْتُ لِحَيْلِي : أُغَيِّرِي ؛ فَأَغَارَتْ ، فَفَرَكْتُهَا ،  
وَقَصَدْتُ قَصْدَ النِّسْوَةِ وَمَجَلَسَهُنَّ ، فَكَشَفْتُ عَنْ خَيْمَةِ الْمَرْأَةِ ، فَإِذَا بَأْسُ رَأَةٍ  
تَامَّةِ الْحُسْنِ ، فَلَمَّا مَلَأَتْ عَيْنَهَا مِنْهُ أَهْوَتْ إِلَى دِرْعِهَا فَشَقَّتْهُ وَقَالَتْ : وَائْكُلَاهُ !  
وَاللَّهِ مَا أَبْكِي عَلَى مَالٍ وَلَا عَلَى تِلَادٍ ؛ وَلَكِنْ عَلَى أُخْتٍ لِي مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْقَوْرِ

(١) مداود : جمع مذود ؛ وهو معتاف الدابة .

(٢) متفقاة : منصوبة على الأثافي ، والأثافي : جمع أنثفة ؛ وهي المجر يوضع عليه القدر .

(٣) الأغاني : « فتركت » .

(٤) حجرة : جانبا أو ناحية .

(٥) في الأغاني : « إذا » .

- وَأَهْوَتْ إِلَى قَوْرِ<sup>(١)</sup> رَمَلٍ إِلَى جَانِبِهِمْ - تَبَقَى بَعْدِي فِي مِثْلِ هَذَا الْحَائِطِ<sup>(٢)</sup> فَتَهَلَّكَ ضَيْعَةٌ . فَقُلْتُ : هَذِهِ غَنِيمَةٌ مِنْ وِرَاءِ غَنِيمَةٍ ، فَدَفَعْتُ فَرْسِي حَتَّى أَوْفَيْتُ عَلَى النَّقَا<sup>(٣)</sup> ؛ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَلَدَ أَهْلَبَ<sup>(٤)</sup> [أَغْلَبَ] <sup>(٥)</sup> يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَإِلَى جَانِبِهِ فَرْسُهُ وَسِلَاحُهُ ، فَلَمَّا رَأَى رَمِي بِنَعْلِهِ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى فَرْسِهِ ، وَأَخَذَ رِمْحَهُ ، وَمَضَى لَا يَحْفِلُ بِي ، فَطَفِقْتُ أَشْجِرُهُ بِالرَّمْحِ خَفَقًا<sup>(٦)</sup> وَأَقُولُ لَهُ : يَا هَذَا ، اسْتَأْسِرْ<sup>(٧)</sup> . فَضَى لَا يَحْفِلُ بِي حَتَّى أُشْرَفَ عَلَى الْوَادِي ، فَلَمَّا رَأَى الْخَيْلَ تَحْوِي نَعْمَهُ اسْتَعْبَرَ بِأَكْيَا<sup>(٨)</sup> ، وَأَنْشَأُ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ إِذْ مَنْحَتْنِي فَاهَا      إِنِّي سَاجِرِي الْيَوْمِ مِنْ مَجْرَاهَا<sup>(٩)</sup>  
\* يَا لَيْتَ شِعْرِي الْيَوْمَ مَنْ دَهَاهَا \*

فَقُلْتُ :

عَمْرُو عَلَى طُولِ الْوَجَى دَهَاهَا      بِالْخَيْلِ يَجْمِيهَا عَلَى وَجَاهَا<sup>(١٠)</sup>  
\* حَتَّى إِذَا حَلَّ بِهَا أَحْتَوَاهَا<sup>(١١)</sup> \*

- 
- (١) فِي الْأَغَانِي : « الْقَوْز » ، وَهِيَ بِمَعْنَى .  
(٢) فِي الْأَغَانِي : « الْغَائِطُ » .  
(٣) النَّقَا : الرَّمَلُ ، وَفِي الْأَغَانِي . « الْأَيْفَاعُ » .  
(٤) الْأَهْلَبُ : كَثِيرُ شَعْرِ الرَّأْسِ وَالْجَسَدِ ، وَفِي ب ، ج : « أَهَاتُ » تَصْغِيفٌ ؛ صَوَابُهُ مَا فِي الْأَغَانِي .  
(٥) تَسْكُمَلَةٌ مِنَ الْأَغَانِي ، وَالْأَغْلَبُ : الْأَسَدُ الْغَلِيظُ الرَّقِيبُ يُوصَفُ بِهِ السَّادَةُ الشَّجْعَانُ .  
(٦) شَجْرُهُ بِالرَّمْحِ : طَعْنُهُ حَتَّى اشْتَبَكَ فِيهِ . وَالْحَفَقُ : الضَّرْبُ بِشَيْءٍ عَرِيضٍ .  
(٧) اسْتَأْسِرَ : كُنَ أَسِيرًا ، وَفِي ج : « اسْتَأْسَنَ » تَصْغِيفٌ .  
(٨) فِي الْأَغَانِي : « تَحْوَى لِإِبْلِهِ اسْتَعْبَرَ بِأَكْيَا »  
(٩) رَوَايَةٌ فِي الْأَغَانِي : « سَاحْوَى الْيَوْمِ مِنْ حَوَاهَا » .  
(١٠) الْوَجَا : الْحَفَا .  
(١١) كَذَا فِي الْأَغَانِي ؛ وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَفِي ب ، ج : « اجْتَوَاهَا » ، تَصْغِيفٌ ، وَفِي مَرْجُوذِ الذَّهَبِ ٢ : ٣٣٦ : « حَوَاهَا » .

فَحَمَلَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ :

أَهْوَنُ بِنَصْرِ الْعَيْشِ فِي دَارِ نَدَمٍ (١)  
أَنَا ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الشَّيْمِ  
أَكْرَمُ مِنْ عَيْشِي بِسَاقِي وَقَدَمِ  
أَفِيضُ دَمَمًا كَلَمَّا فَاضَ أُنْسَجَمُ (٢)  
مُؤَمِّنَ الْغَيْبِ وَمُؤَفِّ بِالذَّمِّ (٣)  
كَالْبَيْتِ إِنْ هَمَّ بِتَقْضَامٍ قَضَمَ (٤)

فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ وَأَنَا أَقُولُ :

أَنَا ابْنُ ذِي التَّقْلِيدِ فِي الشَّهْرِ الْأَصَمِّ (٥)  
مَنْ يَلْقَانِي يُودِ كَمَا أُوْدَتْ إِرَمُ  
أَنَا ابْنُ ذِي الْإِكْلِيلِ قَتَالَ الْبُهَمِ (٦)  
أَتْرُكُهُ لِحَمًّا عَلَى ظَهْرِي وَضَمِّ (٧)

فَحَمَلَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ :

هَذَا حَمِيٌّ قَدْ غَابَ عَنْهُ ذَائِدُهُ  
الْمَوْتُ وَرِدُّهُ وَالْأَنَامُ وَارِدُهُ

وَحَمَلَ عَلِيٌّ فَضْرَبَنِي ، فَرُغْتُ وَأَخْطَأَنِي ، فَوَقَعَ سَيْفُهُ فِي قَرَبُوسٍ (٧) السَّرَجِ  
فَقَطَعَهُ وَمَا تَحْتَهُ ، حَتَّى هَجَمَ عَلَى مِسْحِ (٨) الْفَرَسِ . ثُمَّ نَسَنِي بِضَرْبَةِ أُخْرَى ،  
فَرُغْتُ وَأَخْطَأَنِي ، فَوَقَعَ سَيْفُهُ عَلَى مَوْخِرِ السَّرَجِ فَقَطَعَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى فَخِذِ الْفَرَسِ ؛  
وَصِرْتُ رَاجِلًا ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيَحْكُ ! مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي ، وَفِي ب ، ج : « أَهْن » تَصْغِيفٌ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « وَفِي بِالذَّمِّ » .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « بِتَقْضَامٍ قَضَمَ » .

(٤) التَّقْلِيدُ : أَنْ يَجْعَلَ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ وَنَحْوِهَا شَيْئًا يَعْلَمُ أَنَّهُ هَدْيٌ . وَالشَّهْرُ الْأَصَمُّ : رَجَبٌ

لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قمعقة سلاح ؛ لأنه من الأشهر الحرم .

(٥) فِي الْأَصُولِ : « ذِي الْأُكَالِ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَرْجِ الذَّهَبِ وَالْأَغَانِي . وَالْإِكْلِيلُ : التَّاجُ ؛

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرِبَ مِنَ الْبَيْنِ ؛ وَمَلُوكُهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ التَّيْجَانَ .

(٦) الْوَضْمُ : الْحَوَانُ مِنَ الْحَشَبِ يَقْطَعُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ ؛ يُقَالُ : فُلَانٌ لَحِمٌ عَلَى وَضْمٍ ، مِثْلُ يَضْرِبُ

لِلذَّلِيلِ .

(٧) الْقَرَبُوسُ مِنَ السَّرَجِ : الْجُزْءُ الْمُرْتَفِعُ مِنْ مَقْدَمِهِ وَمِنْ مَوْخِرِهِ .

(٨) الْمِسْحُ : كَسَاءٌ غَلِيظٌ مِنَ الشَّعْرِ يَجْعَلُ تَحْتَ السَّرَجِ .



يُقدِّم على إلا ثلاثة : الحارث بن ظالم للعُجْبِ وأُخِيلاء ، وعامرُ بنُ الطَّفِيلِ  
للسَّنِّ والتَّجْرِبَةِ ، وربيعَةَ بنِ مَكْدَمٍ للحدائَةِ والصَّرامَةِ<sup>(١)</sup> ، فمن أنتِ ويَلِكُ ! قال :  
بل الوَيْلُ لك ! فَمَنْ أنتِ ويَلِكُ ! قلت : عمرو بن مَعْدِي كَرِب ، قال : وأنا ربيعَةُ  
ابنِ مَكْدَمٍ ، قلت : يا هذا ، إني قد صِرْتُ راجِلاً ، فأخترُ مِنِّي إحدى ثلاث :  
إن شئتَ اجتَدَدْنَا بسيفينا حتَّى يَمُوتَ الأَعْجَزُ مِنَّا ، وإن شئتَ أَصْطَرَعْنَا فأثبنا  
صَرَخَ صاحِبُه حُكْمَ فيه ، وإن شئتَ سألْتك [ وسألْتني ]<sup>(٢)</sup> . قال : الصلح إذا  
إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بي أيضاً على قومي هَوَانٌ ، قلتُ : فذلك لك ،  
وأخذتُ بيده ، حتَّى أتيتُ أصحابي وقد حازوا نَعْمَه ، فقلت : هل تعملون أني كعمت  
عن فارس من الأبطال قطَّ إذا لقيتُه ؟ قالوا : نُعيذُك من ذلك ، قلت : فأنظروا  
هذا النعم الذي حُرِّمَوه فخذوه مِنِّي غدا في بني زُبَيْدٍ ؛ فإنه نَعْمٌ هذا الفتى !  
<sup>(٣)</sup> وإنه لا يُوصَلُ إلى شيء منه وأنا حي<sup>(٣)</sup> . فقالوا : لَحَاكَ اللهُ مِن فارس قوم !  
أَشَقِينَا حتَّى إذا هَجَمْنَا على الغنيمَةِ الباردة فَثَأْنَا<sup>(٤)</sup> عنها ! فقلتُ : لا بدَّ لكم  
من ذلك ، وأن تهبوا لي ولربيعَةَ بنِ مَكْدَمٍ ، فقالوا : وإنه لهو ! فقلتُ : نَعْم ،  
ورددتها<sup>(٥)</sup> وسالمتُه ، فأمنَ حَرَّ بي وأمنتُ حَرَّ به حتَّى هَلَكَ .

(١) الأغاني : « للحدائَةِ والفرَةِ » .

(٢) تكملة من الأغاني .

(٣ - ٣) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « وأنه لا يوصل مني إليه شيء وأنا حي » .

(٤) فثأنا : ثبطت عرستنا .

(٥) ج : « وددتها » تصحيف ، وفي الأغاني : « فردوها » .

## الرباب بنت امرئ القيس\*

هذه ترجمة لم يُترجمها صاحبُ الأصل ، وإنما هو ترجمَ على مولانا الحسين - رضى الله عنه - في أصله ، فلم أستحسن أن أترجمَ على هذا الأسم مع من شمله هذا الكتاب من الجان والشعراء والمغنين .

على أن هذا الكتاب - كما قيل عنه - مظلومٌ مع اسمه لم يشنه غيره ، وإلا فقد تضمنَ وقائعَ وغزواتٍ وأحاديثَ لسيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وأحببتُ أن أترجمَ بهذه الترجمة لأنها هي الغرضُ المقصودُ هنا .

هي الرباب بنتُ امرئ القيس بنِ عدى بنِ أوس بنِ جابر بنِ كعب بنِ عُليم ابنِ كلب<sup>(١)</sup> بنِ وبرة بنِ ثعلبة بنِ عمران بنِ الحاف بنِ قُصاعة .

وأُمها هند بنت الربيع بنِ مسعود بنِ معاذ بنِ حُصين بنِ كعب بنِ عُليم ابنِ كلب<sup>(١)</sup> .

قال عوف بنِ خارجة المرثي : إني لعندَ عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه في خلافته إذ أقبلَ رجلٌ أحنج<sup>(٢)</sup> أجلح<sup>(٣)</sup> أمعر<sup>(٤)</sup> يتخطى رقاب الناس ، حتى قامَ بين يدي

\* تقع هذه الترجمة ضمن أخبار الحسين بن علي ونسبه في الجزء السادس عشر من الأغاني من ١٣٧ إلى ١٨٩ ( طبعة الدار ) .

(١) في الأصول : « كليب » ، والصواب ما أثبتناه عن الأغاني .  
 (٢) الأفضح : الذى تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه إذا مشى .  
 (٣) الأجلح : الذى انحسر مقدم شعره ، وفي الأغاني : « أجلي » ؛ وهو بمعناه .  
 (٤) كذا في الأغاني . والأمعر : الذى تمر لونه ووجهه ؛ أى تغير وعلته صفرة . وفي الأصول : « أصفر » تحريف .

عمرَ رضى الله عنه ، حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْخِلاَفَةِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مِمَّنْ (١) أَنْتِ ؟ قَالَ :  
أَنَا رَجُلٌ نَضْرَانِيٌّ ، أَنَا أُمْرَأُ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ الْكَلْبِيِّ ؛ فَلَمْ يَعْرِفْهُ عُمَرُ ؛ فَقَالَ لَهُ  
رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : بَيْلَى ، هَذَا صَاحِبُ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ الَّذِي أَغَارَ عَلَيْهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
يَوْمَ فَلَاحٍ (٢) ، قَالَ : فَمَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ الْإِسْلَامَ ؛ فَعَرَضَهُ عَلَيْهِ عُمَرُ ، فَقَبِلَهُ ،  
ثُمَّ دَعَا لَهُ بِرَمْحٍ فَوَلَّاهُ ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ بِالشَّامِ مِنْ قُضَاعَةَ ، فَأَدْبَرَ الشَّيْخُ  
وَاللَّوَاءُ يَهْتَزُّ عَلَى رَأْسِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَمْ يُصَلِّ لِلَّهِ رَكْمَةً قَطُّ أَمْرٌ عَلَى جَمَاعَةٍ  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَهُ .

ونَهَضَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَمَعَهُ ابْنَاهُ الْحَسَنُ  
وَالْحُسَيْنُ حَتَّى أَدْرَكَهُ ، فَأَخَذَ بَثِيَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،  
أَبْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَهْرُهُ ، وَهَذَانِ ابْنَايَ مِنْ أُمَّنْتِهِ ، وَقَدْ رَغَبْنَا  
فِي صَهْرِكَ ، فَأَنْكِحْنَا .

قال: قد أنكحتك يا عليُّ المُخَبَّاتَةَ (٣) بنتُ أمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَأَنْكِحْتِكَ يَا حُسَيْنُ  
الرَّبَّابَ ابْنَةَ أمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَأَنْكِحْتِكَ يَا حَسَنَ سَمَامَى بنتِ أمْرِئِ الْقَيْسِ .  
- وَكَانَتْ الرَّبَّابُ مِنْ خِيَارِ النِّسَاءِ وَأَفْضَلِهِنَّ وَخُطِبَتْ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ؛ فَقَالَتْ :  
مَا كُنْتُ لِأَتَّخِذَ حَمَوًا (٤) بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَرَوُجَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ  
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « فَمِنْ أَنْتِ » .

(٢) فَلَاحٍ : اسْمُ مَوْضِعٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَضَرْيَةَ ، وَيَوْمَ فَلَاحٍ لَبِنُ عَامِرِ عَلِيِّ بْنِ حَنِيفَةَ ( يَاقُوت ) .

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَغَانِي : « الْحَيَاة » .

(٤) كَذَا فِي أ ؛ وَفِي ب ، ج : « خَرَا » تَصْحِيفٌ ، وَالْحَمُو . كَدَلُو : أَبُو زَوْجِ الْمَرْأَةِ ، وَفِي

الْأَغَانِي « حَمَا » .

واسمُ أبي طالب عبدُ مناف بن عبد المطلب - واسمه شيبه - بن هاشم - واسمه عمرو -  
ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

وأُمُّ عليّ بن أبي طالب فاطمةُ بنتُ أسد بن هاشم ، وهي أوّل هاشميّة نكحت  
هاشمياً ، وهي أم سائر ولد أبي طالب .

وأُمُّ الحسين فاطمة سيّدة النساء رضوان الله عليها ، وأم فاطمة خديجة بنت خويلد  
ابن أسد بن عبد العزى .

وكانت خديجة تُكفّي أمّ هند ، وكانت فاطمة تُكفّي أمّ أبيها ، وكان عليّ  
رضوان الله عليه سمّي الحسن رضي الله عنه حرباً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم حسناً ، ثم ولد له الحسين رضي الله عنه فسماه حرباً ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم  
حسيناً . قال رضي الله عنه : كنت رجلاً أحبُّ الحرب ، فلما سميتُ ابني<sup>(١)</sup> بذلك  
غيره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال : قد سميتُهما بأسمي أبيّ هارون : شبر  
وشبير ، وكان عليّ الحسن والحسين - رضوان الله عليهما - تعويدتان حشوها  
من زغب جناح جبريل عليه السلام .

وولدت الرّباب للحسين عبد الله وسكينة ، وكان اسمُ سكينة آمنة ، وسكينة  
لقبها .

قال مالك بن أعين : سمعتُ سكينة بنت الحسين تقول : عاتبَ عمّي الحسنُ أبي  
في أمّي ؛ فقال الحسين رضي الله عنه :

لمعركُ إني لأحبُّ داراً تكونُ بها سكينةُ والرّبابُ

(١) في الأصول : « ابناي » ، وهو خطأ .

أُحِبُّهُمَا وَأَبْدُلُ جِهَدَ مَالِي      وليس لعائِبٍ عندي عِتَابٌ (١)  
فَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ غَابُوا مُضِيْعًا      حياتي أو يَغِيْبُنِي التراب (٢)

قال أبو إسحاق المالكي: قيل لسكينة: أختك فاطمة ناسكةٌ وأنت تمزحين كثيرا! قالت: لأنكم سميتموها بأسم جدتها المؤمنة - تعني فاطمة الزهراء رضوان الله عليها - وأنا سميتموني بأسم جدتي التي لم تدرِك الإسلام - تعني آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما قتل الحسين رضوان الله عليه قالت الربابُ ترتبه :

إِنَّ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ      بَكَرَ بَلَاءٌ قَتِيلٌ غَيْرُ مَدْفُونِ  
سَبَطَ الرَّسُولُ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً      عَنَّا ، وَجُنُبْتَ خُسْرَانَ الْمَوَازِينِ  
قَد كُنْتُ لِي جَبَلًا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ      وَكُنْتُ نَصْحَبُنَا بِالرُّحْمِ وَالذِّينِ  
مَنْ لِلْيَتَامَى وَمَنْ لِلسَّائِلِينَ وَمَنْ      يُغْنِي وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مُسْكِينِ !  
وَاللَّهِ لَا أَتَقْنِي صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ      حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطَّيْنِ

كان الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم خطب إلى عمه الحسين رضي الله عنه ، فقال له الحسين: يا بن أخي . قد كنا ننتظر هذه منك ، انطلق معي ، فأدخله منزله ، فخيرته في أبنتيه فاطمة وسكينة ، فاختر فاطمة ، فزوجها إياها .

وكان يقال: إن امرأتين مردولتهما (٣) سُكَيْنَةَ لَمَنْقِطَةَ الْقَرِينِ فِي الْحَسَنِ .

ويقال : إنه لما أختار فاطمة قال : قد أخترت فاطمة ، فهي أكثر شَبَهًا بِأُمِّي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) في الأغاني : « جل مالي » .

(٢) في الأصول : « مطيما » تحريف .

(٣) في الأغاني : « إن امرأة تختار على سكينة » .

حضرت سُكِينَةُ مَاتَمَّا فِيهِ بِنْتُ لَعْمَانَ بْنِ عَقَانَ ، فَقَالَتْ بِنْتُ عُمَانَ : أَنَا  
بِنْتُ الشَّهِيدِ ، فَسَكَتَتْ سُكِينَةُ ، فَلَمَّا أَذِنَ الْمُؤَذِّنُ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ  
قَالَتْ سُكِينَةُ : هَذَا أَبِي أَوْ أَبُوكِ ؟ فَقَالَتِ الْعُمَانِيَّةُ : لَا جَرَمَ ! لَا أَفْتَخِرُ عَلَيْكَ أَبَدًا .  
كَانَتْ سُكِينَةُ تَجِيءُ فِي سِتَارَةٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَتَقُومُ بِإِزَاءِ ابْنِ مُطَيَّرَةَ - وَهُوَ  
خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ - إِذَا صَعِدَ الْمَنْبَرُ ، فَإِذَا شَتَمَ عَلِيًّا شَتَمْتَهُ  
هِيَ وَجَوَارِيهَا ، فَكَانَ يَأْمُرُ الْحَرَّاسَ فَيَضْرِبُونَ جَوَارِيهَا .

لَمَّا وَوَلَّى الرَّشِيدُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ دِمَشْقَ اسْتَوْهَبَهُ صَبِيَّةَ جَمَاعَةٍ ، مِنْهُمْ  
عُبَيْدَةُ بْنُ أَشْعَبَ ، وَالغَاضِرِيُّ ، وَحَكَمُ الْوَادِيَّ ، وَغَيْرِهِمْ .

قال (١) : فَكَانَ عُبَيْدَةُ سَمِيرِي ، وَهُوَ عَدِيلِي ، فَلَمَّا بَلَغْنَا ثَمَنِيَةَ الْعُقَابِ اسْتَدَّتْ الْبَرْدَ ،  
فَأَحْتَجَجْتُ إِلَى أَنْ أُرْدَادَ فِي الدُّنْيَا ، فَدَعَوْتُ بِدُؤَاجِ (٢) سَمُورَ ، فَأَلْقَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِي ،  
وَدَعَوْتُ بِنِ كَانِ فِي سَمِيرِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَكَانُوا حَوْلِي ، فَقُلْتُ لِابْنِ أَشْعَبَ : حَدِّثْنِي  
بِأَعْجَبِ مَا تَعَلَّمَ مِنْ طَمَعِ أَبِيكَ ، فَقَالَ : أَحَبُّ مِنْ طَمَعِ أَبِي ابْنِهِ . فَقُلْتُ :  
وَمَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : لَمَّا اسْتَدَّتْ الْبَرْدَ أَنَا ، وَدَعَوْتُ بِالْأُؤَاجِ السَّمُورَ ،  
لَمْ أَشْكُ أَنَّكَ دَعَوْتَ بِهِ لِي لِتَجْعَلَنِي عَلِيًّا ، فَغَلَبْتَنِي عَلَيْهِ ، قَالَ : فَغَلَبَنِي الضَّحِكُ ،  
وَخَلَعْتُ عَلَيْهِ الدُّؤَاجَ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ أَنَا : مَا أَحْسَبُ لَكَ قِرَابَةً بِالْمَدِينَةِ ! فَقَالَ : اللَّهُمَّ  
غَفْرًا ! لِي بِالْمَدِينَةِ أَقْرَبَ ، قُلْتُ : أَوْ يَكُونُونَ عَشْرَةَ ! قَالَ : وَمَا عَشْرَةَ ! قُلْتُ :  
عَشْرُونَ ! قَالَ : اللَّهُمَّ غَفْرًا ، لَا تَذْكُرِ الْعَشْرَاتِ وَلَا الْمِئِينَ . وَتَجَاوَزَ ذِكْرَ الْأُلُوفِ  
إِلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا .

(١) القائل إبراهيم بن المهدي .

(٢) الدواج ، كرمان وغراب : ضرب من الثياب ؛ وسمر : دابة معروفة تسوى من جلدها

فراء غالية الأثمان .

قلت : وَيَحْك ! ليس بينك وبين أشعبَ أحد ، فكيف يكون هذا ؟ قال :  
إنَّ زيدَ بنَ عمرو بنِ عثمانَ لما تزوجَ سكينَةَ بنتَ الحسينِ خَفَّ أبى على قلبها  
فأحسنتُ إليه ، وكان عطاؤها أكثرَ من عطاء مولاها ، فمال إليها بكلَّيته .

وحجَّ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ وهو خليفة ، فاستأذنَ زيدَ بنَ عمرو سكينَةَ في الحجِّ ،  
وأعلمها أنها أوَّلُ سنة حجَّ فيها الخليفة ، ولا يمكنه التخلُّفُ عن الحجِّ معه -  
وكان لزيدِ ضَيْعَةٌ يُقال لها : العرَجُ <sup>(١)</sup> ، وكان له فيها جوارٍ - فأعلمته أنها لا تأذن له  
إلا بشرطٍ أن يخرجَ أشعبَ معه ؛ ليكونَ عَيْنًا لها عليه ، ومانعًا له من الغدوِّ  
إلى العرَجِ ، ومن اتَّخَذَ جاريةً له في بدْأته ورجمته ، ففنع بذلك ؛ وأخرجَ  
أشعبَ معه . وكان لزيدِ فرسٌ جوادٌ ، حَسَنَ المنظرِ ، يصونهُ عن الركوبِ إلا في  
مُسايرةِ خليفة ، أو يومِ زينة ، وله سَرَجٌ يصونهُ أن يركبَ به غيرَ ذلك الفرسِ ،  
وكان معه طيبٌ لا يتطيبُ به إلا في مثل ذلك اليوم ، وحُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يصونها  
عن اللباسِ إلا في يومٍ يُحبُّ التجمُّلَ فيه بها . فحجَّ زيدٌ مع سليمانَ ، وكانت  
له عنده حواجِبُ كثيرة ، فقضاها كلها <sup>(٢)</sup> ووصَّله ، وأجزَلَ صلته .

وأنصرفَ سليمانُ من حجَّته ولم يسلكَ طريقَ المدينة ، وأنصرفَ زيدٌ يريدُ  
المدينةَ ، فنزل على ماءِ لبني عامرِ بنِ صعصعة ، ودعا أشعبَ ، وأحضرَ صُرَّةً فيها  
أربعمائة دينار ، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرَجِ إلا أميال ، وأنه إن أذن له  
في المسيرِ إليها والمبيتِ بها عند جواريه ، غلَّس <sup>(٣)</sup> إليه ، فوافاه في وقتِ أرتحالِ الناسِ ،

(١) العرج : منزل بطريق مكة من المدينة؛ ومنه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي

الشاعر .

(٢) كذا في ا ، وفي ب ، ج : « كله » .

(٣) غلَّس إليه : أتى إليه بغلس ؛ وهو الظلام .

ووهبَ له الأربعمائة دينار . فقبلَ يدهَ ورجله ، وأذن له في السير إلى حيث أحب ، وحلّف [ له ] <sup>(١)</sup> أنه يحلّف لسكينة بالأيمان المخرجة أنه ما سار إلى العرج ، ولا اتّخذ جاريةً منذ فارقَ سكينةَ إلى أن رجع إليها .

فدفعَ إليه مولاهُ الدنانيرَ ومضى ؛ فلم يسر نصفَ ميلٍ حتى رأى أشعبُ في الماءِ جارتينِ معهما قُربتان ، قد ألقيا القرب <sup>(٢)</sup> ، وألقيا ثيابهما عنهما ، ورمتا بأنفسهما في الغدير <sup>(٣)</sup> ، وغاصتا <sup>(٤)</sup> فيه ، فرأى من مجرّدها ما استحسنته ، فسألها عن خروجها من الماء عن نفسها ، فأعلمتاه أنهما من إماءِ نساءِ لبني عامر بن صعصعة ، هُنَّ بالقرب من ذلك الماء <sup>(٥)</sup> ، فسألها : هل يسهل على موالهما محادثةُ شيخٍ حسن الخلق ، طيب العشرة ، كثير النواذر ؟ فقالتا : وأين لنا بمن هذه صفته ! فقال لهما : أنا ذاك ، قالتا له : فأنهض معنا ، فوثبَ إلى فرسٍ زيد ذلك الموصوف ، فأسرجه بسرّجه ذلك الموصوف ، وركبه ، ولبسَ حلّته تلك الموصوفة ، وتطيّب من ذلك الطيب الذي يرضنُ به ، ومضى معهما حتى وافى الحمى ، فأقام في محادثة أهله إلى أن قرب العصر .

فأقبل من ذلك الوقت رجالُ الحمى ، وقد أنصرفوا غانمين من غارتهم ، وأقبلتُ تمرُّ به الكتبيةُ بعد الكتبية <sup>(٦)</sup> ، فيقفون به ويقولون له : من أنت ؟ فينساب في نسب زيد ، فيقول كلُّ من أجتازَ به : ما نرى [ به ] <sup>(٧)</sup> بأسا ، وينصرفون عنه

(١) تكلمة من الأغاني .

(٢) أراد بالجمع هنا ما فوق الواحد ؛ وهو كثير في كلامهم . وفي الأغاني « القربتين » .

(٣) الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل .

(٤) في الأغاني : « وعامتا » .

(٥) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « منه » .

(٦) في الأغاني : « الرعلة بعد الرعلة » ، والرعلة : الكتبية .

(٧) تكلمة من الأغاني



إلى غروب الشمس ، فأقبل شيخٌ<sup>(١)</sup> فانٍ على حجرٍ هزيلة هَرَمَة ، ففعل مثل ذلك ، فأجابه بمثل جوابهم ، فقال مثل قولهم .

قال أشعب : ثم إنى رأيتُ الشيخَ قد وقف بعد قوله ، فأوجستُ منه خيفة ؛ لأننى رأيتُهُ قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه فرفعهما ، ثم أستدار ليرى وجهى ، فركبتُ الفرس ، فإهو إلا أن أستويتُ عليه حتى سمعته يقول : أقسم بالله ما هذا وجهُ قرشيٍّ ، وما هو إلا [وجه] <sup>(٢)</sup> عبد ، فركضتُ وركضَ خلفي ، فرأى حجره مقصرة ، فلما يئس من اللحاق بي أنترعَ سهماً فرماني به ، فوقع في مؤخرة السرج فكسرها ، ودخل قلبي من صوته روعةٌ ثلَّطتُ<sup>(٣)</sup> لها في الحلة ، ووافيتُ رجلَ مولاي ففلستُ الحلة ونشرتها ، فلم تجفَّ ليلاً . وغلَّسَ زيدٌ من العرج فوافاني في وقت الرحيل ، فرأى الحلة منشورة ، ومؤخرة السرج مكسورة ، والفرس قد أضرب به الركض ، وسفطَ الطيبَ مكسورَ الخاتم ، فسألني ، فصدقته ، فقال لي : ما كفالك ما صنعتَ حتى أنتسبتَ في نسبي ، فجعلتني عند أشراف قومي من العرب جماشاً<sup>(٤)</sup> ! وسكتَ عني ولم يقل لي : أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة .

فسألته سكينته عن خبره ، فقال لها : يا بنتَ رسولِ الله ، وما سؤالك إياي ، ولم يزل ثقثك<sup>(٥)</sup> معي وهو أمينٌ عليّ ! فسألني عن خبري يصدقك . قال أشعب : فسألتنى

---

(١) كذا في الأغاني ، والحجر : الأثني من الخيل . وب ، ج : « حجرة » قال في القاموس : وبالهاء لحن .

(٢) تكملة من الأغاني .

(٣) في الأغاني : « أحدثت » ؛ وهما بمعنى .

(٤) كذا في الأغاني . والجماش : الذي يغازل النساء ويلاعهن . وفي الأصول : « حجاما »

تحريف .

(٥) ثقثك ، أى الذى تثقين به .

فأخبرتها أنني لم أنكر عليه شيئاً ، ولم أمكنه من أبتياح جارية ، ولم أطلق له الأجتياز بالمرج ، فاستحلفتني على ذلك ، فحلفت لها بالأيمان المغلظة المحرجة فيها طلاق أمك وغيره . فلما حلفت وقف زيد بين يديها وقال : أئى بنت عم ! ويا ابنة رسول الله ، كذبتك والله العليج ! وقد أخذتني أربعمائة دينار ، وأذن لي في المسير إلى العرج ، فأقمت بها يوماً وليلة ، وغشيت بها عدة من جوارى ، وأنا تائب إلى الله عز وجل مما كان منى ، وقد جعلت تحقيق توبتي هبتن لك ، وقد تقدمت في حملن إليك ، وهن موافيات المدينة عشية هذا اليوم ، فبهمن وعتهن إليك ، وأنت أعلم بما ترينه في المبد السوء . فأمرتني بإحضار الأربعمائة دينار ، فلما أحضرتها أمرت بأبتياح خشب بثلثمائة دينار ، ثم أمرت بنشره - وليس عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده - ثم أمرت بأن يتخذ بيت كبير ، وجعلت النفقة على النجارين من المائة الدينار الأخرى ، ثم أمرت بأبتياح بيض وتين وسرجين ببقية المائة الدينار ، ثم أدخلتني البيت ، وحلفت بحق جدّها ألا أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كله إلى أن ينقف<sup>(١)</sup> ، ففعلت ذلك ، فلم أزل أحضنه حتى نقف كله<sup>(٢)</sup> ، فخرج منه الألوف من الفراريج . وكانت في دار سكينه ، وكانت تنسبن إلى وتقول : يا بنات أشعب ، ونسل أشعب . وبق ذلك النسل في أيدي الناس إلى الآن ، فكلمهم أهلى وإخوانى .

قال إبراهيم : فضحكت حتى غلبت ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم . وتزوج سكينه عبدالله بن الحسن بن علي ، وهو ابن عمها وأبو عذرتها ، ثم خلفه عليها مضعب بن الزبير ، ومهرها ألف ألف درهم ، وزوجه إياها أخوها علي بن الحسين .

(١) ينقف ؛ أى يخرج من البيضة ، وفي الأغاني : « إلى أن يفقس » .

(٢) الأغاني : « فقس » .

وقيل : إن علي بن الحسين لما حَمَلَهَا إلى مُصَعَبَ أعطاه أربعين ألفَ دينار .  
وقالت سُكَيْنَةُ : دخلتُ على مُصَعَبَ وأنا مِثْلُ<sup>(١)</sup> النارِ الموقدةِ في الليلةِ القرّةِ ،  
وولدتُ من مصعب بنتاً ، فقال لي : سَمِّهَا رَبَّيَا<sup>(٢)</sup> ، فقلت : بل أَسْمِيهَا بِأَسْمِ إِحْدَى  
جَدَاتِي<sup>(٣)</sup> ، فَسَمَّيْتُهَا الرَّبَّابَ .

فلَمَّا قُتِلَ مُصَعَبُ ، وَلِيَ عُرْوَةُ أَخُوهُ تَرْكَتَهُ ، فَزَوَّجَ عُرْوَةَ الرَّبَّابَ هَذِهِ  
بِنْتَ مُصَعَبَ لِأَبْنِهِ عُمَانَ بْنِ عُرْوَةَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ ، فَاتَتْ ، فَوَرَّثَهَا عُمَانُ بْنُ عُرْوَةَ  
عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ .

ولَمَّا أَمْرَهَا مُصَعَبَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَتَمٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ  
ابن الزُّبَيْرِ :

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً  
مِنْ نَاصِحٍ لَكَ لَا يَرِيدُ خِدَاعًا  
بُضْعُ الْفَتَاةِ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ  
وَتَبَيْتُ سَادَاتِ الْمُلُوكِ جِياعًا!<sup>(٤)</sup>  
لَوْ لِأَبِي حَفِصٍ أَقُولُ مَقَاتِي  
وَأُبْتُ مَا أَبْتَثُّكُمْ لِأُرْتَاعًا<sup>(٥)</sup>

فَقَالَ : إِنَّ مُصَعَبًا قَدْ أَعْمَدَ سَيْفَهُ ، وَسَلَّ أَيْرَهُ . وَعَزَلَهُ عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَأَمْرَهُ بِالْحَضُورِ ،  
فَقَالَ : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَخْصِفَ اللَّهُ بِكَ .

فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ مُصَعَبًا ، قَالَ : لَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَعْمَدَ سَيْفَهُ وَأَيْرَهُ وَخَيْرَهُ .  
خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ سُكَيْنَةَ ، فَقَالَتْ أُمُّهَا : وَاللَّهِ لَا يَتَزَوَّجُهَا أَبَدًا  
وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ أَخِي - تَعْنِي مُصَعَبًا .

(١) في الأغاني : « وأنا أحسن من النار الموقدة » .

(٢) في الأغاني : « الزهراء » .

(٣) في الأغاني : « أمهاتي » .

(٤) كذا في الأصول ، ورواية الأغاني : « سادات الجنود » ، وهو الوجه .

(٥) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « اولا أبو حفص » ، وهو خطأ .

وقيل: إن الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان تزوجها بدم مصعب، فقال فيه  
بعض المؤمنين:

نكحت سُكِينَةَ في الحِسابِ ثَلَاثَةً<sup>(١)</sup> فإذا دخلتَ بها فأنتَ الرَّابِعُ<sup>(٢)</sup>  
وكان يتولَّى مِصْرَ، فكَتَبَتْ إليه: إن أرضَ مِصْرَ وَحِمَّةَ، فَبَنِي لها مَدِينَةً  
تُسَمَّى مَدِينَةَ الأصمغِ، وبلغَ عبدَ الملكِ تزويجها إِيَّاهُ فَنَفَسَ<sup>(٣)</sup> بها عليه، فكَتَبَ إليه:  
أَحْتَرُّ مِصْرَ أو سُكِينَةَ. فكَتَبَ إليه<sup>(٤)</sup> بطلاقها، ولم يدخل بها، ومتمها بعشرين  
ألف درهم، ومرثوا بها في الطريق على منزل، فقالت: ما أسم هذا المنزل؟ قالوا:  
جوفُ الحمار، فقالت: ما كنتُ لأدخلَ جوفَ الحمار أبداً.

ويقال: إن عبد الله بن عثمان الحزامي خلف الأصمغ عليها، وولدت منه بنتا.  
ويقال: إنه أنقلها بالثلوث، وقال لسعدة بنت عبد الله بن سالم: ما ألبستها  
إيَّاهُ إِلَّا لِتَفْضَحَهُ<sup>(٥)</sup>، يريد أنها تفضح الحلي بحسنها؛ لأنها أحسن منه.

ولما قُتِلَ مصعبَ خطبَ سُكِينَةَ إبراهيمُ بنُ عبد الرحمن بن عوف، فبعثت إليه:  
أبلغ من حَقِّكَ أن [ تبعث إلى سُكِينَةَ بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ]<sup>(٥)</sup> تخطبها! فأمسك عن ذلك.

قال: ثم تنفست يوماً بُنَانَةً جاريةً سُكِينَةَ، وتهدت حتى كادت أضلُعها  
تتحطم، فقالت لها سُكِينَةَ: ما لك، وبلك! قالت: أحبُّ أن أرى في الدار جَلْبَةَ -  
تَعْنِي العُرْسَ - فدعت مولى تمق به وقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن

(١) بعده في الأغاني:

إنَّ البقيعَ إذا تتابعَ زرعُهُ خابَ البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

(٢) نفس بها عليه، أي ضن بها.

(٣) الأغاني: «بعث إليه بطلاقها».

(٤) ورد هذا القول في الأغاني منسوباً إلى سُكِينَةَ.

(٥) من الأغاني

وقل له : إنَّ الَّذِي كُنَّا نَدْفَعُكَ عَنْهُ قَدْ بَدَا لَنَا فِيهِ ، أَنْتَ مِنْ أَخْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَحْضِرْ بَيْتَكَ<sup>(١)</sup> . قال : فَبَجَعَ عِدَّةً مِنْ بَنِي زُهْرَةَ ، وَأَفْنَاءَ قَرِيشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ وَغَيْرِهِمْ ، نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانِينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَحَسَنِ بْنِ حَسَنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ الْخَبْرُ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا : هَذِهِ السَّفِينَةُ تَرِيدُ أَنْ تَزُوجَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! فَيُنَادِي بَنُو هَاشِمٍ وَاجْتَمَعُوا ، وَقَالُوا : لَا يَخْرُجُ مِنْكُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَمَعَهُ عَصَا ، فَجَاءُوا وَمَا بَقِيَ إِلَّا السِّكْلَامُ ، فَاضْطَرُّوا بِالْعَصِيِّ هُمْ وَبَنُو زُهْرَةَ حَتَّى شُجَّ مِنْهُمْ يَوْمئِذٍ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ إِنْسَانٍ ، ثُمَّ قَالَتْ بَنُو هَاشِمٍ : أَيْنَ هَذِهِ ؟ قَالُوا : فِي الْبَيْتِ ، فَدَخَلُوا إِلَيْهَا وَقَالُوا : هَذَا مِنْ ضَعْفِ عِقْلِكَ ، ثُمَّ جَاءُوا بِكِسَاءٍ فَبَسَطُوهُ وَحَمَلُوهَا ، وَأَخَذُوا بِجِوَانِبِهِ ، فَالْتَفَقَتْ إِلَى بُنَائَةِ ، وَقَالَتْ : أَيُّ بُنَائَةٍ ؟ قَالَتْ : لَبِيكِ . قَالَتْ : [ أَرَأَيْتِ ]<sup>(٢)</sup> فِي الدَّارِ جَلْبَةَ ؟ قَالَتْ : إِي وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُا شَدِيدَةٌ .

قال أشعب : كان زيد بن عمرو بن عثمان أبخل قريش ، فخرج حاجًا ، وخرجت زوجته سكينه معه ، فلم تدع دجاجا ولا إوزًا ولا خبيصا ، ولا فاكهة إلا وحملتة معها ، فخرجنا ومعنا خمسة أحمال طعاما ، فلما أتينا السبالة<sup>(٣)</sup> نزلنا ، وأمرت بالطعام ، فقدم إليها ، فلما جيء بالأطباق أقبلت أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد ، فلما رآهم قال : أوه ! خاصرتي ، باسم الله ، ارفعوا الطعام وهاتوا الترياق والماء الحار ، فأتي بهما ، فجعل يتوجرهما<sup>(٤)</sup> حتى أنصرفوا ، ورحلنا ، وقد هلكت جوعًا ، فلم آكل إلا ما اشتريته من السوق .

(١) في الأغاني : « بيتك » .

(٢) تكلمة من الأغاني .

(٣) السبالة : موضع بقرب المدينة على مرحلة منها .

(٤) يتوجرهما : يتلصقهما .

فلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَصْبَحْتُ وَبِي مِنَ الْجُوعِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَأَتَيْتِ بِالطَّعَامِ فِجَاءَتْ  
مَشِيخَةً مِنْ قَرِيضٍ يَسْلَمُونَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ أَعْتَلَّتْ بِالْخَاصِرَةِ ، وَدَعَا بِالتَّرْبِاقِ وَالْمَاءِ  
الْحَارِ فَتَوَجَّرَهُ ، وَرَفَعَ الطَّعَامُ حَتَّى انْصَرَفُوا ، فَدَعَا بِهِ ، فَأَتَيْتُ بِهِ وَقَدْ بَرَدَ ، فَقَالَ  
لِي : يَا أَسْعَبُ ، هَلْ لَكَ إِلَى إِسْخَانِ هَذَا مِنْ سَبِيلٍ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : أَهَذَا دَجَاجُكَ مِنْ آلِ  
فِرْعَوْنَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُدْوًا وَعَشِيًّا !

جَاءَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسْلَمُونَ عَلَى سُكَيْنَةَ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِي  
أَبْنَيْتُكُمْ ؛ قَتَلْتُمْ جَدِّي عَلِيًّا ، وَقَتَلْتُمْ أَبِي الْحُسَيْنَ ، وَقَتَلْتُمْ أَخِي عَلِيًّا ، وَقَتَلْتُمْ زَوْجِي  
مُصَعبًا ، أَيْتَمَّمْتُمُونِي صَغِيرَةً ، وَأَزْمَمْتُمُونِي كَبِيرَةً !

قَالَ سَفِيانٌ ، رَأَيْتِ سُكَيْنَةَ تَرْمِي الْجَارَ ، فَسَقَطَتِ الْحِصَاةُ السَّابِعَةَ مِنْ يَدِهَا ،  
فَرَمَتْ بِجِلْقِهَا<sup>(١)</sup> مَكَانَهَا .

وظَهَرَتْ عَلَى سُكَيْنَةَ سَلَمَةٌ<sup>(٢)</sup> فِي أَسْفَلِ عَيْنِهَا ، وَكَبُرَتْ حَتَّى أَخَذَتْ وَجْهَهَا وَعَيْنَهَا ،  
وَعَظُمَ شَأْنُهَا ، وَكَانَ بَدْرَأْسُ مَنْقَطَعًا إِلَيْهَا ، وَفِي خِدْمَتِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : أَلَا تَرَى  
مَا وَقَعْتُ فِيهِ ؟ فَقَالَ لَهَا : اصْبِرِي عَلَى مَا يَمْسُكُ مِنَ الْأَلَمِ حَتَّى أَعَالَجُكَ ، قَالَتْ : نَعَمْ ،  
فَأَضْجَعَهَا وَشَقَّ جِلْدَ وَجْهِهَا حَتَّى ظَهَرَتْ لَهُ عَرْوَقُهَا ، وَكَانَ مِنْهَا شَيْءٌ تَحْتَ الْحَدِيقَةِ ،  
فَرَفَعَ الْحَدِيقَةَ عَنْهُ ، ثُمَّ سَلَّ عَرْوَقَ السَّلْمَةِ مِنْ تَحْتِهَا فَأَخْرَجَهَا أَجْمَعًا ، وَرَدَّ الْعَيْنَ  
إِلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَالَجَهَا وَسُكَيْنَةَ مَضْطَجِعَةً لَا تَتَحَرَّكُ لَهُ وَلَا تَنْبُتُ حَتَّى فَرَّغَ مِمَّا أَرَادَ ؛  
وَزَالَ ذَلِكَ عَنْهَا وَبَرَّتْ مِنْهُ ، وَبَقِيَ أَثَرُ تِلْكَ الْجِرَاحَةِ فِي مَوْخِرِ عَيْنِهَا ، فَكَانَ أَحْسَنَ  
شَيْءٍ فِي وَجْهِهَا ، وَكَانَ أَحْسَنَ عَلَى وَجْهِهَا مِنْ كُلِّ حَلْيٍ وَزِينَةٍ ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ ذَلِكَ  
فِي نَظَرِهَا وَلَا عَيْنِهَا .

(١) الحلق ، بكسر فسكون : الخاتم من فضة يكون بلا فصوص . وفي الأغاني : « بخاتمها » .

(٢) السَّلْمَةُ : ورم كالخراج يحدث في أي موضع ؛ يكون حجمه أولاً كالخصلة ثم يكبر .

اجتمع في ضيافة سكيمة جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب ، فسكنوا  
أياماً ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها ، فعمدت حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ،  
ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الشعر والحديث ، فقالت : أيكم الفرزدق ؟  
فقال لها : هأنذا ، قالت : أنت القائل :

هما دلتاني من ثمانين قامةً      كما أنقضَّ بازٍ أقممُ الرأسِ كاسِرُهُ<sup>(١)</sup>  
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا      أحيى يُرجى أم قتيلٌ نحاذرُهُ ؟  
فقلت أرفعوا الأمراس لا يشعروا بنا      وأقبلت في أعجاز ليل أبادرُهُ<sup>(٢)</sup>  
أبادر بوابين قد وگولوا بنا      وأحمر من ساجٍ تبصُّ مسامرهُ<sup>(٣)</sup>  
قالت : فما دعاك إلى إفشاء سرِّهما وسرِّك ؟ هلا سترتهما وسترت نفسك ! خذ  
هذه الألف دينار وألحق بأهلك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم جرير ؟ قال : هأنذا ، قالت :  
أنت القائل :

طَرَقْتِكَ صائِدةُ الفؤادِ وليس ذا      وَقَتِ الزَّيَّارةُ فأرجى بِسلامِ<sup>(٤)</sup>  
تُجْرِي السَّوَّاكِ على أغرِّ كأنه      بَرْدٌ تحدَّر من مُتونِ نَمامِ  
لو كان عهدك كالذي حدَّثتينا      لو صلَّتِ ذاكِ وكان غيرِ رُمَامِ<sup>(٥)</sup>  
إني أوصل من أردتُ وصاله      بحبالٍ لا صلفٍ ولا لَوَّامِ

ثم قالت : أفلا أخذت بيديها ورحبت بها ، وقلت لها ما يقال لئلا ! أنت عفيف

- 
- (١) أقم الريش : أسود كالقاتم ، والكاسر : العقاب ، وفي الأغاني : « كما انحط » .  
(٢) الأمراس : الحبال .  
(٣) الأغاني : « أبادر بوابين قد وكلا بنا » .  
(٤) الأغاني : « صائدة القلوب » .  
(٥) رمام ، أى متقطع .

وفيك ضَعْفٌ ، خذ هذه الألفَ وألحقَ بأهلك ، ثم دخلتُ على مولاتيها وخرجتُ  
وقالت : أَيْكُمْ كُثِيرٌ ؟ فقال : هَانَذَا ، فقالت : أنتِ القائل :

وَأَعْجَبَنِي يَا عَزُّ مِنْكَ خِلَاقٌ كَرَامٌ إِذَا عُدَّ الخِلَاقُ أَرْبَعُ  
دَنُوكَ حَتَّى يَطْمَعَ الجَاهِلَ الصَّبَا (١) وَدَفَعُكَ أَسْبَابَ الهَوَى حِينَ يَطْمَعُ  
فَوَالله مَا يَدْرِي كَرِيمٌ مِمَّا طُلُّ أَيْنَسَاكَ إِذْ بَاعَدْتِ أُمَّ يَتَضَرَّعُ

قال : نعم ، قالت : مَلَّحْتَ وَشَكَّكْتَ . خذ هذه الثلاثة الآلاف ، وألحقَ بأهلك .

ثم دخلتُ إلى مولاتيها وخرجتُ ، وقالت : أَيْكُمْ نُصِيبُ ؟ قال : هَانَذَا ، قالت :  
أنتِ القائل :

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ صَبَا نُصِيبُ لَقَلْتُ بِنَفْسِي النَّشَأَ الصَّغَارُ  
بِنَفْسِي كُلِّ مَهْضُومٍ حَشَاهَا إِذَا ظَلِمَتْ فَلَيْسَ لَهَا أَنْتَصَارُ !

قال : نعم ، قالت : رَبِّيتُنَا صِغَارًا ، وَمَدَحْتُنَا كِبَارًا ، خذ هذه الأربعة الآلاف

وألحقَ بأهلك ، ثم دخلتُ على مولاتيها وخرجتُ ، وقالت : يَا جَمِيل ، مولاتي تُقَرِّئُكَ  
السَّلَامَ وَتَقُولُ : وَالله مَا زِلْتُ مُشْتَاقَةً إِلَيْكَ مِنْذُ سَمِعْتُ قَوْلَكَ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بُوَادِي القُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ  
لِكُلِّ حَدِيثٍ يَنْهَنُ بِشَاشَةٍ وَكُلِّ قَتِيلٍ يَنْهَنُ شَهِيدُ

جملتُ حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء ! خذ هذه الألف (٢) الدينار ، وألحقُ

بأهلك .

تفاخرَ كلٌّ من راويةِ جرير ، وراويةِ الفرزدق ، وراويةِ كثير ، وراويةِ جميل ،  
وراويةِ الأخوص ، وراويةِ نُصِيبُ ؛ وقال كلٌّ واحد منهم : صاحبي أشعر ،

(١) الأغاني : « حتى يطمع الطالب الصبا » .

(٢) في الأصول : « الألف دينار » ، وفي الأغاني : « الأربعة آلاف الدينار » .



فكتموا سَكِينَةً لِمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ عَقْلِهَا وَبَصِيرَتِهَا بِالشَّعْرِ ، فخرجوا يَتَمَادُونَ<sup>(١)</sup> حتى أَسْتَأْذَنُوا عَلَيْهَا ، فَأَذْنَتْ لَهُمْ ، فَذَكَرُوا لَهَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، فَقَالَتْ لِرَاوِيَةِ جَرِيرٍ : أَلَيْسَ صَاحِبِكَ الَّذِي يَقُولُ :

طَرَقْتُكَ صَائِدَةَ الْفَوَادِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ فَارْجِعْ بِسَلَامٍ<sup>(٢)</sup>  
وَأَيُّ سَاعَةٍ أَحْلَى لِلزِّيَارَةِ مِنَ الطَّرُوقِ ! قَبِحَ اللَّهُ صَاحِبِكَ وَقَبِحَ شَعْرَهُ ! الْإِقَالَ :  
« فَادْخُلِي بِسَلَامٍ » !

ثم قالت لِرَاوِيَةِ كَثِيرٍ : أَلَيْسَ صَاحِبِكَ الَّذِي يَقُولُ :  
يَقَرُّ بَعِيْنِي مَا يَقَرُّ بَعِيْنَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ  
فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ لَعِيْنَهَا مِنَ النَّكْحِ ، أَفِيحِبُّ صَاحِبِكَ أَنْ يُنْكَحَ ! قَبِحَ اللَّهُ  
صَاحِبِكَ وَقَبِحَ شَعْرَهُ .

ثم قالت لِرَاوِيَةِ جَمِيلٍ : أَلَيْسَ صَاحِبُكَ الَّذِي يَقُولُ :  
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَّابِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي  
فَمَا أَرَى بِصَاحِبِكَ هَوَى ؛ إِنَّمَا يَطْلُبُ عَقْلَهُ ، قَبِحَ اللَّهُ صَاحِبِكَ وَقَبِحَ شَعْرَهُ !  
ثم قالت لِرَاوِيَةِ نُصَيْبٍ : أَلَيْسَ صَاحِبِكَ الَّذِي يَقُولُ :  
أَهَيْمُ بَدْعِدٍ مَا حَيَّتُ فَإِنَّ أُمَّتُ فَوَاحِزْنِي مَنْ ذَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي !  
فَمَا أَرَى لَهُ هِمَّةَ إِلَّا مَنْ يَتَعَشَّقُهَا بَعْدَهُ ، قَبِحَ اللَّهُ صَاحِبِكَ وَقَبِحَ شَعْرَهُ ! الْإِقَالَ :  
\* فَلَا صَلَحَتْ دَعْدُ لَدِي خَلَّةٍ بَعْدِي \*

ثم قالت لِرَاوِيَةِ الْأَحْوَصِ : أَلَيْسَ صَاحِبِكَ الَّذِي يَقُولُ :  
مِنْ عَاشِقِينَ تَوَاصَلًا وَتَوَاعَدًا لَيْلًا إِذَا نَجْمُ الثَّرِيَّا حَلَقًا

(١) يتعادون : يتبارون . وفي الأغاني : « يتقادون » ؛ وما يعنى .

(٢) في الأغاني : « حين الزيارة » .

بانا بأنعم ليلةٍ والذَّها حتَّى إذا وضح الصِّباحُ تفرَّقا  
قال: نعم ، قالت : قبحه الله وقبح شعره ! ألا قال : « تماثقا » ، فلم تُثنِ  
على أحدٍ منهم ، ولم تُقدِّمه في ذلك اليوم .

وقيل : إنَّها قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول :  
فيا ليتني أعمى أصمُّ تقودني بُثينةُ لا يخفى عليَّ كلامها  
قال: نعم . قالت : رحم الله صاحبك ! فإنه كان صادقا في شعره ، جميلا كأسمه ،  
فحكمت له .

ولم يُصلِّ على أحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام إلا على سُكينة  
بنت الحسين ، فإنَّها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك ، فأرسلوا إليه فأذنوه بالجنازة  
في أوَّل النهار في حرٍّ شديد ، فأرسل إليهم : لا تُحدِّثوا فيها حدَّثا حتَّى أجيء وأصلِّيَ  
عليها ، فوضع النعشُ في موضع المصلِّي على الجناز ، وجلسوا ينتظرون حتى جاءت  
الظهر ، فأرسلوا إليه فقال : لا تُحدِّثوا فيها حدَّثا حتَّى أجيء ، فجاءت العصر ،  
ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صلَّيت العتمة ولم يجيء ، ومكث النَّاسُ جلوسا حتى غلبهم  
النوم ، فقاموا وأقبلوا يصلُّون جمعا جمعا عليها وينصرفون .

فقال عليُّ بنُ الحسين رضى الله عنهما : رحم الله من أعان بطيب ! وإنما أراد  
خالد بن عبد الملك أن تُنبتن . قال : فأُتِيَ بالجأمر فوضعت حول النعش ، ونهض  
أبنُ أختها محمد بن عبد الله العُماني فأتى (١) عطَّارا كان يعرف عنده عودا ، فاشتراه  
منه بأربعمائة دينار ، ثم أتى به فبُخِّرَ حول السرير حتى أصبح وقد فرغ منه ، فلما  
صلَّيت الصبحُ قال: صلُّوا عليها ، وأدْفنوها ، فصلى عليها شيبة بن نصاح .

وقيل : إنَّ عبد الله بن الحسين هو الذي ابتاع لها العودَ بأربعمائة دينار .

(١) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « فأعطى » ، ولا معنى لها .

## ربيعة الرقي\*

هو ربيعة بن ثابت الرقي الأسدي وكنته ، أبو شبانة<sup>(١)</sup> . وقيل : أبو ثابت .  
كان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه .

وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريراً . وأشخصه المهدي إليه فدحه  
بمئة قصائد ، وأثابه عليها ثوابا كثيرا ، وإنما أحمَل ذكره ، وأسقطه عن طبقته  
بمئذ عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخاطبة الشعراء ؛ ومع ذلك فما عديم  
مفضلاً لشعره ومقدماً له .

قال دِعْبِل : قلت لروان بن أبي حفصة : من أشعركم جماعة المحدثين  
يا أبا السمط ؟ قال : أشعرنا أسيرنا بيتاً ، قلت : ومن هو ؟ قال : ربيعة الرقي الذي  
يقول في مدح يزيد بن حاتم<sup>(٢)</sup> المهلبي وهجاء يزيد بن أسيد<sup>(٣)</sup> السلمي :

لشعان ما بين الزيدتين في الندى	يزيد سليم والأغر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى	أخو الأسد للأموال غير مسلم
فهم الفتى الأسدي إتلاف ماله	وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمام أنني هجوته	ولكنني فضلت أهل الكارم

\* الأغاني ١٦ : ٢٥٤ - ٢٦٥ (طبع دار الكتب)

(١) شبانة ؛ كذا بالنون في الأصول ، وهو يوافق ما في نكت الهميان ١٥١ ، وفي الأغاني  
« شبابة » ، بالباء .

(٢) كذا في الأغاني ؛ وهو يوافق ما في ابن خلكان ٢ : ٢٨١ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٣٤  
وفي الأصول : « يزيد بن محمد » وهو خطأ .

(٣) أسيد ؛ كذا ضبطه في الأغاني « بضم الهزة وفتح السين المهملة » .

فِي ابْنِ أُسَيْدٍ لَا تُسَامِ ابْنَ حَاتِمٍ فَتَفَرَّعَ إِنْ سَامَيْتَهُ سِنَّ نَادِمٍ  
هُوَ الْبَحْرُ إِنْ كَلَّفَتْ نَفْسَكَ حَوْضَهُ تَهَالَكَتَ فِي مَوْجٍ لَهُ مِتْلَاطِمٍ

قال أسدُ بنُ أنسِ بنِ مُجَالِدِ الْأَنْصَارِيِّ<sup>(١)</sup> : قلتُ لأبي زيدِ النَّحْوِيِّ : إنَّ الْأَصْمَعِيَّ قالَ : لا يُقالُ : شَتَّانَ ما بينهما ؛ وإِنَّمَا يُقالُ : « شَتَّانَ ماهما » ، وأنشد قولَ الْأَعْشى :

\* شَتَّانَ ما يَوْمِي على كُورِها<sup>(٢)</sup> \*

فقال : كَذَبَ الْأَصْمَعِيُّ . يُقالُ : « شَتَّانَ ما بينهما » ، وأنشدَ لربِيعَةَ الرَّقِيِّ واحتجَّ لَهُ :

\* لَشَتَّانَ ما بينَ الزَّيْدَيْنِ في النَّدى \*

وفى أَسْتِمْهادِ مِثْلِ أَبِي زَيْدٍ على دَفْعِ قَوْلِ مِثْلِ الْأَصْمَعِيِّ بِشِعْرِ رَبِيعَةَ الرَّقِيِّ كفايَةً لَهُ في تَفْضِيلِهِ .

وكان سببُ هُجاءِ رَبِيعَةَ زَيْدِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّهُ زارَهُ لِيَسْتَمِيعَهُ<sup>(٣)</sup> دِينًا عَلَيْهِ ، فلم يَجِدْ عنده ما أَحَبَّ ، فبلغَ ذلكَ زَيْدِ بْنِ حَاتِمِ فَبَرَّهَ ، وَطَفَّلَ<sup>(٤)</sup> على قِضاءِ دَيْنِهِ ، فاستَفْرَغَ جَهدَهُ ووسَمَهُ في مَدْحِهِ لَهُ . ولَمَّا عَمَلَ فيهِ هَذِهِ القَصِيدَةَ :

\* لَشَتَّانَ ما بينَ الزَّيْدَيْنِ في النَّدى \*

---

(١) كذا في الأصول ، و في الأغاني : « أسيد بن خالد الأنصاري » .

(٢) بقيته :

\* وَيَوْمٌ حِيانُ أَخِي جَابِرِ \*

ديوانه ١٠٨ .

(٣) كذا في ١ ، و في الأغاني : « يستمعه » ، و في ب ج : « يتنحه » ، و في ب :

« ليستمعنه » تصحيف .

(٤) طفل : ترفق وتلطف .

عَارِضَهُ أَبُو الشَّمَمَقِ ، فَقَالَ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا يَزِيدَ بْنَ مَرْزُوقٍ ، سَلَخَ بَيْتَ (١)  
رَبِيعَةَ الرَّقِيِّ ، بَلْ نَقَلَهُ :

لَشْتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى      إِذَا عُدَّ فِي النَّاسِ الْمَكَارِمُ وَالْمَجْدُ  
يَزِيدُ بَنِي شَيْبَانَ أَكْرَمُ مِنْهُمَا      وَإِنْ غَضِبْتَ قَيْسُ بْنُ عَمِلَانَ وَالْأَزْدُ  
فَتَى لَمْ تَلِدْهُ مِنْ رُعَيْنِ قَبِيلَةٍ      وَلَا لَخْمُ تَنْمِيهِ وَلَمْ تَنْمِهِ نَهْدُ  
وَلَكِنْ نَمَتْهُ الْفُرُّ مِنْ آلِ وَائِلٍ      وَبَرَّةٌ تَنْمِيهِ وَمِنْ بَعْدِهَا هِنْدُ  
وَلَمْ يَسِرْ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْءٌ كَمَا سَارَتْ آيَاتُ رَبِيعَةَ .

قال أبو دُعامة : لما هجا ربِيعَةَ يَزِيدَ بْنَ أَسِيدِ السَّلَمِيِّ - وكان جليلا عند المنصور  
والمهدى - وفضل عليه يَزِيدَ بْنَ حَاتِمٍ ، قلتُ لربِيعَةَ : يا أبا شَبَانَةَ (٢) ، ما حَمَلَكَ عَلَى  
أَنْ هَجَوْتَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ ، وَفَضَّلْتَ عَلَيْهِ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ ؟ قَالَ : أَخْبِرْكَ ، أَمَلَقْتُ  
مَرَاةً فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا دَارِي ، فَرَهَنْتُهَا عَلَى خَمْسِمِائَةِ دَرَاهِمٍ ، وَرَحَلْتُ إِلَيْهِ فِي أَرْمِينِيَّةَ ،  
وَأَعْلَمْتُهُ بِذَلِكَ وَمَدَخْتُهُ ، وَأَقْبَتُ عِنْدَهُ حَوْلًا ، فَوَهَبَ لِي خَمْسِمِائَةَ دَرَاهِمٍ ، فَتَحَمَلْتُ  
بِهَا وَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ كَبِيرُ شَيْءٍ ، فَزَلْتُ فِي دَارِ بِكْرَاءٍ ، ثُمَّ قُلْتُ :  
لَوْ أَتَيْتُ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمٍ ! ثُمَّ قُلْتُ : هَذَا ابْنُ عَمَّتِي فَعَلَّ بِي هَذَا الْفِعْلَ ، فَكَيْفَ غَيْرُهُ !  
ثُمَّ حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى أَنْ أَتَيْتُهُ ، فَأَعْلَمْتُهُ بِمَكَانِي ، فَتَرَكَنِي شَهْرًا حَتَّى ضَجِرْتُ ،  
فَأَكْرَيْتُ نَفْسِي مِنَ الْخَمَالِينِ ، وَكَتَبْتُ بَيْتًا فِي رُقْمَةٍ وَأَلْقَيْتُهَا (٣) فِي دِهْلِيزِهِ ، وَهُوَ :  
أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ رَاجِعًا      بِخَفِيِّ حُنَيْنٍ مِنْ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمٍ (٤)

(١) كَذَا فِي ١ ؛ وَهُوَ يُوَافِقُ مَا فِي الْأَغَانِي ، وَفِي ب ، ج : « مِنْ رَبِيعَةَ » .

(٢) الْأَغَانِي : « شَبَابَةٌ » .

(٣) الْأَغَانِي : « وَطَرَحْتَهَا » .

(٤) كَذَا فِي ١ وَالْأَغَانِي ؛ وَفِي ب ، ج : « مِنْ نَوَالِ يَزِيدَ » .

فوقمت الرقعة في يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمرى ، فبعث  
 خلفي ، فلما دخلت عليه قال : إيه ! أنشدني ما قلت ؛ فتممت ؛ فقال : والله لا بد  
 أن تُشيدني ، فأشدته ، فقال : لا والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : ازعوا خفيه ،  
 فزعوها فحشاها دنانير ، وأمر لي بثمان وجوار وكساء ، أفلا ترى لي أن أمدح هذا  
 وأهجو ذاك ! قلت : بلى والله. وسار شعري حتى بلغ المهدي ، وكان سببي <sup>(١)</sup> إليه .

وقال عبد الله بن المعتز : كان ربيعة الرقي أرق غزلاً من أبي نواس <sup>(٢)</sup> ؛ لأن  
 في غزل أبي نواس <sup>(٢)</sup> برداً كثيراً ، وغزل ربيعة منهل عذب .

اشتهد جوارى المهدي أن يسمعن ربيعة الرقي ، فوجه إليه المهدي من حمله  
 من بلده <sup>(٣)</sup> على البريد حتى قدم به عليه ، فلما دخل عليه سمع من وراء الستر حساً ،  
 فقال : إني أسمع حساً يا أمير المؤمنين . فقال : اسكت يا ابن اللخناء ، واستشده  
 ما أراد ، وضحك وضحك جواريه .

وكان فيه لين ، وكذلك كان أبو العتاهية ، ثم أجازته بجازة سنية ، فقال له :

يا أمير المؤمنين اللـ هـ سَمَّاكَ الْأَمِينَا

سَرَ قُونِي مِنْ بِلَادِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا

سَرَ قُونِي فَاقْضْ فِيهِمْ بِقِضَاءِ السَّارِقِينَا

قال : قد قضيت فيهم <sup>(٤)</sup> بأن يردوك إلى حيث أخذوك ، ثم أمر به فحمل على

البريد من ساعته إلى الرقة .

(١) الأغاني : « فكان سبب دخولي عليه » .

(٢) ب ، ج : « فراس » تصحيف .

(٣) الأغاني : « أخذه من مسجده » .

(٤) ساقطة من ب ، ج .

امتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة  
لم يسبق إليها حسناً ، يقول فيها :

لو قيل للعباس يا بن محمد  
ما إن أعد من المكارم خصلة  
وإذا الملوك تسايروا في بلدة  
إن السكارم لم تزل معقولة<sup>(٢)</sup>  
قل « لا » وأنت مخلد ما قالها  
إلا وجدتك عمها أو خالها  
كانوا كواكبها وكنت<sup>(١)</sup> هلالها  
حتى حلت براحتيك عقالها

فبعث إليه بدينارين ، فلما رآها كاد أن يُجنَّ غضباً ، وقال للرسول : خذ  
الدينارين لك ، على أن تردّ الرقعة عليّ من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول  
ذلك ، فأخذها ربيعة ، وكتب على ظهرها<sup>(٣)</sup> :

مدحتك مدحة السيف المحلّي  
فهبها مدحة ذهب ضياعا  
فأنت المرء ليس له وفاء  
كأنّ إذ مدحتك قد زنت  
لتجري في الكرام كما جريت  
كذبت عليك فيها وافتريت

ثم دفعها إلى الرسول وقال : ضمها في المكان الذي أخذتها منه ، فردّها الرسول  
إلى مكانها ، فلما كان من الغد أخذها العباس ، فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب ،  
وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد - وكان أثيرا عنده يبجله ويقدمه ، وكان  
الرشيد قد همّ أن يخطب إليه ابنته - فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟  
قال : هجانى ربيعة الرقيّ . فأحضره الرشيد وقال : ياماص كذا من أمّه ، أتهبجو  
عمي وآثر الخلق عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك !

(١) ب ، ج : « وأنت » تحريف .

(٢) ب ، ج : « معقودة » .

(٣) في الأغاني . « وأمر من كتب على ظهرها » ؛ وهو الوجه ، فقد كان ربيعة الرقي ضريرا

ذكره الصفدي في نكت الهميان .

فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحتُه بقصيدة ما قال مثلها أحدٌ من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء ، ولقد بالفتُ في الثناء ، وأكثرُ الوصف . فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأمرَه بإحضارها ! فلما سمع الرشيدُ ذلك منه سَكَنَ غَضَبُه ، وأحَبَّ أن ينظر القصيدة . فأمر العباسَ بإحضارها ، فمَلَكَأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتُك بحقي عليك إلا أمرتَ بإحضارها . فلم العباس أنه قد أخطأ وغَلِط ، فأمر بإحضارها ، فأحضرتُ ، فنظر الرشيدُ فيها<sup>(١)</sup> وأعجب بها واستحسنها ، وقال : ما قال أحدٌ من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صدق ربيعةٌ وبرٌّ ، ثم قال للعباس : كم أثبتته عليها ؟ فسَكَت العباس ، وتغيَّر لونه .

فقال ربيعة : أتابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين . فتوهم الرشيدُ أنه يقول ذلك من المورِجدة عليه ، فقال : بحياتي يارقي ! كم أتابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ، ما أتابني إلا بدينارين . فغضب الرشيدُ غضبا شديداً ، ونظر في وجه العباس وقال : سوءة لك ! أيُّ حالٍ قعدتُ بك عن إتابته ! أقلَّةُ مال ؟ فوالله لقد موئتُك جهدى ، أم أنقطعُ المادَّة عنك ؟ فوالله ما أنقطعتُ عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء . أم نفسك ؟ فلا ذنبَ لي ، بل نفسك فعلتُ بك ذلك حتى فضحتَ نفسك وأباك وأجدادك وفضحتني !

فكس العباسُ رأسه ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعةَ ثلاثين ألفَ درهمٍ وخِلعةً ، وأحمله على بغلةٍ ؛ فلما حُمِلَ المالُ بين يديه وألِيس الخِلعة ، قال له الرشيد : بحياتي يا ربيعة لا تذكُرْه في شيء من شعركِ تعريضاً ولا تصريحاً .

وفتر الرشيدُ عما كان همُّ به من التزويج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاءً وأطراحاً .



وكان ربيمة لا يزال يعبت بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد العبت الذي يبلغ منه الحد ، منذ جرى بينهما في هذا المدح ما جرى من حيث لا يتعلق عليه فيه شىء . فجاء العباس يوما إلى الرشيد ببرنية فيها غالية ، فوضعها بين يديه ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذه غالية صنعتها لك بيدي ، اخترت عندها من شجر عمان ، ومسكهم من مفاوز التبت ، وماءها من قعر تهامة<sup>(١)</sup> ، والفضائل كلها فيها مجموعة ، والتعت دونها يقصر . فأعرضه ربيمة ، فقال : ما رأيت أعجب منك ومن صفتك هذه الغالية ، عند من إليه كل موصوف مجلب ، وفي سوقه ينفق ، وبه إليه يتقرب<sup>(٢)</sup> وما قدر غالتك هذه أعزك الله حتى تبالغ في وصفها هذه المبالغة ! أأجريت إليه بها نورا ، أو حملت إليه منها وقرا ! إن تعظيمك هذا عند من تجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلد ، وتذل لهيبته جبارة الملوك الطيعة والعاصية ، وتحفه بطرف بلدانها<sup>(٣)</sup> ، وبدائع ملكها ، حتى كأنك قد فقت بها ما عنده ، وأبدعت له ما لا يعرفه ، وخصصته بما لم يحويه ملكه ، لا تخلو فيه من ضعف أو نقص<sup>(٤)</sup> هم . فشدتك الله يا أمير المؤمنين إلا جعلت حظي من كل جائزة وفائدة توصلها إلي في مدة سنة هذه الغالية حتى ألتقاها بحقها .

قال : ادفعوها إليه ، فدفعت إليه ، فأدخل يده فيها ، فأخرج ملء كفه ، وحل سراويله وأدخل يده ، فطلى بها أسته ، وأخرج حفنة أخرى فطلى بها ذكروه وأنثييه ، وأخرج حفنتين فطلى بهما إبطيه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، غلامى يؤذن له في الدخول ! فقال : أدخلوه إليه - وهو يضحك - فأدخل فدفع إليه البرنية ، فقال :

(١) كذا في ا ، وهو يوافق ما في الأغاني . وفي ب ، ج : « قفر » .

(٢) ب ، ج : « وإليه يتقرب » ، وما أثبتته من ا والأغاني .

(٣) كذا في ا والأغاني . وفي ب ، ج : « لذاتها » تصحيف .

(٤) الأغاني : « قصرهمة » .

أذهب إلى جاريتي فلانه بهذه البرنية ، وقل لها : طيبي بها حرك وإطيك حتى آتى الساعة فأفعل بك .

فأخذها الفلام ومضى ، وضحك الرشيد حتى غشي عليه ، وكاد العباس أن يموت غيظا ، ثم قام وأنصرف ، وأمر الرشيد له بثلاثين ألف درهم .

قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى : رأيت قصيدة لربيعة الرقي مكتوبة في دور بساط من بسط السلطان مبسوطة في دار العامة بسر من رأى ، وهي هذه (١) :

وتزعم أني قد تبدلت خلة  
سواها وهذا الباطل المتقول !  
لحاً الله من باع الصديق بغيره  
فقال نعم حاشاك إن كنت تفعل  
ستصيرم إنساناً إذا ما صرمتني  
بحبك فأنظر بعده من تبدل !

كان ربيعة يهوى جارية يقال لها : عثمة ، لرجل من أهل قرقيسياء ، يقال له : ابن صرار ، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولوه مصر ، وأصاب مالا عظيما ، فبلغه خبر ربيعة مع جاريته ، فأحضره ، وعرض عليه (٢) أن يهبها له ، فقال : لا تهبها لي ، فإن كل مبذول مملوك ، وأكره أن يذهب حبها من قلبي ، ولكن دعني أواصلها هكذا ؛ فهو أحب إلي ، وقال فيها ومدح بها بعض ولد يزيد بن المهلب :

اعتماد قلبك من حبيبك عيده  
شوق عراك فأنت عنه تدوده  
والشوق قد غلب الفؤاد وقاده  
والشوق يغلب ذا الهوى فيقوده  
في دار مرار غزال كنيسه  
عطره عليه خزوزه وبروده  
ماضراً عثمة أن تلم بعاشق  
دنف الفؤاد متيم فتعوده

(١) ساقطة من ١ . وفي الأغاني : « وهي قوله » .

(٢) ساقطة من ١ ، ج .

لقى ربيعةَ الرِّقِيِّ مَعْنَ بنَ زائِدَةَ ، فامتدَّحَه بقصيدَةٍ ، وأنشدَهُ إِيَّاهَا ، فلمْ يَهشَّ لها مَعْنٌ ، ولا رَضِيَ ربيعةَ لِقَاءِهَا إِيَّاهُ ، وأتابه ثواباً نَزَرًا فَرَدَّهُ ربيعةُ وهجاءَ هجاءً كَثِيراً ، فما هجاءَ به قوله :

معنُ يامعنُ يا بنَ زائِدَةِ الكَلْدِ	بِ الَّتِي فِي الذَّرَاعِ لَا فِي البَنَانِ
لَا تُفَاخِرْ إِذَا فَخَرْتَ بِأَبَا	ثُكَّ وَأَفْخَرَ بِعَمِّكَ الحَوْفِرَانَ
فَهشامُ بنُ وائلٍ فِي مَكَانٍ	أَنْتَ تَرْضَى بِدُونِ ذَاكَ المَكَانِ
ومَتَى كُنْتَ يا بنَ ظُبَيْةَ تَرجو	أَنْ تُثَنِّيَ عَلَيَّ ابْنَةَ الغَضبانِ !
هِيَ حَوْرَاءُ كَالهَاقِ هِجَانٌ	لِهِجَانٍ وَأَنْتَ غَيْرُ هِجَانِ
وَبَنَاتِ السُّلَيْكِ <sup>(١)</sup> عِنْدَ بَنِي ظُبَيْةَ	مِيةَ أَفَّ لَكُمْ بَنِي شَيْبانِ
قِيلَ مَعْنُ لَنَا فَلَمَّا أَخْبَرْنَا	كَانَ مَرَعِيَّ وَليسَ كَالسَّعْدانِ

ظُبَيْةُ الَّتِي غَيْرَ بِهَا أُمُّهُ ، كَانَتْ أُمَّةً لِبَنِي نَبهانَ بنِ أَبِي ربيعةَ بنِ ذُهَلِ بنِ شَيْبانِ ، لَقِيَهَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ زائِدَةَ بنِ مَطَرِ بنِ شَرِيكٍ ، جَدُّ مَعْنِ بنِ زائِدَةَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَتْ راعِيةً لِأهلِهَا فِي غَنَمِهَا ، فَسَرَقَهَا وَوَقَعَ عَلَيهَا ، فولدتْ لَهُ زائِدَةَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ أبا مَعْنِ ابنِ زائِدَةَ وَدِجاجةَ بنتِ عَبْدِ اللَّهِ . وَبنتِ السُّلَيْكِ الَّتِي عَناها : أُمراةٌ مِنْ [ وِلْد ]<sup>(٢)</sup> الحَوْفِرَانَ .

قال أبو بَشْرٍ : كُنْتُ حاضراً ربيعةَ الرِّقِيِّ يوماً ، وَجاءتْهُ امراةٌ مِنْ مَنزِلِ عَثْمَةَ الجارِيةِ الَّتِي يَتَمَلَّقُهَا ، فَقالتْ لَهُ : تقولُ لَكَ فلانةُ : إنَّ بنتَ مولاى مَحْمومةٌ ، فإنَّ كُنْتُ تَعرفُ عُوذَةَ تَكْتُبُها لَها فَأفْعَلُ ، فَقالَ : أ كُتِبَ لَها يا أبا بَشْرٍ هَذِهِ العُوذَةُ :

(١) الأغانى : « وبنات السليل » .

(٢) تسكلمة من الأغانى .

تَقُوْ تَقُوْ بِأَسْمِ الْإِلَهِي الَّذِي لَا يَمْرُضُ السُّقْمَ لِمَنْ قَدْ شَفَا  
أَعْيَدُ مَوْلَاتِي وَمَوْلَاتِهَا وَأَبْنَتَهَا بِمَوْذَةِ الْمِصْطَفَى  
مِنْ شَرِّ مَا يَمْرُضُ مِنْ عِلَّةٍ فِي الصُّبْحِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَسَدَفَا

تَقُوْ تَقُوْ ، هُوَ النَّفْثُ الَّذِي يَنْفِثُهُ الرَّاقِي . قَالَ أَبُو بَشْرٍ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا شَبَابَةَ ،  
لَسْتُ أَحْسِنُ أَنْ أُكْتُبَ : « تَقُوْ تَقُوْ » ، فَقُلْتُ لِي كَيْفَ أُكْتُبُهَا ؟ قَالَ : انْضَحْ  
الْمِدَادَ مِنْ رَأْسِ الْقَلَمِ ، يَقَعُ فِي مَوْضِعَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثَةً ؛ حَتَّى يَكُونَ كَالنَّفْثِ ، وَأُدْفَعْ إِلَيْهَا  
الْمَوْذَةَ ، فَإِنَّهَا نَافِعَةٌ . فَفَعَلْتُ ، وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ جَاءَتْ الْجَارِيَةُ  
وَهِيَ لَا تَتَأَلَّكُ ضِحْكًا . فَقَالَتْ لَهُ : يَا مَجْنُونُ ، مَا فَعَلْتَ بِنَا ! كِدْنَا وَاللَّهِ أَنْ نَفْتَضِحَ  
فَقَالَ لَهَا : وَمَا أَصْنَعُ بِكَ ؟ أَنَا شَاعِرٌ أَوْ صَاحِبُ تَعَاوِيدٍ !

## الرَّيِّعُ بْنُ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ\*

هو الرَّيِّعُ بْنُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ نَاشِبِ بْنِ هَدْمِ بْنِ عُودِ بْنِ غَالِبِ  
ابْنِ قُطَيْمَةَ بْنِ عَبْسِ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ  
ابْنَ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرْشُبِ<sup>(١)</sup> ؛ وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ النَّضْرِ بْنِ  
حَارِثَةَ بْنِ أَمَّارِ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ . وَهِيَ إِحْدَى الْمُنْجِبَاتِ ، كَانَ يُقَالُ  
لَبَيْنِهَا الْكَمَلَةُ ؛ وَهَمُ : الرَّيِّعُ ، وَعُمَارَةُ ، وَأَنْسُ .

وَمَا سَأَلَ مَمَاوِيَةَُ عِلْمَاءَ الْعَرَبِ عَنِ الْبُيُوتَاتِ وَالْمُنْجِبَاتِ ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمُ  
أَلَّا يُجَاوِزُوا فِي الْبُيُوتَاتِ ثَلَاثَةَ ، وَفِي الْمُنْجِبَاتِ ثَلَاثًا ، عَدُّوا فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخُرْشُبِ  
فِيْمَنْ عَدُّوا ، وَقَبْلَهَا حَيَّةُ<sup>(٢)</sup> بِنْتُ رَبَاحِ الْقَنْوِيَّةِ أُمِّ الْأَحْوَصِ ، وَخَالِدِ بْنِ مَالِكِ  
ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ ، وَمَاوِيَةَُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمِ  
ابْنِ عَمْرُو بْنِ تَمِيمِ ، أُمَّ لَقِيْطِ وَحَاجِبِ وَعَلْقَمَةَ ؛ بِنْتُ زُرَّارَةَ بْنِ عُدْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمِ .

وَلِدَتْ فَاطِمَةُُ بِنْتُ الْخُرْشُبِ مِنْ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سَبْعَةَ ، فَعَدَّتِ الْعَرَبُ  
الْمُنْجِبِينَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ ، وَهَمُ خِيَارُهُمْ ، فَهُمْ : الرَّيِّعُ ، وَيُقَالُ لَهُ : الْكَامِلُ . وَعُمَارَةُ -  
وَهُوَ الْوَهَّابُ - وَأَنْسُ - وَهُوَ أَنْسُ الْفَوَارِسِ ، وَهُوَ الْوَاقِعَةُ - وَقَيْسُ - وَهُوَ الْبَرْدُ -  
وَالْحَارِثُ - وَهُوَ الْحَرُونَ - وَمَالِكُ - وَهُوَ الْوَالِدُ - وَعَمْرُو ، وَهُوَ الدَّرَاكُ .

\* الأغانى ١٦ : ١٩-٤٣ ( ساسى ) ، ١٧ : ١١٦ - ١٤٠ . ( دار الثقافة بيروت ) .

(١) فى الأصول : « الحوشب » ، تصحيف ، وصوابه من الأغانى .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « حيه » .

رَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ لَقِيَ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخُرَشُبِ تَطُوفٌ بِالْكَعْبَةِ ،  
فَقَالَ لَهَا : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ رَبِّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ ! أَيُّ بَنِيكَ أَفْضَلُ ؟ قَالَتْ : الرَّبِيعُ ،  
لَا بِلِ أَنْسَ ، لَا بِلِ عُمَارَةَ ؛ تَشَكَّلْتُهُمْ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي أَيُّهُمْ أَفْضَلُ . وَقَالَتْ :  
- وَقَدِ سَأَلْتُ أَيْضًا أَيُّهُمْ أَفْضَلُ - أَمَا وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ تَضْعًا ، وَلَا وَلَدْتُهُ يَتْنًا ،  
وَلَا أَرْضَعْتُهُ غَيْلًا ، وَلَا مَنْعْتُهُ قَيْلًا ، وَلَا أَبْتُهُ عَلَى مَاقَةٍ (١) .

قال أبو اليقظان : معنى قولها : « ما حملتُ واحداً منهم تَضْعًا » . تقول : ما حملتُ  
في دُبُرِ الطُّهْرِ ، وقيل : الْحَيْضِ . وقولها : « ولا ولدته يَتْنًا » ؛ وهو أن تخرج  
رجلاه قبل رأسه . وقولها : « وما أرضعته غَيْلًا » ، أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي .  
وقولها : « ولا منعته قَيْلًا » ، أي لم أمنعه اللبن عند القائلة . وقولها : « ولا أبته  
على مَاقَةٍ » ، أي وهو يبكي .

وسألت فاطمة عن بنيتها فوصفتهم ، فقالت : عُمَارَةُ لَا يَنَامُ لَيْلَةَ يَخَافُ (٢) ،  
وَلَا يَشْبَعُ لَيْلَةَ يُضَافُ . وقالت في الربيع : لَا تَمُدُّ مَآرِئَهُ ، وَلَا تُخْشَى فِي الْجَهْلِ  
بِوَادِرِهِ . وقالت في أنس : إِذَا عَزَمَ أَمْضَى ، وَإِذَا سَأَلَ أَرْضَى ، وَإِذَا قَدَرَ أَعْضَى .  
ووصفت كلاً منهم بوصفٍ .

ضاف فاطمة ضيفاً ، فطرحته عليه شملةً من خَزٍّ ، فلما أعتَمَ (٣) دنا منها ،  
فصاحت به ، فكفَّ . ثم إنه لم يصبر ، فوائبها فبطشت به ، وهي من أشد الناس ،  
فقبضت عليه ثم صاحت : يَا أَنْسَ ! فَأَتَاهَا ، فذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ . فقال لها : أَخِي

(١) في اللسان : « المائق : السريع البكاء القليل الحزم والثبات ؛ من قولهم : « ما أباتته  
مئقاً ، أي ما أباتته باكياً » ؛ وفي الأصول « فاقه » تصحيف ، صوابه ما في الأغاني .

(٢) كذا في الأغاني ، ا ، وهو الوجه ؛ وفي ب ، ج : « المحاق » تصحيف .

(٣) في الأغاني : « فلما وجد رأحته وأعتَم » .

أَكْبَرُ مَنِّي فَسَلِيهِ ، فَنَادَتْ : يَا عُمَارَةَ ، فَأَتَاهَا فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهَا :  
السَّيْفُ ! وَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ ، لَوْ دَعَوْنَا أَخَاكَ فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ !  
فَدَعَتْ الرَّبِيعَ ، فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ : أَفْتَطِيعُونِي يَا بَنِي زِيَادٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ .  
قَالَ : فَلَا تَزُنُّوا أُمَّكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا ضَيْفَكُمْ ، وَخَلُّوهُ يَذْهَبُ ، فَذْهَبَ .

قال رجل من طيء ، ويقال له الربيع بن عماره :  
فإن تكن الحوادث قطعمتني (١)  
فلم أر هالكاً كأبني زياد  
هما رُحمان خطيآن كانا  
من السُّمرِ الثقَّفةِ الحدادِ  
تهابُ الأرض أن يَطَّأَ عليها  
بمثلهما تُسالمُ أو تُعادي

(١) في الأغاني : « أنطعتني » .

## ربيعة مسكين الدارمي\*

مسكين ، لقبُ غَلَبَ عليه ، وأسمُه ربيعة بنُ عامر بنِ أنيف بنِ شريح بنِ عمرو بنِ زيد بنِ عبد الله بنِ عدس<sup>(١)</sup> بنِ دارم بنِ مالك بنِ حنظلة بنِ مالك بنِ زيد مناة بنِ تميم . ولقبُ مسكيناً لقوله :

أنا مسكينٌ لمن أنكرتني  
ولمن يعرفني جِدُّ نطق<sup>(٢)</sup>  
لا أبيعُ الناسَ عرضي إنني  
لو أبيعُ الناسَ عرضي لنفق

ولقوله أيضاً<sup>(٣)</sup> :

إن أدع مسكيناً فاستُ بمنكرٍ  
وهل يُنكرن الشمسَ ذرُّ شعاعها  
لعمرك ما الأسماءُ إلا عَلامَةٌ  
منارٌ ومن خير المنارِ ارتفاعها

شاعرٌ شريفٌ من سادات قومه ، هاجى الفرزدقَ ثم كافه<sup>(٤)</sup> ، ثم كان الفرزدقُ يعدُّ ذلك من الشدائد التي أفلت منها ، فكان يقول : نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخافُ شيئاً بعدها ، نجوتُ من زيادٍ حين طلبتني ، ونجوتُ من ابني رُميلة<sup>(٥)</sup> وقد نذرا دمي ،

\* ترجمته في الأغاني ١٨ : ٦٨-٨٢ (سامي) ، ٢٠ : ١٦٧-١٧٩ (دار الثقافة بيروت) .

(١) عدس ، بضمّتين ، وفي الخزانة ١ : ٦٧ عن ابن الكلبي : « كل عدس في العرب بضم الميم وفتح الدال لإلعدس بن زيد هذا ، فإنه مضموم الدال » . وفي ج : « عدى » ؛ والصواب ما أثبتته من الأغاني .

(٢) ب ، ج : « ثم لم يعرفني » ، وهو خطأ ، والصواب ما في ا ، ونطق ككتف : السكتير

النطق ، من صيغ المبالغة .

(٣) ساقطة من ب ، ج .

(٤) المكافاة : أن يكون الشر مكفوفاً بين المتخاصمين ، كما تكف العياب إذا أشرجت على

ما فيها من متاع .

(٥) هما الأشهب والرباب أخوه ، وأمهما ربيعة ، وهى أمة لخالد بن مالك بن ربيع بن سلمى

وانظر الأغاني ٨ : ١٥٣ (سامي) .



وما فاتهما أحدٌ طلباه قطّ ، ونجوتُ من مُهاجاةٍ مسكين الدارميّ ؛ لأنّه لو هجانى لاضطرنى إلى أن أهدم شطرَ حَسَبِي ونخري ؛ لأنّه من مُجْبُوحة نَسَبِي ، وأشرافِ عَشيرتي . فكان جرير حينئذ ينتصف<sup>(١)</sup> منى بيدي ولساني .

كان زيادُ أرعى<sup>(٢)</sup> مسكينا حمى له بناحية العُذيب ، في عامٍ قَحَطٍ حتّى أخصبَ الناس ، ثم كتب له بئرٌ وتمرٌ وكساء . فلما مات زياد رثاه مسكينٌ فقال :

رأيتُ زيادةَ الإسلامِ ولتَ جهاراً حينَ ودّعنا زيادُ

فعارضه الفرزدق - وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه له ، وإخافته إياه - فقال :

أمسكينُ أبكى اللهُ عَيْنَكَ إنمّا جرى في ضلالٍ دمعها وتحدّرا

بكيتَ على عِلجٍ بميسانَ كافرٍ ككسرى على عدانهِ أو كقَيْصرا<sup>(٣)</sup>

أقولُ له لَمّا أتاني نعيُّه به لا بظبي بالصريمَةِ أعفرا<sup>(٤)</sup>

فقال مسكينٌ يمجبه :

ألا أيّها المرء الذى لستُ قاعداً ولا قائماً في القومِ إلا انبرى ليا

فجئنى بعممٍ مثل عمى أو أبٍ كمثل أبي أو خالٍ صدقٍ كخاليا

كعمرو بنِ عمرو أو زُرارةَ ذى الندى

أو البشر من كلِّ قرعتُ الرّوايا

فأمسك الفرزدقُ عنه فلم يُجبه ، وتكافأ ، ودخل بينهما شيوخُ بني عبد الله

وبنى مجاشع .

(١) ينتصف منى ، أى يأخذ حقه كاملاً .

(٢) أرعاه المكاث : جمعه له مرعى . والعذيب : واد لبني تميم من منازل حاج الكوفة .

(٣) عدانه : زمانه وعهده . وانظر النقائض ٦٢١ .

(٤) الظبي الأعفر : الأبيض ، أى لئنزل به الحادثة لا بظبي . وانظر مجمع الأمثال ١ : ٩٠ .

قَدِمَ مَسْكِينِ الدَّارِيُّ عَلَى معاوية ، فسأله أن يفرض<sup>(١)</sup> له ، فأبى عليه ، وكان لا يفرض إلا لليمن ، فخرج من عنده وهو يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخاله      كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح  
وإن ابن أمّ المرء فأعلم جناحه      وهل يمهض البازي بغير جناح!  
وما طالب الحاجات إلا مغررٌ      وما نال شيئاً طالبٌ كنجاح<sup>(٢)</sup>

فلم يزل معاوية حتى عزت اليمن وكثرت ، وتضعف عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال : لهممت ألا أدع بالشام أحداً من مضر ، بل هممت ألا أحلّ حبوتي حتى أخرج كل زاربي بالشام . فبلغت<sup>(٣)</sup> معاوية ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندف ، وقدم عليه - على نفقة ذلك<sup>(٤)</sup> - عطارد بن حاجب . فقال له : ما فعل الفتى الداري الصبيح الوجه ، الفصيح اللسان ؟ يعني مسكينا . فقال : صالح يا أمير المؤمنين ، قال : أعلمه أتى قد فرضت له في شرف العطاء وهو في بلاده ، فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل ؛ فإن عطاءه سيأتيه ، وبشره بأني قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خندف .

وكان معاوية يُغزى اليمن في البحر ، ويُغزى قيساً في البر ، فقال شاعرُ اليمن :

ألا أيها القوم الذين تجمّعوا      بعكاً أناس أنتم أم أباعر!  
أنترك قيساً آمنين بدارهم      ونركب ظهر البحر والبحر زاهر  
فوالله لا أدري وإني لسائلٌ      أهمدان تحمي ضمينا أم يحابر!

(١) يفرض له ، أي يجعل له راتباً يكون ثابتاً .

(٢) المغرر : الخدوع .

(٣) ب ، ج : « فتعلقت » ، تصحيف ، والصواب ما في الأغانى .

(٤) على نفقة ذلك ، على حينه وزمانه ، وب ، ج : « بقية ذلك » تصحيف .

أم الشرف الأعلى من أولاد حمير بني مالك إذ تسعمر المرائر  
أوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا !  
فلما بلغت هذه الأبيات معاوية ؛ بعث إلى اليمن ، فأعذر إليهم ، وقال :  
ما أغزيتكم البحر إلا لأني أئيمن بكم ، وإن في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها  
الثغر ، وأنا عارف بطاعتكم ونصحتكم . فأما لو ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم  
وبين قيس لتكونوا جميعاً فيه ، وأجمل الغزو فيه عقياً بينكم . فرضوا ، وأعقب  
بينهم في الغزاة في البحر .

قال أبو عبيدة : أشعر ما قيل في الغيرة قول مسكين :

ألا أيها الغائر المستشيط فيم تغار إذا لم تغر<sup>(١)</sup>  
فاخير عرس إذا خفتها وما خير عرس إذا لم تزر<sup>(٢)</sup>  
تغار على الناس أن ينظروا وهل يفين الصالحات النظر !  
وإني سأخلى لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر<sup>(٣)</sup>  
إذا الله لم يعطى حُبها فلن يعطى الحُب سوط ممر<sup>(٤)</sup>

كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكينا الدارمي ويصله ، ويقوم بجواجه عند أبيه ،  
فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك ، وخاف ألا يماثه الناس عليه لحسن  
البقية فيهم ، وكثرة من يرشح<sup>(٥)</sup> للخلافة ، وبلغه في ذلك ذرو<sup>(٦)</sup> كلام كرهه من

(١) المستشيط : الغاضب ، وفي ا : « المستشاط » .

(٢) في أمالي المرتضى ١ : ٤٧٦ : « وما خير بيت إذا لم يزر » .

(٣) في الأصول : « فتحفظ لي بيتها » ، والأجود ما أثبتته من الأغاني وأمالي المرتضى .

(٤) ممر : مفتول .

(٥) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « ترشيح الخلافة » .

(٦) ذرو كلام : طرف منه .

سميد بن العاص ومروان بن الحَكَم وعبيد الله بن عامر . فأمر يزيد مسكينا أن يقول أبياتا ، ويُشَدِّدَها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلا وحضره وجوهُ بني أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكينٌ عليه وهو جالس ، وأبنةُ يزيد عن يمينه ، وبنو أمية حوله ، وأشرفُ الناس في مجلسه ، فمَثَلَ بين يديه وأنشأ يقول :

من الناس أحمى عنهم وأدودُ	إن أدع مسكينا فإني ابنُ معشرٍ
تثير القَطَا ليلا وهنُّ هُجودُ	إليك أميرَ المؤمنين رحلتها
إذا ما اتقتها بالقرون سُجود	وهاجرةٌ ظلت كأنَّ ظبَاءَها
ومروانُ ، أم ماذا يقول سميدُ !	ألا ليت شمري ما يقولُ ابنُ عامرٍ
يُبَوِّئُها الرَّحْمَنُ حيثُ يريدُ	بني خلفاءِ الله مهلا فإنما
فإن أميرَ المؤمنين يزيدُ	إذا المنبرَ القَرْبِيُّ خَلَّاه رَبُّه
لكلِّ أناسٍ طائرٌ وجُودُ	على الطائرِ الميمونِ والجدُّ صاعدُ
وفودُ تُساميها إليك وفودُ	فلا زلتَ أعلى الناسِ كعبا ولم تزلُ
تشدُّ أطنابُ له وعمودُ	ولا زال بيتُ المُلكِ فوقك عاليا
أنا في كأمثالِ النعامِ رُكودُ <sup>(١)</sup>	قُدورُ ابنِ حَرَبٍ كالجوابي وتحتها الـ
رجالٌ عليها سيِّدٌ ومَسودُ	قُدورُ كأمثالِ الجوابي وحولها

فقال له معاوية : ننظر فيما قلتَ يا مسكين ، ونستخيرُ الله تعالى ! قال : ولم يتكلم أحدٌ من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة ، وكان ذلك هو الذي أَرادَه معاوية ؛ ليعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ، ووصله معاويةُ وأجزَلَ لا صلته .

(١) الجوابي : جمع جابية ، وهي الحوض الضخم .

قال عقيد : غَنَيْتُ الرِّشِيدَ يَوْمًا (١) :

\* إِذَا الْمَنْبَرُ الْغَرَبِيُّ حَلَّاهُ رَبُّهُ \*  
\*

ثم فِطِنْتُ لِأَمْرِي ، وَرَأَيْتُ وَجْهَ الرِّشِيدِ قَدْ تَغَيَّرَ ، فَتَدَارَكْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ :

\* فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيدٌ \*  
\*

فَطَرِبَ الرِّشِيدَ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ، بِحَيَاتِي قَلَّ لِي :

\* فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيدٌ \*  
\*

فَأَنْتَ وَاللَّهِ أَحَقُّ بِهَا مِنْ يَزِيدَ ، فَتَمَاظَمْتُ ذَلِكَ ، خَلَفَ إِلَّا أُغْنِيَهُ إِلَّا كَمَا أَمَرَ ،

فَفَعَلْتُ ، وَشَرِبْتُ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ ، وَوَصَلَنِي بِصَلَةِ سَلِيَّةٍ .

كَانَ لِمَسْكِينِ الدَّارِيِّ أَمْرَأَةٌ مِنْ مَنَقَرٍ ، وَكَانَتْ فَارِكًا (٢) كَثِيرَةَ الْخِصُومَةِ

وَالْمَاهِظَةِ (٣) ، فَأَنْشَدَ يَوْمًا فِي نَادَى قَوْمِهِ :

إِنْ كُنْتُ مِسْكِينًا فَمَا قَصَّرْتُ      قَدْرِي بِيُوتِ الْحَيِّ وَالْجَدْرِ

فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ تَسْمَعُ حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ      وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ

قَالَتْ : صَدَقَ وَاللَّهِ ! يَجْلِسُ جَارُكَ يَطْبُخُ وَنَضَطَلِي بِنَارِهِ ، ثُمَّ يُنْزِلُهَا فَيَجْلِسُ

يَأْكُلُ ، وَأَنْتَ بِجِدَائِهِ مِثْلَ الْكَلْبِ ، فَإِذَا شَبِعَ أَطْعَمَكَ ! أَجَلُ وَاللَّهِ ! إِنْ الْقِدْرُ

لَتُنْزَلَ إِلَيْهِ قَبْلَكَ ! فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَمَرَّ فِي قَصِيدَتِهِ حَتَّى أَنْشَدَ :

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ      إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

فَقَالَتْ : أَجَلُ ! إِنْ كَانَ لَهُ سِتْرُهُ هَتَكَتَهُ . فَوَثَبَ إِلَيْهَا فَضَرَبَهَا ، وَجَعَلَ قَوْمُهُ

يَضْحَكُونَ مِنْهَا .

(١) الأغانى : « ليلة » .

(٢) الفاراك : المرأة التي تبغض الرجال .

(٣) الماهظة : المشاعة والمحاصرة والمنازعة .

خطب مسكين الدارمي فتاةً من قومه ، فكرهته لسوادِ لونه ، وقلةِ ماله ،  
وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ، ليس له مثل نسبِ مسكين ، فمرَّ بها يوماً  
وهي جالسةٌ مع زوجها ، فقال :

لَوْنِي السَّمْرَةُ أَلْوَانُ الْعَرَبِ	أَنَا مَسْكِينٌ فَمَنْ يَعْرِفُنِي
وَاضِحَ الْخُدَيْنِ مَقْرُونًا بِضَبِّ	مَنْ رَأَى ظَبِيًّا عَلَيْهِ لُؤْلُؤٌ
وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لِأَبِّ	كَسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَا
قَرِمَتْ ، بِلْهَى وَحَمَى لِلصَّخْبِ	أَصْبَحْتُ طَمَاحَةً مَعْتَلَّةً
صَخْبَاتٍ مَلْحَهَا فَوْقَ الرُّكْبِ <sup>(١)</sup>	لَا تَلْمُهَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ
كَلَّمَا قِيلَ لَهُ هَالٍ وَهَبِ <sup>(٣)</sup>	كَشْمُوسِ الْخَيْلِ تَبْدُوشُغْبُهَا <sup>(٢)</sup>
وَسَمِينِ الْبَيْتِ مَهْزُولِ النَّسَبِ <sup>(٤)</sup>	رَبِّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ بَيْتُهُ

(١) العرب تسمى الشحم ملحاً . أراد أنها زنجية وليست عربية ، وشحم الزنج يكون على  
أوراكنهم وأكفالمهم . وانظر أمالي المرزقي ٢ : ١٦٠ ، ١٦١ .  
(٢) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « شهبها » .  
(٣) هال ، من زجر الخيل .  
(٤) هذا البيت في الأغاني ، وهو ساقط من ب ، ج .

## رُؤْبَةُ بنِ العَجَّاجِ\*

هو رُؤْبَةُ بنُ العَجَّاجِ ، وأسم العَجَّاجِ عبد الله بن رُؤْبَةَ بنِ حنيفَةَ ، وهو أبو خزيمة بن مالك بن قدامة بن أسامة بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعيد ابن زيد مناة بن تميم . من رُجَّاز الإسلام وفصحائهم والمذكورين المتقدمين منهم ، بدوى نزل البصرة . وهو من مخضرمي الدولتين .

مدح بنى أمية وبني العباس ، ومات في أيام المنصور ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة ، وأقصدوا به ، واحتجوا بشعره ، وجعلوه إماماً .  
وكنيته أبو الجحاف ، وأبو العجاج .

وروى الحديث المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم ، هو وأبوه .

قال يونس بن حبيب : كنتُ جالساً مع أبي عمرو بن العلاء ، إذ مرَّ بنا شبيل ابن عَزْرَةَ<sup>(١)</sup> الضَّبْعِيُّ - وكان علامة - فقال : يا أبا عمرو، أشعرت أتي سألت رُؤْبَةَ عن اسمه ، فلم يدْر ما هو ، وما معناه ؟

قال يونس : قلتُ له : والله لرُؤْبَةَ أفصحُ من معدِّ بنِ عدنان ؛ وأنا غلامُ رُؤْبَةَ ، أتعرف أنت رُؤْبَةَ ، ورُؤْبَةَ ، ورُؤْبَةَ ، ورُؤْبَةَ ، ورُؤْبَةَ ؟ قال : فضرب بغلته وذهب ، وما تكلم بشيء .

قال أبو عمرو : ما يسرُّني أنك تغضب منها !

الرُؤْبَةُ : اللَّبَنُ الخائر ، والرُؤْبَةُ : ماء الفحل ، والرُؤْبَةُ : الساعة تمضي من الليل ، والرُؤْبَةُ : الحاجة ، والرُؤْبَةُ : شُعب القَدَحِ .

\* ترجمته في الأغاني ٢١: ٥٧-٦١ (ساسي)، ٢٠ - ٣١٢ - ٣٢٤ (دار الثقافة بيروت).

(١) في الأصول : « عروة » ، والصواب ما أثبتته من الأغاني ، وهو يوافق ما في الاشتقاق

٣١٨ ، وما نبه عليه الزبيدي في تاج العروس .

ومما رواه رؤبةٌ من الحديث بسنده عن أبي الشعثاء ، عن أبي هريرة ، قال :  
كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَحَادٍ يَجِدُونَ :  
طَافَ الْخَيْلَانُ فَهَاجَا سَقَمًا      خِيَالُ لُبْنَى وَخِيَالُ تَسَكْتُمَا  
قَامَتْ تُرَيْكُ خَشِيَةً أَنْ تَصْرِمَا      سَاقًا بَخْنَدَاةٍ وَكُهْبًا أُدْرِمَا<sup>(١)</sup>  
وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ وَلَا يُنْكِرُ .

حَدَّثَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : السَّوَّكُ  
يُذْهِبُ وَضَرَ الطَّعَامِ .

قال رؤبة بن العجاج : بعث إلى أبو مسلم لما أفضت الخلافة لبني هاشم ،  
فلما دخلت عليه رأى مني جزعاً ، فقال : أسكن فلا بأس عليك ، فما هذا الجزع  
الذي ظهر منك ؟ قلت : أخافك ، قال : ولم ؟ قلت : بلغني أنك تقتل الناس .  
قال : إنما أقتل من يُقاتلني ، ويريد قتلي ؛ فأنت منهم ؟ قلت : لا ، قال :  
فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا ، فأقبل على جلسائه ضاحكاً فقال : أما إن العجاج  
فقد رخص لنا ، ثم قال : أنشدني قولك :

\* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْحَتْرَقِ \*

قلت له : أصلحك الله ! أو أنشدك أحسن منه ! قال : هات . فأنشدته :

قلت ونسجى مستجداً حوكاً      لبيك إذ دعوتني لبيكا

\* أَحْمَدُ رَبًّا سَاقِنِي إِلَيْكَ \*

قال : هاتِ كَلِمَتَكَ الْأُولَى ، قلتُ : أو أنشدك أحسن منها ! قال : هاتِ ،  
فأنشدته :

ما زال يبني خندقاً ويهدمه      ويستجيشُ عسكرياً ويهزمه

(١) البخنداة : المرأة التامة القصب ، والأدرم : المستوى .



وَمَنْمًا يَجْمَهُ وَتَقْسِمُهُ مَرَّوَانُ لَمَّا أَنْ تَهَاوَتْ أَنْجُمُهُ  
\* وَخَانَهُ فِي حَكْمِهِ مَنْجَمُهُ \*

فقال : دَع هذا ، وَأَنْشِدْنِي ؛

\* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُحْتَرَقِ \*

قلت : أَوْ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟ قال : هَاتِهِ ، فَأَنْشِدْتُهُ :

رَفَعْتَ بَيْتًا وَخَفَضْتَ بَيْتًا وَشَدَّتَ رُكْنَ الدِّينِ إِذْ بَنَيْتَنَا  
\* فِي الْأَكْرَمِينَ مِنْ قَرِيْشِ بَيْتَنَا \*

قال : هَاتِ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ ، فَأَنْشِدْتُهُ :

مَا زَالَ يَأْتِي الْأَمْرَ مِنْ أَقْطَارِهِ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى يَسَارِهِ  
مَشْمَرًا لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ حَتَّى أَقْرَّ الْمَلِكُ فِي قَرَارِهِ  
\* وَفَرَّ مَرَّوَانُ عَلَى حِمَارِهِ \*

قال : وَيَحْكُ ! هَاتِ مَا دَعَوْتُكَ وَأَمَرْتُكَ بِإِنْشَادِهِ ، وَلَا تُنْشِدْ غَيْرَهُ ، فَأَنْشِدْتُهُ :

\* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُحْتَرَقِ \*

فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

\* تَرَى الْجَلَامِيدَ بِجُلْمُودٍ مُدْقٍ \*

قال : قَاتِلِكِ اللَّهُ ! لَشَدَّ مَا اسْتَصَلَبْتَ الْحَافِرَ ! ثُمَّ قَالَ : حَسْبُكَ أَنَا ذَلِكَ

الْجُلْمُودُ الْمُدْقُ .

قال : وَجِيءَ بِمَنْدِيلٍ فِيهِ مَالٌ ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ ، فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : يَا رُوْبَةَ ،

إِنَّكَ جِئْتَنَا وَالْأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ <sup>(١)</sup> ، وَإِنَّ لَكَ إِلَيْنَا أَمُودَةً ، وَعَلَيْنَا مُعَوَّلًا ، وَالِدَاهِ

(١) أَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ ، أَي كَثُرَتْ نَحْوَهَا الْأَيْدِي .

[ بيننا وبينك ]<sup>(١)</sup> ، الطريق<sup>(٢)</sup> مستتبّ فلا تجعل بيننا وبينك الأسدّة<sup>(٣)</sup> .  
قال رؤبة : فأخذت المندبل منه ، وبالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه ! وما ظننت  
أن أحداً يعرف هذا الكلام غيري وغير أبي<sup>(٤)</sup> .

يقال : اشتفت ما في الإناء ، وشفهه إذا أتى عليه ، وأنشد :

وكاد المال يشفهه عيالي وصادف عيلى من لا أعول

قال محمد بن يزيد : كان رؤبة يأكل الفأر ، فعوتب في ذلك ، فقال : هي والله  
أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن العذرة ، وهل يأكل الفأر إلا تقي  
البرّ ، ولباب الطعام !

ولم يوجد لرؤبة ولا لأبيه في شعرها حرفٌ مدغم قطّ .

وقيل ليونس : من أشعرُ الناس ؟ قال : رؤبة وأبوه ، فقيل له : لم نعلم  
الرجاز ، فقال : هما أشعر أهل القصيدة ؛ وإنما الشعر كلام ، وأجوده أشعره ؛  
قال المعجاج :

\* قد جبر الدين الإله فجبر \*

فهي نحو من مائتي بيتٍ موقوفة القوافي ، فلو أطلقت قوافيها لكانت كلها  
منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزها .

قال يعقوب بن داود : لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة ، فقال لي :  
يا أبا عبد الله ، دفننا الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : هذا  
حين انصرفنا من جنازة رؤبة بن المعجاج .

(١) تكلمة من المحاسن والمساوى .

(٢) في الأصول « أطرق » ، والطريق المستتب : اللاحب الواضح .

(٣) الأسدّة : جمع سد ، وفي الأصول : « الأسرة » .

(٤) الخبر في المحاسن والمساوى ٢٣٨ ، ٢٣٩ ( طبع أوروبا ) .

## ربيعة بن مقروم الضبي\*

هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله بن السيد ابن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن زرار .

شاعرٌ مُخَضَّرٌ ، أدركَ الجاهليَّةَ والإسلامَ وكان ممن أصفقَ<sup>(١)</sup> عليه كسرى ، وعاش في الإسلامَ زماناً ، وكان ربيعة قد أيسر ، وأستيق ماله ، ونخلصه مسودٌ بن سالم بن أبي كليل<sup>(٢)</sup> . بن ربيعة بن ذبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد ، فقال ربيعة فيه :

كفاني أبو الأشوس المنكراتِ      كفاءُ الإلهُ الَّذى يَحْذَرُ  
أعزُّ من السيدِ فى مَنْصِبِ      إليه العزازةُ والمفخرُ  
وقال أيضاً يدحُّه ، من أبيات :

وَجَسْرَةَ أَجْدٍ تَدْمَى مَناسِمُها      أَعْلَمْتُها بى حَتَّى تَقَطَعَ البَيْدَا<sup>(٣)</sup>  
كَلَّفْتُها ، فَرَأَتْ حَتْمًا تَكَلَّفُها      ظُهيرةً كأَجْمِيعِ النارِ صَيَّخودا<sup>(٤)</sup>  
فى مَهْمِهِ قُدْفٍ يُنْحَشى المِلاكُ به      أصدائِهِ لا تَنى بالليلِ تَغْرِيدا<sup>(٥)</sup>

\* ترجمته فى الأغاني ١٩ : ٩٠-٩٤ (سامى) ، ٢٢ : ٨٧-٩٦ ( دار الثقافة بيروت ) .  
(١) أصفق عليه : أطبق .

(٢) كذا فى أصول المختار ، وفى حاشية ا « ابن سلم » وفى الأغاني : « ابن أبى سلمى » .

(٣) الجسرة : التجاسرة فى سيرها . والأجد : الضامرة ، أراد الناقة . والمنسم : طرف خف البعير .

(٤) صيخود ، فيقول من قولهم : صخده ، إذا أذابه .

(٥) المهمة : القفر الذى لا ماء فيه ولا علم ، والقذف : البعيد . أصدائِهِ : جمع صدى ، وهو

الذكر من البوم . لانتى : لا تقصر والتغريد هنا : التصويت .

لَمَا تَشَكَّتْ إِلَى الْأَيْنِ قَلْتُ لَهَا      لَا تَسْتَرِيحِينَ مَا لَمْ أَلْقَ مَسْمُوداً<sup>(١)</sup>  
 مَا لَمْ أَلْقِ أَمْرًا جَزْلاً مَوَاهِبُهُ      رَحَبَ الْغِنَاءِ كَرِيمِ الْفِعْلِ مَحْمُوداً  
 وَقَدْ سَمِعْتُ بِقَوْمٍ يُحْمَدُونَ فَلَمْ      أَسْمَعْ بِمِثْلِكَ لَا حِلْمًا وَلَا جُوداً  
 وَلَا عَفَافًا وَلَا صَبْرًا لِنَائِبَةٍ      وَمَا أَخْبَرُ عَنْكَ الْبَاطِلَ السَّيِّدَا<sup>(٢)</sup>  
 لَا حِلْمُكَ الْحِلْمُ موجودٌ عَلَيْهِ ، وَلَا      يُلْفَى عَطَاؤُكَ فِي الْأَقْوَامِ مِنْكَوْدَا  
 وَقَدْ سَبَقَتْ لِنَايَاتِ الْجَوَادِ وَقَدْ      أَشْبَهْتَ آبَاءَكَ الشُّمَّ الصَّنَادِيدَا<sup>(٣)</sup>  
 هَذَا تَنَائِي بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ      لَازِلْتَ - عَوْضُ - قَرِيرِ الْعَيْنِ مَحْسُودَا<sup>(٤)</sup>

قال حماد الراوية : دخلتُ على الوليد بن يزيد ، وهو مصطبِحٌ ، وبين يديه جماعةٌ من الغنّين ، وعلى رأسه وصيفةٌ تسقيه لم أرَ مثلها تماماً وكَمَلاً وجمَلاً . فقال لي الوليد : يا حماد ، إنّي أمرتُ هؤلاء أن يُغنّوا صوتاً يوافق صفةَ هذه الوصيفة ، وجملتها لمن يوافق قوله صفتها . فما أتى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها ، وهي لك . فأنشدته قولَ ربيعة بن مقروم الضبيّ :

دَارٌ لِسُعْدَى إِذْ سَعَادُ كَانَتْهَا      رَشَاءٌ غَرِيرُ الطَّرْفِ رَخُصُ الْمِفْصَلِ<sup>(٥)</sup>  
 شَمَاءٌ وَاضِحَةُ الْعَوَارِضِ طَفَلَةٌ      كَالْبَدْرِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ الْمُنْجَلِي  
 وَكَأَنَّمَا رِيحُ الْقَرْنَفُلِ نَشْرُهَا      أَوْ حَنُوتُهُ خُلِطَتْ خَزَامِي حَوْمَلِ<sup>(٦)</sup>

(١) الأين : الجهد والإعياء .

(٢) السيد : هو ابن مالك بن بكر ، وهو الجهد الأعلى للمادح والمدوح ، والشاعر من بني

غبيط بن السيد ، والمدوح من بني ذؤيب ، يقول : لا أخبر عنك قومنا باطلا ، إنما أمدحك بالحق .

(٣) الصناديد : السكرام .

(٤) أراد بعوض الدهر ، وهو مبنى على الضم .

(٥) هذا البيت لم يرد في رواية الأغاني .

(٦) الحنوة : نبات سهلي طيب الريح ، والحزامي : خيري البر ، زهره أطيّب الأزهار ففحة ،

يتمثل به في الطيب .

وَكأنَ فَهاَ بِمِدا طَرِقَ الكَرى  
لوَ أَنها عَرَضتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبِ  
كَأْسُ تَصَفِّقِ بِالرَحِيقِ السَّلْسَلِ (١)  
فِي رَأْسِ مُشْرِفَةِ الدَّرى مَتَبَتَّلِ  
لَصَبًا لِبَهْجَتِها وَحُسْنِ حَدِيثِها  
فَقالَ لى الوَلِيدِ : أَصَبتْ فَأَخْتَرُها هِى ، أَوْ أَلْفَ دِينَارِ ، فَأَخْتَرْتُ أَلْفَ دِينَارِ  
فَأَخَذْتُها ، وَأَدْخَلُها إِلى حَرَمِ . وَهَذِهِ القَصِيدَةُ مِنَ فَأخِرِ الشَّعْرِ وَجَيِّدِهِ وَحَسَنِهِ ، وَمِنْ  
مُخْتارِها قَوْلُهُ :

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طرادِها  
متقاذِفِ عَبلِ الشَّوى شَنِجِ النِّساءِ  
بَسَلِيمِ أَوْظِفَةِ القَوائِمِ هَيْكَلِ (٢)  
سَبَّاقِ أُنْدِيَةِ الجِيادِ عَمِيثَلِ (٣)  
لولا أكَفِّفُهُ لكانَ إِذا جَرى  
وَإِذا جَرى مِنْهُ الحَمِيمُ رَأيتَهُ  
مِنهُ الشَّكِيمِ يَدِقُّ فَأَسَ المِسْحَلِ (٤)  
يَهوى بِفارِسِهِ هوى الأَجْدَلِ (٥)  
وَإِذا تَمَلَّلُ بِالسَّياطِ جِيادُها  
وَدَعُوا : نَزالِ فَكَنتُ أَوَّلَ نازِلِ  
أَعطاكُ نائِيَةً وَلَمْ يَتَمَلَّلِ  
وَلَقَدْ جَمَعْتُ المَالَ مِنْ جَمْعِ أَمْرِي  
وَعِلامَ أَرَكِبُهُ إِذا لَمْ أَزَلِ !  
وَرَفَعْتُ نَفْسِي عَنِ لَثِيمِ المَأْكلِ

(١) يصفق : يمزج .

(٢) الهيكل : الفرس الضخم ، والأوظفة : جمع وظيف ، وهو مستدق الزراع والساق من من الخيل وغيرها .

(٣) تقاذف الفرس : تسارع ركضه . والشوى : القوائم ، والعبل : الغليظ الضخم . والنساء : عرق ، وشنج جلده : تقبض ، وصفه بالشنج لأنه أصاب له . والعميثل : الضخم الشديد العريض وهو من صفة الخيل .

(٤) شكيم الجام : الحديدية التى تحت الجحفة السفلى ، والفأس : الحديدية القائمة فى الشكيمة ، والمسحل : الاجام .

(٥) الحميم هنا : العرق .

ودخلتُ أبنيةَ الملوك عليهمُ  
 وألذّ ذى حنقٍ عليّ كأنما  
 أرجيته عني فأبصرَ قصده  
 وأخى محافظةً عصيَ عذّاله  
 هَشَّ يَراحُ إلى الندى نَبهتهُ  
 فأبيتُ حانوتا له فصبّحتُهُ  
 صهباءَ إبليسيّة. أعلى بها  
 ولقد أصبتُ من العيشة لينها  
 فإذا وذاك كأنه ما لم يكن  
 ولقد أتتُ مائةً عليّ أعدّها  
 فإذا الشبابُ كِبْدَلٍ أفضيتُهُ  
 هَلّا سألتَ وخُبرَ قومٍ عندهمُ  
 هل نُكرِمُ الأضيافَ إن نزلوا بنا  
 ونَحَلُّ بالتغرُّ الخوفَ عدوّه  
 ونُعِينُ غارِمًا ونَمْنَعُ جارِنًا  
 وإذا أمرؤٌ منّا حَبًا فكأنه  
 ومتى تَقَمُّ عندَ أجماعِ عشيرةِ

ولشَرُّ قولِ المرءِ ما لم يُفعلِ  
 تَغْلِي عداوةُ صدرِه في مرَجَلِ (١)  
 وكويتهُ فوقَ النواظرِ من علِ (٢)  
 وأطاعَ لذّته مُعمِّمٌ مُخولِ  
 والصَّبِيحُ ساطعُ ضوئه لم يَنجَلِ  
 من عاتقٍ بزاجها لم تُقتَلِ  
 يَسرُ كَرِيمُ الحَليمِ غيرِ مُبْخَلِ (٣)  
 وأصابني منه الزّمانُ بكلكلِ  
 إلا تذكّره لمن لم يجهلِ  
 حَوًّا فَجَوًّا إذ بلاها مبتلي  
 والدّهْرُ يُبلي كلَّ جِدّةٍ مَبْدَلِ (٤)  
 وشِفاءُ غيِّك خَبرًا أن تَسألِ  
 ونَسودُ بالمعروفِ غيرِ تَبْجَلِ  
 ونَزْدُ خالَ العارِضِ التَهَلُّلِ  
 وتزِينُ مولى ذِكرنا في المَحْفَلِ  
 ممّا يخافُ على مناكبِ يَدْبُلِ  
 خطباؤنا بينَ العشيرةِ تفصلِ

(١) الألد : الشديد الحصومة .

(٢) أرجيته عني : صرفته . القصد : ما لا سرف فيه؛ وأبصر قصده ، أى أبصر رشده .

والنواظر : عروق في الرأس .

(٣) اليسر : السهل .

(٤) المبدل : التوب الخلق .

وَيَرَى الْمَدْوُ لَنَا دَرَوْءًا صَمْبَةً      عِنْدَ النَّجْمِ مَنِيعةً التَّنَاوُلِ (١)  
وَإِذَا الْحَمَالَةُ أَثْقَلَتْ حَمَالَهَا      فَمَلَى سَوَائِمُنَا ثَقِيلَ الْحَمْلِ  
وَنَحَقَّ فِي أَمْوَالِنَا الْجَدِينَا      حَقًّا يَنْوُءُ بِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَسْأَلِ (٢)

---

(١) فِي التَّنَاوُلِ : « التَّنَاوُلُ » .

(٢) الْجَدِيْبُ : الْمَاحِلُ الْفَقِيْرُ ، وَفِي الْأَعْيَانِ : « لِحْفِنَا » .

## الرَّيِّعُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ \*

هو من مشهورى اليهود ، من بنى قُرَيْظَةَ ، وكان أحدَ الرؤساء في يوم بُعَاثَ ، وكان حليفاً للخَزْرَجِ هو وقومه ؛ وكانت رِياسَةُ بنى قُرَيْظَةَ للرَّيِّعِ ، ورِياسَةُ الخَزْرَجِ لعمرو بن النعمان البِيضِيِّ .

أقبل النابغة الذبياني يريد سوقَ بنى قَيْنُقَاعَ ، فلحقه الرَّيِّعُ بن أبي الحقيق نازلاً من أطمه ، فلما أشرفاً على السوق سمعا الضجة ، وكانت سوقاً عظيمة ، فخاصت بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول :

\* كادت تهأل من الأصوات راحلتي \*

ثم قال للرَّيِّعِ بن أبي الحقيق : أجز ، فقال :

\* والنفر منها إذا ما أوجست خُلقُ \*

فقال النابغة : ما رأيتُ كالِيومِ شعرا ، ثم قال :

\* لولا أنهنهها بالسوط لاجتدبت \*

ثم قال : أجز ياربييع ، فقال :

\* منى الزمام وإنى راكب لبيق \*

فقال النابغة :

\* قد ملت الحبس في الآطام وأشتمفت \*

ثم قال : أجز ياربييع ، فقال :

\* إلى مناهلها لو أنها طلق \*

فقال النابغة : أنت ياربييعُ أشمرُ الناس .



قال أبو الزناد : قلَّما جَلستُ إلى أبنِ بنِ عثمانِ إلا سمعتهُ يتمثلُ بقولِ ابنِ

أبي الحقيقِ :

سَمَّتْ وَأَمْسَيْتُ رَهْنُ الْفِرَا	شِ مِنْ جُرْمِ قَوْمِي وَمِنْ مَغْرَمِ
وَمَنْ سَفَعِ الرَّأْيِ بَعْدَ الذُّهَى	وَعَيْبِ الرَّشَادِ وَلَمْ يُفْهَمِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحَلِيدَ	يَمَ ، لَمْ يَتَعَدُّوا وَلَمْ نُظَلَمِ
وَلَكِنْ قَوْمِي أَطَاعُوا الْغَوَا	ةَ وَانْتَشَرَ الْأَمْرُ لَمْ يُبْرَمِ (١)
فَأَوْدَى السَّفِيهَ رَأْيِ الْحَلِيدِ	يَمِ حَتَّى تَحْكَمَ أَهْلُ الدِّمِ

---

(١) في الأغاني :

ولكن قومي أطاعوا الغوا ، حتى تمكس أهل الدم

## حرف الزاى

### زيد بن عمرو بن نفيل\*

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح<sup>(١)</sup> بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

وأُمُّه جِدياء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فهم ، وكانت جدياء عند نفيل ابن عبد العزى ، فولدت له الخطّاب ، أباً لعمر بن الخطّاب<sup>(٢)</sup> ثم مات عنها نفيل ، فتزوجت ابنه عمرًا ، فولدت له زيدًا ، وكان هذا نكاحًا من أنكحة الجاهليّة .

وكان زيد بن عمرو أحد<sup>(٣)</sup> من اعتزل عبادة الأوثان ، وامتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشر قريش ، أُرسل الله مطر السماء ، ويُنبئت بقل الأرض ، ويخلق السائمة فتَرَعى فيه ، وتذبجوها لغيره ! والله ما أعلم أحدا على ظهر الأرض على دين إبراهيم غيرى .

كان الخطّاب بن نفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة ، وجماعة من قريش ، ومنعوه أن يدخلها حين فارق أهل الأوثان ، وكان أشدهم عليه الخطّاب .

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ١٢٣ - ١٣٨ ( طبعة الدار ) .

(١) كذا في شرح القاموس مادة «روح» .

(٢) زاد في الأغاني : «وعبدنهم» ، ونهم : اسم شيطان ، أو صنم لمزيئة ، وبه سموا عبدنهم .

(٣) كذا في ١ ، وهو يوافق ما في الأغاني ، وفي ب ، ج : «آخر» .

وكان زيد بن عمرو إذا لم يخلص<sup>(١)</sup> إلى البيت أستقبله ، ثم قال : لبيك حقاً  
حقاً ، تمبداً ورقاً ، البرّ أرجو لا الخلال<sup>(٢)</sup> ، وهل متهجر<sup>(٣)</sup> كمن قال<sup>(٤)</sup> .

ثم يقول :

عذت بمن عاذَ به إبراهيمُ      مستقبِلَ القبلة وهو قائمُ  
يقول : إنني لك عانٍ راغمُ      مهما تجشمتني فإني جاشمُ<sup>(٥)</sup>  
ثم يسجد .

وهو الذي يقول :

لا همّ إنني حرّمٌ لا حِلَّةَ      وإن دارى أوسطَ المحلَّةِ  
\* عند الصفا ليست بها مضلّة \*<sup>(٦)</sup>

وزيد بن عمرو هو الذي يقول :

عزلتُ الجنَّ والجنَّانَ عني      كذلك يفعلُ الجلدُ الصبورُ<sup>(٧)</sup>  
فلا العزّي أدینُ ولا ابتئمتها      ولا صنمى بنى طنمِ أزورُ<sup>(٨)</sup>  
ولا عنما أدینُ وكان ربّاً      لنا في الدهرِ إذ حلّمى صفيرُ<sup>(٩)</sup>

(١) في الأغاني : « إذا خلص » ؛ وأثبت ما في الأصول .

(٢) الخال : الكبر والحياء .

(٣) المتهجر : السائر في الهاجرة

(٤) قال : أقام في القائلة .

(٥) جاشم ، وصف من جشم الأمر ؛ إذا تجشمه وتكلفه على مشقة .

(٦) قال في اللسان ( جن ) في شرح بيت للخطابي جد جرير :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفاً      أعناق جنانٍ وهاما رجفاً

« جنان الجبال ، أى الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس » ؛ وبه يفسر ما ورد في البيت .

(٧) كذا في جميع أصول الأغاني ومختاره ، وفي الأضنام لابن الكلبي ٢٢ : « بنى غم » .

(٨) كذا في الأصول وفي الأغاني : « ولا هبلا أدین » .

أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبِّ  
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَفْنَى  
وَأَبْقَى آخِرِينَ بِيَرْقُومٍ  
وَبَيْنَا الْمَرْءَ يَعْتُرُ ثَابَ يَوْمًا  
أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمتِ الْأُمُورُ  
رِجَالًا كَانَ شَأْنَهُمُ الْفُجُورُ!  
فَيَرْبُؤُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ  
كَمَا يَتَرَوَّحُ الْفُضْنُ النَّضِيرُ

فَقَالَ وَرَقَةَ بْنُ نَوْفَلٍ لَزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو :

رَشِدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا  
بَدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ  
أَقُولُ إِذَا وَاقَيْتُ أَرْضًا مَخْوَفَةً  
حَنَانِيكَ إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ  
أَدِينُ لَرَبِّ يَسْتَجِيبُ وَلَا أُرَى  
أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ  
يَقُولُ : خَلَقْتَ خَلْقًا كَثِيرًا بَدَعُونَ بِأَسْمِكَ .

كَانَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو خَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَتَتَّبِعُهُ (٢) ، فَلَقِيَ عَالِمًا  
مِنَ الْيَهُودِ ، فَسَأَلَهُ عَنِ دِينِهِمْ ، وَقَالَ لَهُ : لَعَلِّي أَدِينُ بِدِينِكُمْ فَأَخْبَرُونِي عَنِ دِينِكُمْ !  
فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِنَّكَ لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ نَصِيْبَكَ (٣) مِنْ غَضَبِ اللَّهِ .  
فَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو : مَا أُرَى إِلَّا مِنَ غَضَبِ اللَّهِ ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْهُ شَيْئًا أَبَدًا وَأَنَا  
أَسْتَطِيعُ ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى دِينٍ لَيْسَ فِيهِ هَذَا ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا .  
قَالَ : وَمَا الْحَنِيفُ ؟ قَالَ : دِينُ إِبْرَاهِيمَ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « أَقُولُ إِذَا مَا زَرْتِ أَرْضًا مَخْوَفَةً » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « وَتَتَّبِعُهُ » .

(٣) فِي الْأَغَانِي « نَصِيْبِكَ » .

نُجِرَ مِنْ عِنْدِهِ وَتَرَكَهُ ، وَأَتَى عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ النُّصَارَى فَقَالَ لَهُ مِثْلَمَا قَالَ  
لِلْيَهُودِيِّ ، فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : إِنَّكَ لَنْ تَسْكُونَ عَلَيَّ دِينَنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيْبِيكَ  
مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ !

فَقَالَ : لَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا ، وَأَنَا أَسْتَطِيعُ ،  
فَهَلْ تَدُلَّنِي عَلَيَّ دِينٍ لَيْسَ فِيهِ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ الْيَهُودِيُّ ، لَا أَعْلَمُهُ  
إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا .

نُجِرَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ رَضِيَ بِمَا أَخْبَرُوهُ ، وَأْتَفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ . فَلَمَّا  
بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ .  
وَقِيلَ : إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو لَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ يَرِيدُهُ ،  
فَقَتَلَهُ أَهْلَ مَيْفَعَةَ (١) :

قَالَ سَمْعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ : سَأَلْتُ أَنَا وَعَمْرُؤُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ زَيْدٍ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَخَدَهُ » .

---

(١) مَيْفَعَةُ : قَرْيَةٌ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ .

## زَنْدُ أَبُو دُلَامَةَ\*

هو زَنْدُ بْنُ الْجَوْنِ ، وأَكْثَرُ النَّاسِ يُصَحِّفُ اسْمَهُ وَيَقُولُ : زَيْدٌ بِالْيَاءِ ،  
وذلك خطأ ، وهو زَنْدٌ بِالنُّونِ ، كوفيٌّ أَسْوَدٌ مَوْلَى لَبْنِي أَسَدٍ<sup>(١)</sup> .

وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فاعتقه . وأدرك آخر زمن بني  
أمية ، ولم يكن له نباهة في أيامهم ، ونَبِغَ في أيام بني العباس ، فأقطع إلى  
أبي العباس السفاح ، وأبي جعفر المنصور ، والمهدي ، وكانوا يقدّمونه ويفضّلونه ،  
ويستطيّبون مجالسته ونوادره .

وقد كان انقطع إلى رَوْحِ بْنِ حَاتِمِ الْمُهَلَّبِيِّ في بعض أيامه . ولم يصل إلى أحدٍ  
من الشعراء ما وصل لأبي دُلَامَةَ مِنَ الْمَنْصُورِ خَاصَّةً .

وكان فاسد الدين ، رديء المذهب ، مرتكباً للمحارم ، مضيئاً للفرائض  
بجاهراً بذلك ، وكان يعلم هذا منه ويعرف فيه ، ويُتجافى عنه للطف محله ، وكان  
أول ما حفظ من شعره ، وأُسْنِيَتْ له الجائزة قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور ، وذكر  
فيها قتله أبا مسلم ، منها :

أبا مُسْلِمٍ خَوْفَتَنِي الْقَتْلَ فَأَتَحَى      عَلَيْكَ بِمَا خَوْفَتَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ  
أبا مُسْلِمٍ مَا غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَةً      عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يُغَيِّرَهَا الْعَبْدُ

ولما أُنشدها أبا جعفر في محفل من الناس ، قال له : احتكم ، فقال : عشرة  
آلاف درهم ، فأمر له بها ، فلما خلا به قال : والله لو تعدّيتها لقتلتك .

\* ترجمته في الأغاني ١٠ : ٢٣٥ - ٢٧٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج « أبي الرشيد » تصحيف .

كان أبو جعفر قد أمر أصحابه بلبس السواد ، وقلائس طُوال تُدعم بعيدانٍ من داخلها ، وأن يملقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم ﴿ فسيكفيمهم الله وهو السميع العليم ﴾ . فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزمى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ فقال : شرُّ حال . وجهي في نصفي ، وسيفي في أستي ، وقد صبغتُ بالسواد ثيابي ، ونبتتُ كتاب الله وراء ظهري ، فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد .

وقيل إنه قال :

وكنا نرجي منحةً من إمامنا      فجاءت بطولٍ زادته في القلائس (١)  
نراها على هامِ الرِّجال كأنها      دنانُ يهودٍ جُلَّتْ بالبرانس

كان أبو دلامة واقفا بين يدي السَّقَّاح ، فقال له : سألني حاجتك ، فقال أبو دلامة : كلبٌ صيِّد . فقال : أعطوه إياه ، فقال : ودابةٌ أتصيدُ عليها . قال : أعطوه . قال : وغلّامٌ يقودُ السكب ، ويصيدُ به (٢) قال : أعطوه غلاما . قال : وغلّامٌ يقومُ بالدابةِ ويصلحُها . قال : وأعطوه غلاما آخر . قال : وجاريةٌ تُصلحُ الصيد وتطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ، فلا بدّ لهم من دار يسكنونها . قال : أعطوه دارا تجمعهم . قال : وإن لم يكن لهم ضيعة ، فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أقطعتك مائة جريب (٣) عامرة ، ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نبات فيه . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من قِيافي بنى أسد ، فضحك وقال : اجعلوا المائتين كلّها عامرة . قال :

(١) الأغاني « وكنا نرجي من إمام زيادة » .

(٢) الأغاني : « وغلّام يصيد بالسكب ويقوده » .

(٣) الجريب من الأرض : ثلاثمائة ألف وستائة ذراع .

اِئذْنِ لِي أَنْ أُقْبِلَ يَدَكَ ، قَالَ : أَمَا هَذِهِ فِدْعَةٌ ؛ فَإِنِّي لَا أَفْعَلُ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا مَنَعْتِ عِيَالِي شَيْئًا أَقَلَّ عَلَيْهِمْ ضَرَرًا مِنْهَا .

قال الجاحظ : انظر إلى حدقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتداءً بكب صيد فسهل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيبٍ وفكاهة حتى نال ما لو سأله بديهة ما وصل إليه . وكُنِيَ بِأَبِي دُلَامَةَ بِجَبَلٍ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهُ أَبُو دُلَامَةَ كَانَتْ قَرِيشٌ تَتَدَفَّقُ فِيهِ الْبَنَاتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

شهد أبو دُلَامَةَ شَهَادَةَ لَجَارَةٍ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى <sup>(١)</sup> عَلَى أَتَانٍ نَازَعَهَا فِيهَا رَجُلٌ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الشَّهَادَةِ قَالَ لِابْنِ أَبِي لَيْلَى : اسْمِعْ مَا قُلْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيكَ ، ثُمَّ أَقْضِ بِمَا شِئْتَ ، قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشُدْهُ :

إِن النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ      وَإِنْ بَحَشُوا عَنِّي فَمِنْهُمْ مَبَاحُثُ  
وَإِنْ حَفَرُوا بِئْرِي حَفَرْتُ بِئْرَهُمْ      لَتَعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَلَكُ النَّبَّاتُ

فَأَقْبَلَ عَلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ : أَنْتِ بَيْعِي الْأَتَانَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : بَكِّمِ ؟ قَالَتْ : بِمِائَةِ دَرَاهِمٍ ، قَالَ : ادْفَعُوا إِلَيْهَا مِائَةَ دَرَاهِمٍ ، فَدَفَعُوا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ : قَدْ وَهَبْتُهَا كُلَّهَا لَكَ ، وَقَالَ لِأَبِي دُلَامَةَ : قَدْ أَمْضَيْتُ شَهَادَتَكَ وَلَمْ أُبْحَثْ عَنْكَ ، وَابْتَعْتُ مِمَّنْ شَهَدْتَ لَهُ ، وَوَهَبْتُ مِلْكَ لِمَنْ رَأَيْتُ ، أَفْرَضَيْتَ <sup>(٢)</sup> ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَأَنْصَرَفَ .

دخل أبو عطاء السُّنْدِيُّ عَلَى أَبِي دُلَامَةَ يَوْمًا ، فَاحْتَبَسَهُ وَدَعَا بِطَعامٍ ، فَأَكَلَا وَشَرَابٍ فَشَرِبَا ، وَخَرَجَتْ إِلَى أَبِي دُلَامَةَ صَبِيَّةٌ لَهُ حَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ ، فَبَالَتَ عَلَيْهِ ، فَتَبَدَّهَا عَنْ كَتِفِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قاضي الكوفة . أول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي ، واستقضاه بعد ذلك بنو العباس .

(٢) الأغانى : « أرضيت » .



بَلَّتْ عَلِيٌّ - لَا حَيْثَ - ثَوْبِي  
فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمُّ عَيْسَى  
فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ !  
وَلَا رَبَّكَ لَقَمَانُ الْحَكِيمِ  
ثُمَّ قَالَ : أَجْزُ يَا أَبَا عَطَاءَ ، فَقَالَ :

صَدَقْتَ أَبَا دُلَامَةَ لَمْ تَلِدْهَا  
وَلَكِنْ قَدْ حَوَتْهَا أُمُّ سَوْءٍ  
مَطَهَّرَةٌ وَلَا فِخْلٌ كَرِيمٌ  
إِلَى لِبَاتِهَا ، وَأَبٌ لَثِيمٌ

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ بَلَغْتَ هَذَا كُلَّهُ ؛ وَاللَّهِ  
لَا أَنْزِعُكَ بَيْتَ شَعْرٍ أَبَدًا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَطَاءَ : [ لِأَنَّ ] (١) يَكُونُ الْهَرَبُ مِنْ جِهَتِكَ  
أَحَبُّ إِلَيَّ .

وقيل : إنَّ أَبَا دُلَامَةَ غَدَا إِلَى الْمَنْصُورِ فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مَعَ ابْنَتِهِ ، وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ ،  
ثُمَّ انْدَفَعَ فَأَنْشَدَهُ بَعْدَهُمَا :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ النَّجْمِ مِنْ كَرَمٍ  
ثُمَّ ارْتَقَوْا فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ  
قَوْمٌ لَقِيلَ أَقْمِدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ  
إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ (٢)  
وَقَدَّمُوا الْقَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ  
فَالْعَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأُذُنَانِ فِي الرَّاسِ

فَأَسْتَحْسَنُهَا وَقَالَ : بَأَى شَيْءٍ تَحِبُّ أَنْ أُعِينَكَ عَلَى قُبْحِ ابْنَتِكَ هَذِهِ ؟ فَأَخْرَجَ  
خَرِيطَةً قَدْ خَاطَهَا مِنَ اللَّيْلِ ، وَقَالَ : تَمَلَّأْ لِي هَذِهِ دِرَاهِمَ ، فَمَلَأْتُ فَوْسَعَتْ أَرْبَعَةَ  
آلَافٍ دِرْهَمٍ .

لَمَّا تَوَفَّى أَبُو الْمُبَاسِ السَّفَاحَ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ ، وَالنَّاسُ عِنْدَهُ  
يُعْزُّونَهُ ، فَأَنْشَأَ أَبُو دُلَامَةَ يَقُولُ :

أَمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ  
لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا تَحْوِيلاً

(١) زيادة من الأغاني .

(٢) الأغاني : « أظهر الناس » .

وَيَلِي عَلَيْكَ وَوَيْلُ أَهْلِ كُلِّهِمْ  
 ماتَ النَّدَى مُدْمِتٌ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ  
 إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِمَدِّكَ كُلَّهُمْ  
 أَلْسِقُوتِي أُحْرَتُ بِمَدِّكَ لِلَّتِي  
 فَلَا حِلْفَنَّ يَمِينَ حَقِّ بَرَّةٍ  
 فَاتَّبَكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِعَبْرَةٍ  
 وَيَلَا وَعَوَلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا  
 جَمَلَتَهُ لَكَ فِي الثَّرَابِ عَدِيلًا<sup>(١)</sup>  
 فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بِجَحِيلًا  
 تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا!  
 بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بِمَدِّكَ سُؤْلًا  
 وَلِيَكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا

فَأَبَكَى النَّاسَ قَوْلَهُ ، وَغَضِبَ الْمَنْصُورُ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : لَنْ سَمِعْتُكَ تُنْشِدُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِأَقْطَعَنَّ لِسَانَكَ .

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ لِي مُكْرِمًا وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِي مِنَ الْبَدْوِ ، كَمَا جَاءَ اللَّهُ بِأَخُوتهِ يُوسُفَ إِلَيْهِ ، فَقُلْ لِي كَمَا قَالَ يُوسُفُ : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ، فَسُرِّيَ عَنِ الْمَنْصُورِ وَقَالَ : قَدْ أَقْلَنَّاكَ يَا أَبَا دُلَامَةَ ، فَسَلَّ حَاجَتَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَمْرًا لِي بِمَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثُوبًا وَهُوَ مَرِيضٌ ، وَلَمْ أَقْبِضْهَا ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِمَّنْ حَضَرَ - فَوَثَبَ سَلِيمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ وَأَبُو الْجَهْمِ فَقَالَا : صَدَقَ أَبُو دُلَامَةَ ، نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ .

فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِأَبِي أَيُّوبَ الْخِزَّازِ - وَهُوَ مَغِيظٌ : يَا سَلِيمَانَ ، اذْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى هَذَا الطَّاعِيَةِ - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ بِالشَّامِ وَخَالَفَ - فَوَثَبَ أَبُو دُلَامَةَ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ أَخْرُجَ مَعَهُمْ ! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمَشْتُومٌ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : امْضُ ، فَإِنَّ يُمْنِي يَغْلِبُ سُؤْمَكَ فَأَخْرُجْ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « فِي الثَّرَاءِ » ، وَالثَّرَاءُ لَعْنَةٌ فِي الثَّرَى ، وَهُوَ الثَّرَابُ .

يا أمير المؤمنين ، ما أحبُّ لك أن تجرَّب ذلك مِنِّي على مثلِ هذا العسكر ؛ فإنِّي لأدري أيُّهما يغلب ؟ أَيْمُنُكَ أم شَوْمِي ؟ إلاَّ أنِّي بنفسِي أوْتِنُقُ وأَعْرِفُ وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً . فقال : دَعْنِي من هذا فَمَالِكَ من الخُرُوجِ بُدًّا ! قال : إنِّي أَصْدُقُكَ الآن ، شَهِدْتُ وَاللَّهِ تِسْعَةَ عَشَرَ عَسْكَرًا ، كُلُّهَا هُزِمَتْ وَكُنْتُ سَبَبَهَا ، فَإِنْ شِئْتَ الآنَ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنْ يَكُونَ عَسْكَرُكَ الْعَشْرِينَ ، فَأَفْعَلْ . فَاسْتَفْرَغَ<sup>(١)</sup> الْمَنْصُورُ ضَحْكًَا ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَخَافَ مَعَ عَيْسَى<sup>(٢)</sup> بْنِ مُوسَى بِالْكَوْفَةِ .

وقيل : إنَّ أبا دُلَامَةَ دَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ لَمَّا وُلِّيَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ ، فَقَالَ لَهُ :  
أَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

وَكُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدِ عَقَدْنَا لَوَاءَ الْأَمْرِ فَأَنْقَطَعَ اللَّوَاءُ<sup>(٣)</sup>

فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكْتُ ضِيَاعًا تَسُوقُ بِنَا إِلَى الْفِتَنِ الرَّعَاءِ

قال : ما قلتُ هذا يا أمير المؤمنين ، قال : كذبت ، أفلستَ القاتل :

مات الندى مذمت يابن محمد<sup>(٤)</sup> فجعلته لك في التراب عديلا

فقال أبو دُلَامَةَ : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أَخَاكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَلِبَنِي عَلَى صَبْرِي ، وَسَلَبَنِي عَزِيمَتِي ، وَعَرَّانِي<sup>(٥)</sup> بِإِحْسَانِهِ إِلَيَّ ، وَجَزَعَنِي عَلَيْهِ ؛ فَقُلْتُ مَا لَمْ أَتَأَمَّلْهُ ، وَإِنِّي أُرْغَبُ فِي الثَّمَنِ ، فَإِنْ أَعْطَيْتَنِي مِثْلًا أَعْطَى أَخَذْتُ مِثْلًا أَخَذَ . فَخَبَسَهُ الْمَنْصُورُ لَيْلَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَوَصَلَهُ صَلَّةَ سَنِيَّةٍ ، وَعَادَ لَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

(١) الأغانى : « استفرغ »

(٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي العباسي ، أمير الكوفة ؛ وكانت ولي عهد المنصور بعد السفاح ، ثم قدم المنصور عليه في ولاية العهد ابنة المهدي ، ثم خلفه المهدي من ولاية العهد .

(٣) في الأغانى : « فانقض اللواء » .

(٤) في الأغانى : « هلك الندى » .

(٥) في الأغانى : « وعزني » .

قال أبو دلامة : أتى بي إلى المنصور ، أو المهدي ، وأنا سكران ، كخلف ليخرجنني في بئس حرب ، فأخرجني مع روح<sup>(١)</sup> بن حاتم المهلبى لقتال الشراء<sup>(٢)</sup> ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو كان تحتي فرسك ، ومعى سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أترتضيه ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن إليك ذلك ، ولأخذنك بالوفاء بشرطك ، فنزل عن فرسه ، ونزع سلاحه ودفعهما إلى ، ودعا بغيرها ، فأستبدل به ، فلما حصل ذلك في يدي ، وزالت عنى<sup>(٣)</sup> علامة الطمع قلت : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت أبياتا فاسمها ، قال : هات . فأنشدته :

إني أستجرتك أن أقدم في الوغى      لتطاعن وتنازل وضراب  
فهب السيوف رأيتها مشهورة      فتركتها ومضيت في الهراب  
ماذا أقول لما يجيء ولا يرى      من بادرات الموت بالنشاب!<sup>(٤)</sup>

فقال : دع عنك هذا ، وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو إلى المبارزة ، فقال له : أخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير دمي ! فقال : والله لتخرجنن ، فقلت : أيها الأمير ، إنه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنا والله جائع ، ما تنبث<sup>(٥)</sup> منى جراحة من الجوع ، فمر لي بشيء آكله ،

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرهما .

(٢) الشراء : الخوارج .

(٣) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « عنه »

(٤) رواية البيت في الأغاني :

ماذا تقول لما يجيء وما يرى      من واردات الموت في النشاب

(٥) في الأغاني : « ما شبت » .

ثم أخرج . فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف ، فلما رأني الشاري أقبل نحوي وعليه فرؤ قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فأفعل<sup>(١)</sup> ، وعيناه تقدآن<sup>(٢)</sup> فأسرع إلى ؛ فقات : على رسلك يا هذا ! فوقف . فقلت : أتقتل من لا يقاقتك ؟ فقال : لا ، قلت : أنتستحل أن تقتل رجلاً على دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عني إلى لعنة الله . فقلت : لا أفعل ، أو تسمع مني ؟ قال : قل ، قلت : هل كانت بيننا قط عداوة ، أو رة ، أو تعرفني بحال تحفظك<sup>(٣)</sup> على ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وترا ! قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل ، وإني لأهواك وأتجل مذهبك ، وأدين بددينك ، وأريد السوء لمن أرادك لك<sup>(٤)</sup> . فقال : يا هذا ، جزاك الله خيراً ، فأصرف .

قلت : إن معي زاداً أريد أن آكله معك لتؤكد المؤاكلة بيننا المودة ، ونرى أهل العسكرين هوانهم علينا ، قال : افعل ، فتقدمت إليه حتى أختلفت أعناق دوابنا ، وجمعنا أرجلنا على أعرافها<sup>(٥)</sup> وجعلنا نأكل ، والناس قد غلبوا ضحكاً . فلما استوفينا ودعيني ، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقت على طلب المبارزة ندبني إليك فتعب وتتعيني ، فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت . تم أنصرف وأنصرفت .

(١) افعل : تقبض .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي ب : « وإذا عيناه كأنهما من غودرهما في دفتين » ، وفي ج

« تدوران » .

(٣) في ب ، ج : « تعيطك » .

(٤) كذا في ب ، و ، ا ، ج « بك » .

(٥) في الأغاني : « معارفها »

فقلتُ لِرَوْحٍ : أَمَا أَنَا فَقَدْ كَفَيْتُكَ قِرْنِي ، فَقُلْ لِنَعِيرِي أَنْ يَكْفِيكَ قِرْنَهُ كَمَا  
كَفَيْتُكَ؛ فَأَمْسَكَ.

وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لي : أخرجُ إليه ، فقلت :

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يَقْدَمَنِي      إِلَى الْقِتَالِ فَتَخْرِي بِي بَنُو أُسَدٍ (١)  
إِنَّ السِّبْرَازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ      مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ  
قَدْ خَالَفْتُكَ الْمَنَايَا إِذْ صَمَدَتْ لَهَا      وَأَصْبَحَتْ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالرَّصَدِ  
إِنَّ الْمَهْلَبَ حُبَّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ      وَمَا وَرِثْتُ أُخْتِيَارَ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدٍ  
لَوْ أَنَّ لِي مُهْجَةً أُخْرَى جُلِدْتُ بِهَا      لَكِنَّمَا خُلِقْتُ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ  
فَضِيحَكَ وَأَعْفَانِي .

قال أبو دُلَامَةَ : كُنْتُ فِي عَسْكَرِ مِرَاوِنَ أَيَّامَ زَحْفِ إِلَى سِنَانِ الْخَارِجِيِّ ،  
فَلَمَّا التَّقَى الزَّحْفَانُ خَرَجَ مِنْهُمُ رَجُلٌ يُنَادِي : مَنْ يُبَارِزُ؟ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَعْجَلَهُ وَلَمْ  
يُمَهِّلْهُ (٢) ، فَمَا ظَنَّا ذَلِكَ مِرَاوِنَ وَجَمَلٌ يَنْدُبُ النَّاسَ عَلَى خِمْسِيَّةٍ ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ (٣) ،  
فَنَدَّبَهُمْ مِرَاوِنَ إِلَى الْفِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُمْ حَتَّى بَلَغَ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ تَحْتَى  
فَرَسٌ لَا أَخَافَ خَوْفَهُ (٤) . فَلَمَّا سَمِعْتُ بِالْخَمْسَةِ (٥) آلَافٍ ، هَانَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَنَدَبْتُهَ (٦)  
وَأَقْتَحَمْتُ الصَّفَّ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ الْخَارِجِيُّ عَلِمَ أَنِّي خَرَجْتُ طَمَعًا ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ

(١) في الأغاني : « إلى البراز » .

(٢) في الأغاني : « ولم ينهه » .

(٣) في الأغاني : « قتل أصحاب الخمسة » .

(٤) ج : « لا أخاف خوفه » .

(٥) لفة ضعيفة ؛ والأفصح : « خمسة الآلاف » .

(٦) كذا في ب ج ، وفي ا : « نرفته » ، وفي الأغاني : « فلما سمعت بالخمسة آلاف ترقبته

واقترحت الصف » .

مستهيئا<sup>(١)</sup> بي ، وإذا عليه فرؤ قد أصابه المطر فأبتل ، ثم أصابته الشمس فافعل ،  
وإذا عيناه كأنهما من غؤورها في وقبين<sup>(٢)</sup> ، فلما دنا متنى قال :

وخارجٍ أخرجَه حبُّ الطمعِ فرّ من الموت وفي الموت وقَع

\* من كان ينوى أهله فلا رجع \*

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هاربا ، وجمل مروان يقول : من هذا  
الفاضح ! إيتوني به ، فدخلت في غمار الناس ونجوت .

ولما عزم موسى بن داود الهاشمي على الحج قال لأبي دلامة : احجج معي  
ولك عشرة آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعت إليه فأخذها وهرب إلى السواد ،  
فأنفقها هناك في شرب الخمر<sup>(٣)</sup> . وطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخاف فوت الحج  
نفرج ، فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجا من قرية إلى قرية أخرى ،  
وهو سكران ، فأخذه وقيده وطرحه في جانب المحمل بين يديه ، فلما سار غير بعيد  
أقبل على موسى فناده :

يأيتها الناس قولوا أجمعين معاً

كأن ديباجتي خدي من ذهب

إني أعودُ بداودٍ وأعظمه

خبرت أن طريق الحج معطشة

والله ما في من أجر فتطلبه

فقال موسى : ألقوه عن المحمل ، لعنه الله ! ودعوه ينصرف ، فالتى وعاد

إلى قصفه بالسواد حتى فقدت منه العشرة آلاف درهم .

(١) في الأغاني : « متهيئا » .

(٢) الوقب : تقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .

(٣) في الأغاني : « فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر » .

(٤) صرد شربه : قطعه .

كان أبو جعفر يحب العَبَثَ بأبي دُلَامَةَ ، وكذلك كان السَّفَاحَ ، فكان كلُّ واحدٍ منهما يسأل عنه ، فيوجد في بيوت الخَمَّارينِ لا فَضْلَ فيه . فماتَ به على انقطاعه عنه ، فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّنى ؛ فعلم أنه يُحَاجِزُه (١) ، فأمرَ الربيعَ أن يوَكِّلَ به مَنْ يُحْضِرُه الصَّلواتِ الخمسِ في جماعةٍ معه في الدَّارِ ، فلما طال عليه ذلك قال :

ألم ترَيَا أنَّ الخليفةَ لَزَنِي (٢)	بمَسْجِدِهِ والقَصْرِ ، مالى وللقَصْرِ !
لقد صدَّنى عن مجلسٍ استلذُّهُ	أعللَّ فيه بالسَّماعِ وبالخِرِّ
يُكلِّفنى الأولى جميعاً وعَصْرَها	فويلى من الأولى وويلى من العَصْرِ !
أصليهما بالكُرهِ في غيرِ مَسْجِدِي	فإلى في الأولى ولا العَصْرِ من أجرِ
يكلِّفنى من بعد ما سبَّتُ حُطَّةً	يخطُّ بها عنى المَثاقيلِ من وِزْرِى
فقد كان في قومي مَساجِدُ حِجَّةً	ولم ينشِرحُ يوماً لغِشيانها صدْرِى
ووالله مالى نِيَّةً في صَلاتِكُمْ (٣)	ولالبرِّ والإحسانِ والخيرِ من أَمْرِى
وما ضَرَّه اللهُ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ	لو أنَّ ذنوبَ العالمينِ على ظَهْرِى

فبلغتُه الأبيات ، فقال : صدقَ اللهُ ، ما يضرُّنى ذلك ، ولا ينصَلِحُ هذا أبداً ، دَعُوهُ يَمَمَلْ ما شاء .

وقيل : إنه قال له : قد أعفيناك من هذه الحال ؛ ولكن (٤) لا تدعِ القيامَ معنا ليالى شهرِ رمضان ، فقد أظَلَّ ، قال : أفعل . قال : إنك إن تأخرتَ علمتَ أنك إنما تأخرتَ لشُرْبِ الخمرِ ، ووالله لئن فعلتَ لآخذنك (٥) .

(١) يحاجزه : ينتحل المعاذير الواهية للتخلص منه .

(٢) لزنى : ألزمنى .

(٣) الأغانى : « فى صلواته » .

(٤) فى الأغانى : « على ألا تدع » .

(٥) فى الأغانى : « لأحدنك » ، وكذلك فى ا ، وما أثبتته من ب ، ج .



فقال أبو دُلّامة : البليّة في شهرٍ أصلح منها طول الدهر ، فلما دخل رمضانُ  
لزم المسجد . وكان المهديّ يبعث إليه في كلِّ ليلةٍ حَرَسِيًّا يجيء به ، فشَقَّ ذلك  
عليه ، وفَزَعَ إلى الحَيْرَانِ وأبي عُبيدِ اللهِ<sup>(١)</sup> وكلٌّ من كان يلوذ بالمهديّ ليشفعوا له  
من القيام<sup>(٢)</sup> فلم يُجِبْهم . فقال أبو عُبيدِ اللهِ : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف  
شُكْرُكُ؟ قال : أتمَّ شُكْر . قال : عليك برِيطَة<sup>(٣)</sup> فإنه لا يخالفها قال : صدقتَ  
والله ، ثم رَفَعَ إليها قصّته فيها :

أَبْلَغَا رِيطَةَ أُنَى	كُنْتُ عَبْدًا لِأَيِّهَا
فَمَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ	هُ وَأَوْصَى بِي إِلَيْهَا
وَأَرَاهَا نَسَيْتَنِي	مِثْلَ نَسْيَانِي أَخِيهَا
جَاءَ شَهْرُ الصَّوْمِ يَمْشِي	مِشِيًّا مَا أَشْتَهِيهَا
قَائِدًا لِي لَيْلَةَ الْقَدِّ	رِ كَأَنِّي أَبْتَعِيهَا
تَنْطَحُ الْقَبِيلَةَ شَهْرًا	جَبَّهْتِي لَا تَأْتِلِيهَا
وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَانًا	فِي فَيَافِي وَجِيهَا
فِي لَيَالٍ مِنْ شِتَاءٍ	كُنْتُ شَيْخًا أَصْطَلِيهَا
قَاعِدًا أَوْقِدُ نَارًا	لِضَبَابٍ أَشْتَوِيهَا
وَصَبُوحٍ وَغَبُوقٍ	فِي عِلَابٍ أَحْسَبِيهَا <sup>(٤)</sup>

(١) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير ، كان من رجالات  
النصور ثم المهدي ؛ وعزله المهدي عن الوزارة ، ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه  
سنة ١٦٧ .

(٢) في الأغاني : « ليشفعوا له في الإغفاء من القيام » .

(٣) ريطَة ؛ هي ابنة الخليفة أبي العباس السفاح وزوجة المهدي .

(٤) العلاب : جمه عليه ؛ وهي قدح ضخمة من جلود الإبل ؛ وهي قدح من خشب .

لا أبالي ليلة القدر ولا تُسمِعُنِيهَا<sup>(١)</sup>

فأطلبني فرجاً مني لها وأجرى لك فيها

فقرأت الرقعة وضجكت ، وأرسلت إليه . اصبر حتى تمضي ليلة القدر .  
فكتب إليها : لم أسألك أن تكلميه في إعفائي في العام القابل ، وإذا مضت  
ليلة القدر فقد في الشهر ، وكتب هذه الأبيات :

خافي إلهك في نفس قد احتضرت قامت قيامتها بين المصلينا

ما ليلة القدر من همى فأطلبها إني أخاف المنابا قبل عشرينا

يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا يا ليلة القدر حقاً ما تمنينا !

لا بارك الله في خير أو مله في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا

فدخلت على المهدي فشفعت له ، وأنشدته الأبيات ، فضحك حتى استلقى ،  
ثم دعا به وربطة معه في الحجلة<sup>(٢)</sup> ، فدخل وأخرج رأسه إليه وقال : قد شفعتنا  
ربطة فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعة السيدة في حتى  
أعفيتني ، فأعفاك الله وأعفاها من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته ؛  
فإما أن تتمها لي بثلاثة آلاف درهم ، فصارت عشرة ، أو تنقص ألفين فصارت  
خمسة ؛ فإني لا أحب<sup>(٣)</sup> حساب السبعة .

فقال : قد جعلتها خمسة آلاف درهم ، فقال : أعيدك بالله أن تختار أدنى  
الحاين ، وأنت أنت . فبعيت به المهدي ساعة ، ثم تكلمت فيه ربطة ، فأتمها  
عشرة آلاف درهم .

(١) لا هنا نافية ؛ وهو خبر يراد به النهي .

(٢) الحجلة ، بالتحريك : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .

(٣) في الأغانى : « لا أحسن » .

دخل أبو دلامة على المنصور فأشده :

رَأَيْتَكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي      ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دَيْنِي  
فَكَانَ بِنَفْسِي جِيءَ الْخَزُّ فِيهَا      وَشَاحًا نَاعِمًا فَأَتَمَّ زَيْنِي (١)  
فَصَدَّقْ يَا فَدَتَكَ النَّفْسُ رُؤْيَا      رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي

فأمر له بذلك ، وقال له : لا تعد تتحلّم<sup>(٢)</sup> على<sup>(٣)</sup> ثانية ، فأجعل حلمك أضغاناً  
ولا أتحمقه ، ثم خرج من عنده ، ومضى فشرب في بعض الخانات وسكر فهو  
يميل إذ أخذ العسس ؛ فقبل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ      مَا خِمْتِ الطَّيْنُ عَلَى الْقِرْطَاسِ  
إِذَا أَصْطَبَحْتُ أُرْبَعًا بِالْكَاسِ      فَقَدْ أَدَارَ شُرْبَهَا بِرَاسِي  
\* فهل بما قلت لكم من باس \*  
فأخذوه ومضوا ، وخرقوا ثيابه وسأجه ، وأتى به إلى أبي جعفر - وكان  
يؤتى بكل من أخذه العسس فيحبسه في بيت مع الدجاج - فلما أفاق جعل يُنادي  
غلامه مرة ، وجاريتَه أخرى فلا يجيبه أحدٌ ، وهو يسمع صوت الدجاج وزفء  
الديك (٣) .

فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : وئيلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟  
قال : أنت في الحبس ، وأنا فلان السجان . قال : ومن حبسني ؟ قال :  
أمير المؤمنين . قال : ومن خرقت لسانى ؟ قال : الحرّس .  
فطلب دواة وقرطاسا ، وكتب إلى المنصور :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي      عَلَامَ حَبْسَتِي وَخَرَقْتَ سَاجِي !

(١) في الأغاني : « وساج ناعم » ، والساج : الطيلسان الأخضر .

(٢) في الأغاني : « أن تتحلّم » ؛ يقال : تحلم فلان ؛ قال : حلمت بكذا ؛ وهو كاذب .

(٣) الأغاني : « الديوك » .

أَمِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ      كَأَنَّ شُعَاعَهَا نَهَبُ السَّرَاجِ  
 وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى  
 تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا      إِذَا بَرَزَتْ تَرْتَرِقُ فِي الرُّجَاجِ  
 أَقَادُ إِلَى الشُّجُونِ بِغَيْرِ جُرْمٍ      كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخِرَاجِ  
 وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ سَهْلًا      وَلَسَكُنِّي حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ  
 وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي      بَأْتِي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِ  
 عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا      لِحَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِ

فَدَعَا بِهِ وَقَالَ : أَيْنَ حُبِسْتَ يَا أَبَا دُلَامَةَ ؟ قَالَ : مَعَ الدَّجَاجِ ، قَالَ : فَمَا كُنْتَ  
 تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَفُوقِي مَعَهُمْ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحَكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَأَمْرُهُ بِجَائِزَةٍ .  
 فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : إِنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ :  
 « وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ » ، يَعْنِي الشَّمْسَ ! فَأَمَرَ بِرَدِّهِ وَسَأَلَهُ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَنَيْتُ  
 إِلَّا نَارَ اللَّهِ الْمَوْقُودَةَ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى فُؤَادِ الرَّبِيعِ . فَقَالَ : خُذْهَا يَا رَبِيعُ وَلَا تَعَاوِدِ  
 التَّمْرِضُ لَهُ .

مَرَّ أَبُو دُلَامَةَ بِتَمَارٍ بِالسُّكُوفَةِ فَقَالَ لَهُ :  
 رَأَيْتُكَ أَطَعَمْتَنِي فِي النَّوَامِ      قَوَاصِرَ مِنْ تَمْرِكَ الْبَارِحَةَ  
 فَأُمُّ الْعِيَالِ وَصَبِيَانُهَا      إِلَى الْبَابِ أَعْيُنُهُمْ طَارِحَةٌ  
 فَأَعْطَاهُ سَلْتَيْنِ مِنْ تَمْرٍ ، وَقَالَ : إِنْ رَأَيْتَ هَذِهِ الرُّؤْيَا لَيْلَةً أُخْرَى لَمْ يَصِحَّ  
 تَفْسِيرُهَا .

وَلَمَّا قَدِمَ الْمَهْدِيَّ مِنَ الرَّيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :  
 إِنِّي نَدَّرْتُ لَنْ رَأَيْتُكَ سَالِمًا      بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفْرِ  
 لَتُصَلِّينَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      وَلِتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي  
 فَقَالَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الدِّرَاهِمُ فَلَا . فَقَالَ : أَنْتَ  
 أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا وَتُخْتَارَ الْأَسْهَلُ ! فَضَحَكَ ثُمَّ مَلَأَ حِجْرَهُ دِرَاهِمًا .

ومثل هذا ، لما قدم الهلب من بعض غزواته لقيته عجوز من الأزد ، فقالت :  
أيها الأمير ، أسألك بالله وبالرحم إلا ما وقفت ؛ فوقفت . فندت منه فقبلت يده ،  
وقالت : هذا نذرٌ كان عليّ ، إني نذرتُ لله عزّ وجلّ إن قدمتَ سالماً قبلتُ يدك ،  
وتهب لي أربعائة درهم ، وجاريةً سُعديةً<sup>(١)</sup> تخدمني ، فضحك وقال : أما نحن  
فقد وفينا بنذرِكَ ، ادفعوا إليها ، وإياكِ يا أمة وهذه النذور ، فليس كلُّ أحد  
يفي لك بها ، أو ينشط لتحليلك منها .

صام الناسُ رمضانَ في سنةٍ شديدةِ الحرِّ على عهد المهديّ ، وكان أبو دُلّامة  
يتنَجَّرُ جائزةً أمر له المهديُّ بها ، فكتب إليه أبو دُلّامة رَقْمَةً يشكو إليه فيها  
أذى الحرِّ والصوم :

أدعوك بالرحم التي جمعتُ لنا      في القرب بين قريبتنا والأبمد<sup>(٢)</sup>  
إلا سمعت فانت أكرم من مشي      من مُنشدٍ يرجو جزاء المُنشدِ  
جاء الصيامُ فصمته متعبداً      أرجو ثواب الصائم المتعبداً  
ولقيت من حرِّ الصيام وطوله      أمرين قيسا بالعذاب المؤصد<sup>(٣)</sup>  
وسجدتُ حتى جبهتي مشجوجةً      مما يُناطحني الحصافي المسجدِ  
فأمنُ بتسريحي بمطلك بالذي      أسلفتنيه من البلاء المرصدِ

فلما قرأها المهديُّ غضب ، وقال : يا عاض كذا من أمه ، أي قرابة بيني وبينك !  
قال : رحم آدم وحواء ! أنسيتم<sup>(٤)</sup> يا أمير المؤمنين فضحك وقال : لا ما نسيتم<sup>(٥)</sup> .  
ومجّل<sup>(٥)</sup> له جائزته وزاد فيها .

(١) سغدية : منسوبة لى السغد (وقد يقال : الصغد) وهى كورة قصبها سمرقند .

(٢) فى الأغانى : « أدعوك بالرحم التى هى جمعت » .

(٣) المؤصد: المطبق ، ورواية الأغانى : « ولقيت من أمر الصيام وحره » .

(٤) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « أنسيها ... ما نسيها » .

(٥) فى الأغانى . « وأمر بتعجيل ما أجازته به وزاد فيه » .

دخل أبو دُلّامةَ على أمِّ سلَمَةَ بنتِ يعقوبَ بنِ سلَمَةَ بعد وفاة أبي العباس ،  
فمزّأها به ، وبكّت وبكى ، ثم أنشدّها أبياتَه التي تقدّمت حتّى بلغ إلى قوله فيها :  
يَجِدُونَ أَبْدَالَآ بِهِ وَأَنَا أَمْرُؤٌ لَوْ عَشْتُ دَهْرًا مَا وَجَدْتُ بُدْيَلًا  
فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : لَمْ أُجِدْ (١) أَحَدًا أُصِيبَ بِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ يَا أَبَا دُلّامَةَ ، فَقَالَ :  
وَلَا سِوَاءَ [ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ! ] (٢) لِكَ مِنْهُ وَلِدٌ وَمَا وَلَدْتُ أَنَا مِنْهُ قَطَّ . فَضَحِكْتُ  
— وَلَمْ تَكُنْ ضَحِكْتُ مِنْذِمَاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَّا ذَلِكَ الْوَقْتُ — وَقَالَتْ : لَوْ حَدَّثْتُ  
الشَّيْطَانَ لَأَضْحَكْتَهُ .

دخل أبو دُلّامةَ على المهديّ وهو يبكي ، فقال له : مالِكُ ؟ قال : ماتت أمُّ دُلّامة !  
وأنشدّه :

وَكُنَّا كَرَوْجٍ مِنْ قَطًّا فِي مَفَازَةٍ      لَدَى خَفِضِ عَيْشِ نَاضِرٍ مُورِقٍ رَعْدٍ  
فَأَفْرَدَنِي رَبِّ الزَّمَانِ وَصَرَفُوهُ      وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدٍ !  
فأمر له بتيابٍ وطيبٍ ودنانير ، وخرج ، فدخلت أمُّ دُلّامةَ على الخَيْرُرَّانِ  
وهي تبكي ، فقالت لها : مات أبو دُلّامة ، فأعطتها مثل ذلك وخرجت .  
فلما التقتي المهديّ بالخَيْرُرَّانِ عرفًا حيلتهما ، فجعلتا يضحكان من ذلك ويمجبان .

دخل أبو دُلّامةَ على المنصور فأنشدّه :

أَمَا وَرَبِّ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا      حَقًّا وَرَبِّ الْمُورِيَّاتِ قَدْحًا (٣)  
إِنَّ الْمُغِيرَاتِ عَلَى صُبْحًا      وَالنَّاكثَاتِ مِنْ فَوَادِي قَرَحًا (٤)  
عَشْرُ لَيْالٍ بَيْنَهُنَّ الْأَضْحَى      يَجْلُفْنَ مَالِي كُلِّ عَامٍ ذَبْحًا (٥)

(١) في الأغانى : « لم أر » .

(٢) تكلمة من الأغانى .

(٣) الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ، ليست بصهيل ولاحممة .

(٤) نكأ القرّح : قسره قبل أن يبرأ فيندى .

(٥) يجلفن : يستأصلن ، وفي الأغانى « صبجا » .

قال له أبو جعفر : كم تدبج يا أبادُلامة ؟ قال : أربعمائة وعشرين شاةً ، ففرَض له على كلِّ هاشميٍّ أربعةً وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم . فأتى العباس بن محمد في عَشْرِ الأضحى يتنَجَّزُها ، فقال : يا أبادُلامة ، أليس قد مات أبُوك ؟ قال : بلى . قال : انقُصوه دينارين ، قال : أصح الله الأمير ! لا تفعل ، فقد ترك عليّ ولدَيْن ، فأبى إلا أن ينقُصه ، فخرج وهو يقول :

أخطاك<sup>(١)</sup> ما كنت ترجوه وتأمله  
واغسل يدَيْك بأشنانٍ وأُنهُما<sup>(٢)</sup>  
جزاك ربُّك يا عباس عن فرَجِ  
جناتِ عدنٍ وعنى خيرَ أكياسِ<sup>(٣)</sup>  
فأغسل يدَيْك من العباس باليأسِ  
مما تؤمِّل من معروفِ عباس

فضحك أبو جعفر لما بلغت الشعر ، وأعتاظ على العباس ، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى ، وقيل : إنه حلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، فأتبعه الرسول فأعطاه إياها ، فقال : أولى له<sup>(٤)</sup> ! أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنف<sup>(٥)</sup> فقد أمِنه ، وقد كان قال فيه :

لعلي بن صالح بن عليٍّ  
وبنو<sup>(٦)</sup> صالح كثيرٌ ولكن  
نَسبٌ لو يُعِينهُ بسماحِ  
ما لنا في بقائهم من صلاحِ<sup>(٧)</sup>  
غير فضلٍ فإن للفضل فضلًا  
مستبينًا على قرئشِ البطاحِ

(١) ب ، ج : « أخاك » تحريف .

(٢) ١ : « ونقهما » والأشنان : بالضم : حمض تغسل به الأيدي .

(٣) كذا في ب و ج ، وفي الأغانى : « وعنى جرزى آس » . والجرزة : الخزمة .

(٤) أولى له ، معناها التهديد والتوعد .

(٥) ب ، ج : « ومستأنف » .

(٦) ساقطة من ب ، ج ، وفي الأغانى : « وبنو مالك » .

(٧) الأغانى : « من فلاح » .

خاصم رجلُ أبا دُلَامَةَ في دارِهِ ، فارْتَفَعَا إلى عَافِيَةَ القَاضِي ، فأنشأ أبو دُلَامَةَ

يقول :

لقد خاصمتني دُهَاءُ الرجالِ      وخاصمتها سَنَةٌ وافيَهُ  
فأ أدخض الله لي حجَّةً      ولا حَيِّبَ اللهُ لي قَافِيَهُ  
ومن خفت من جورِهِ في القضاء      فلست أخافُكَ يا عَافِيَهُ

فقال له عافية : أما والله لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنَّه أنك هجوتني ،  
قال : إذا والله يعزلك ، قال : ولم؟ قال : لأنك لا تعرف المدح من الهجاء . وبلغ  
المنصور ذلك ، فضحك ، وأمر لأبي دُلَامَةَ بجائزة .

دخل أبو دُلَامَةَ على المهديِّ وعنده إسماعيلُ بنُ عليٍّ ، وموسى بنُ عيسى ،  
والعبَّاسُ بنُ محمدٍ [ ومحمد ] <sup>(١)</sup> بن إبراهيم الإمام ، وجماعةٌ من بني هاشم . فقال له :  
أنا أعطى الله عهداً لئن لم تهجُ واحداً ممن في البيت لأفطعن لسانك ، أو لأضربنَّ  
عنقك ، فنظر إليه القوم ، فكلَّموا نظراً إلى واحد منهم غمزه بأنَّ عليَّ رضاك .  
قال أبو دُلَامَةَ : فعلت أئني قد وقعتُ ، وأنها عزيمةٌ من عزماته لا بدَّ منها ،  
فلم أر أحداً أحقَّ بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي ،  
فقلت :

ألا أبلغُ لَدَيْكَ أبا دُلَامَةَ      فلست من الكِرامِ ولا كِرامَهُ  
إذا لبسَ العمامةَ قلتَ قِرْدًا <sup>(٢)</sup>      وخزيراً إذا نزعَ العمامةَ  
جمعتَ دَمَامَةً وجمعتَ لُؤْمًا      كذاكَ اللُّؤْمُ تَدْبِهُ الدَّمَامَةُ  
فإن تَكُ قد أصبتَ نعيمَ دُنْيَا      فلا تفرحُ فقد دنتَ القِيَامَةُ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجزه .

(١) ساقط من الأغاني .

(٢) الأغاني : « كان قرداً » .



خرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصّيد ، فسَنَحَ لهما قَطِيعُ ظَبَاءٍ ، فَأَرْسَلَتْ  
السِّكَّابُ ، وَأَجْرِيَتْ الْخَيْلُ ، فَرَمَى المهديّ سَهْمًا ، فَصَرَ عَ ظَبِيًّا وَرَمَى عَلِيٌّ  
ابنُ سليمان ، فَأَصَابَ كَلْبًا مِنْ بَعْضِ السِّكَّابِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

قَد رَمَى المَهْدِيُّ ظَبِيًّا شَكَّ بِالسَّهْمِ فُؤَادَهُ  
وعليُّ بنُ سُلَيْمَانَ رَمَى كَلْبًا فِصَادَهُ  
فَهَنِيئًا لهما كَلُّ لُ أُمْرِيءِ يَأْكُلُ زَادَهُ

فضحك المهديّ حتى كاد أن يَسْقُطَ عن سَرَجِهِ ، وَقَالَ : صَدَقَ وَاللَّهِ أَبُو دُلَامَةَ ،  
وَأَمْرُهُ بِجَارَةِ سَنِيَّةٍ ، وَلَقَّبَ عَلِيٌّ بنَ سليمان : صَائِدَ السِّكَّابِ ، فَعَلِمَتْ بِهِ .

أَنشَدَ أَبُو دُلَامَةَ الْمَنْصُورَ يَوْمًا :

هَاتِيكَ وَالِدِي عَجُوزٌ هِمَةٌ	مِثْلُ الْبَلِيَّةِ دِرْعَهَا كَالْمَشْجَبِ (١)
مَهْزُولَةُ اللَّحْيَيْنِ مِنْ يَرَاهَا يَقُلُّ	أَبْصَرْتُ غُولًا أَوْ خِيَالَ الْقَطْرُبِ (٢)
مَا إِنْ تَرَكْتُ لَهَا وَلَا لِابْنِ لَهَا	مَالًا يُؤَمِّلُ غَيْرَ بَكْرٍ أَجْرَبِ
وَدَجَائِمًا خَمْسًا يَرْحَنَ إِلَيْهِمْ	لَمَّا يَبْيِضُنَ وَغَيْرَ عَنَرٍ مُقْرَبِ (٣)
كَتَبُوا إِلَى صَحِيفَةٍ مَطْبُوعَةٍ	جَمَعُوا عَلَيْهَا طِيْنَةً كَالْمَقْرَبِ (٤)
فَعَلِمْتُ أَنْ الشُّؤْمَ عِنْدَ فَكَاكِهَا	فَفَكَكْتُهَا عَنْ مِثْلِ رِيحِ الْجَوْرَبِ

(١) الهمة : العجوز الغائبة . والمشجب : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنتشر؛ أراد أن أمه هزلت حتى صارت تشبه خشبات المشجب .

(٢) اللحي : عظم الخنك ؛ وهو الذي عليه الأسنان . والقطرب هنا : ذكر الغيلان ، أو الصغير من الجن .

(٣) العنر المقرب : التي اقترب وقت نتاجها ، وفي الأغاني : «غير غير مغرب» ، والعير : الحمار ، والمغرب : الذي اشتد بياضه حتى تبيض حاجره وأرفاغه .

(٤) مطبوعة : مخنومة .

وَإِذَا شَبِيهَهُ بِالْأَفَاعِي رُقِشَتْ  
يُوعِدَنِي بِتَلْمِظٍ وَتَأْوُبٍ (١)  
يَشْكُونَ أَنْ الْجُوعَ أَهْلَكَ بَعْضَهُمْ  
لَزَبًا فَهَلْ لَكَ فِي عِيَالٍ لَزَبٍ! (٢)  
لَا يَسْأَلُونَكَ غَيْرَ طَلِّ سَحَابِيَّةٍ  
تَغْشَاهُمْ مِنْ سَيِّبِكَ الْمُتَحَلِّبِ  
يَا بَاذِلَ الْخَيْرَاتِ يَا بِنَّ بَدْوِلَهَا  
وَأَبْنَ الْكِرَامِ وَكُلِّ قَرَمٍ مُنْجِبِ  
أَنْتُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ نَعْلَمَ أَنْكُمْ  
قَدِمَا فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ أَشْهَبِ  
أَحْلَاسُ خَيْلِ اللَّهِ وَهِيَ مُغِيرَةٌ (٣)  
يَخْرُجْنَ مِنْ حَدَرِ الْغُبَارِ الْأَكْهَبِ (٤)

فأمر له بدارٍ يسكنها، وألفِ درهم، وكانت الدار قريبةً من قصره، فأحتاج إليها بعد مدة أن تُزَادَ في قصره، فدخل عليه أبو دُلَامَةَ فَأَلْشَدَهُ :

يَا بِنَ عَمِّ الرَّسُولِ دَعْوَةَ شَيْخٍ  
قَد دَنَا هَدْمُ دَارِهِ وَدِمَارُهُ  
فَهُوَ كَالْمَاخِضِ الَّتِي اعْتَادَهَا الطَّدُ  
قِي فَقَرَّتْ وَمَا يَقْرُ قَرَارُهُ  
إِنْ يَكُنْ عُسْرُهُ بِكَفَيْكَ يَوْمًا  
فِيكَفَيْكَ عُسْرُهُ وَيَسَارُهُ  
أَوْ تَدْعُهُ إِلَى الْبَوَارِ فَأَنَّى  
وَلِمَاذَا وَأَنْتَ حَتَّى بَوَارُهُ !  
هَلْ يَخَافُ الْهَلَاكَ شَاعِرُ قَوْمٍ  
قَدِمْتَ فِي مَدِيحِكُمْ أَشْعَارُهُ  
لَكُمْ الْأَرْضُ كُلُّهَا فَأَعِيرُوا  
شَيْخَكُمْ مَا أحتَوَى عَلَيْهِ جِدَارُهُ  
فِكَأَنَّ قَد مَضَى وَخَلَفَ فِيكُمْ  
مَا أَعْرُتُمْ وَأَقْفَرْتَ مِنْهُ دَارُهُ  
فَاسْتَعْبَرَ الْمَنْصُورَ وَأَمْرًا بِتَعْوِيضِهِ دَارًا خَيْرًا مِنْهَا وَوَصَلَهُ .

(١) رُقِشَتْ : نَقَطَتْ بِسَوَادٍ . وَالتَّأْوُبُ : الرَّجُوعُ .

(٢) اللَّزْبُ ، بِالْحَرِيِّكِ : ضَيْقُ الْعَيْشِ .

(٣) كَذَا فِي الْأَغَانِي ، وَفِي أ : « جَنْدُ اللَّهِ » ، وَفِي ب : « جَنْدُ الْهَدْمِ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَغَانِي ، وَالْكَهْبَةُ : غَبْرَةٌ مَشْرَبَةٌ سَوَادًا ، وَفِي الْأَصُولِ : « الْأَصْهَبُ » ،

وَالرَّوْجُ مَا أَنْبَتَهُ مِنَ الْأَغَانِي .

دخل أبو دُلَامةَ على سَمِيدِ بنِ دَعْلَجِ (١) مولى بنى تميم ، فقال :  
إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ عليك ورحمةُ الله الرَّحيمِ  
وأما بعد ذلك فلي غريمٌ من الأعرابِ قُبِحَ من غريمِ !  
غريمٌ لازمٌ لفناءِ بيتي لزومَ الكلبِ أصحابِ الرِّقيمِ (٢)  
له مائةٌ علىَّ ونِصفُ أخرى ونِصفُ النِّصفِ في صكِّ قديمِ  
دراهم ما انتفعتُ بها ولكن وصلتُ بها شيوخَ بنى تميم  
أتونني بالمشيرةِ يسألونني ولم أكُ في العشيرةِ بالذمِّمِ (٣)

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما ، فقال : وليس إلا ! فقال :  
ما أَسَاءَ من أنصف ، قد كافأتك عن قومي (٤) ، وزدتك مائة .

لَمَّا توفيت حمادة بنت عيسى حضر المنصورُ جنازتها ، فلَمَّا وقف على حُفرتها  
قال لأبي دُلَامة : ما أعددتَ لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين ،  
حمادة بنت عيسى ؛ فإنها الساعة تُدفن فيها ! فضحك المنصورُ حتى غلب وسترَ  
على وجهه .

قال الهيثم بن عدي : حَجَّتِ الخيزُران ، فلَمَّا خرجت صباح أبو دُلَامة :  
جعلني الله فداك ! الله الله في امرئ ! فقالت : من هذا ؟ قالوا : أبو دُلَامة ، قالت :  
سأله ما أمرُه ؟ فقالوا له : ما أمرُك ؟ قال : أدنوني من محملها ، قالت : أدنوه ،  
فأدني ، فقال لها : أيتها السيِّدة ، إنني شيخ كبير ، وأجرُك في عظيم . قالت : فيم ؟

(١) كان أميراً على شرطة البصرة لأبي جعفر المنصور ، ثم ولي البحرين له أيضا وعزله بعد ذلك وولى للمهدى طبرستان وعزله عنها ( ابن الأثير ) .  
(٢) الرقيم : لوح كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف  
(٣) في الأغاني : « بالثيم » .  
(٤) في الأغاني : « وقد كافأتك عن قومك » .

قال : تَهَيِّبِينَ لِي جَارِيَةً مِنْ جَوَارِيكَ تُوْنَسِي وَتَرْفُقُ بِي ، وَتُرِيحُنِي مِنْ عَجُوزٍ عِنْدِي ، قَدْ أَكَلَتْ رِفْدِي ، وَأَطَالَتْ كَدِّي ، وَقَدْ عَافَ جَلْدِي جَلْدَهَا ، وَتَمَنَيْتُ بُعْدَهَا ، وَتَشَوَّقْتُ فَقْدَهَا . فَضَحَكَ الْخَيْرَانُ وَقَالَتْ : سَوْفَ أَمُرُكَ بِمَا سَأَلْتَ . فَلَمَّا رَجَعْتُ تَلَقَّاهَا وَأَذْكَرَهَا ، وَخَرَجَ مَعَهَا إِلَى بَغْدَادِ فَأَقَامَ حَتَّى غَرَضَ (١) .

ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفعت إليها رقعة قد كتبها إلى الخيران فيها :

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ	هـ	يَا أُمَّ عَبِيدَةَ
إِنَّهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ	هـ	وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
وَعَدَّتْنِي قَبْلَ أَنْ تَخْذُ	رُجَّ	لِلْحَجِّ وَلِيَدَهُ
فَتَأْتِيَتْ وَأَرْسَلَتْ	تُ	بِعِشْرِينَ قَصِيدَةً
كَلَّمَا أَخْلَقْنَ أَخْلَفَتْ	تُ	لَهَا أُخْرَى جَدِيدَةً
لَيْسَ فِي بَيْتِي لِتَهْيِيبِ	بِدِ	فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَةٍ
غَيْرِ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ	سَاقُهَا	مِثْلُ الْقَدِيدَةِ
وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو	تِ	طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةٍ
مَا حَيَاةٌ مَعِ أَنتَى	مِثْلُ	عَرْسِي بِسَعِيدَةٍ

فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا ضَحَكَتْ ، وَاسْتَعَادَتْ مِنْهَا قَوْلَهُ :

وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو تِ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَةٍ

وَجَعَلَتْ تَضْحَكَ ، وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَّقَةَ فَقَالَتْ لَهَا : خَذِي كُلَّ مَالِكٍ فِي قَصْرِي ، فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ دَعَتْ بَعْضَ الْخُدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَلِّمِي أَبَا دُلَامَةَ (٢) ،

(١) غرض : مل وضجر .

(٢) ١ : « إلى أبي دلامة » :

فانطلقَ الخادمُ بها فلم يصادِفُه في منزله ، فقال لامراته : إذا رجع أبو دُلّامة فادْفَعِيها إليه ، وقولي له : تقول لك السيِّدة : أحسن صحبة هذه الجارية ، فقد آثرْتُكَ بها ، فقالت له : نعم ؛ فلما خرج دخل أُنْبها دُلّامة فوجدها تبكي ، فسألها عن خبرِها ، فأخبرته وقالت له : يا وَلَدِي ، إن أردت أن تَبَرِّتني يوماً من الأيام فاليوم ، قال : قولي ما شئت ، فإني أفعله . قالت : تَدْخُل عليها فتُعَلِّمها أنك مالِكُها فتطوُّها ، فتحرِّمها على أبيك . وإلا ذهبتُ بعقله وجفاني وجفائك . ففعل دُلّامة ذلك ، ودخل إلى الجارية ووطئها ووافقها ذلك منه ، وخرج ، فدخل أبو دُلّامة فقال لامراته : أين الجارية ؟ قالت : في ذلك البيت ، فدخل إليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهبٌ ، فدَّ يده إليها ، وذهب بها ليقبِّلها ، فقالت : مالكَ وَبِلِكَ ! تَنَحَّ وإلا لَطَمْتُكَ لطمَةً دَقَّتْ أنفك بها ، فقال لها : أهذا أوصتِكِ السيِّدة ؟ قالت : إنها بعثتُ بي إلى فتى من حاله : كَيْتَ وكَيْتَ ، وقد كان عندي آنفًا ، ونال مِنِّي حاجته ، فعلم أنه قد دُهِى من أمِّ دُلّامة وأُنْبها ، فخرج إلى دُلّامة فلطمه ، وتلبَّب به (١) وحلف أنه لا يُفارقُه [إلا] (٢) إلى المهديّ ، ففضى متلبِّبًا حتى وقفَ بباب المهديّ ، فعرَّف خبره ، وأنه قد جاء بأبنه على تلك الحال ، فأذن له .

فلما دخل قال له : ما لكَ وَبِلِكَ ! قال : عمِل بي هذا أُنْبُ الخبيثة مالَمَ يَمْلَهُ ولدُ أبيه ، ولا يُرضيني إلا أن تَقْتله : فقال له : وبِلِكَ ! ما فَعَل بك ؟ فأخبره الخبرَ ، فضحك حتى أسقَلَمَ ، ثم جلس . فقال له أبو دُلّامة : كأنك أعجيبك فِعْلُهُ فتَضِحَك منه ! فقال : عليّ بالسَّيف والنَّطع ، فقال له دُلّامة : قد سمعتَ قوله يا أمير المؤمنين فاسْمَعْ حُجَّتِي . قال : هاتِ ، قال : هذا الشيخُ أصفَقُ النَّاسَ وجهاً ؛

(١) تلبب به : أخذ بتلبيبه ، أي جمع ثيابه عند صدره ونحره في الحصومة ثم جره .

(٢) تكلمة من الأغاني .

يُنِيكَ أُمِّي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا غَضِبْتُ ، وَنِيكَتُ أَنَا جَارِيَتَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَغَضِبَ  
وَصَنَعَ بِي مَا تَرَى ! فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ أَشَدَّ مِنْ ضَحِكِهِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ قَالَ : دَعَهَا لَهُ  
يَا أَبَا دُلَامَةَ ، وَأَنَا أَعْطَيْكَ خَيْرًا مِنْهَا . قَالَ : عَلِيٌّ أَنْ تَخَبَّأَهَا لِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛  
وَإِلَّا نَاكَهَا وَاللَّهِ كَمَا نَاكَ هَذِهِ ؛ فَتَقَدَّمَ إِلَى دُلَامَةَ الْأَيُّمِ مِثْلَ هَذِهِ الْفَعْلَةِ ،  
وَحَلَفَ أَنَّهُ إِنْ عَاوَدَ قَتَلَهُ ، وَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً أُخْرَى كَمَا وَعَدَهُ .

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ شَاعِرٌ يُنَشِّدُهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ :  
إِنَّهُ أَجْهَدَ نَفْسَهُ لَكَ فَأَجْهَدَ نَفْسَكَ لَهُ . فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : وَأَيُّكَ إِنَّهَا كَلِمَةٌ عِذْرَاءُ  
مِنْكَ ، وَأَحْسَبُكَ تَعْرِفُهُ ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ ، وَلَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا ، فَأَمَرَ  
لِلشَّاعِرِ بِجَازَةٍ ، وَلِأَبِي دُلَامَةَ بِمِثْلِهَا لِحُسْنِ مَحْضَرِهِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُقْبِلِيُّ : رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي دُلَامَةَ فِي الصَّيْفِ فَرَوَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ :  
أَلَا تَمَلُّ هَذِهِ ؟ فَقَالَ : زُبٌّ مَمْلُولٌ لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ ! فَزَعْتُ فَاذِلَّ ثِيَابِي فِي مَوْضِعِي  
وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ .

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ بْنُ عَدِيِّ : دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ يَوْمًا فَخَازَنَتْهُ سَاعَةً وَهُوَ  
يَضْحَكُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ أَحَدٍ لَمْ يَصِلْكَ ؟ قَالَ : إِنْ أَمَّنْتَنِي أَخْبَرْتُكَ ،  
وَإِنْ أَعْفَيْتَنِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ : بَلْ تُخْبِرُنِي وَأَنْتَ آمِنٌ ، قَالَ : كَلِّهُمُ قَدْ وَصَلَنِي  
إِلَّا حَاتِمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَمُّكَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ . فَأُلْتَفْتُ إِلَى  
خَادِمٍ وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ : جَأُ<sup>(١)</sup> عُنُقَ هَذَا الْمَاصِّ بِظَرِّ أُمِّهِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ نَظَرَ  
إِلَيْهِ وَصَاحَ عَلَيْهِ أَبُو دُلَامَةَ : تَنَحَّ يَا عَبْدَ السَّوَاءِ ! لَا تُحْنِثْ مَوْلَاكَ وَتَنْقُضْ عَهْدَهُ  
وَأَمَانَهُ ! فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَأَمَرَ الْخَادِمَ فَتَنَحَّى عَنْهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ مِتَّ مَا أَعْطَاكَ

(١) جَأُ : اضْرِبْ ، وَفِي ب ، ج : « هَاتِ » .

عمي شيئاً ؛ فإنه أبخلُ الناس ؛ فقال أبو دُلّامة : بل هو أسخى الناس ! فإن أتيتهُ فأجازني ؟ قال : لك بكلِّ درهمٍ تأخذه منه ثلاثةٌ دراهم .

فانصرف أبو دُلّامة ، حُبَّراً للعباس قصيدةً ، ثم غداً بها عليه ، فأنشده إياها ، وأولها :

فَفَ بِالذِّيَارِ وَأَيَّ الدَّهْرِ لَمْ تَقِفِ عَلَى الْمَنَازِلِ بَيْنَ الظَّهْرِ وَالنَّجْفِ (١)  
وما وقوفُك في أطلالِ (٢) منزلةً

لولا الذي أستدرجتُ من قلبك الكلفِ

فلا وربك لا يشفيك من شغفِ

بالمكرُماتِ وعزٍّ غيرِ مقترفِ (٣)

يُهدى السَّلامُ إلى العباسِ في الصَّحْفِ

قد طالما ضربتَ في اللّامِ والألفِ

إلى معلّمها باللّوحِ والكُتفِ

منها وخيفَ على الإمرافِ والقرفِ (٤)

كما يصونُ تجارُ دُرّةِ الصَّدَفِ

مُبادراً لِصلاةِ الصُّبحِ في السَّدَفِ (٥)

مُطلّةً بينَ سَجفِئِها مِنَ العُرفِ

أخرٌ منكشفاً أم غيرَ منكشِفِ

إن كنتَ أصبحتَ مشغوفاً بساكنها

دَعَا وَاقُلْ لِلَّذِي قَدْ فَازَ مِنْ مُضَرٍ

هذِي رسالةُ شَيْخٍ مِنْ نَبِيِّ أُسْدٍ

تُحطُّها مِنْ جَوَارِي الْمِصْرِ كاتِبَةٌ

وطلما اختلفتُ صيفاً وشاتيةً

حتّى إذا نهدتُ التَّدْيَانَ فأمّتلاً

صينتُ ثلاثَ سنينٍ ما ترى أحداً

فبينما الشَّيْخُ يَهْوِي نَحْوَ مَسْجِدِهِ

حانتَ لَهُ لَمِحَةٌ مِنْهَا فَأَبْصَرَهَا

نَحْرًا وَاللَّهِ مَا يَدْرِي غَدًا تَنْزِدِ

(١) الظهر : موضع بعينه ، والنجف : موضع بالكوفة .

(٢) ب ، ج : « بالأطلال » ، وما أتيتهُ من الأغانى .

(٣) مقترف : مكتسب .

(٤) القرف : التهمة .

(٥) السدف : الظلمة .

وجاءه الناس أفواجا بما هم  
 ووسوسوا بقران في مسامعه  
 شيئا ولكنه من حب جارية  
 قالوا: لك الويل ما أبصرت قلت لهم:  
 أبصرت جارية مملوكة لهم  
 فقلت: أيكم والله يأجره  
 فقام شيخ بهي من رجالهم  
 فابتاعها لي بألفي درهم فأتى  
 فبيت الثمها طورا وأزماها  
 فبين ذلك كذا إذ جاء صاحبها  
 وذكر حق علي زيد وصاحبه  
 وبين ذلك شهود لا يضرهم  
 فإن يكن منك شيء فهو حقهم

ليفسلوا الرجل المعشى بالنطف (١)  
 مخافة الجن والإنسان لم يخف  
 أمسى وأصبح من موت على شرف (٢)  
 جنية أفسدتني من بني خلف  
 تطلعت من أعالي القصر ذي الشرف  
 يمين قوته فيها على ضعف؟  
 فد طالما خدع الأقوام بالخلف  
 بها إلى وألقاها على كتفي  
 طورا، وأصنع بعض الشيء في اللحف  
 يبغي الدرهم بالميزان ذي الكنف  
 والحق في طرف والظن في طرف (٣)  
 أكنت معترفا أم غير معترف  
 أولا فإني مدفوع إلى التلف

قال: فضحك العباس، وقال: ويحك! أصادق أنت؟ قال: نعم والله!  
 قال: يا غلام، ادفع إليه ألفي درهم ثمنها. فأخذها، ثم دخل على المهدي فأخبره  
 بما أحتال له به، فأمر له المهدي بستمائة ألف درهم، وقال له المهدي: وكيف  
 لا يضرهم ذلك؟ قال: لأنني مُدعِمٌ لا شيء عندي.

(١) النطف: جمع نطفة؛ وهو الماء الصافي قل أو أكثر.

(٢) في الأغاني: «أمسى وأصبح موقوفا على التلف».

(٣) كذا في ب، وفي ج: «والعين في طرف»، وفي الأغانى: «والطين في طرف».



وقيل : إن العباس بن محمد قال له : شاركني في (١) هذه الجارية ، قال : أفلئ  
ذلك على شريطة ، قال : ماهي ؟ قال : الشراكة لا تكون إلا مُفَاوِضَةً (٢) ، فأشترت  
معهما أخرى ؛ ليعت كل واحد منّا إلى صاحبه ما عنده ، ويأخذ الأخرى مكانها  
ليلةً وليلة .

فقال له العباس : قَبَحَكَ اللهُ ؛ وَقَبِحَ مَا جِئْتَ بِهِ ! خُذِ الدَّرَاهِمَ لَا بَارَكَ اللهُ  
لَكَ فِيهَا وَأَنْصِرْ .

كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حُرُوبِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فدعا رجلٌ إلى  
البراز ، فقال له أبو مسلم : ابرُزْ إليه ، فقال :

أَلَا لَا تَلْمُنِي إِنْ فَرَرْتُ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تَحَطَّمَا  
فَلَوْ أَنَّنِي فِي السُّوقِ أَتْبَاعُ مِثْلَهَا وَحَقَّكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أُتَقَدِّمًا (٣)

فضحك وأعفاه .

نزل أبو دلامة بالكوفة ، فأتاه أضيافٌ له ، فقَرَّاهُم (٤) ، وبعث إلى نَبَاذَةٍ يقال  
لها : دَوْمَةٌ ، فبعثت إليهم جَرَّةً نَبِيدٍ فشرِبوها ، ثم أعاد فبعثت إليهم أخرى ، ثم  
جاءت تقاضاه الثمن ، فقال : ليس عندي ثمنٌ ، ولكنتي أمدحك بما هو خيرٌ  
من نبيدك ، وقال :

أَلَا يَدَوْمٌ دَامَ لَكَ النَّعِيمُ وَأَحْمَرُ مِلْءِ كَفِّكَ مُسْتَقِيمٌ  
شَدِيدُ الْأَصْلِ يَنْبُضُ حَالِبَاهُ (٥)

(١) كذا في الأغانى ، وفي ب ، ج : « على » .

(٢) شركة الفأوضة : هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان .

(٣) في الأغانى : « وجدك ما باليت » .

(٤) في الأغانى : « ففداهم » .

(٥) في الأغانى : « ينبذ » ، وهما بمعنى .

يُرَوِّيه الشَّرَابُ وَيَزِدُّهُمِهُ وَيَنْفُخُ فِيهِ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ (١)

فَسَرَّتْ النَّبَاةُ وَقَالَتْ : هَذَا عَجَبٌ إِلَى مِنَ النَّبِيدِ !

دخل أبو دُلَامَةَ على إِسْحَاقَ الأَزْرَقِ يَمُودُهُ ، وكان إِسْحَاقُ قد مَرَضَ مَرَضًا شَدِيدًا ، ثم أَفَاقَ وَبَقِيَ فِي ضَعْفِهِ ، وعند إِسْحَاقَ طَبِيبٌ يَصِفُ لَهُ أَدْوِيَةً تُقَوِّى بَدَنَهُ ، فقال أبو دُلَامَةَ للطَّيِّبِ : يَا بَنَ الكَافِرِ ، أَتَصِفُ هَذِهِ الأَدْوِيَةَ لِرَجُلٍ قد أَضَعَفَهُ المَرَضُ ؟ مَا أَرَدْتَ وَاللَّهِ إِلا قَتْلَهُ ، ثم التفتَ إلى إِسْحَاقَ فقال : اِصْبَحْ مِنِّي قال : هَاتِ يَا أَبَا دُلَامَةَ ، فَأَنْشُدَهُ :

نَحَّ عَنْكَ الطَّيِّبَ وَأَسْمَعُ لَوْصَفِي (٢)	إِنِّى نَاصِحٌ مِنَ النَّصَّاحِ
ذو تَجَارِيِبَ قد تَغَلَّبْتُ فِي الصِّحَّةِ	عِة دَهْرًا وَفِي السَّقَامِ المُتَّاحِ
غَادِ هَذَا الكِبَابَ كُلَّ صَبَاحٍ	مِن مُتَوْنِ الفَتِيمةِ السُّحَّاحِ (٣)
فَإِذَا مَا عَطِشْتَ فَأُشْرِبُ ثَلَاثًا	مِن عَنقِ فِي الشَّمِّ كالتَّفَّاحِ
ثُمَّ عِنْدَ المَسَاءِ فَأَعْكُفُ عَلى ذَا	وعلى ذَا بأَعْظَمِ الأَفْذَاحِ
فَتَقْوَى ذَا الضَّعْفِ مَنكَ وَتُلْقَى	عَن لِيَالٍ أَصَحَّ هَذِي الصِّحَّاحِ (٤)
ذَا شِفَاءٍ فَدَعُ مَقَالَةَ هَذَا	نَاكَ ذَا أُمَّةِ رَبِّ رِبَاحِ

فَضَحَكَ إِسْحَاقُ وَعَوَّادُهُ ، وَأَمَرَ لِأَبِي دُلَامَةَ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ الطَّبِيبُ - وَكَانَ حَيْرِيًّا (٥) نَصْرَانِيًّا : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ يَا رَكُلَ - (يَعْنِي يَا رَجُلَ) أَقْبِلْ مِنْهُ (٦) أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؛ وَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ بِمُحْضَرَتِهِ .

(١) لم يرد هذا البيت في رواية الأغاني .

(٢) في الأغاني : « لتعني » .

(٣) السحاح : السمان ، واحداها ساح وساحة ، بالماء المشددة .

(٤) عن ليال ، أى بعد ليال .

(٥) ساقطة من الأغاني .

(٦) في الأغاني : « اقبل مني » .

فقال أبو دلامة : أما وقد أخذتُ أجرة صفتي ، وقضيتُ الحقَّ في نُصحِ  
صديق ، فأنتُ له الآن ما أحببت .

دخل أبو دلامة على المهديِّ ، وبين يديه سلّمةُ الوصيف ، واقفاً ، فقال له :  
إني قد أهديتُ لك مهرًا ليس لأحدٍ مثله ، فإن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تشرَّفتني  
بقبوله ! فأمره بإدخاله [إليه] <sup>(١)</sup> فخرج أبو دلامة ، ودخل بدابته الذي <sup>(٢)</sup> كان  
تحتَه ، فإذا هو برذونٍ محطَّمٌ عجفُ هرْمٌ ، فقال له المهديُّ : أيشِ هذا ويَلِك !  
المُ تزعمُ أنه مهرٌ ! فقال له : أوليس هذا سلّمةُ الوصيفَ بين يديكَ له ثمانون  
سنة ، وهو عندك بعدُ وصيف ! فإن كان سلّمةُ وصيفًا فهذا مهرٌ . فجعلَ سلّمةُ  
يشتُمه ، والمهديُّ يضحك ، ثم قال لسلّمة : وَيَلِك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن  
أتى بمثلها في محفلٍ ! فضحك <sup>(٣)</sup> ، فقال أبو دلامة : إى والله يا أميرَ المؤمنين  
لأفضحنه ! فليس من مواليك أحدٌ إلّا وقد وصلني غيره ، فأني ما شربتُ له الماءَ  
قط . فقال : قد حكمتُ عليه أن يشتريَ نفسه منك بألف درهمٍ حتى يتخلَّصَ من  
يديك ، قال : قد فعلتُ على الأيعاود . فقال له : ماترى ؟ قال : أفعلُ ؛ فلولا أنني  
ما أخذتُ منه قط شيئًا ، ما استعملت معه هذا ، فمضى سلّمةُ فحملها إليه .

جاء ابنُ أبي دلامةَ يوماً إلى أبيه وهو في محفلٍ من حيرانه وعشيرته جالس ،  
فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إنَّ شيخِي كما ترون قد كبرتُ  
سنه ، ورقَّ جلده ، ودقَّ عظمه ، وبنا إلى حياته حاجةٌ شديدة ، ولا أزال أُشير  
عليه بشيءٍ يُمسك رَمَقَهُ ، ويبيّ قوَّته <sup>(٤)</sup> فيخالفي فيه ، وإني أسألكم أن تسألوه

(١) من الأغاني .

(٢) الدابة تذكر وتؤنث ؛ وفي الأغاني : « دابته التي كانت تحتَه » .

(٣) ب ، ج : « يفضحك » .

(٤) ب ، ج : « قوامه » .

قضاء حاجة لى ، أذكرها بحضرتكم ، فيها صلاحُ جسْمِه ، وبقاء حيايَه ؛ فأسعِفُونِي بِسَأَلْتِه مَعِي ، فَقَالُوا : نَفْعَلُ حُبًّا وَكِرَامَةً ، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى أَبِي دُلَامَةَ بِالْسُنْتِهِمْ ، فَتَنَاوَلُوهُ بِالْعِتَابِ حَتَّى رَضِيَ ابْنُهُ وَهُوَ سَاكِتٌ . قَالَ : فَقَوْلُوا لِلْخَبِيثِ فَلْيَقْبَلْ مَا يَرِيدُ فَسَتَعْمَلُونَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِلَيْتِيَةٍ . فَقَالُوا لَهُ : قُلْ : فَقَالَ : [ إِنْ ] <sup>(١)</sup> أَبِي إِنَّمَا يَقْتُلُهُ كَثْرَةُ الْجَمَاعِ ، فَعَمَّا وَنُونِي عَلَيْهِ حَتَّى أَخْصِيهِ ؛ فَإِنْ يَقْطَعَهُ عَنْ ذَلِكَ غَيْرُ الْخِصَاءِ ، فَيَكُونُ أَصْحَحَ لْجِسْمِهِ ، وَأَطْوَلَ لِعَمْرِهِ ، فَمَجِبُوا مِمَّا أَتَى بِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْثَبَ بِأَبِيهِ وَيُنْجِلَهُ حَتَّى يَشْمِيعَ ذَلِكَ عَنْهُ ، فَيَرْتَفِعَ لَهُ بِهِ ذِكْرٌ .

فَضَحِكُوا مِمَّا أَتَى بِهِ ؛ ثُمَّ قَالُوا لِأَبِي دُلَامَةَ : قَدْ سَمِعْتَ فَأَجِبْ ، قَالَ : قَدْ سَمِعْتُمْ أَنْتُمْ ، وَعَرَفْتُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِخَيْرٍ ، قَالُوا : فَمَا عِنْدَكَ فِي هَذَا ؟ قَالَ : قَدْ جَعَلْتُ أُمَّهُ حَكَمًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَعَمَّمُوا بِنَا إِلَيْهَا ، فَعَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا أَبُو دُلَامَةَ الْقِصَّةَ ، وَقَالَ : قَدْ حَكَمْتُكَ ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَقَالَتْ : إِنْ أَبْنَى هَذَا - أَبْقَاءَ اللَّهِ - قَدْ نَصَحَ أَبَاهُ ، وَلَمْ يَأَلْ جُهْدًا ، وَإِنِّي إِلَى بَقَائِهِ أَحْوَجُ مَنِّي إِلَى بَقَائِ أَبِيهِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ تَقَعْ بِهِ تَجْرِبَةٌ مِنَّا ، وَلَا جَرَتْ بِمِثْلِهِ عَادَةٌ لَنَا ، وَمَا أَشْكُ فِي مَعْرِفَتِهِ بِذَلِكَ ، فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ فَلْيَخْصِصْهَا ، فَإِذَا عَوَى وَرَأَيْنَا ذَلِكَ قَدْ أَثَّرَ عَلَيْهِ أَثْرًا مَحْمُودًا اسْتَعْمَلَهُ أَبُوهُ . فَنَعَرَ <sup>(٢)</sup> أَبُوهُ ، وَضَحِكَ مِنْهُ وَخَجَلَ ابْنُهُ ، وَانصَرَفَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَيَعْجَبُونَ مِنْ خُبْرِهِمْ جَمِيعًا ، وَاتَّفَقَهُمْ [ فِي ذَلِكَ الْمَذْهَبِ ] <sup>(٣)</sup> .

كَانَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ نَبِيِّ مَرْوَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَيْهِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَأُتِيَ الْمَهْدِيُّ

(١) مِنَ الْأَغَانِي .

(٢) نَعَرَ : صَاحَ .

(٣) تَكْمَلَةٌ مِنَ الْأَغَانِي .

بعلج<sup>(١)</sup> ، فأمر المرؤاني بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فصر به ، فنبأ السيفُ عنه ، فدحا به<sup>(٢)</sup> المرؤاني ، وقال : لو كان هذا من سيوفنا مائناً .

فسمع المهديّ الكلام ، فغاظه حتى تغير وجهه ، وبان فيه ، فقام يقطين<sup>(٣)</sup> فأخذ السيف ، وحسّر عن ذراعيه ثم ضرب العليج فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه السيوفُ سيوفُ الطاعة ، ولا تعمل إلا في أيدي الأولياء ، ولا تعمل في أيدي أهل المعصية ، ثم قام أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين : [ قد حضرني بيتان ، أفأقولهما ؟ قال : قل ، فأنشده ]<sup>(٤)</sup> :

أيُّ هذا الإمامُ سيفك ماضٍ وبكفّ الولى غيرُ كهام<sup>(٥)</sup>  
فإذا ما نبأ بكفّ علمنا أنها كفّ مُبغض للإمام  
فسرّى عن المهديّ ، وقام عن مجلسه ، وأمر بقتل المرؤاني ، فقتل .

(١) العليج : الرجل من كفار المعجم .

(٢) في الأغاني : « فرمى به » ، وبما يعنى .

(٣) هو يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدعاة ، وانظر أخباره في الفهرست لابن النديم

(٤) تكملة من الأغاني .

(٥) الكهام من السيوف : الكليل الذي لا يقطع .

## زهير بن أبي سلمى \*

هو زهير بن أبي سلمى - واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح - بن قرة بن الحارث ابن مازن بن ثعلبة ، بن ثور بن هرمة بن لاطم<sup>(١)</sup> بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . ومزينة أم عمرو بن أد ، هي بنت كلب ابن وبرة .

هو أحد الثلاثة المتقدمين على سائر الشعراء ، وإنما اختلف في تقديم بعضهم<sup>(٢)</sup> على صاحبيه ؛ فأما الثلاثة فلا خلاف فيهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني .

وكان يقال : شاعر أهل الجاهلية زهير .

قال عكرمة بن جرير : قلت لأبي : يا أبت ، من أشعر الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قال : قلت : ما أردت إلا الإسلام ، فإذا كنت قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير أشعر أهلها ، قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبع الشعر ، قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد مدح الملوك ويصف المحر فيصيب .

قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : نحررت الشعر نحرأ .

---

\* ترجمته في الأغاني ١٠ : ٢٨٨ - ٣١٦ (طبعة دار الكتب)

(١) كذا في ١ ، وفي ب ، ج : « هرمة لاطم » وفي الأغاني : « هرمة بن الأصم » وفي طبقات

الشعراء لابن سلام : « هدمة بن لاطم » .

(٢) في الأغاني : « في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه » .

وقيل : استحق زهير التَّقدِمةُ لأنَّه كان لا يُعَاظِلُ<sup>(١)</sup> في الكلام ، ويحتجِبُ وحشيَّه ، ولا يمدِّحُ أحداً إلا بما فيه .

قال ابنُ عباسٍ : خرجتُ مع عُمر بنِ الخطَّابِ في أوَّلِ غزوةِ غَزَاها ، فقال لي ذاتَ ليلةٍ : يا بنَ عَبَّاسٍ ، أنشدني لشاعرِ الشعراءِ ، قلت ، ومن هو ؟ قال : ابنُ أبي سُلَيمٍ ، قلتُ : ولم صار ذلك ؟ قال : لأنَّه لا يتَّبِعُ حوشيَّ الكلام ، ولا يُعَاظِلُ بينَ المنطِقِ ، ولا يقولُ إلا ما يَعْرِفُ ، ولا يمدِّحُ الرجلَ إلا بما يكونُ فيه ، أليس هو الذي يقول :

ولو كانَ مُحَمَّدًا يُخَلِّدُ النَّاسَ لَمْ يَمِتْ      ولكنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخَلِّدٍ  
أنشدني له ، فأنشدته حتى برقَ الفجرُ ، فقال : حسبك الآن ، فافقرأ القرآن ، قلتُ : ما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتها ، فنزل فأذن فصلى .

وروي أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم نظر إلى زهير بنِ أبي سُلَيمٍ ، وله مائةُ سنةٍ ، فقال : اللهمَّ أعدني من شرِّ شيطانِه ، فما لأكَ بيتًا حتى مات .

وكان زهيرٌ وأهلُ بيته من مُرَيِّنةٍ ، وكان بنو عبدِ اللهِ بنِ غطفانَ جيرانهم ، وكان أبو سُلَيمٍ قد خرج هو وخاله أسعدُ بنُ الغديرِ بنِ سهمِ بنِ مُرَّةِ بنِ عوفِ ابنِ سعدِ بنِ ذُبْيَانَ بنِ بغيضٍ ، وابنه كعبُ بنُ أسعدِ بنِ ناسِ بنِ بني مُرَّةٍ ، يُنِيرُونَ على طَيِّبٍ ، فأصابوا نعمًا كثيرةً وأموالاً ، فرجعوا حتى أتتهوا إلى أرضهم ، فقال أبو سُلَيمٍ لخاله أسعدُ ولابنه<sup>(٢)</sup> كعب : أفرِّدوا لي سهمي ، فأبىا عليه ومنماه حقه ، فكفَّ عنهما ؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أمه فقال : والذي يُحَلِّفُ به التَّقْوَمُ منَّ إلى

(١) يعاظم في الكلام ؛ أي يحمل بفضه على بعض ، ويتكلم بالرجوع من القول ، ويكرر اللفظ والمعنى ويعقده ، وكل شيء ركب شيئاً فقد عاظمه . اللسان (عطل) .

(٢) في الأغاني : « وابن خاله كعب » .

بميرٍ من هذه الإبل ، فلتقعدنَّ عليه ، أو لأضربنَّ بسيفي تحت قرطيك ، فقامت  
أمُّه إلى بميرٍ منها فاعتنقت سنَّامه ، وساق بها أبو سلمى سوفاً عنيفاً ، وهو يرتجز  
ويقول :

وَيْلٌ لِأَجْمَالِ الْعَجُوزِ مِنِّي إِذَا دَنَوْتُ أَوْ دَنَوْتُ مِنِّي  
\* كَأَنِّي سَمَمَعٌ مِنْ جِنٍّ (١) \*

وساقَ الإبلَ وأمَّه حتَّى انتهى إلى قومه مُزَيَّنةً ، فذلك (٢) حين يقول :  
وَلتَعْدُونَ إِبِلٌ مَجْنَبَةٌ مِنْ عِنْدِ أَسْمَدَ وَأَبْنَه كَعِبِ  
- مَجْنَبَةٌ : مَجْنُوبَةٌ - .

الآكلين صريح قومها أكل الحبارى برعم الرطب (٣)  
البرعم : شجر له نور . فلبث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمزينة مُغيَراً على بني ذُبَيَّانَ ؛  
حتى إذا مُزَيَّنةٌ أمهلت وخَلَّفت بلادها ، ونظروا إلى أرض عَظْفَانَ تطايروا  
عنه راجعين ، وتركوه وحده ، فأقبل وحلَّ في أخواله بني مُرَّة ، فلم يزل هو  
وولده في بني عبد الله بن عَظْفَانَ إلى اليوم .

وكان زهيرٌ قد امتدح هَرِمَ بنَ سِنَان ، والحارث بنَ عوفِ الرِّبِيِّ وقال ذلك  
في قتلِ وَرْدِ بنِ حَابِسِ العَبْسِيِّ ، لهَرِمِ بنِ ضَمْضَمِ المُرِّيِّ قصيدته التي أولها :

\* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ \*

وهذا هَرِمِ بنُ ضَمْضَمِ هو الذي قال عنتره فيه وفي أخيه :  
ولقد خَشِيتُ بأنَّ أموتَ ولم تَدْرُ لِلحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَيَّ أُنْتَى ضَمْضَمِ

(١) في الأغاني : « سممع : لطيف الجسم قليل اللحم » .

(٢) في الأغاني : « حيث يقول » .

(٣) الحبارى : طائر يضرب به المثل في البلاءة والحق ؛ وهو طائر صحراوي يبيض في الرمال

النائية . والرطب : المرعى الأخضر من البقل والشجر .



وكان هَرِمٌ قد قُتِلَ في حربِ عَبَسَ وذُبْيَانَ قبلَ الصُّلْحِ ، وكانَ قَتَلَهُ وَرَدَ ابنُ حابِسِ العبَسِيُّ ، وكانَ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمٍ قد حَلَفَ ألا يَفْسِلَ رأسَهُ حتَّى يَقْتُلَ وَرَدَ بْنَ حابِسٍ أو رجلاً من بني عَبَسَ ، ثمَّ من بني غالب ، ولم يَطَّلِعْ على ذلك أحد . وقد حَمَلَ الحِجَالَةَ الحارثُ بْنُ عَوْفِ بْنِ أَبِي حارِثَةَ . وقيل : بل أخوه خارِجَةُ<sup>(١)</sup> بنِ سِنان .

قال : فأقْبَلَ رجلٌ من بني عَبَسَ ، ثمَّ أحدُ بني مَخْزُومٍ ؛ حتَّى نزلَ بِحُصَيْنِ بْنِ ضَمْضَمٍ فقال له حُصَيْنُ : مَنْ أنتَ ؟ قال : عَبِيسِيُّ . قال : مِنْ أَىِّ عَبَسَ ؟ فانتَسَبَ إلى غالب ، فقتلَهُ حُصَيْنُ . وبلغَ ذلك الحارثُ بْنُ عَوْفٍ وهَرِمٌ بنِ سِنان ، فأشدَّتْ عليهما ، وبلغَ ذلك بني عَبَسَ ، فركبوا نحوَ الحارثِ ، فلما بلغه رَكوبُهُم إليه وهم يريدون قتلَ الحارثِ ، بعثَ إليهم بمائةٍ من الإبلِ معها أبنُه ، وقالَ للرَّسُولِ : قلْ لهم : الإِبِلُ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أم أبنِي تَقْتُلُونَهُ مكانَ قَتِيلِكُمْ ؟ قالوا : بل نأخذُ الإِبِلَ ، ونصالحُ قومنا ، ونُنْتِمُّ الصُّلْحَ ، فذلك قولُ زُهَيْرٍ ، وهى أوَّلُ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بها هَرِمًا والحارثَ :

\* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ \*

قال الحارثُ بْنُ عَوْفِ بْنِ أَبِي حارِثَةَ المُرِّيِّ لخارِجَةَ بنِ سِنانِ بنِ أَبِي خارِجَةَ : أترأى أَخْطَبُ إلى أحدٍ فِيرَدَّنِي ؟ قال : نعم . قال : وَمَنْ ذلكَ ؟ قال : أَوْسُ بْنُ خارِجَةَ ابنِ لَأَمِ الطائِيِّ ، فقال الحارثُ لِعَلامِهِ : اِرْحَلْ بنا ، ففَعَلْ ، فَرَكِبَا حتَّى انْتَهِيَا إلى أَوْسٍ ، فوجَداه في ثِنْتَيْ مَنزِلِهِ ، فلما رأى الحارثُ بْنُ عَوْفٍ ، قال : مرحباً بك يا حارِ ! قال : وبِكَ ؛ قال : ما جاء بك يا حارِ ؟ قال : جئتُ خاطباً . قال : لستَ هناك ! فانصَرَفَ ولم يكلمهُ .

(١) في الأغاني : « حارِثَةُ بنِ سِنان » .

ثم دخل أوسُ على امرأته مُغضباً - وكانت من بنى عَبَس - فقالت : مَنْ رَجُلٌ وقف بك فلم يُطِل ولم تُكَلِّمْهُ ؟ قال : ذلك سيِّدُ العرب الحارثُ بن عوف بن أبي حارثة المرِّي . قالت : فما لك لم تَسْتَتِرْ لَهُ ؟ قال : إِنَّهُ أُسْتَحَمَق . قالت : وكيف ؟ قال : إِنَّهُ جاءني خاطباً ، قالت : أفتريد أن تزوجَ بناتِكَ ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوجَ سيِّدُ العرب ، فمَنْ ؟ قال : قد كان ذلك ، قالت : فتداركُ ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : أن تلحقه فترده ، قال : وكيف وقد فرطَ منِّي ما فرطَ إليه ! قالت : تقول له : إِنَّكَ لقيتني وأنا مُغضبٌ بأمرٍ لم تقدّم فيه قولاً ، فلم يكن عندي من الجواب إلا ما سمعت ؟ فانصرف ولك عندي كلُّ ما أحببت . فاستعجل فركب في أثرها .

قال خارِجةُ بن سنان : فوالله إنا لنسير إذ حانت مني التفاتةُ فرأيتُهُ ، فأقبلتُ على الحارث ، وما يكلمني غمًّا . فقلت : هذا أوس في أثرنا ، قال : وما نصنع به ؟ إمض ، فلما رأنا لا نَقِفُ عليه صاح : يا حارِ اربَعِ عليّ ، فوقف له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا ، فلما بلغ أوس منزله قال لزوجته : ادْعِي لي فلانة (أ أكبر بناته) ، فأنته ، فقال : يا بُنيَّةُ ، هذا الحارثُ بن عوف سيِّدُ من ساداتِ العرب ، قد جاءني خاطباً راعباً ، وقد أردتُ أن أزوجَّك منه ، فما تقولين ؟ قالت : يا أبتِ لا تَفْعَلْ ، قال : ولمَ ؟ قالت : لأنِّي امرأةٌ في وجهي رَدَّةٌ<sup>(١)</sup> ، وفي خُلُقِي بمض العُهدة<sup>(٢)</sup> ، ولستُ بأُبنةِ عمِّه فيرعى رَحِمِي ، وليس بجارك فيستحى منك ، ولا آمنُ أن يَرَى منِّي ما يكره فيطلقني ؛ فيكون عليّ في ذلك ما فيه . قال : قومي بارك اللهُ فيك .

(١) الردة : القبح مع شيء من الجمال .

(٢) المهدة : الضعف .

ادْعُوا لِي فَلَانَةَ (لابنته الوسطى) ، فدَعَوْهَا فقال لها مِثْلَ قَوْلِهِ لِأَخْتِهَا ، فَأُجَابَتْهُ بِمِثْلِ جَوَابِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي خَرَفَاءُ ، وَلَسْتُ صَنَاعًا بِيَدِي ، وَلَا آمَنُ أَنْ يَرَى مِنِّي مَا يَكْرَهُ فَيَطْلُقَنِي ، فَيَكُونُ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مَا تَعْلَمُ ، وَلَيْسَ بَابِنِ عَمِّي فَيَرَعَى حَقِّي ، وَلَا جَارِكَ فَيَسْتَحِيَّ مِنْكَ ، قَالَ : قَوْمِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ .

ادْعُوا لِي بُهَيْسَةَ - يعني الصغيرة - فَأْتِي بِهَا ، فَقَالَ لَهَا كَمَا قَالَ لِأَخْتِهَا ، فَقَالَتْ : أَنْتَ وَذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَى أُخْتِكَ فَأَبْتَاهُ ؛ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَكِنِّي الْجَمِيلَةُ وَجَهًّا ، الصَّنَاعُ يَدًا ، الرَفِيعَةُ خُلُقًا ، الْحَسِيْبَةُ أَبًا ، فَإِنْ طَلَقَنِي فَلَا أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ ! فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : قَدْ زَوَّجْتُكَ يَا حَارِ بُهَيْسَةَ بِنْتَ أَوْسٍ ، قَالَ : قَبِلْتُ .

فَأَمَرَ أُمَّهَا أَنْ تَهَيِّئَهَا وَتُصَلِّحَ مِنْ شَأْنِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بَيْتَهُ فَضَرَبَ لَهُ ، وَأَنْزَلَهُ إِيَّاهُ ، وَزَفَّهَا إِلَيْهِ .

قال خارجة : فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج إلي فقلت له : أفرغت من شأنها ؟ قال : لا والله ، قلت : وكيف ؟ قال : لما مددت يدي إليها قالت : مه ! أعند أهلي وإخوتي ! هذا والله ما لا يكون .

قال : فأمر بالرحلة فارتحلنا بها ، فلما سرنا ما شاء الله ، قال لي : تقدمني ، فتقدمت ، وعدل بها عن الطريق ، وما لبث أن لحقني ، فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله ، قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت : أو كما يفعل بالأمة الجليلة ، أو السليبة الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثل !

قال : قلت : والله إني لأرى همةً وعقلاً ، وإني لأرجو أن تكون المرأة منجبةً إن شاء الله .

فلما جئنا بلادنا أحضر الإبل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج إلى ، فقلت :  
أفرغت من شأنك ؟ قال : لا ، فقلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها أريدُها ، وقلت :  
قد أحضرتنا من المال ما ترين ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه  
فيك ، قلتُ : وكيف ؟ قالت : أتتفرغ لنكاح النساء والعرب يُقتل بعضها بعضا .  
- وكان ذلك أيام حرب عبس وذبيان .

قال : فتقولين ماذا ؟ قالت : أخرج إلى هؤلاء القوم فأصليح بينهم ، ثم أرجع  
إلى أهلك فلن يفوتوك<sup>(١)</sup> ، فقلت : والله إنني لأرى همةً وعقلا ، ولقد قالت قولاً .  
قال خارجة : فأخرج بنا ، فخرجنا حتى أتينا القوم ، فأصطحوا على أن تحسب  
القتلى ، ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فحمل الحارث وخارجة الدييات ، فكانت  
ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، وأنصرفا بأجل الذكر ، وهناك قال زهير  
قصيدته التي أولها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ      بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَّشَلِّمْ<sup>(٢)</sup>  
وَذَكَرْهَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، فَقَالَ :  
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا      تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ<sup>(٣)</sup>  
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ      مَعَانِمُ شَسْتَى مِنْ إِفَالٍ مَزَنَمِ<sup>(٤)</sup>

(١) في الأغاني : « فلن يفوتك » .

(٢) أم أوفى ، قيل : هي زوج زهير ؛ وهي غير أم كعب وبجير . والدمنة : ما اسود من  
آثار الديار ، والحومانة : الأرض الغليظة . والدراج والمتشم : موضعان بالهالية .

(٣) منشم ، زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة ، تحالف قوم فأدخلوا يدهم في عطرها ؛ على  
أن يقاتلوا حتى يموتوا ؛ فضرب بها المثل في الشر ، ونقل المثل كما في جمع الأمثال : « أشأم من  
منشم » .

(٤) الإفال : جمع أفيل ؛ وهو الصغير من الإبل . والترنيم : سمة كانت تجعل على ضرب من

يُنَجِّمَهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً<sup>(١)</sup> وَلَمْ يُهْرَيْقُوا بَيْنَهُمْ مِلَّةً مَّحْجَمَةً<sup>(٢)</sup>  
وَذَكَرَ قِيَامَهُمْ فِي ذَلِكَ فَقَالَ :

\* صحاح القلبُ عن سلمى وقد كاد لا يسألو<sup>(٣)</sup> \*

يقول فيها :

تداركتُما الأحلافَ قد نلَّ عرشُها      وذُبيانَ قد زلَّتْ بأخصِصِها النَّعلُ<sup>(٤)</sup>  
وهذه لهم شرفٌ إلى الآن ، ثم عاد فدخل بها ، فولدت له بنين وبنات .

ومما مدح به زهيرٌ هريماً وأهله قوله :

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَأَنْفَرَقَا      وَعَلِقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءِ مَا عَلَقَا<sup>(٥)</sup>  
مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا      يَلْقَى السَّمَاةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا  
لَيْثٌ بَعَثَرٌ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا      مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا<sup>(٦)</sup>  
يَطْمَعُهُمْ مَا أُرْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْعَنُوا      ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا<sup>(٧)</sup>

ومدح أيضا زهيرٌ سنانَ بنِ أبي حارثةَ ، وهو أبو هريم ، وكان سنان قد هوى  
امرأةً فهاج بها ، وتقدّم به الأمرُ حتى فُقد ولم يُعلم له خبر . فقيس : إنَّ أَلِجْنَ  
أَسْتَظَارْتَهُ فَأَدَخَلْتَهُ بِلَادَهَا وَاسْتَفْجَلْتَهُ لِكْرَمِهِ .

(١) الغرامة : ما يلزم أداءه من دية وغيرها . والمحجم : كأس الحجام يعنى أنهما أعطيا  
الديات ولم يكن لهما ذنب .  
(٢) تمامه :

\* وأقبر من سلمى التمانيق فالثقل \*

(٣) الأحلاف : أسد وغطفان .

(٤) الخليط : الخياط .

(٥) عثر : مأسدة بناحية تباله .

(٦) اعتنق : لزق قرنه .

قيل : إنه عاش مائة وخمسين سنة ، فهم على وجهه خرفاً ففقد . وقيل : إنه خرج لحاجته في الليل ، فأبعد ، فلما رجع ضلّ فقام طولاً ليله حتى سقط فمات ، وأتبع قومه أثره ، فوجدوه ميتاً ، ورثاه زهير بأبيات أولها :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَارزِيَّةَ مِثْلَهَا<sup>(١)</sup> مَا تَبْتَغِي غَطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ

قال الأصمعيّ : أنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير في هرم

ابن سنان :

دع ذا وعدّ القول في هرم	خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر	كنت المنور ليلة البدر <sup>(٢)</sup>
وأراك تفرى ما خلقت وبء	ض القوم يخفق ثم لا يفرى <sup>(٣)</sup>
ولأنت أوصل من سمعت به	لشوايك الأرحام والصهر
ولنعم حشو الدرع أنت إذا	دعيت نزال ولج في الدرع
أثنى عليك بما سمعت وما <sup>(٤)</sup>	أسلفت في النجدات من ذكر
والستردون الفاحشات ولا	يلقاك دون الخير من ستر

فقال عمر رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمر لبعض ولد هرم : أنشدني بعض مدائح زهير في أبيك . فأشده ،

فقال عمر : إن كان ليحسن فيكم القول ؛ قال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطيّة . قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

(١) كذا في والأغانى ، وفي ب ، ج : « بعدها » .

(٢) ج : « القدر » ، تصحيف .

(٣) تفرى : تقطع ، وخلقت ، أى قدرت الأديم وهياته للقطع والحرز ، والمعنى أنك تهبأت

لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهبأ له ثم لا يقدم عليه ولا يعضيه .

(٤) في الأغاني : « بما علمت » .

وكان هَرَمٍ قد حلف لا يمدحُه زهيرٌ إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلمُ عليه إلا أعطاه عُروة<sup>(١)</sup> : عبدا أو أمةً أو فرسا؛ فأستحيا زهيرٌ مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملاٍ قال : أنعموا صباحا غير هَرَمٍ ، وخيركم أستثنت .

قال عبدُ الملك بنُ مروان : ما يضرُّ من مُدحٍ بما مدح به زهيرٌ آلَ أبي حارثةٍ ألا يملكُ أمورَ الناسِ (يعنى الخلافة) . والذي قصده عبدُ الملك قوله في آلِ أبي حارثة :

على مُكثريهمُ حقٌّ من يعترهم<sup>(٢)</sup> وعند المُقلين السَّماحةُ والبَذلُ  
فإنه ما تركَ فيهم غنياً ولا فقيراً إلا مدحه .

ولما أنشدَ عثمانُ بنُ عفانَ رضى الله عنه قولَ زهيرٍ :  
ومهما تسكنُ عند أُمري من خليقةٍ وإن خالها تخفى على النَّاسِ تعلمَ  
قال : أحسنَ زهيرٌ وصدق ! ولو أنَّ الرجلَ دخلَ بيتاً في جوفِ بيتٍ لتحدَّثَ به النَّاسُ . وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لا تعملُ عملاً تكرهه أن يُتحدَّثَ به عنك »<sup>(٣)</sup> .

كان عروةُ بنُ الزبيرِ لما قُتل أخوه عبدُ الله بنُ الزبيرِ ، لحق بعبد الملك بنِ مروان ؛ فكان عروةُ إذا دخل منفرداً أكرمه عبدُ الملك ، وإذا دخل إليه وعنده أهلُ الشامِ استخفَّ به ؛ فقال له يوماً : يا أميرَ المؤمنين ، بسَّ المزورُ أنتَ ! تكريمُ زورِك<sup>(٤)</sup> في الخِلا ، وتُهينُهُ في المِلا ، لله درُّ زهيرٍ حيث يقول :

(١) الغرة : الرقيق .

(٢) الأغاني : « رزق من يعترهم » ، ويعترهم : يقصدهم ويطلب ما عندهم .

(٣) في الأغاني : « عنك به » .

(٤) في الأغاني : « ضيفك » .

فَقَرَّرِي فِي دِيَارِكِ إِنْ قَوْمًا مَتَى يَدْعُوا دِيَارَهُمْ يَهُونُوا<sup>(١)</sup>  
 ثم أَسْتَأْذِنُهُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَضَى حَوَائِجَهُ ، وَأَذِنَ<sup>(٢)</sup> لَهُ .  
 وَكَانَ أَبُو سُؤْلَمَى تَزُوجَ ابْنَةَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَفْمٍ<sup>(٣)</sup> . بِنِ مَرَّةِ بْنِ عَوْفِ بْنِ  
 سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ ، يُقَالُ لَهُ : الْغَدِيرُ ، وَالغَائِرُ ، وَالغَادِرُ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زُهَيْرًا وَأَوْسًا .  
 وَكَانَ زُهَيْرٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَيِّدًا كَثِيرَ الْمَالِ ، حَلِيمًا ، وَرِعًا . وَكَانَ لِأَبِي سُؤْلَمَى خَالٌ  
 هُوَ بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِيرِ ، وَكَانَ زُهَيْرٌ مَنَقَطًا إِلَيْهِ وَكَانَ يُعْجِبُهُ شَعْرَهُ ، وَكَانَ بَشَامَةُ  
 رَجُلًا مُقَدَّمًا كَثِيرَ الْمَالِ ، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ، وَكَانَ أَحْزَمَ النَّاسِ رَأْيًا ، وَكَانَتْ غَطَفَانَ  
 إِذَا هَمَّتْ بِغَزْوٍ أَتَوْا إِلَيْهِ فَاسْتَشَارُوهُ<sup>(٤)</sup> وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فَإِذَا رَجَعُوا قَسَمُوا لَهُ  
 مِثْلَ مَا يَقْسِمُونَ لِأَفْضَلِهِمْ ؛ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَثُرَ مَالُهُ ، وَكَانَ أَشْمَرَ غَطَفَانَ فِي زَمَانِهِ .  
 فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ جَعَلَ يَقْسِمُ مَالَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي إِخْوَتِهِ ، فَأَتَاهُ زُهَيْرٌ  
 فَقَالَ : يَا خَالَاهُ ، لَوْ قَسَمْتَ لِي مِنْ مَالِكَ ! فَقَالَ : يَا بِنِ أُخْتِي ، قَدْ قَسَمْتُ لَكَ أَفْضَلَ  
 مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : شِعْرِي وَرِثَتِي<sup>(٥)</sup> ، [ وَقَدْ كَانَ زُهَيْرٌ قَبْلَ ذَلِكَ  
 قَالَ الشَّعْرَ ، وَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ ]<sup>(٦)</sup> ، فَقَالَ زُهَيْرٌ : الشَّعْرُ شَيْءٌ<sup>(٧)</sup> قَلْتُهُ ، فَكَيْفَ  
 تَعْتَدُّ بِهِ عَلَيَّ ! فَقَالَ بَشَامَةُ : وَمَنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهِ ؟ لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّكَ جِئْتَ بِهِ مِنْ  
 مُزَيْنَةَ ! قَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّ حَصَانَتَهَا وَعَيْنَ مَائِهَا فِي الشَّعْرِ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ غَطَفَانَ ،  
 ثُمَّ لِي مِنْهُمْ وَقَدْ وَرِثْتَهُ مِنِّي ، ثُمَّ أَحْذَاهُ<sup>(٨)</sup> نَصِيبًا مِنْ مَالِهِ وَمَاتَ .

(١) كَذَا فِي الْأَغْنَى ، ب ، ج . وَفِي أ : « فَعَلِي » .

(٢) ب ، ج : « ثُمَّ أَدْنَى لَهُ » .

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَغْنَى : « فَهْر » .

(٤) كَذَا فِي أ ، وَالْأَغْنَى ، وَفِي ب ، ج : « فَاسْتَأْمَرُوهُ » .

(٥) ب ، ج : « وَرِثَتِهِ » .

(٦) زِيَادَةٌ مِنْ رِوَايَةِ الْأَغْنَى .

(٧) الْأَغْنَى : « الشَّعْرُ شَيْءٌ مَا قَلْتُهُ » .

(٨) أَحْذَاهُ : أَعْطَاهُ .



وَبَشَامَةُ شَاعِرٍ مُجِيدٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي قِطْعًا      مَاذَا مِنَ الْفَوْتِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ<sup>(١)</sup>  
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَا حُ بِهِ      لِلخَائِبِينَ فَإِنِّي لِنَيْنُ الْعُودِ  
وَأُمُّ أَوْفَى الَّتِي سَبَبَ بِهَا زُهَيْرٌ فِي شِعْرِهِ هِيَ زَوْجَتُهُ ، وَلِدَتْ مِنْهُ أَوْلَادًا  
وَمَاتُوا ، وَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا أَمْرَأَةً أُخْرَى ، وَهِيَ أُمُّ أَبْنَيْهِ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ ، فَغَارَتْ مِنْ ذَلِكَ  
فَأَذَتْهُ فَطَلَّقَهَا ، ثُمَّ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ :

لَعَمْرُكَ وَالْخَطُوبُ مَمِيرَاتٌ      وَفِي طَوْلِ الْمَعَاشِرَةِ التَّقَالِي  
لَقَدْ بَالَيْتُ مَطْمَنَ أُمِّ أَوْفَى      وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى لَا تَبَالِي<sup>(٢)</sup>

وكان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه ، حسن الشعر ، فأهدى رجلٌ  
إلى زهير بُرْدَيْنِ فَلَبِسَهُمَا سَالِمٌ ، وَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ ، فَرَمَتْ بامرأة من العرب على ماء  
يقال له النِّتَاءُ<sup>(٣)</sup> ، فقالت : مارأيتُ كاليوم قط رجلا ، ولا بُرْدَيْنِ ولا فرسًا ، فمتر  
[ به ]<sup>(٤)</sup> الفرسُ فاندقت عنقه وعنق سالم وأنشق البردان .

وكان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان هو شاعراً وأبوه شاعراً ، وخاله  
شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وأبناء كعبٍ وبُجَيْرِ شاعرين ، وأخته الخنساء  
شاعرة ، وابنُ ابنه المضرَّب بن كعب بن زهير شاعراً .

وَمَنْ قَدَّمَ زُهَيْرًا أَحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ شِعْرًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ سُخْفٍ ، وَأَجْمَعَهُمْ  
لِكَثِيرِ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ النَّطْقِ ، وَأَشَدَّهُمْ مِبَالِغَةً فِي الْمَدْحِ ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمْثَالًا  
فِي شِعْرِهِ .

(١) كذا في ١ ، ب والأغاني ، وفي ج : « من الفوز » .

(٢) في الأغاني : « ما تبالي » .

(٣) النِّتَاءُ : ماء لبني عميلة ، أو لفتى ؛ ويوم النِّتَاءِ من أيامهم .

(٤) تكملة من الأغاني .

## زياد النابغة الذبياني\*

هو زياد بن معاوية بن خباب بن جابر<sup>(١)</sup> بن ربوع بن غيظ بن مرة بن عوف  
ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان  
ابن مضر بن نزار . وكنيته أبو أمامة ، وُسمي بالنابغة لقوله :

وَحَلَّتْ فِي بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسِرٍ<sup>(٢)</sup> فَقَدْ نَبَغَتْ لَهُمْ مَنَّا سُئُونُ

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ منهم الشعر ، وهو في الطبقة الأولى المقدّمين  
على سائر الشعراء .

قال جرير بن عبد الله البجليّ : كُنَّا عِنْدَ الْجُنَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِحُرَّاسَانَ ،  
وَعِنْدَهُ بَنُو مُرَّةَ وَجِلْسَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ ، فَتَذَاكَرُوا شِعْرَ النَّابِغَةِ حَتَّى أُنْشَدُوا قَوْلَهُ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عِنْدَكَ وَاسِعُ

فقال شيخ من بني مرة : وما الذي رأى من النعمان حيث يقول له هذا ؟ وهل  
كان النعمان إلا على منظره من مناظر الحيرة ! وقالت ذلك القيسية فأكثرُوا ،  
فنظر إلى الجنيد وقال : يا أبا خالد ، لا يهولتك قول هؤلاء الأعراب ، فوالله  
لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ؛ ولكنهم قالوا ما نسمع  
وهم آمنون .

\* ترجمته في الأغاني ١١ : ٣ - ٤١ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كذا في الأصول ، وهو يوافق ما في شرح التبريزي للمعلقات العشر ، وفي الأغاني :

« ضباب بن جناب » .

(٢) الشطر الأول من هذا البيت لم يرد في الأغاني .

وكان النابغة تُضرب له قُبَّةٌ أدمٍ بسوقِ عُكاظَ ، وتعرض عليه الشعراء  
أشعارها ، فأول من أنشدَه الأعشى ، ثم حسان ، ثم الشعراء ، ثم أنشدته الخنساء بنت  
عمرو بن الشريد :

وإن صخرًا لتأتمُّ المُسداةُ به      كأنه علمٌ في رأسه نارُ

فقال : والله لولا أن أبا بصير أنشدني آفًا لقلتُ إنك أشعرُ الجنِّ والإنس ،  
فقام حسان فقال : والله لأنا أشعرُ منك ومن أبيك ؛ فقال له النابغة : يا بن أخي ،  
أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مُدرِكِي      وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ  
نخس (١) حسان لقوله .

وهذه القصيدة العينية يقولها في التعمان بن المنذر ، يعتذر إليه بها ، وذلك  
أن النابغة كان خصيصًا بالتعمان من ندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجردة  
يوما ، وقد سقط نصيفها ، فاستمرت بيدها وذراعها ؛ وقد كان ذراعها يستر وجهها  
لعبا لتيها وغلظها ، فقال :

أمن آل ميةٍ أرايح أو مُعتدي      عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُرودٍ  
زعم البوارح أن رحلتنا غداً      وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسودِ (٢)  
لا مرحباً بنفدٍ ولا أهلاً به      إن كان تفريقُ الأحبةِ في غدٍ

يقول فيها يصف ما نظر إليه من المتجردة ، وسترها وجهها بذراعها :

سقطَ النَّصيفُ ولم تُردِ إسقاطه      فتناولتهُ وأتقتنا باليدِ  
بعخصبٍ رخصٍ كأنَّ بنانهُ      عنمُ على أعصانه لم يُعقِدِ

(١) نخس : أطرق وتنجى .

(٢) كذا في الأغانى ، ا ، وفي ب ، ج : « زعم الغداف بأن » .

وبفاحمٍ رَجُلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ      كالكَرْمِ مَالٍ عَلَى الدُّعَامِ الْمَسْنَدِ  
نظرت إليك لحاجةٍ لم تقضِها      نظرَ المريضِ إلى وجوهِ العُودِ  
ثم إنَّ النابغةَ أنشدتْ هذه القصيدةَ مُرَّةً بِنَ سَعْدِ الْقُرَيْبِيِّ ، فأنشدتها مُرَّةً  
للنعمانِ فامتلاً غضباً ، وأوعدهَ وتهددهَ ، فهربَ منه وأتى قومه ، ثم شخَّصَ إلى  
ملوكِ غَسَّانَ فامتدَحَهم .

وقيل : إنَّ عِصَامَ بْنَ شَهِيرَ الْجُرْمِيِّ حَاجِبَ النُّعْمَانَ أَنْذَرَهُ ، وعرفه ما يريد  
النُّعْمَانَ - وكان صديقه - وعِصَامُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الرَّاجِزُ :  
نفسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَاماً      وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا  
\* وصيرته ملكاً هماماً (١) \*

وقيل : إنَّ سببَ هَرَبِهِ أَنْ عَبْدَ قَيْسِ بْنِ خُفَّافِ التَّمِيمِيِّ وَمُزَمَّةَ بِنَ سَعْدِ  
ابنِ قُرَيْبِ عَمَلًا هَجَاءً فِي النُّعْمَانَ عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَنشَدَاهُ النُّعْمَانَ فَهَنَهُ :  
مَلِكٌ يُلَاعِبُ أُمَّهُ وَقَطِينَهُ (٢)  
رِخْوُ الْمَفَاصِلِ أَيْرُهُ كَالرُّودِ  
ومنه أيضاً :

فَبِحِّ اللَّهِ نَمَّ نَسْنَى بِلَعْنٍ      وارث الصائغ الجبان الجهولاً  
من يضرُّ الأذنى ويمعجز عن ضَرِّ      الأعدى ومن يخون الخليلاً  
يجمع الجيش ذالألوفِ ويمزُو      ثم لا يرزأ العدوَّ قتيلاً  
وكان جدُّ النُّعْمَانَ لَأُمَّهُ صَانِعًا بِفَدَكِ (٣) ، يقال له : عطية . وأمُّ النُّعْمَانَ سَلَمَى  
بنت عطية .

(١) كذا في ب ، ج ، وفي الأغانى : « وجعلته » .

(٢) كذا في ا ، والأغانى ، وفي ب ، ج : يلاعب ابنه .

(٣) فدك : قرية بالحجاز من نواحي خيبر .

وكان سببِ ضغنِ مُرّةِ بنِ سعدِ علىِ التّابغةِ أنّه كان له سيفٌ قاطعٌ يقال له :  
ذو الرّيقة من كثرةِ فِرْنَدِهِ وجوهرِهِ وجودته ، فذكره التّابغةُ للنعمان ، فأخذه  
فأضطنّ مرّةً لذلك عليه ووشى به النعمان ، وحرّضه عليه .

وقيل في هرّبه : إنّهُ كان رفيقُ المنخّل عند النعمان ، وإنّ المنخّل لما رُمي  
بالمجرّدة زوجةِ النعمان ، وجرى له ماجرى ، هرب التّابغةُ وقد ذكر خبرُ المنخّل  
في ترجمته .

ولما صار التّابغةُ في غَسَّان نزل بعمرو بنِ الحارث الأصغر بنِ الحارث الأعرج  
ابنِ الحارث الأكبر بنِ أبي شمرِ النّسائي .

وأُمُّ الحارث الأعرج ماريةُ بنتُ ظالم بنِ وهب بنِ الحارث بنِ معاوية بنِ ثور  
ابنِ مُرتع<sup>(١)</sup> الكنديّة ، وهى ذاتُ القرطَيْن اللّذين يُضربُ بهما المثل ، فيقال  
لما يُغلى به من الثمن : خذه ولو بقُرطَيّ مارية . وأختها هندُ الهنود امرأةُ حُجرِ آكل  
المرار ، وإياها عنى حسان بقوله في جَبَلَة بنِ الأيّهم :

أولادُ جَفَنَة حولَ قبرِ أبيهمُ      قبرِ ابنِ ماريةِ الجوادِ المُفضّلِ

فدح التّابغةُ عمرو بنِ الحارث ، ومدح أخاه النعمان ، ولم يزل مقبياً مع عمرو حتّى  
مات ، وملك أخوه النعمان ، فأستمطف له النعمان فماد إليه ، فمّا مدح به عمراً قوله :

كَلَيْفِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ ناصبِ      وَلَيْلِ أَقاسِيهِ بطيءِ الكواكبِ

لَهُمْ شَيْمَةٌ لَمْ يُعْطِها اللهُ غيرَهُمْ      من النَّاسِ ، والأحلامِ غيرِ عوازِبِ

ولا عَيْبَ فيهِمْ غيرَ أنْ سَيُوفَهُمْ      بهنّ فُلُولٌ منِ قِراعِ الكِتابِ

قال معاوية بن بكر الباهلي : قلتُ لحَمّادِ الراوية : بهم تقدّم التّابغةُ ؟ قال :

(١) كذا ضبطه ، ضبطه ابن حجر في التبصير كحسن ، وضبطه الصاغاني في العباب كحدث .

بالبيت<sup>(١)</sup> من شعره ، لا بل بنصف البيت ، لا بل برُبع البيت ، مثل قوله :  
حلفتُ فلمْ أتركْ لنفسِكِ رِيبةً      وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ  
ولستَ بمستبقِ أحاً لا تلمّه      على شعثٍ ، أيُّ الرجالِ المهذبُ !  
كلُّ نصفٍ من بيت يُغنيك عن صاحبه ، وقوله : أيُّ الرجالِ المهذبُ ،  
رُبع بيت يُغنيك عن غيره ، فلو تمثّلتَ به لم تحتجْ إلى سواه .

قال ألهيثم بن عديّ : قال لي صالح بنُ حسانَ : كان النابغة مَحْتَنًا ، قلت :  
وما عَلِمْتُك به ؟ أرايته قطّ ! قال : لا ؛ قلتُ : فأخبرتَ عنه ؟ قال : لا ، قلت :  
فما عَلِمْتُك به ؟ قال : أما سمعتَ قوله :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولمْ تُردْ إسقاطُهُ      فتنساولته وأتقتنأ باليدِ

لا والله ما أحسنَ هذه الإشارةَ ، ولا هذا إلا قولُ مَحْتَنٍ .

كتبَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ إلى الحجاجِ : إنه ليسَ شيءٌ من لذّةِ الدنيا إلا  
وقد أصبتُ منه ، ولم يبقَ عندي شيءٌ ألدُّ به إلا مُناقلةُ الإخوانِ الحديثِ ، وقَبْلَكَ  
عامرُ الشَّعْبِيِّ ، فأبعثَ إليّ به يحدّثني .

فدعا الحجاجُ الشَّعْبِيَّ فجّهزه ، وبعثَ به إليه ، وقرّظه وأطراه في كتابه .  
نُفِرَجَ الشَّعْبِيُّ ، فلما كان في بابِ عبدِ الملكِ قال للحاجبِ : استأذنْ لي ، قال :  
ومنَ أنتُ ؟ قال : أنا عامرُ الشَّعْبِيِّ ، قال : حيّاك اللهُ ! ثم نهَضَ فأجلسني<sup>(٢)</sup>  
على كرسيه ، ولم يلبثْ أن خرجَ إليّ<sup>(٣)</sup> ، وقال : ادخُلْ يرحمك اللهُ ! قال : فدخلتُ ،  
فإذا عبدُ الملكِ جالسٌ على كرسيّ ، وبين يديه شيخٌ أبيضُ الرأسِ واللَّحْيَةِ ، جالسٌ

(١) كذا في الأغانى ؛ وفي ب ؛ ج : « بيت » .

(٢) كذا في الأغانى ، وفي ب ، ج : « فأجلسه » .

(٣) كذا في الأغانى ، وفي ب ، ج : « إليه » .

على كرسى ، فسلمتُ فردّ السلامَ علىّ ، ثم أوماً إلىّ بقضيبه ، فقدمت على يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : وَيْحَكَ ! مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال الشَّعْبِيُّ : فَأظلم ما بينى وبين عبد الملك ، فلم أصيرُ أن قلتُ : مَنْ هذا الذى يزعم أنه أشعرُ الناس يا أمير المؤمنين ! فعجب عبد الملك من عجلكتى قبل أن يسألنى عن حالى . فقال : يا شعبيّ ، هذا الأخطل . فقلتُ : يا أخطل ، أشعرُ منك والله الذى يقول فى النعمان بن الحارث ، أخى عمرو بن هند :

هَذَا غِلامٌ حَسَنٌ وَجْهَهُ	مَسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْغَرِ	وَالْحَارِثِ خَيْرِ الْأَنَامِ
ثُمَّ لَهْنِدٍ وَلَهْنِدٍ وَقَدْ	أَسْرَعَ فِي الْخَيْرَاتِ مِنْهُ أُمَامٌ
بِخُمْسَةِ آبَائِهِمْ وَهُمْ مَا هُمُ	هُمْ خَيْرٌ مِنْ يَشْرَبُ صَوْبَ التَّمَامِ

أُمَام ، يريد « أُمَامَةُ بِنْتُ سَلَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ » . وقيل : هى أُمَامَةُ أُمِّ عَمْرٍو الْأَصْغَرِ ابن المنذر بن ماء السماء امرئ القيس بن النعمان .

قال الشَّعْبِيُّ : فَرَدَّدْتُهَا حَتَّى حَفِظَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ .

فقال الأخطل : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشَّعْبِيُّ . فقال الأخطل : إِي وَالْإِنْجِيلِ بِالسَّرْبَانِيَةِ ، وَالْحِلْوَنِ (١) مَا أَسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا ، صَدَقَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . النَّابِغَةُ أَشْعَرُ مَنِّى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا شُعْبِيُّ ؟ قلت : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا زَلَّ بِه .

ثم ذهبْتُ أمهدُ مَماذِيرِي إِمَّا كَانَ مِنْ خِلَافِي عَلَى الْحِجَّاجِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَقَالَ : مَهْ ! إِنَّا لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْمَنْطِقِ ، وَلَا تَرَاهُ مَنَّا فِي قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ ؟ قلت : قَدْ فَضَّلَهُ عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَغَانِي : « صَدَقَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَّابِغَةُ وَاللَّهِ أَشْعَرُ مَنِّى » .

في غير موطنٍ على جميع الشعراء ، فإنه خرج وفي بابه وفدٌ غَطَفَانَ ، فقال : يامعشرَ غَطَفَانَ ، أيُّ شعرائكم الذي يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لِنَفْسِكَ رِيبةً      وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ  
لئن كُنتَ قد بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً      كَمَبْلُغِكَ الوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ  
ولستَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ      على شَعْتِ ، أيُّ الرِجَالِ المِهْدَبُ !  
وإنَّكَ شمسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبُ      إذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فأَيُّكم الذي يقول :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الذي هو مدْرِكِي      وإن خَلْتُ أنَ المُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعُ  
خطاطيفُ حُجْرٍ في حِبَالٍ متِينَةٍ      تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين ، قال : فأَيُّكم الذي يقول :

إِلَى أبنِ مَحْرَقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي      وراحِلَتِي وَقَدِ هَدَّتِ العِيُونَ<sup>(١)</sup>  
أنتِئكَ عَربِيًّا خَلَقًا مِيَابِي      على خَوْفٍ تَظُنُّ بِي الظُّنُونُ  
فألْفَيْتُ الأمانَةَ لَمْ تَحْضُنْهَا      كَذَلِكَ كانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعرُ شعرائكم .

ثم أقبل الشعبيُّ على الأخطل ، فقال : أتَحبُّ أنْ لك بشعركَ قِياضاً<sup>(٢)</sup> بِشِعْرِي  
أحدٍ من العرب ، أم تحبُّ أنْكَ قَلْتَهُ ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلا أتى كفت  
أودُّ أني قلتُ أبياتاً قالها رجلٌ مِنَّا ، كان والله ما علمتُ قليلَ السَّماعِ ، قصيرَ الذراعِ .  
قال : وما قال ؟ قال : فأَنشدته قصيدةَ القَطاميِّ :

إِنَّا مُحْمِيوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ      وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طالتْ بِكَ الطَّيْلُ<sup>(٣)</sup>

(١) هدت : هدأت .

(٢) قياضه قياضاً ومقايضة : عاوضه وبادلته .

(٣) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطييل : جمع طيلة ؛ وهي الدهر .



ليس الجديدُ به تَبَقَى بِشَاشْتُهُ  
والعِيشُ لا عِيشَ إِلَّا ما تَلَدُّ بِهِ (٢)  
إِنْ تَرَجِي من أَبِي عِثانٍ مُنْجِحَةً  
والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له  
قد يُدْرِكُ المِثْأَى بَعْضَ حاجتِهِ  
حتى أتى على آخرها . قال الشعبي : فقلت : قد قال القطامي أفضل من هذا ،  
قال : وما قال ؟ قال : قال :

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحالِنَا من مَطَرَقِ ما كنت أحسبها قَريبَ المَعْنَقِ (٣)  
وَأَنشدتُهُ القَصيدَةَ ، فقال عبدُ المَلِكِ : نَكَلتَ القَطامِي أمَّهُ ! هذا وَاللَّهِ هو الشَّعْرُ .  
فالتفت الأخطلُ فقال : يا شعبي ، إنَّ لك فُنُونًا في الأحاديثِ وإِنَّمَا لنا فَنٌّ واحدٌ ،  
فإن رأيتَ أَلَّا تَحْمِلِنَا على أكتافِ قومِكِ فأَدعهم حَرَضًا (٤) ! فقلت : لا أَعْرِضُ  
لك من الشَّعْرِ في شيءٍ أبداً ، فأَقِلنِي هذه المِرَّةَ . قال : مَنْ يَتَكَفَّلُ لي بك ؟ قلتُ :  
أَميرُ المُؤمِنينَ . فقال عبدُ المَلِكِ : هو على أَلَّا يَعرِضُ لك أبداً ، ثم قال : يا شعبي ،  
أى نساءِ الجاهليَّةِ أشعر ؟ قلتُ : الحَنُساءُ ، قال : وَلِمَ فَضَلْتَهُما على غيرها ؟ قلتُ  
لقولها :

وقائلةٍ والنَّعشُ قد فاتَ خَطوها لتُدْرِكَهُ بالهَفِّ نَفْسِي على صَخْرٍ !  
أَلَّا نَكَلتُ أمَّ الَّذينَ غَدُوا بِهِ إلى القَبْرِ ، ماذا يَحْمِلونَ إلى القَبْرِ !

(١) الضمير في « به » للدهر في بيت قبل هذا البيت ؛ وهو :

كانتُ منازلُ مِثْأَ قد نَحَلُّ بِها حتى تَغيرَ دَهْرٌ خائِنٌ خَبيلُ

(٢) في الأغاني : « إلا ما تقر به » .

(٣) المعنق : المكات الذي أعنقت منه ، والعنق : ضرب من السير .

(٤) الحرض ، بالتحريك : الردىء من الناس ؛ يريد أجعلهم بهجائى من أراذل الناس ،

والحرض بوصف به المفرد والمثنى والجمع .

قال عبد الملك : أشعر منها الذي يقول (١) :

مُهْفَهْفُ الكَشْحِ والسَّرْبَالِ مَنْخَرِقُ عَنْهُ القَمِيصُ لَسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ (٢)  
لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَّاهُ وَمُصْبِحُهُ فِي كُلِّ فَجٍّ ، وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ  
ثم قال : يا شعبي ، لعلَّ شَقَّ عَلِيكَ مَا سَمِعْتَ ! قلتُ : إِي وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
أشدَّ المَشَقَّةَ ، إني أَحَدْتُكَ مِنْذُ شَهْرَيْنِ لَمْ أَفِدْكَ إِلَّا أَيْتَاتِ النَّابِغَةِ فِي الغَلَامِ .

فقال : يا شعبي ، إني إِنَّمَا أَعْلَمْتُكَ هَذَا لِأَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أَهْلَ العِراقِ يَتَطَاوَلُونَ  
عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، يَقُولُونَ : إِنْ كَانُوا غَلَبُونَا عَلَى الدَّوْلَةِ فَلَمْ يَغْلِبُونَا عَلَى العِلْمِ وَالرِّوَايَةِ ،  
وَأَهْلُ الشَّامِ أَعْلَمُ بِعِلْمِ أَهْلِ العِراقِ مِنْ أَهْلِ العِراقِ . ثم رَدَّدَ عَلَيَّ أَيْتَاتِ لَيْلِي حَتَّى  
حَفِظْتُهَا ، فَلَمْ أَزَلْ عِنْدَهُ ، فَكُنْتُ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَأَخْرَجٍ ، فَكُنْتُ كَذَلِكَ سَنِينَ .  
وبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر ، وكتب إليه : يا أخي ، قد  
بعثتُ إِلَيْكَ الشَّعْبِيَّ ، فَانظُرْ هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَهُ قَطَّ ! ثم أَذِنَ لِي فَانصَرَفْتُ .

قال حسان بن ثابت : قَدِمْتُ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ المُنْذِرِ ، وَقَدْ أَمْتَدَحْتَهُ فَأَتَيْتُ حَاجِبَهُ  
عَصَامَ بْنَ حَوْشِبٍ (٣) ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : إني لِأَرَى عَرَبِيًّا ؛ أَمِنْ الحِجَازِ أَنْتَ ؟  
قلتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكُنْ قَحْطَانِيًّا ، قَالَ : قلتُ : فَأَنَا قَحْطَانِيٌّ ؛ قَالَ : فَكُنْ  
يَثْرِبِيًّا ، قلتُ : فَأَنَا يَثْرِبِيٌّ ؛ قَالَ : فَكُنْ خَزْرَجِيًّا ، قلتُ : فَأَنَا خَزْرَجِيٌّ ، قَالَ :  
فَكُنْ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ ، قلتُ : فَأَنَا هُوَ ، قَالَ : جِئْتَ بِمِدْحَةِ المَلِكِ ! قلتُ : نَعَمْ .  
قال : إِنَّكَ إِذَا جِئْتَهُ مَتْرُوكًا شَهْرًا قَبْلَ أَنْ يَرْسَلَ إِلَيْكَ ، ثُمَّ عَسَى أَنْ يَسْأَلَ عَنكَ

(١) هو أعشى باهلة ، من مرثيته المنتشر ؛ وفي الأغاني : « التي تقول » ؛ وفي حواشيه :

« هي ليلي أخت المنتشر الباهلي - وقيل الدععاء أخته - ترثه بقصيدة منها هذات البيتان .

(٢) مهفهف الكشح : ضامره ، وهفهفة السربال : رفته وخفته . ومنخرق عنه القميص ،

أي لا يزال كيف كانت ثيابه .

(٣) في الأغاني : « عصام بن شهير » .

بعد شهر<sup>(١)</sup>، ثم إنك متروك شهرا آخر بعد المسألة، ثم عسى أن يؤذن لك؛ فإن أنت خلوت به فأعجبته فأنت مصيب ما أردت؛ فأقيم ما أقمت فإني أُرشدك إذا دخلت إليه فإنه سيسألك عن جبلة بن الأيهم ويسببه، فإياك أن تساعده على ذلك، ولكن أمر<sup>٢</sup> ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخاف فيه، وقل: ما دخول مثل أيتها الملك بينك وبين جبلة، وأنت منه وهو منك! وإن دعاك إلى الطعام فلا توافكه، فإن أقسم عليك فأصب منه إصابة المبرِّ قسمه، متشرِّف بمواكته، لا أكل جائع سغب؛ فإنه يثقل عليه أن يؤكل طعامه، أو يشرب شرابه، ولا تطل محادثته، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك، ولا تطل الإقامة في مجلسه.

فقلت: أحسن الله رِفْدَكَ! قد أوصيت راعياً. ودخل ثم خرج إلى وقال: ادخل؛ فدخلت وسلمت، وحييته بتحية الملوك، فجاراني في أمر جبلة كما قال عصام، وأجبت بما أمرني به، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن، فأنشدته، ثم دعا بالطعام ففعلت ما أمرني به عصام، وبالشراب ففعلت مثل ذلك. وأمر لي بجائزة سنوية، وخرجت.

فقال لي عصام: قد بقيت واحدة لم أوصيك بها، قد بلغني أن النابغة الذبياني قد أمّ عليه، وإذا قدم عليه فليس لأحدٍ سواه من حظ، فأستأذن حينئذٍ وأنصرف مكرماً خيراً من أن تنصرف مجفوفاً.

فأقت بيابا شهرا، ثم قدم عليه خارجة بن سنان ومنظور بن زبّان الفزاريان، وكان بينهما وبين النعمان دُخْلٌ (أى خاصة) وكان النابغة معهما قد أستجار بهما، وسألها مسألة النعمان أن يرضى عنه فضرَبَ عليهما قبة من آدم، ولم يشعر أن النابغة معهما، ودسّ النابغة قينةً تغنيه بشعره:

يا دار ميةً بالعلمياء فالسندِ أقوت وطالَ عليها سالفُ الأمدِ

منها :

نُبِّئْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي      وَلَا قَرَارَ عَلَيَّ زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ  
مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَمْلَاجُ كُلُّهُمْ      وَمَا تُشَمَّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ (١)  
إِنْ كُنْتُ قُلْتُ الَّذِي بُلِّغْتَ مُعْتَمِدًا      إِذَنْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي  
هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسَمَّعَ لِقَائِلِهِ      فَمَا عَرَضْتُ أُبَيَّتَ اللَّعْنِ بِالصَّفَدِ (٢)  
فَلَمَّا سَمِعَ الشَّعْرَ قَالَ : أَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَشَعْرُ النَّابِغَةِ ، وَسَأَلَ عَنْهُ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ مَعَهُمَا ،  
وَكَلَّمَاهُ فِيهِ ، فَأَمَّنَّهُ .

وقد كتبت هذه الحكاية في ترجمة جبلة بن الأيهم في حرف الجيم مع غير النعمان  
ابن المنذر .

وقيل : إنَّ النابغة لما خرج معهما إلى النعمان ، كان يرسل لها بطيبٍ وألطف  
مع قمينته من إمانه ، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما ، فدكرت ذلك للنعمان ،  
فعرّف أنه النابغة ، ثم ألقى عليها شعره ، وسألها أن تغنيه إذا أخذت منه الخمر ،  
ففعلت فأطربته ، فقال : هذا شعرٌ علويٌّ (٣) ، هذا شعرُ النابغة .

قال : ثم خرج في غيب سماء ، فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب  
بجناء ، فأقنا (٤) خضابُه ، فقال (٥) : هي بدمٍ أخرى أن تخضب ؛ فقال  
الفزاريان : أبيت اللعن ! لا تتريب ، قد أجرناه ، والنفو أجمل فأمنه وأستنشده .  
قال حسان : فحسدته على ثلاث لا أدري على أيتهنّ كنتُ أشدَّ حسداً له !

(١) في الأغاني : « وما أثمر » .

(٢) الصغد : العطاء .

(٣) علوي : نسبة إلى العالية ؛ على غير قياس ؛ وهي مافوق نجد إلى أرض تهامة إلى ماوراء مكة .

(٤) كذا في الأصول والأغاني ، والذي في كتب اللغة : قنأ الحضاب : اشتدت حرته .

(٥) في الأغاني : « فلما رآه النعمان قال » .

على إثناء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته<sup>(١)</sup> له وإصفاؤه إليه ، أم على جودته  
شعره ، أم على مائة بعير من عصافيره<sup>(٢)</sup> أمره بها !

وسئل أبو عمرو : أمن تخافته أمتدحه وأناه بعد هربه ، أم لغير ذلك ؟ فقال :  
لا لعمر الله ، ما تخافته فعل ، ولقد كان آمناً أن يوجه إليه النعمان جيشاً ، وما كانت  
عشيرته لتسلمه أول وهلة ؛ ولكن رغبةً في عطائه وعصافيره .  
وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه  
وجده ، لا يستعمل غير ذلك .

وقيل : كان السبب في رجوعه أنه بلغه أنه عليل لا يرجي ، فأقلقه ذلك ولم  
يملك الصبر على بعده مع عيلته ، فلما رجع إليه ألفاه محمولا على سرير يُنقل ما بين  
الغمر وقصور الحيرة ، فقال لعصام حاجبه :

ألم أقسم عليك لتخبرني      أمحول على النعمس الهمام !  
فإني لا أومك في دخولي      ولكن ما وراءك يا عصام !  
فإن يهلك أبو قابوس يهلك      ربيع الناس والشمر الحرام  
ونمسيك بعده بذناب عيش      أجب الظهر ليس له سنام

وكان ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافهم ؛ لأنه عندهم  
أوطأ من الأرض .

وقوله :

\* فإنني لا أومك في دخولي \*

أي لا أومك في تركك الإذن لي في الدخول ، ولكن أخبرني بكنهه أمره .

(١) ب ، ج : « ومسامرته » .

(٢) العصافير هنا : إبل نجائب كانت للعلوك .

وقوله:

\* ربيعُ الناس والشهرُ الحرامُ \*

أى أنه كالربيع في الخصب ، وكالشهر الحرام لجاره ، أى أنه لا يتوصّل إلى من أجاره كما لا يوصّل في الشهر الحرام إلى أحد .

بيننا النعمان في قبة له ، إذا رجلٌ يرتجز حولها ، فقال النعمان : أليس بأبي أمامة ! قالوا : بلى ، قال : فأذنوا له ، فدخل ، فحياها وشرب معه ، ثم وردت النعم السود ، ولم يكن لأحد بعيرٌ أسودٌ يُعرف مكانه غير النعمان ، فأستأذنه أن يُنشدّه كلمته على الباء ، فأذن له ، فأنشدّه حتى أتى على قوله :

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبٌ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السود الكلبية ، فيها رعاؤها وكلبها ، فقال :

شأنك بها يا أبا أمامة ، فهي لك بما فيها .

قال حسان : فما أدري علام أحسده ! أعلى ما سمعت من فضل شعره ، أو ما رأيت

من جزيل عطائه ! فجمعتُ جراميزي<sup>(١)</sup> فركبتُ إلى بلادي .

(١) يقال : جمع فلان إليه جراميزه ، إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

## زياد الأعجم\*

هو زيادُ بنُ سليمان، مولىَ عبدِ القيس، أحدِ بني عامرِ بنِ الحارث، ثم أحدُ بني مالكِ بنِ عامر.

وقيل: زيادُ بنُ جابرِ بنِ عمرو، مولىَ عبدِ القيس، وكان ينزلُ إصطخرَ، فغلبتِ العُجْمَةُ على لسانه، فقيل: الأَعْجَمُ.

وقد قيل: إن أصله ومولده ومنشأه أصفهان. ثم أُنتقلَ إلى خُرَاسانَ، فلمَ يزلُ بها حتى مات.

وكان شاعراً جَزَلَ اللَّفْظَ، فصيحَ الشَّعْرِ؛ على كُنْئَةٍ في لسانه، وجَرِيهٍ على [لفظ] (١) أهلِ بلده.

دعا زيادُ غلامه، فأرسله في حاجة، فأبطأ، فلَمَّا جاءه قال: منذَ لَدُنْ دَأَوْتُكَ إلى أن قلت: لَبِّي، ما كنتَ تسنأ؟ يريد: منذَ لَدُنْ دَعَوْتُكَ إلى أن قلتَ لي: لَبَّيْكَ، ما كنتَ تصنع؟ فهذه ألفاظٌ في نهاية اللكنة والقُبْحِ.

ولمَّا مات المغيرةُ بنُ المهلبِ رثاه بقوله:

قل للقوافل والغزى إذا غزوا      والباكرين وللمجدِّ الرائحِ (٢)  
إنَّ الشجاعةَ والسَّماحةَ ضمناً      قبراً بمرِّو على الطَّريقِ الواضحِ

\* ترجمته في الأغاني ١٥ : ٣٨٠ - ٣٩٤ (طبعة دار الكتب).

(١) زيادة من الأغاني.

(٢) ب، ج: « والغزاة إذا غزوا ».

فإذا مررتَ بقبره فاعقره له<sup>(١)</sup> كرمَ المَطِيِّ وكلَّ طِرْفٍ ساجِحِ<sup>(٢)</sup>  
وانضَحْ جوانبَ قبره بدِمَائِها فلقد يَكُونُ أَحَادِمِ وَذَبَائِحِ  
يامنُ بِمَهْوَى الشَّمْسِ من حَيٍّ إلى ما بينَ مَطْلَعِ قَرْنِها المَتَنَازِحِ  
ماتَ المَغِيرَةُ بعدَ طُولِ تَعَرُّضٍ للموتِ بَينَ أُسْنَةٍ وَصَفَائِحِ  
والقتلِ ليسَ إلى القتالِ ولا أرى حَيًّا يُؤخَّرُ للشَّفِيقِ النَّاضِحِ  
وهي طويَلة ، وهذا من جيّدِ الشعرِ ونادرِ الكلامِ ونقّ المَعانيِ ومختارِ  
القِصائِدِ .

يقال : إن يزيد بن المهلب قال له لما أنشدته هذه القصيدة : أفعقرت أنت  
عنده ؟ قال : « كنتُ على بنتِ الهِمَارِ » ، يريد « الحِمَارِ » .  
ومن الناس من يروى هذه القصيدة للصَّلْتانِ العَبْدِيِّ ، والصحيح أنها لزيد .  
أنشِدَتْ هذه القصيدةُ لثعلب ، فقال : إنَّها لَمَنْ مَخْتارِ الشَّعْرِ ، ثمَّ قال : لقد  
أنشِدْتُ لبعضِ المحدثين في هذا المعنى أبياتاً حَسَنَةً ، ثمَّ أنشد :

أَيُّهَا النَّاعِيانِ مَنْ تَعْمِيانِ وَعَلَى مَنْ أَرَاكُمَا تَبَكِّيانِ !  
أَنْدُباً لِلْمَاجِدِ الْكَرِيمِ أبا إِسْمَ حَاقِ رَبِّ المَعْرُوفِ وَالإِحْسانِ  
واذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمَا عَقَّةٌ رَءُوفَةً إِلَى تُرْبِ قَبْرِهْ فَأَعْقِرَانِي<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْصَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَتْ دَمِي مِنْ نَدَاهِ لَوْ تَعْلَمَانِ  
كانَ المَهْلَبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ بِحِمْيَرَ ، فخرَجَ إليه زيادُ الأَعْجَمِ فمَدَحَهُ ، فأمرَ له

(١) في الأغانى : « فاعقر به » .

(٢) الطرف : الجواد الكريم الطرفين ؛ الأب والأم . والساجح : السريع ؛ كأنه يسبح بقوائمه .

(٣) في الأغانى : « إلى جنب » .



بجائزة ، وأقام عنده أيتاما يشرب ، قال ؛ فإذا هو المشية يشرب مع حبيب  
ابن المهلب ، في دارٍ فيها دابةٌ وفيها حمامة ، إذ سجمت الحمامة ، فقال زياد :  
تَغَيَّرْتُ أَنْتِ فِي ذِمِّي وَعَهْدِي      وَذِمَّةَ وَالِدِي أَنْ لَنْ تُضَارِي (١)  
وَيَبْتُكَ أَصْلِحِيهِ وَلَا تَخَافِي      عَلَى صُفْرِ مَرْغَبَةٍ صِغَارِ  
فَإِنَّكَ كَلَّمَا غَنَيْتِ صَوْتًا      ذَكَرْتُ أَحَبِّي وَذَكَرْتُ دَارِي  
فِيمَا يَقْتُلُوكِ طَلَبْتُ نَارًا      لَهُ نَبَأٌ لِأَنَّكَ فِي جَوَارِي

قال حبيب : هاتِ يا غلامُ القوسَ ، فقال زياد : ما تصنع ؟ قال : أرى  
جارتك هذه ؛ قال : واللهِ لئن رميتَ لأستعدينَّ عليك الأمير ، فأُتِيَ  
بالقوس فزرع لها سهمًا فقتلها ؛ فوثب زيادٌ فدخل على المهلب ، فحدثه الحديث ،  
وأنشده الشعر ، فقال المهلب : على أبي بسطام ؛ فأُتِيَ بحبيب ، فقال له : أعطِ  
أبا أمانة ألفَ دينارٍ ديةَ جارتكِ ، فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ! إنما كنتُ أعب .  
قال : أعطه كما أمرتك ، فأعطاه ، فأنشأ زياد يقول :

فَلِهَ عَيْنًا مَنْ رَأَى كَقَضِيَّةٍ      قَضَى لِي بِهَا قَرَمَ الْعِرَاقِ الْمُهَلَّبُ !  
رَمَاهَا حَبِيبُ بْنُ الْمُهَلَّبِ رَمِيَّةً      فَأَثْبَتَهَا بِالسَّهْمِ ، وَالسَّهْمُ يُفْرِبُ (٢)  
فَأَلْزَمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ ابْنَ حُرَّةٍ      وَقَالَ حَبِيبٌ : إِنَّمَا كَفْتُ الْعَبُ  
فَقَالَ : زِيَادٌ لَا يَرُوعُ جَارُهُ      وَجَارَةٌ جَارِيٌ مِثْلَ جَارِيٍّ وَأَقْرَبُ  
فَحَمَلُ إِلَيْهِ حَبِيبٌ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى كَرِهِ مِنْهُ . ثُمَّ شَرِبَ مَعَ حَبِيبٍ يَوْمًا فَعَرَبَدَ  
عَلَيْهِ حَبِيبٌ ، وَكَانَ قَدْ ضَعِنَ عَلَيْهِ مِمَّا جَرَى ، فَأَمَرَ بِشِقِّ قَبَاءِ دِيبَاجٍ عَلَيْهِ - وَكَانَ  
يَلْبَسُهُ تَشْبَهُهُ بِالْأَعَاجِمِ - فَقَامَ وَقَالَ :

(١) في الأغاني : « إن لم تطاري » .

(٢) أنبتها : قتلها مكانها . يفر ، من قولهم : سهم غرب ؛ إذا أتى قاتله من حيث لا يدري .

لعمرك ما الدُّيَّاجَ خَرَفَتْ وَحَدَهَ      وَلَكِنَّمَا خَرَفَتْ جِلْدَ الْمُهَلَّبِ  
فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره وقال: صدق زياد ، ما خَرَفَتْ إِلَّا جِلْدِي ،  
تَبَعْتُ هَذَا عَلَيَّ أَنْ يَهْجُوَنِي ! فبعث إليه فأحضره واستلَّ سَخِيمَتَهُ ، وأمر له بمال  
وصله به (١) .

وَمِنْ شِعْرِ زِيَادٍ يَمْدَحُ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ السُّلَمِيِّ بِفَارِسَ :  
سَأَلْنَاهُ الْجَزِيلَ فَا تَأَبَّى      وَأَعْطَى فَوْقَ مُنْبِتِنَا وَزَادَا  
وَأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُذْنَا      فَأَحْسَنَ ثُمَّ عُذْتُ لَهُ فَعَادَا  
مَرَارًا مَادَنُوتُ إِلَيْهِ إِلَّا      تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَتَسْنَى الْوَسَادَا  
أَخْلَكَ لَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا      عَلَى الْمَلَاتِ بِسَامًا جَوَادَا  
فقال له عمر : أحسنت والله ! ولك بكل بيت ألف دينار ، قال : دعني أتمها مائة .  
قال : أتى لك ! لو كنت فعلت لفعلت ؛ ولكن لك ما رزقت .

وكان زياد الأعجم صديقا لعمر بن عبید الله هذا قبل أن يلى فارس ، فقال له  
يوما : لو قد وُلِّيتُ يا أبا أمامة ، لتركك لا تحتاج إلى أحد أبدا ، فلما ولي عمر  
فارس قصده زياد ، فلما لقيه أنشأ يقول :

أَبْلَغُ أَبَا حَفْصٍ رِسَالَةَ نَاصِحٍ      أَنْتَ مِنْ زِيَادٍ مُسْتَبِينًا كَلَامُهَا  
كَأَنَّكَ مِثْلُ الشَّمْسِ لَا سِتْرَ دُونِهَا (٢)      فَكَيْفَ أَبَا حَفْصٍ عَلَى ظَلَامِهَا !

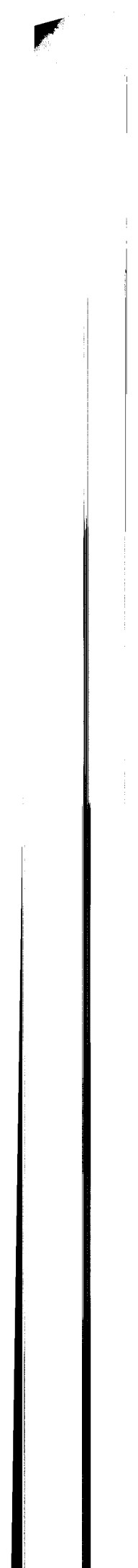
فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامها أبدا ، فقال زياد :

لَقَدْ كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ فِي السَّرِّ أَنْ أَرَى

أُمُورَ مَعَدَّةٍ فِي يَدَيْكَ نِظَامُهَا

(١) في الأغاني : « وصرفه » .

(٢) كذا في ا ، و في ب ، ج والأغاني : « فإنك » .





فقال : قد رأيتَ ذلك ، فقال :

فلما أتاني ما أردت تباشرتُ بناتي وقلن العام لا شك عامها

قال : فهو عامهنَّ إن شاء الله عزَّ وجلَّ ، فقال :

وإني وأرضاً أنتَ فيها ابنَ مَعْمَرٍ كَمَكَّةَ لَمْ يَطْرَبَ لأَرْضِ حَمَامِهَا<sup>(١)</sup>

قال : فهي كذلك يا زياد ، فقال :

إذا اخترتُ أرضاً لثَمَقامِ رَضِيَتْهَا  
وكنْتُ أَمْنِي النَّفْسِ عَنْكَ ابنَ مَعْمَرٍ  
لنفسى ، ولم يثقلُ على مقامها  
أمانِي أَرْجُو أن يَتَمَّ تمامها

قال : قد أتمها الله عليك ، فقال :

فَلَاكُ كَالْجَرِي إِلَى رَأْسِ غَايَةِ يُرْحَى سَمَاءُ لَمْ يُصِبْهُ نَمَامِهَا

قال : لست كذلك ، فسَلَّ حاجتَكَ ، قال : نَجِيبةٌ وَحَالِبُهَا<sup>(٢)</sup> ، و فرس رائع

وسائسُهُ ، وَبَدْرَةٌ وَحاملها ، وَجاريةٌ وَخادمُها ، وَتَخْتُ<sup>(٣)</sup> ثياب ، وَوصيفٌ يَحْمِلُهُ .

قال : قد أمرنا لك بجميع ما سألت ، وهو لك علينا في كل سنة . فخرج من عند عمر

حتى قَدِمَ على عبد الله بن الحشرح وهو بنيسابور فَأَتَرَلَهُ وَالطَّفَةَ<sup>(٤)</sup> ، ومدحه زياداً  
وأجاد .

مات عمر بضميرٍ من الشأم بالطاعون ، فقام عبدُ الملك على قبره وقال : والله لقد

علمتُ قريشٌ أن قد قَدَّتْ اليومَ نَاباً من أنيابها ، فقال خِلاَدُ بنُ أبي عمرو الأعمى :

أهوَ اليومَ نَابٌ لَمَّا مات ، وكان أمسِ ضِرْساً كَرِيمِلَةً ! أما والله لو دِدْتُ أن

السَّماءُ وَقَعَتْ على الأَرْضِ فَلَمْ يَعْشُ بَيْنَهُمَا أَحَدٌ بَعْدَهُ ! فَسَمِعَهَا عبدُ الملك وَتَعَاوَلَ

عنها .

(١) الطرب : الشوق .

(٢) النجبية : الناقة الكريمة . وفي الأغاني : « ورحالها » .

(٣) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

(٤) أطفه : أتحفه بالهدايا والأطاف .

ورثاه الفرزدقُ بأبياتٍ منها :

يأثها الناسُ لا تبكوا على أحدٍ      بعدَ الذي بضميرٍ وافقَ القَدرا  
كانت يداه لنا سيفاً نصولُ به      على العدوِّ وغيثاً يُنبِت الشَّجرا  
أما قريشُ أبا حفصٍ فقد رزئتُ      بالشَّامِ إذ فارتكَ البأسَ والظفرا  
من يقتل الجوعَ بعد ابنِ الشهيدِ ومنُ      بالسَّيفِ يَقْتلُ كبشَ القومِ إذ عَكَرا<sup>(١)</sup>

كانت لرجلٍ جاريةٌ يهواها فأحتاجَ إلى بيعِها ، فأبتاعها منه عمرُ بنُ عبید الله ابن مَعمر ، فلما قبضَ ثمنها أنشأت تقول :

هنيئاً لك المالُ الذي قد قبضته      وأمَّ يبقُ في كفيَّ غيرُ التحسُّرِ  
أبوؤيُّ بحزنٍ من فراقك موجهٍ      أنا جى به صدراً طويلاً التفسُّرِ<sup>(٢)</sup>  
فقال الرجلُ : [ لا ترحلي ، ثم قال ]<sup>(٣)</sup> :

فلولا قعودُ الدهرِ بي عنك لم يكن      يفرُّ قنأً شئٌ سوى الموتِ فأعذري  
عليك سلامُ اللهِ لا وصلَ بيننا      ولا قُربٌ إلا أن يشاءَ ابنُ مَعمرِ<sup>(٤)</sup>  
فقال : قد شئتُ خذِ الجاريةَ وثنمها ، فأخذها وأنصرفت .

(١) كذا في اوديوان الفرزدق ص ٢٩٢ ، وفي الأغاني : « من يقتل الجوع من بعد الشهيد »  
وفي ب ، ج : « من يقتل الجوع للشهيد » ؛ وهو خطأ لا يستقيم به الوزن . وعكس : كر وعطف .  
(٢) رواية الأغاني :  
(٣) من الأغاني .  
(٤) رواية الأغاني :

\* فإني لحزنٍ من فراقك موجهٍ \*

(٣) من الأغاني .

(٤) رواية الأغاني :

عليك سلامٌ لا زيارةً بيننا      ولا وصلَ إلا أن يشاء ابن مَعمرِ

قال بعضهم : كنتُ جالسا عند المهلب إذ أقبل رجلٌ مضطربٌ طويل ، فلما رآه المهلب قال : اللهم إني أعوذُ بك من شرِّه ! فجاء فقال : أصلح الله الأمير ! إني قد أمتدحتك بيت صفده<sup>(١)</sup> مائة ألف درهم ، فسكت المهلب ؛ فأعاد القول ثانية ، فقال له : أنشدته ، فأنشده :

فنتى زاده السلطان في الخير رغبةً إذا غيرَ السلطان كلَّ خليل  
فقال المهلب : يا أبا أمامة<sup>(٢)</sup> ، مائة ألف درهم فوالله ما هي عندنا ولكن ثلاثون ألفاً فيها عروضٌ ، وأمر له بها وإذا هو زياد الأعجم .

حضرت امرأة من بني نمير الوفاة ، فقيل لها : أوصي ، فقالت : وما لي من مالي ؟ قيل : الثلث ، قالت : فمن يقول :

لعمرك ما رماحُ بني نميرٍ بطائشةِ الصدورِ ولا قصارٍ  
قالوا : زياد الأعجم . قالت : فثلثُ مالي له ، وماتت فأخذ ثلاثة آلاف درهم .

أقبل الفرزدق في المربد ، وزيادٌ واقفٌ يُنشدُ الناسَ وقد اجتمعوا حوله ، فقال : من هذا ؟ فقيل : زياد الأعجم ، فأقبل نحوه ، فقيل له : هذا الفرزدق قد أقبل ، فقام وتلقاه ، وحيًا كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال الفرزدق : ما زالت نفسي تنازعني إلى هجاء عبد القيس منذُ دهر . فقال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأنني رأيتُ كعباً الأشقرى هجأكم فلم يصنع شيئاً ، وأنا أشعر منه ، وقد عرفتُ الذي هيج بينك وبينه ، قال : وما هو ؟ قال : أنكم اجتمعتم في قببة عبد الله بن الحُشرج بخراسان ، فقلت له : قد قلت بيتاً من الشعر فن قال مثله فهو أشعر مني ، ومن لم يقل مثله فليختم في عنقه لي أني أشعر منه ؛ فقال لك : وما قلت ؟ فقلت : قلت :

(١) الصفد هنا : العطاء .

(٢) ج : « يا أبا دلامة » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَوَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَقِيَهُ وَسُرَّ بِهِ وَقَرَّظَهُ ،  
وَسَمَّاهُ زَيْدَ الْخَيْرِ .

وهو شاعرٌ مُقِلٌّ مَخْضُمٌ ، معدودٌ في الشعراء الفرسان ، وإِنَّمَا كَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ  
فِي غَارَاتِهِ وَمَفَاخِرِهِ وَمَعَازِيهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَ مَنْ مَنَّ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ فِي نِدَائِهِ إِلَيْهِ ؛  
وَإِنَّمَا سُمِّيَ زَيْدَ الْخَيْلِ لِكَثْرَةِ خَيْلِهِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ قَوْمِهِ وَلَا لِكَثِيرٍ  
مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا الْفَرَسَ وَالْفَرَسَانَ . وَكَانَتْ لَهُ الْخَيْلُ الْكَثِيرَةُ مِنْهَا الْمَسْمُومَةُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي  
ذَكَرَهَا فِي شَعْرِهِ ، وَهِيَ سِتَّةٌ : الْهَطَّالُ ، وَالْكُمَيْتُ ، وَالْوَرْدُ ، وَالْكَامِلُ ، وَلاَحِقُ ،  
وَزَمُولٌ <sup>(١)</sup> ؛ فِي الْهَطَّالِ يَقُولُ :

أَقْرَبَ مَرَبَطِ الْهَطَّالِ إِنِّي      أَرَى حَرْبًا سَتَلْقَحُ عَنْ حِيَالِ

وَفِي الْوَرْدِ يَقُولُ :

أَبَتْ عَادَةً لِلْوَرْدِ أَنْ يُكْرِهَ الْقَنَاءَ      وَحَاجَةَ نَفْسِي فِي نَمَيْرٍ وَعَامِرِ

وَفِي زَمُولٍ <sup>(١)</sup> يَقُولُ :

فَأَقْسِمُ لَا يُفَارِقُنِي زَمُولٌ <sup>(١)</sup>      أَجُولُ بِهِ إِذَا كَثُرَ الضَّرَابُ

وَكَانَ لَزِيدٍ ثَلَاثَةُ بَنِينَ : عُرْوَةُ ، وَحُرَيْثُ ، وَمُهْلَهُلُ ، وَكُلُّهُمْ يَقُولُ الشَّعْرَ .  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُ مُهْلَهُلًا أَنَّهُ وَلَدُهُ .

وَكَانَ قَدْ ظَلَعَ لَهُ فَرَسٌ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ لِبَنِي أَسَدٍ ، فَلَمْ يَتَّبِعِ الْخَيْلَ ، فَخَلَّفَهُ فِي  
بَعْضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ [ ظَالِمًا ] <sup>(٢)</sup> لِيَسْتَقِلَّ ، فَأَغَارَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو أَسَدٍ ، فَأَخَذُوهُ مَعَ جُمْلَةِ  
الْفَنَائِمِ فِيمَا أَسْتَأَقُوا ، فَأَخَذَتْهُ بَنُو الصَّيْدَاءِ - وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - فَصَلَحَ عِنْدَهُمْ  
وَأَسْتَقَلَّ .

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَغَانِي : « دَوُول » .

(٢) مِنَ الْأَغَانِي .



وقيل : بل أَعَزَى عليه بمض بني نَبهان ، فَكَسَّ (١) عنه ، فَأَخَذَ ، فقال

في ذلك :

يا بَنِي الصَّيْداءِ رُدُّوا فَرَبِي      إِنَّمَا يُفَعِّلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ  
لَا تُذِيلُوهُ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ      يا بَنِي الصَّيْداءِ الْمُهْرِي بِالْمُدْبِلِ (٢)  
عَوَّدُوهُ كَالَّذِي عَوَّدْتُهُ      دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِبْطَاءَ الْقَتِيلِ  
أَحْمِلِ الزَّقَّ عَلَى مَنْسَجِهِ      فَيَظِلُّ الضَّيْفُ نَشوانًا يَمِيلِ (٣)

وكان زيدُ الخليلِ مُلِحًّا على بني أَسَدٍ بغاراته ، ثم على بني الصَّيْداءِ .

أَنشِدَ حَبِيبُ بنُ خالِدِ بنِ نَضْلَةَ الفَقْعَسِيُّ قولَ زَيْدِ الخَيْلِ :

\* عَوَّدُوا مُهْرِي ما عَوَّدْتُهُ \*

فَضَحِكَ ثم قال : قولوا له : إِنَّ عَوَّدَناه ما عَوَّدْتَهُ دَفَعْناه إلى أَوَّلِ مَنْ تَلَقَّاهُ

وَهَرَّ بِنَا .

وَقَدَّ زَيْدُ الخَيْلِ على رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه وَزْرُ بنِ (٤) سَدُوسِ  
النَّبْهَانِيِّ ، وَقَبِيصَةَ بنِ الأَسودِ بنِ عامرٍ ، ومالِكِ بنِ جَبْرِ (٥) ، وقُعَيْنِ بنِ خالِدِ (٦)  
الطَّرِيفِيِّ وَعِدَّةٌ من طَيِّبِ ، فَأَنَاخُوا رِكابَهُمْ بِيابِ المَسْجِدِ ، وَأَسْلَمُوا كُلَّهُمْ إِلَّا  
وَزْرًا فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا يَمْلِكُ رِقابَ العَرَبِ ،  
فإنَّهُ لا يَمْلِكُ رِقَبَتِي أبداً ، فَلَجِحَ بِالشَّامِ فَيَنْصُرَ وَحَلِقَ رَأْسَهُ ومات على ذلك .

(١) نكس الفرس ؛ أى تأخر ولم يلحق الخيل .

(٢) أذال فرسه : لم يحسن القيام عليه ؛ فضعف وهزل .

(٣) اللسج من الفرس : أسفل حاركه .

(٤) في الأصول : « زر » ؛ والصواب ما أثبتته من الإصابة ٣ : ٥٩٩ .

(٥) في الأصول : « خيرى » ، والصواب ما في الأغاني . وانظر الإصابة ٣ : ٣٢١ .

(٦) في الأصول : « قعن بن خلف » ؛ والصواب ما أثبتناه من الأغاني . وانظر الإصابة ٣ : ٢٣١

وكان زيد الخليل جميلاً طويلاً جسيماً ، من أئمة الناس ، يركب الفرس المشرف  
ورجله تخطان في الأرض كأنه على حمار ، فلما استقبل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا  
زيد الخليل بن مهلهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل أنت زيد الخير ،  
الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك وأرق قلبك على الإسلام ، يا زيد  
ما وصف لي رجل قط فرأيتُه إلا كان دون ما وصف به إلا أنت ؛ فإنك فوق ما قيل ؛  
إن فيك لخصلتين يُحبهما الله ورسوله » ، قال زيد : وما هما يا رسول الله ؟ قال :  
« الأناة ، والحلم » . فقال زيد : الحمد لله الذي جبلي على ما يُحب الله ورسوله .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرَح له مُتَّكاً ، فأعظم أن يتسكى  
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردَّ المتكاً وأعاد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ثلاثاً ، وعلمه دعواتٍ كان يدعو بها فيعرف الإجابة ، ويسئسقي فيسئسقي ،  
فقال : يا رسول الله ، أعطني ثلاثمائة رجلٍ حتى أُغيرَ بهم على قصور الروم .  
فقال له : « أرى رجل أنت يا زيد ! ولكن أم الكلبة تقتلك » - يعني الحمى -  
فلم يلبث زيد إلا قليلاً حتى حُمَّ ومات ، ولما أخذته الحمى قال لأصحابه : جنبوني  
بلاد قيس<sup>(١)</sup> ؛ فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ، ولا والله لا أقاتل مسلماً  
حتى ألقى الله تعالى ، فنزل بماءٍ لجرم<sup>(٢)</sup> يقال له : فرْدَة ، وأشدت عليه الحمى ،  
فأنشأ يقول :

أمرتُ رجلٌ صحبي المَشارِقَ غُدوةً      وأتركتُ في بيتٍ فرْدَة مُفرداً<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) كذا في الأغاني ، وفي الأصول « فارس » .  
(٢) كذا في ١ ، وفي الأغاني : « لحي من طيء » .  
(٣) الأغاني : « بفرْدَة منجد » .

سَقَى اللهُ مَا بَيْنَ الْقَفِيلِ وَطَابَةِ      فَمَا دُونَ أَرْمَامٍ فَمَا فَوْقَ مُنْشِدٍ (١)  
هَنَالِكَ إِنَّ لَوْ مَرَضْتُ لَعَادَنِي      عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهُمْ بِجَهْدٍ (٢)  
فَلَيْتَ اللّٰوَاتِي عُدَّنِي لَمْ يَعُدَّنِي      وَلَيْتَ اللّٰوَاتِي غَيَّبَنِي عَنِّي عَوْدِي

وَكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى بَنِي نَبَهَانَ بَفَرْدَةٍ (٣) ، فَكَثُرَ  
بَفَرْدَةٌ سَبْعًا ، ثُمَّ مَاتَ فَأَقَامَ عَلَيْهِ قَبِيصَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْمَنَاحَةَ سَبْعًا ، ثُمَّ بَعَثَ رَاحِلَتَهُ  
وَرَحْلَهُ ، وَفِيهِ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى زَوْجَتِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ  
إِلَى الرَّاحِلَةِ لَيْسَ عَلَيْهَا زَيْدٌ ضَرَبَتْهَا بِالنَّارِ ، وَقَالَتْ :

أَلَا نَبَهًا زَيْدًا لِكُلِّ عَظِيمَةٍ      إِذَا أَقْبَلَتْ أَوْبَ الْجِرَادِ رِعَالُهَا (٤)  
لِقَاهُمْ فَمَا طَاشَتْ يَدَاهُ بَضْرَبِهِمْ      وَلَا طَعْنِهِمْ حَتَّى تَوَلَّى سِجَالَهَا (٥)

فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرْبُ امْرَأَةِ زَيْدِ الرَّاحِلَةِ بِالنَّارِ  
وَإِحْرَاقُ الْكِتَابِ ، قَالَ : بُؤْسًا لِبَنِي نَبَهَانَ !

وَلَمَّا دَخَلَ زَيْدٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَزَيْدٍ : يَا أَبَا مُكْنَفٍ ، خَبِّرْنَا عَنْ طَبِيٍِّّ وَمَلُوكِهَا وَنَجَدَتِهَا ،  
وَأَحْبَابِ مَرَابِعِهَا (٦) ؛ فَقَالَ زَيْدٌ : فِي كُلِّ يَوْمٍ نَجْدَةٌ وَبَأْسٌ وَسِيَادَةٌ ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ  
فِي حِيٍّ مَرْبَاعٌ ؛ فَأَمَّا بَنُو حِيَّةٍ فَلَمَّا كُنَّا وَمَلُوكُ غَيْرِنَا وَهُمْ الْقَدَامِيْسُ (٧) الْقَادَةُ ،

(١) القفيل وطابة وأرمام : مواضع .

(٢) في الأغاني : « هنالك لو أتى مرضت » .

(٣) الأغاني : « بفيد » .

(٤) الرعال : جمع رعلة ؛ وهي القطعة من الخيل .

(٥) لقاهم : لقيهم ؛ والسجال : المساجلة والمعارضة .

(٦) النجدة : الشجمان . والمرباع : جمع مرباع ؛ وكان يأخذه الرئيس في الغنيمة ، وقيمته الربع .

(٧) القداميس : جمع قدموس ؛ وهو السيد .

والحمأة الذآدة ، والأنجاد السادة ، أعظمنا خميساً<sup>(١)</sup> ، وأكرمنا رئيساً ، وأجملنا مجالس ، وأنجدنا فوارس .

فقال عمر رضي الله عنه : فما تركتَ لمن بقيَ من طيبي شيئا ، قال : بلى والله . أما بنو ثعل وبنو نبهان وجرم ففوارس<sup>(٢)</sup> العدة ، وطلأعو كل نجة ، لا تحل لهم حبوّة ، ولا ترأغ لهم ندوة ، ولا تدرك لهم نبوة ، عمود البلاد ، وحيّة كل واد ، وأهل الأسل الحداد ، والخليل الجياد ، والطريف والتلاد . وأما بنو جديلة فأسهلنا قرارا ، وأعظمنا أخطارا ، وأطلبنا للأوتار ، وأطعمنا للجار ، وأحمانا للذمار .

فقال له عمر رضي الله عنه : سمّ لنا هؤلاء الملوك ، فقال : نعم ، عقيّر المجير على الملوك ، وعمرو الفاخر ، ويزيد شارب الدماء ، والغمر ذو الجود ، ومجير الجراد ، وسراج كل ذي لامة<sup>(٣)</sup> ، وملجم<sup>(٤)</sup> بن حنظلة ؛ هؤلاء كلهم من بني حية .

وأما حاتم بن عبد الله الثعلبي<sup>(٥)</sup> الجواد بلا مجار ، والسمح بلا ممار ، والليث الضرغامه ، قرأع كل هامة ، جوده في الناس علامة ، لا يقرّ على ظلامة . فأعترض رجل من بني ثعل لما مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنا يزيد بن المهلهل النبهاني ، سيّد الشيب والشبان ، وسمّ الفرسان ، وآفة الأقران ، والمهيب بكل مكان ، أسرع إلى الإيمان ؛ وآمن بالفرقان ، رئيس قومه في الجاهلية ، وقائدهم إلى أعدائهم على

(١) الخميس : الجيش ؛ وفي الأصول : « أعلننا » وأثبت ما في الأغاني .

(٢) الأغاني : « فهم فوارس العدو » .

(٣) الامة : الهول .

(٤) في الأغاني . « ملجم » ، بالخاء المهملة .

(٥) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « البجلي » .

سَخَطَ الْمَزَارَ ، وَطُمُوسِ الْآثَارِ ؛ وَفِي الْإِسْلَامِ رَائِدُنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَلَعْنُمُ وَلَا تَلَبَّثُ . وَمَنَا زَيْدُ بْنُ سَدُوسِ النَّبَهَانِيِّ ، عَصَمَةُ الْجِيرَانِ ، وَالغَيْثُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، مُضْرِمُ النَّيْرَانِ ، وَمُطْعِمُ الْفُدْمَانِ ، وَنَخْرُ كُلِّ يَمَانٍ . وَمَنَا الْأَسَدُ الرَّهَيْصُ ، سَيِّدُ بَنِي جَدِيلَةَ ، وَمَمْدُوحٌ <sup>(١)</sup> كُلِّ قَبِيلَةَ ، قَاتِلُ عُنْتَرَةَ فَارِسِ بْنِ عَبَّسٍ ، وَكَاشِفُ <sup>(٢)</sup> كُلِّ لَبْسٍ .

فَقَالَ عَمْرُ بْنُ رَضِي اللَّهِ عَنْهُ لَزَيْدِ الْخَيْلِ : اللَّهُ دَرَكٌ يَا أَبَا مُكْنِفٍ ! فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَطِيئِي غَيْرُكَ وَغَيْرُ عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ لَقَهَرْتُ بِكَ الْعَرَبَ .

أَصَابَتْ بَنِي نَبَهَانَ سَنَةً ذَهَبَتْ بِالْأَمْوَالِ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ بَعِيَالَهُ حَتَّى أَرْزَلَهُمُ الْحَيْرَةَ ، فَقَالَ : كُونُوا قَرِيبًا مِنَ الْمَلِكِ يُصِيبُكُمْ مِنْ خَيْرِهِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ ؛ وَآلِي أَلْيَةٍ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَكْسِبَهُمْ خَيْرًا أَوْ يَمُوتَ . فَتَرَوْدُ زَادًا ثُمَّ مَشَى إِلَى اللَّيْلِ ، فَإِذَا هُوَ بِمَهْرٍ مَقِيدٍ يَدُورُ حَوْلَ خِيَاءٍ ، فَقَالَ : هَذَا أَوَّلُ الْغَنِيمَةِ ، فَذَهَبَ يَحْتَلُّهُ لِيَرْكَبَهُ فَنُودِيَ : خَلِّ عَنْهُ ، وَاعْنَمْ نَفْسَكَ . فَتَرَكَهُ وَمَضَى سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى عَطْنِ <sup>(٣)</sup> إِبْلِ مَعَ تَطْفِيلِ <sup>(٤)</sup> الشَّمْسِ ، وَإِذَا خِيَاءٌ عَظِيمٌ وَقَبَّةٌ أَدَمٌ ، قَالَ : فَقَلْتُ لِنَفْسِي : مَا لِهَذَا الْحِجَابِ بُدُّ مِنْ أَهْلِ ، وَمَا لِهَذِهِ الْقَبَّةِ بُدُّ مِنْ رَبِّ ، وَمَا لِهَذَا الْعَطْنِ بُدُّ مِنْ إِبْلِ . فَانظَرْتُ فِي الْحِجَابِ ، فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ اخْتَلَفَتْ تَرَفُوتَاهُ <sup>(٥)</sup> ؛ كَأَنَّهُ نَسْرٌ ، فَجَلَسْتُ خَلْفَهُ ، فَلَمَّا وَجِبَتْ <sup>(٦)</sup> الشَّمْسُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَقْبَلَ

(١) الأغانى : « ومدوخ »

(٢) الأغانى : « مكشف » .

(٣) العطن ، بالتحريك : وطن الإبل ومبركها حول الحوض .

(٤) تطفيل الشمس : دنوها للغروب .

(٥) الترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترق فيه النفس .

(٦) وجبت الشمس : غربت .

لم أر قط فارساً أعظم منه ولا أجسم على فرس؛ ومعه أسودان يمشيان جنبه، وإذا  
 مائة من الإبل مع فحلها. فبرك الفحل وبركت حوله، ونزل الفارس وقال لأحد  
 عبده: احلب فلانة، ثم أسق الشيخ، فحلب في عس<sup>(١)</sup> حتى ملأه ووضعته  
 بين يدي الشيخ ونحى، فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين ثم نزع، وثرت  
 إليه فشربته، فرجع إليه العبد فقال: يا مولاي، شربه حتى أتى على آخره،  
 ففرح بذلك وقال له: احلب فلانة، فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ،  
 فكرع منه كرامة، ثم نزع إليه، فثرت إليه، فشربت نصفه وكرهت أن أتى  
 على آخره فأتهم، فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه: قد شرب وروى. قال: دعه، ثم  
 أمر بشاة فدبحت، وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه، فأمهلت حتى إذا  
 ناموا وسمعت الغطيط، ثرت إلى الفحل فحلبت عقاله فركبته، واندفع بي فشيت  
 ليلتي حتى الصباح، فلما أصبحت نظرت فلم أر أحداً، فشلتته<sup>(٢)</sup> إذا سلاً عنيماً  
 حتى تعالى النهار، ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيء كأنه طائر، فما زال يدنوني  
 حتى تبينته، فإذا فارس على فرس، وإذا هو صاحبي بالأمس، فمقلت الفحل  
 ونثنت كنانتي، ووقفت بينه وبين الفحل. فقال: احلب عقاله، فقلت: كلا  
 والله، لقد خلفت نساء<sup>(٣)</sup> بالحيرة، وآليت لأرجع إليهن أو<sup>(٤)</sup> أفيدهن خيراً  
 أو أموت؛ قال: فإنك ميت لا أم لك! قلت: هو ما قلت لك، حل عقاله، قال:  
 إنك لمغرور، انصب إلى خطامه، واجعل فيه خمس عجر<sup>(٥)</sup>، ففعلت؛ فقال: أين

(١) العس: القدح العظيم.

(٢) شل الإبل: طردها.

(٣) في الأغاني: « نسيات ».

(٤) في الأغاني: « حتى أفيدهن ».

(٥) العجر: جمع عجرة؛ وهي العقدة.

تجبّ أن أضع سهمي ؟ قلتُ : في هذا الموضع ، فكأنما وضعه بيده ، ثم أقبل  
يرمي حتى أصاب الخمسَ بخمسة أسهم ، فردتُ نَبِي ، وحططُ سهمي  
وقوسى ، ووقفتُ معه مستسليماً ، فدنا مني ، فأخذَ السيفَ والقوسَ ، ثم قال :  
ارتدِفْ خَلْفِي ، وعَرَفَ أُنَى الَّذِي شَرَبْتُ اللَّبَنَ ، ثم قال : ما ظَنُّكَ بي ؟ قلتُ :  
أحسَنُ<sup>(١)</sup> ظَنٌّ . قال : وكيف ذلك ؟ قلتُ : لِمَا لقيتَ من تعبٍ ليلتك ، وقد  
أظفركَ اللهُ بي . فقال : أترانا نَهيجك وقد بتَّ تَنَادِمُ مُهلهلًا ! فقلتُ : أزيد الخيلِ  
أنت ؟ قال : نعم ، فقلتُ : كن خيراً آخِذٍ ، فقال : ليس عليك بأس ، فمضى إلى  
موضعه الذي كان به ، ثم قال : أما لو كانت هذه الإبلُ لي لسَلَّمْتُها إليك ؛ ولكنها  
لابنةٌ مُهلهل ، فأقيمُ علىَّ ؛ فأبى على شَرَفِ غَارَةٍ . فأقتُ أَياماً ، فمضى فأغار على  
نُمَيْرٍ بِالْمِلْحِ ، فأصاب مائةَ بعير ، فقال : هذه أحبُّ إليك أم تلك ؟ فقلتُ : هذه .  
قال : دُونَكها ، وبعث معي خُفراءَ مِنْ ماءٍ إلى ماءٍ حتى وردتُ الحيرةَ ، فلقينِي  
نَبَطِيٌّ فقال : يا أعرابي ، أيسرُّكَ أنَّ لك يابلك هذه بكلِّ بعيرٍ منها بستانٍ من هذه  
البيساتين ؟ فقلتُ : وكيف ذلك ؟ قال : هذا قربُ مخرجِ نبيٍّ يخرجُ ، فيملك هذه  
الأرضَ ، ويحول بين أربابها وبينها ؛ حتى إنَّ أحدكم يبتاع البستانَ من هذه  
البيساتين بشمنِ بعير . قال : فاحتملتُ بأهلي حتى أنتهيتُ إلى موطننا ، فبينما نحن  
على ماءٍ لنا إذ جاءنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فأسلتُ ، فما مضتُ أَيَّامَ حتى  
اشتريتُ بشمنِ بعيرٍ من إبلِ بستاناً بالحيرة . وفي يومِ المِلْحِ يقولُ زيد الخليل :

ويومَ المِلْحِ مِلْحُ بِنِي نُمَيْرٍ أَصَابَكُمْ بِأظْفَارِ وَنَابِ

(١) في الأغاني : « أسوأ ظن » .

قال ابن أبي ليلى (١) : أنشدتني ليلي بنتُ عروة بن زيد الخليل الطائي لأبيها  
في يومٍ مُحجَّر :

بني عامرٍ هل تعرفون إذا غداً أبو مُكَنَفٍ قد شدَّ عقدَ الدوائرِ  
بجيشٍ تفضلُ البلقُ في حجراته ترى الأكم فيه سُجداً للحوايرِ  
وجمعٍ كمثل الليلِ مُرتجز الوغى كثيرٍ توأليه سريعِ البوادرِ (٢)

قالت ليلي : فقلت لأبي : هل شهدت ذلك اليوم مع أبيك ؟ قال : إي والله  
يا بُنيَّة ، لقد شهدتُه ، قلتُ : كم كانت خيلُ أبيك هذه التي وصف (٣) ؟ قال : ثلاثة  
أفراس .

كان زيدُ الخليلِ جَمَعَ طَيِّبًا ومُجموعاً من سُذَّاذِ العَرَبِ ، وغزَا بهم بني عامر  
ومن جاورهم من قبائلِ قَيْسٍ ، وغنمٍ وقتل وأسّر ، وأسر زيدُ الخليلِ يومئذ  
الحطيئةَ الشاعر ، فجزّ ناصبته وأطلقه .

ثم إن غنيًّا (٤) بعد ذلك تجمعت ، وغزوا طيِّبًا في أرضها ، فغنموا وقتلوا ،  
وأدرَكوا ثراهم منهم .

وكان لزيد الخليلِ ابنٌ يقال له : عروة ، شاعرٌ فارسٌ شهيد القادسيّة ، وحسن  
بلاؤه ، وقال في ذلك :

برزتُ لآلِ القادسيّةِ معلماً وماكلٌ من يَفشى الكريهة يُعلم (٥)  
ويوما بأكنافِ النخيلةِ قبلها شهدتُ فلم أبرحُ أدمي وأكلم

(١) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « أبو ليلى » .

(٢) في الأغاني : « كثير حواشيه » .

(٣) في الأغاني : « التي وصفت » ،

(٤) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « قيسا » .

(٥) يقال : أعلم نفسه ، إذا وسماها بسمة الحرب .



وأَقْعَصْتُ مِنْهُمْ فَارِسًا بَعْدَ فَارِسٍ      وما كُلُّ مَنْ يَلْقَى الْفَوَارِسَ يَسْلَمُ<sup>(١)</sup>  
 وَنَجَانِي اللَّهُ الْأَجَلُ وَجِيرَتِي      وسيفٌ لأَطْرَافِ الْمَرَازِبِ مَخْذَمٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَبْقَنْتُ يَوْمَ الدَّيْلَمِيِّينَ أَنَّنِي      متى يَنْصَرِفُ وَجْهِي عَنِ الْقَوْمِ يُهْزَمُوا  
 فَا رَمْتُ حَتَّى مَزَقُوا بِرِمَاحِهِمْ      نِيلَابِي وَحَتَّى بَلَّ أَخْمَصِي الدَّمَ  
 مَحَافِظَةً إِنِّي أُمِرُّ ذُو حَفِيزَةٍ      إذا لم أَجِدْ مُسْتَأْخِرًا أَتَقَدَّمُ

وشهد مع علي رضي الله عنه صفين ، وعاش إلى زمن معاوية ، فأراده  
 على البراءة من علي كرم الله وجهه فأمتنع وقال :

يُحَاوِلُنِي مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ      وليس إلى الذئب يَهْوَى سَبِيلُ  
 عَلِيٍّ جَعْدِي أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا      وَحِطِّي فِي أَبِي حَسَنِ جَلِيلُ

خرج رجلٌ من طيِّبٍ يُقَالُ لَهُ : ذُوَابُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى حَمٍّ<sup>(٣)</sup> لَهُ مِنْ هَوَازِنَ ،  
 فَأُصِيبَ الرَّجُلُ - وَكَانَ شَرِيفًا ذَا رِيَاسَةٍ فِي حَيْثِهِ - فَبَلَغَ ذَلِكَ زَيْدًا ، فَرَكِبَ فِي بَنِي  
 نَبْهَانَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ وَلَدِ الْعَوْثِ ، فَأَغَارَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ ، ثُمَّ جَعَلَ كَلِمًا أَخَذَ أُسِيرًا قَالَ  
 لَهُ : هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِالطَّائِفِ الْمَقْتُولِ ؟ فَإِنْ قَالَ : نَعَمْ ، قَتَلَهُ ، وَإِنْ قَالَ : لَا ، حَلَّى سَبِيلَهُ  
 وَمَنْ عَلَيْهِ ، وَأَصَابَ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْوَحِيدِ وَالضُّبَابِ ، وَبَنِي نُفَيْلٍ ، ثُمَّ رَجَعَ زَيْدٌ  
 إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالُوا : مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : مَا أَصَبْتُ بِشَارِ ذُوَابٍ وَمَا يَبُوءُ بِهِ إِلَّا عَامِرُ  
 ابْنُ مَالِكٍ ، مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، وَأَمَّا عَامِرُ بْنُ الطَّفَّيْلِ فَلَا يَبُوءُ بِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَا أَرَى أَنْ بِالْقَتِيلِ قَتِيلًا      عَامِرِيًّا يَبِي بِقَتْلِ ذُوَابٍ  
 لَيْسَ مَنْ لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ بِالنُّقَّةِ      عِ وَسُمِّيَ مُلَاعِبًا بِأَرَابِ

(١) أقصص الفارس : قتله مكانه وأجهز عليه .

(٢) المرازب : جمع مرزبات ، وهو الرئيس من الفرس . وسيف مخذم : قاطع .

(٣) في الأغاني : « صهر » .

عامرٌ ليس عامر بن طفيلٍ      لكن العمرُّ رأسٌ حتى كلابٍ  
 ذاك إن ألقه أنال به الوتد      رَ وقرت به عيون الصحابِ  
 أو يفتني فقد سبقت بيوتري      مدحجتي وجد قوري كابي  
 قد تقنصت للضباب رجالاً      وتكرمت عن دماء الضبابِ  
 وأصبنا من الوحيدِ رجالاً      ونفيلٌ فما أساغوا مِرابي  
 وقال أيضا :

يوم لا مال للمحارب في الحر      ب سوي نصل أسمر عسالِ  
 ودلاصٍ كالنهي ذات فضولِ      ذاك في حلبة الحوادث مالي (١)  
 غير أني أولى هوازن في الحر      ب بضرب التوج المختالِ  
 وبطن الكمي في خمس النقة      ع على متن هيكل جوالِ (٢)  
 فبلغ قوله عامر بن الطفيل فأغضبه ، وقال مجيباً له :

قل لزيدٍ قد كنت تؤثر بالحد      م إذا سفت حلوم الرجال (٣)  
 ليس هذا القتل من سلف الح      ي كلاع ويحصب وكلالِ (٤)  
 أو بنى آكل المرار ولا صيب      د بني جفنة الملوك الطوالِ  
 وابن ماء السماء قد علم النا      س ولا خير في مقالة غالِ  
 إن في قتل عامر بن طفيل      لبواء لطبيء الأجبالِ  
 إنني والذي يحج له الذ      اس قليل في عامر أمثالِ  
 ولجام في رأس أجرد كالجد      ع طوالٍ وأبيض قصالِ  
 ولعمى فضل الرياسة والس      ن وجدى على هوازن عالِ

(١) الدلاس : صفة للدرع ، أى لينة ملساء . والنهي : الغدير .

(٢) الهيكل : الضخم . والحس : الشدة .

(٣) الحلوم : جمع حلم ؛ وهو العقل .

(٤) كلاع ويحصب وكلال : أحياء يمانية .

وكان زيد لما بلغه ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخزرجي ،  
وهجائه إياه ، غَضِبَ لذلك ، وأغارَ على بني مُرّة ، وأسرَ الحارثَ بنَ ظالمَ وزوجته<sup>(١)</sup> ،  
ثم منَّ عليهما .

كان زيدٌ قد أغارَ على بني فزارةَ وبني عبدِ الله بنِ عَطَفَانَ ، ورئيسهم يومئذٍ  
أبو ضَبِّ ، ومع زيدِ الخليلِ بَطْنان من بني نَبْهَانَ ، وهما بنو نَصْرَ وبنو مالك ،  
فأصابَ وغنمَ ، وساقوا الغنيمةَ ، ثم اقتسموا النَّهَابَ ، فقال زيد : أعطوني حقَّ  
الرياسةَ ، فأعطاه بنو نَصْرَ ، ومنعه بنو مالكِ فغَضِبَ ، وأنحدرَ إلى بني نَصْرَ ،  
فبينما بنو مالكٍ يقتسمون إذ غَشِيَتْهُم فزارةُ ، وأستنفذُوا ما بأيديهم<sup>(٢)</sup> ، فناداه  
بنو مالك : وازيداه ! أعنَّا . ففكرَ على القومِ راجعا ، وقتلَ رئيسهم أبا ضَبِّ ،  
وأخذ ما في أيديهم ، ودفعه إلى بني مالكِ ، وقال في ذلك من أبيات :

لقد علمتُ نَبْهَانَ أئى حَمِيَّتْهَا      وَأئى مَنَعَتْ السَّبِيَّ أَنْ يَنْبَدَّأ  
عَشِيَّةَ غادرتُ أبنَ ضَبِّ كَأَنَّمَا      هَوَى عن عُقابٍ من شَمَارِيخِ صِمْرِدَا<sup>(٣)</sup>  
بذِي شُطْبِ أُغْشِي الكَرِيهَةَ سَلْهَبًا      أَقْبَّ كَسِرْخانِ الظَّلَامِ مَعوَدًا<sup>(٤)</sup>

كان زيد الخليل قد خرج يطلب نعماً له في بني بدر ، وأغارَ عامرُ بن الطُّفَيْلِ  
على بني فزارةَ ، فأخذ امرأةً من بني بدرٍ يقال لها هِنْدُ ، واستاقَ نعمًا ؛ فقال بنو بدرٍ  
لزيد : ما كُنَّا قَطُّ إلى نَعْمِكَ أَحْوجَ مِنَّا اليومَ ، فتيِّمه زيد الخليل ، وقد مضى  
وعامرته يقول : يا هِنْدُ ، ما ظَنُّكَ بالقومِ ؟ فقالت : ظنِّي بهم أَنهم سَيَطْلُبُونَكِ ،

(١) في الأغاني : « وامرأته » .

(٢) ١ : « ما في أيديهم » .

(٣) الصمرد : واحد الصماريد ، وهى الأرضون الصلاب .

(٤) السلهب من الخيل : الطويل .

وليسوا نياماً عنك ، فَحَطَّاً<sup>(١)</sup> عَجْرُهَا ، ثم قال : لا تقول أَسْتُهَا شَيْئاً ، فذهبت مثلاً . فأدرَ كَهْ زَيْدُ الخليل ، فنظر عامرٌ إليه فأنكره لَمُظْمِهِ وَجَمَالِهِ ، وغشيه زَيْدٌ فبرز له عامر ، فقال له زيد : يا عامر ، خَلَّ عن الظَّعِينَةِ والنَّعَمِ ، فقال : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ ؟ قال له : فزارىُّ أَنَا ، قال عامر : والله ما أَنْتَ مِنَ الفُلُجِ<sup>(٢)</sup> أَفَوَاهَا ، فقال زيد : خَلَّ عنها ، قال : أو تُخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ فَتَصْدُقْنِي ؟ قال : أَسَدِي ، قال : لا والله ما أَنْتَ مِنَ التَّكْوَرِينَ على ظُهورِ الخليل ، قال : خَلَّ سَبِيلَهَا ، قال : لا ، أو تُخْبِرْنِي فَتَصْدُقْنِي ؟ قال : أَنَا زَيْدُ الخليل ، قال : صدقت ، فما تريد من قتالي ؟ فوالله لو قتلتنى ليطلبنك بنو عامر ولتذهبن بنو فزارة بالذِّكْرِ ، فقال له زيد : خَلَّ عنها ، قال : تُخَلِّي عَنِّي وَأَدْعُكَ وَالظَّعِينَةَ والنَّعَمَ ؟ قال : أَفَعَل ، وجزَّ ناصيته وأخذَ رُمحه والنَّعَمَ وَهِنْدًا فَرَدَّهَا إلى بنى بَدْرٍ ، وقال زيدُ في ذلك :

وَفِي تَمِيمٍ وَهَذَا الْحَيِّ مِنْ أَسَدٍ	إِنَّا لَنُكْثِرُ فِي قَيْسٍ وَقَائِعَنَا
صَدَرَ الْقَنَاةَ بِمَاضِي الْحَدِّ مَطْرَدٍ	وَعَامِرُ بْنُ طُفَيْلٍ قَدْ نَحَوْتُ لَهُ
وَصَارِمًا وَرَبِيضَ الْجَأْشِ ذَا لُبْدٍ <sup>(٣)</sup>	لَمَّا تَيْتَنَ أَنَّ الْوَرْدَ مُدْرِكُهُ
مِنْهُ الْمَنِيَّةُ بِالْحَيْرُومِ وَاللُّغْدِ <sup>(٤)</sup>	نَادَى إِلَى بَيْسَلِمٍ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ
أَشْرَعَتْهُ طَعْنَةً تَكْتَنُ بِالزَّبْدِ <sup>(٥)</sup>	وَلَوْ تَصَبَّرَ لِي حَتَّى أَخْلِطَهُ

ومضى عامرٌ إلى قومه محزوناً ، فأخبرهم الخبرَ ، فغضبوا لذلك ، وقالوا :

(١) حطاً عجزها : ضربها - على عجزها .

(٢) الفلج : المتباعدهو ما بين الأسنان . وفي الأغاني : القلج ، بالقاف والهاء : جمع أفلج ، وهو الذى فى أسنانه صفرة .

(٣) الورد : من أسماء الأسد ، يريد الشجاع .

(٤) اللغد : لحمة فى العنق . والحيزوم : وسط الصدر .

(٥) تكتن بالزبد : تستتر به . وفى الأغاني : « تكتنار » ؛ أى تحبش وترمى .

لا ندوقُ وَسَنًا<sup>(١)</sup> أبداً ، وتجهزوا ليغزوا على طيبي ، ورأسوا عليهم علقمة بن  
علائة ، فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير .

فبعث عامر<sup>(٢)</sup> إلى زيد الخيل دسيساً يُنذره ، فجمع زيد قومه فلقيهم بالمضيق ،  
فقاتلهم ، وأسر الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ، فلما طال عليهم  
الحبس والأسر ، قالوا : يا زيد ، فادنا . قال : الأمر إلى عامر بن الطفيل ، فأبوا  
ذلك عليه ، فوهبهم لعامر إلا الحطيئة وكعباً ، فأعطاه كعب فرسه الكميته ،  
وشكا إليه الحطيئة الحاجة ؛ فمنّ عليه ، وقال زيد :

أقول لعبدى جرّولٍ إذ أسرته      أئبني ولا يفررك أنك شاعر  
أنا الفارس الحامى الحقيقة والذى      له الكرمات واللها والمآر<sup>(٣)</sup>  
وقوى رؤوس الناس والرأس قائد

إذا الحرب شبتها الأ كف المساعر  
ولست إذا ما الموت حوذر ورده      وأترع حوضاه وحمج ناظر<sup>(٤)</sup>  
بوقافة يخشى الخوف تهيباً      يباعدنى عنها من القب ضامر<sup>(٥)</sup>  
ولكننى أغشى الخوف وصعدنى      مجاهرة إن الشجاع مجاهر<sup>(٥)</sup>  
وأروى سناني من دماء عزيزة      على أهلها إذ لا ترجى الأياصر<sup>(٦)</sup>  
فقال الحطيئة :

فإلا يكن مالى باتٍ فإنه      سيأتى ثنائى زيداً بن مهلهل

(١) الوسن : النوم ؛ أراد أنهم لا ينامون عن تأريم .

(٢) اللها : العطايا .

(٣) التحميج : تحديد النظر .

(٤) القب : جمع أقب ؛ وهو من الخيل الدقيق الخصر .

(٥) الصعدة : القناة المستوية . وفي الأغاني : « إن الكريم يجاهر » .

(٦) الأياصر : القرباب ؛ وما يعطفك على رجل من رحم أو صهر .

وأُعْطِيَتْ مِنَّا الْوُدَّ يَوْمَ لَقِينَا  
فَمَا نَلْتَمَنَّا غَدْرًا وَلَكِنْ صَبَحْتَنَا  
تَفَادَى مِحْمَاةَ الْخَيْلِ مِنْ وَقَعِ رَمْحِهِ  
وَقَالَ الْحَطِيطَةُ فِيهِ [أَيْضًا] (٣) :

وَمِنْ آلِ بَدْرِ قَدْ أَصَبْتَ الْأَخِيرَا  
وَإِنْ يَكْفُرُوا لِمِ الْفَاءِ يَا زَيْدُ كَافِرَا  
بِهَا قَدْ تَرَى مِنْهُمْ حُلُولَا كِرَا كِرَا (٥)  
وَبِالْأَمْسِ مَا قَتَلْتَ يَا زَيْدُ عَامِرَا

فرضى عنه زيدٌ لما قال هذا الشعرَ فيه ، وعدَّ ذلك ثوابًا من الحطيئة وقبلة ، فلما رجع الحطيئة إلى قومه أقام فيهم حامدًا لزيد ، شاكرًا لنعمته ، حتى أمرت بنو طييء بنو بدر ، فطلبت فزارة وأفناه قيس إلى شعراء العرب أن يهجوا بني لأم وزيدا ، فتحامتهم شعراء العرب ، وأمتعت من هجائهم ، فاتوا إلى الحطيئة فأبى عليهم ، وقال : اطلبوا غيرى ، فقد حقن دى ، وأطلقنى بغير فداء ، فلست بكافرٍ نعمته أبداً . فقالوا : نعطيك مائة ناقة ، فقال : والله لو جملتموها ألفا لما فعلت ذلك أبداً ، وقال :

كَيْفَ الْهَيْجَاءُ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةٌ  
لَالِ لَأَمٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينَا (٦)

(١) الأخیل : طائر يتشام به ؛ واسمه الشقراق .

(٢) الأجدل : الصقر .

(٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « فيهم » .

(٥) الكراكر : الجماعات ؛ واحدها كركرة .

(٦) في الأغاني : « من آل لأم » .

المنعمين أقام العزَّ وسطهمُ بيضُ الوجوهِ وفي الهيجاءِ مطاعينا<sup>(١)</sup>  
وقيل : إن الحطيئة إنما أسر لما خرج مع بجير بن زهير لأصطياد الوحش ،  
فلقبهم زيد الخيل فأسرهم ، فأفتدى بجير نفسه بفرس كانت لأخيه كعب ، وكعب  
يومئذ مجاور في بني ملقط من طي ، وشكا إليه الحطيئة المأقة ، فأطامته .

وكان حريث بن زيد الخيل شاعرا ، فبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
رجلا من قريش يقال له : أبو سفيان يستقري أهل البادية ، فمن لم يقرأ شيئا من  
القرآن عاقبه ، فنزل بحجلة لبني بنهان ، فاستقرأ ابن عم زيد الخيل يقال له :  
أوس بن خالد بن يزيد<sup>(٢)</sup> بن منهب ، فلم يقرأ شيئا ، فصر به فأت ، فقامت أبنته  
أم أوس تندبه ، وأقبل حريث بن زيد الخيل ، فأخبر به ، فأخذ الرَّمحَ وشدَّ على  
أبي سفيان فطمَّنه فقتله ، وقتل ناسا من أصحابه ، ثم هرب إلى الشام ، فقال في ذلك :

ألا بكر الناعي بأوس بن خالدٍ      أخي الشَّوَّةَ الغبراءِ والزَّمنِ المَحَلِّـ  
فلا تجزعي يا أمَّ أوسٍ فإنه      تُصيبُ المنايا كلَّ حافٍ وذى نَعْلِـ  
فإن يفتلوا أوساً عزيزا فإنني      تركتُ أبا سفيانٍ ملترِمَ الرَّحْلِـ  
فلولا الأسي ماعشتُ في الناسِ بمدِّه      ولكنَّ إذا ما شئتُ جاؤنني مثليـ  
أصبنا به منهم من القومِ سبعةً      كراما ولم نأكلْ بهم حَشَفَ النَّخْلِـ

(١) كذا في الأصول والأغاني . والوجه : « مطاعين » ؛ ويكون في البيت إقواء .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « زيد » .

## الزبير بن العوام\*

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ،  
يذكر هاهنا مقتله .

حدث قتادة قال : سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضى الله عنه -  
من الزاوية<sup>(١)</sup> ، يريد طلحة والزبير وعائشة ، وساروا من الفضة يريدونه ، فالتقوا  
عند قصر عبيد الله بن زياد في يوم الخميس ، النصف من جادى الآخرة سنة ست  
وثلاثين ، فلما تراءى الجمان خرج الزبير على فرس له وعليه سلاحه ، فقيل لعلي  
- رضى الله عنه -<sup>(٢)</sup> : هذا الزبير ، فقال : أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله  
أن يذكره ، وخرج طلحة وخرج علي إليهما ، فدنا منهما حتى التفت أعناق  
خيلهما<sup>(٣)</sup> ، فقال لها : لعمري لقد أعددتما خيلا ورجالا ؛ إن كنما أعددتما عند الله  
تعالى عذرا ، فأتقيا الله ، ولا تكونا كالتى نقصت غزها من بعد قوة أنكنا ؛  
الم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرمت دمكما ! فهل من حدث أحل لكما  
دمي ؟ فقال طلحة : ألبت الناس على عثمان ، فقال : يا طلحة ، أتطلبيني بدم عثمان !  
فلمن الله قتلة عثمان ! يا زبير ، أتذكر يوم برزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في بني غنم ، فنظر إلى وضحك وضحكت إليه ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب  
زهوه ! فقال : مه ! ليس بزهوه ، ولتقاتلنه وأنت ظالم له ؛ فقال : اللهم نعم !  
فلو ذكرت ما سرت مسيرى هذا ، والله لا أقاتلك أبدا .

\* ترجمته في الأغاني ١٦ : ١٢٦ - ١٣٠ ( الساسي ) .

(١) كذا في الأغاني ؛ والزواية تطلق على عدة مواضع ، منها موضع قرب البصرة ، وقرية بين

واسط والبصرة وفي الأصول : « الزابرية » تحريف .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي ا : « عليه السلام » .

(٣) ا : « دواهما » . وفي الأغاني : « حتى اختلفت أعناق دواهم » .



فأنصرف عليٌّ إلى أصحابه فقال : أما الزبيرُ فقد أعطى الله عهداً ألا يقا تلّسني ،  
ورجع الزبيرُ إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ في موطنٍ منذ عقلتُ إلا وأنا أعرفُ  
فيه أمرى غير موطنى هذا .

قالت : وما تريد أن أصنع ؟ قال : أدعهم وأذهب ، فقال له أبنة عبد الله : أجمعتَ  
بين هذين الغارين<sup>(١)</sup> حتى إذا حرد<sup>(٢)</sup> بعضهم لبعض ، أردت أن تذهب وتترُكهم !  
أخشيت رايات ابن أبي طالب ، وعلمت أنها تحمِلها الفتيمة الأُنجاد ! فأحفظه ذلك .  
فقال : إني حلفتُ ألا أقاتلته ، قال : كفرٌ عن يمينك وقاتلته ؛ فدعا غلاماً له يدعى  
مكحولاً ، فأعتقه<sup>(٣)</sup> ، فقال عبدُ الرحمن بنُ سليمان التيميُّ في ذلك :

لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ أَخاً إِخْوَانٍ      أَعْجَبَ مِنْ مَكْفَرِ الْأَيْمَانِ

\* بالعِثْقِ فِي مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ \*

وقال بعض شعرائهم :

يُعْتِقُ مَكْحُولًا لَصَوْنِ دِينِهِ      كَفَّارَةً بِاللَّهِ عَنْ يَمِينِهِ<sup>(٤)</sup>

\* وَالنَّكَتُ قَدْ لَاحَ عَلَى جَبِينِهِ \*

مرَّ الزُّبَيْرُ بِنِي حَمَادٍ فَدَعَوْهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَقَالَ : اكْفُونِي خَيْرَ كَمٍ وَشِرِّ كَمٍ ،  
وَوَاللَّهِ مَا كَفَّوهُ<sup>(٥)</sup> خَيْرَ كَمٍ وَشِرِّ كَمٍ .

ومضى ابنُ فراتسَى إلى الأحنف ، فقال : هذا الزُّبيرُ ، فقال الأحنف : وما أصنع به !

(١) الغار هنا : الجماعة ، وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٧٥ وفي الأصول : « العارين » ،

بالمهملة تحريف .

(٢) حرد : قصد .

(٣) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « فعتقه » .

(٤) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « كفارة لله » .

(٥) في الأغاني : « فقال عوف : فوالله ما كفَّوه » ، وعوف زاوي الخبر .

جمع بين غارين من المسلمين ، يقتل بعضهم بعضا ، ثم يريد أن يلحق بأهله .  
فقام عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونعيم بن كعب ، فلحقوه بالعرق ،  
فقتل ؛ قتله ابن جرموز قبل أن ينتهي إلى عياض .

وكان علي رضي الله عنه قد أرسل ابن عباس إلى ابن الزبير فقال له : يقول لك  
علي : نَشَدْتُكَ اللهُ ! أَلَسْتَ بِأَيَّمَتِي طَائِماً غَيْرَ مَكْرِهِ ! فَمَا الَّذِي أَحْدَثْتُ فَأَسْتَحَلَمْتُ  
بِهِ قِتَالِي ؟ هَلْ نَقِمْتُمَا عَلَيَّ جَوْرًا فِي حُكْمِكُمَا أَوْ اسْتِثَارًا بِنَيْءٍ ؟ فَقَالَا : لَا ، وَلَا وَاحِدَةً  
مِنْهُمَا ، وَلَكِنِ الْخَوْفَ وَشِدَّةَ الْمَطَامِعِ .

قال ابن عباس : فَأَتَيْتُ عَلِيًّا ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ ، فَدَعَا بِالْبَغْلَةِ فَرَكَبَهَا  
وَأَجْتَمَعُوا ، وَرَجَعَ الزَّبِيرُ ؛ فَنَادَى مُنَادِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَلَا لَا تُقَاتِلُوا الْقَوْمَ حَتَّى  
يَسْتَشْهِدُوا مِنْكُمْ رَجُلًا ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَتَى بِرَجُلٍ يَنْشَحِطُ فِي دَمِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : اللَّهُمَّ (١)  
اشْهَد ، اللَّهُمَّ اشْهَد . وَأَمَرَ النَّاسَ فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ الصَّرَاخَ فَصَرَخُوا : أَلَا  
لَا تُدْفِقُوا (٢) عَلَيَّ جَرِيحًا ، وَلَا تَتَّبِعُوا مَدِيرًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أُسِيرًا .

جاء عمرو بن جرموز قاتل الزبير إلى مصعب حتى وضع يده في يده ، فدفاه  
في السجن ، وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره ، فكتب إليه عبد الله :  
بئس ما صنعت ! أظننت أني أقتل أعرابياً من بني تميم بالزبير ! خل سبيله ، فخلاه .  
وَقُتِلَ الزَّبِيرُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ - أَوْ سِتِّينَ - فَقَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ  
زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ تَرْتِيهِ :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِنَارِسٍ بَهْمَةً      يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ (٣)

(١) ساقطة من ب .

(٢) دُفِقَ عَلَى الْجَرِيحِ : أَجْهَزَ عَلَيْهِ .

(٣) البهمة : الشجاع « ويراد بالبهمة هنا الجيش . والمرد : الهارب المحجم عن قومه .

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعى الجنان ولا اليد  
 شلت يمينك إن قتلت لسلماً وجبت عليك عقوبة التعمد<sup>(١)</sup>  
 إن الزبير لذو بلاء صادق سمح سجيته كريم الشهيد  
 كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا بن فقع القردد<sup>(٢)</sup>  
 فأذهب فما ظفرت يداك بمثله فيما مضى مما يروح ويفتدي

وكانت عاتكة قبل الزبير عند عبد الله بن أبي بكر، وكانت امرأة لها جمال  
 وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها؛ فكانت قد غلبته على رأيه، فرت  
 عليها أبو بكر أبوه وهو في عليية<sup>(٣)</sup> يُداعبها في يوم جمعة، وهو متوجه إلى الجمعة،  
 ثم رجع وهو يُداعبها<sup>(٤)</sup>، فقال: يا عبد الله، أجمعت؟ قال: أوصلت الناس؟ قال:  
 نعم، قال: وكانت قد شغلته عن سوق وعن تجارة كان فيها.

فقال له أبو بكر: رضى الله عنه: قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة،  
 وأهتكت عن فرائض الله تعالى؛ طلقها، فطلقها تطليقة، وتحولت إلى جانب الدار؛  
 فبينما أبو بكر يصلى على سطح له في الدار<sup>(٥)</sup> إذ سمعه يقول:

أعانتك لا أنساك ما ذر شارق وما ناح فمرى الحمام المطوق  
 أعانتك قلبي كل يوم وليلة إليك بما تخفي النفوس معلق  
 لها خلق جزل ورأى ومنطق وخلق سواي في حياء، ومصدق  
 فلم أر مثلى طلق اليوم مثلاً ولا مثلاً في غير شيء تطلق

(١) في الأغاني: «عقوبة الشهيد».

(٢) الفقع: نوع من السكأة. والقردد المستوى. ويقال للذليل: فقع قرقرة، وفقع القردد.

(٣) العلية، بكسر العين وضماً: بيت منفصل عن الأرض.

(٤) ١ والأغاني: «يناغيها».

(٥) في الأغاني: «في الليل».

فسمع أبو بكر رضى الله عنه قوله ، فأشرف عليه ، وقد رَقَّ له ، وقال :  
يا عبدَ الله ، راجعْ عاتك ، فقال : أشهدك أنى قد راجعتُها . وأشرف على غلامٍ له  
يقال له : أَيْمَن ، فقال : يا أَيْمَن ، أشهدك أنك حُرٌّ لوجه الله تعالى ، أشهدك أنى  
قد راجعتُ عاتك ، ثم خرج يجرى إليها إلى مؤخر الدار ، وهو يقول :

أَعَاتِكَ قَد طَلَّقْتِ فِي غَيْرِ رِيْبَةٍ      وروِجعتِ للأمر الذى هو كائنُ  
كذلك أمرُ الله غادٍ ورائحُ      على الناس فيه أُلْفَةٌ وتَبَانُ  
وما زال قلبى للتفرُّق طاراً      فقلبى لما قرَّتْ به العَيْنُ ساكِنُ<sup>(١)</sup>  
لِيَهْنِكَ أَنْى لَمْ أَجِدْ فِيكَ سَخَطَةً      وَأَنْكَ قَد نَمَتَ عَلَيْكَ الْمَحَاسِنُ  
وَأَنْكَ تَمَنَّى زَيْنَ اللَّهِ وَجْهَهُ      وليس لوجهِ زَيْنِ اللَّهِ شائِنُ  
وأعطاهَا حديقةً حين راجعَها على ألا تزوجَ أحداً بعده ، فلما مات بالسهم الذى  
أصابه بالطائف أنشأت تقول :

فَلِهَ عَيْنًا مِنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى      أَكْرَّ وَأَحْمَى فِي الْهَيْاجِ وَأَصْبَرَا  
إِذَا شَرَعْتُ فِيهِ الْأَسِنَّهُ خَاضَهَا      إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ الرَّمَحَ أَحْمَرَا  
فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِيمَةً      عَلَيْكَ ، وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَعْبَرَا  
مَدَى الدَّهْرِ مَاغَنَّتْ حَامَةً أَيْكَةً      وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنُورَا

فخطبها عمر رضى الله عنه ، فقالت : قد كان أعطاني حديقةً على ألا تزوجَ بعده .  
فقال لها : استفتى ، فأستفتتُ أميرَ المؤمنين على بنَ أبى طالب - رضى الله  
عنه - ، فقال لها : رُدِّى الحديقةَ على أهلِهِ وتزوجى ، فتزوجتُ عمرَ رضى الله عنه ،  
فسير<sup>(٢)</sup> عمرُ إلى عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْهُمْ<sup>(٣)</sup> على بنُ

(١) فى الأغانى : « وقلبى لما قد قرب الله ساكن » .

(٢) فى الأغانى : « فسرَح » .

(٣) فى الأغانى : « فيهم » .

أبي طالب - رضى الله عنه - فدعاهم لما بنى بها ، فقال له على : إن لى إلى عاتكة حاجةً أريد أن أكلمها ، فقل لها تستتر ، فقال لها عمر : تسترى يا عاتكة ، فإن على ابن أبي طالب يريد أن يكلمك ، فأخذت عليها مرطها<sup>(١)</sup> ، فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها<sup>(٢)</sup> ، فقال : يا عاتكة :

فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً      عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا

فقال له عمر : يرحمك الله ؛ ما أردت إلى هذا ! فقال على : وما أرادت<sup>(٣)</sup> أن تقول مالا تفعل ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فهذا شئ كان في نفسى ، أحببت أن يخرج ، فقال عمر : ما حسن الله فهو حسن .

فلما قتل عمر رضى الله عنه ، قالت ترثيه :

عَيْنُ جُودِي بِمَبْرَةٍ وَنَحِيبِ	لَا تَمَلِّ عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ
فَجَعَتْنَا الْمُنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعْرِ	يَلِمُ يَوْمَ الْهِجَابِ وَالتَّلْبِيبِ <sup>(٥)</sup>
عَصْمَةَ اللَّهِ وَالْمَعِينِ عَلَى الدَّهْدِ	رِ ، غِيَاثِ الْمُنْتَابِ وَالْحَرْوِبِ <sup>(٦)</sup>
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مَوْتُوا	قَدْ سَقَتَهُ الْمُنُونُ كَأْسَ شَعُوبِ <sup>(٧)</sup>

(١) المرط : كساء من صوف أو خز .

(٢) البراجم : مفاصل الأصابع ، لذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت .

(٣) فى الأغانى : « وما أرادت إلى أن تقول » .

(٤) سورة الصف ٣ .

(٥) فى الأغانى : « فجعتنا المحتوف » .

(٦) المنتاب : الذى يأتى للطلب نوبة بعد نوبة ؛ والمحروب : المسلوب ماله .

(٧) شعوب : اسم المنية .

فلما أنقضت عِدَّتُهَا خطبها الزُّبيرُ بنُ العوام ، فتزوجها ، فلما ملكها قال لها : يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد - وكانت امرأةً عَجْزَاءَ بَادِنَةً - فقالت : يا بنِ العوام ، أتريدُ أن أدعَ لغيرِ نكِّ مصلِّي صليتُ فيه مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمرَ رضَى اللهُ عنهما !

قال : فإنِّي لا أمنمك . فلما سمع النداءَ لصلاة الصُّبحِ يوماً خرج فقام لها في سَقِيفَةِ بنى ساعدة ، فلما مرَّت به ضربَ يده على عَجِيزَتِهَا فقالت : مالكَ قَطَعَ اللهُ يدَكَ ! ورجعتُ ، فلما رجع الزُّبيرُ من المسجد قال : يا عاتكة ، مالي لَمْ أركِ في مُصَلَّاكَ ؟ قالت : يرحمك اللهُ أبا عبدِ اللهِ ! فسَدَ النَّاسُ بعدَكَ الصلاةُ في القَيْطُونِ<sup>(١)</sup> اليومَ أفضلُ منها في البيت ، وفي البيت أفضلُ منها في الحِجْرَةِ ؛ فلما قُتِلَ عنها الزُّبيرُ بوادي السَّبَاعِ قالت ترثيه :

\* غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً \*

#### الآيات المتقدمة .

فلما أنقضت عِدَّتُهَا تزوجها الحسينُ بنُ عليٍّ رضَى اللهُ عنهما ، فكانت أوَّلَ من رَفَعَ خَدَّهُ عن الترابِ يومَ قُتِلَ ؛ وقالت ترثيه :

وَأَحْسِينَا ! وَلَا نَسِيتُ حُسَيْنًا أَفْصَدَتْهُ أَسْمَةُ الْأَعْدَاءِ<sup>(٢)</sup>

غَادَرُوهُ بِكَرِّ بَلَاءٍ صَرِيحًا جَادَتِ الْمَرْزُوقُ فِي ذَرْيِ كَرِّ بَلَاءٍ<sup>(٣)</sup>

ثم تَأَيَّمَتْ<sup>(٤)</sup> بعد ذلك ، وكان عبدُ اللهِ بنُ عمرَ يقول : من أراد الشهادةَ فليتزوّجَ عاتكة ، وكان مروانُ قد خطبها بعد الحسين فأمتمتْ عليه ، وقالت :

(١) القيطون : المجدع .

(٢) يقال : أفصدت السهم فلانا ، إذا طعنه فلم يخطئه .

(٣) الذرى هنا : الفناء .

(٤) تأيمت : مكثت ولم تتزوج .

ما كنت متخذة حمواً<sup>(١)</sup> بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، قد خطب عاتكة لما قُتِل الزبير ، فقالت : إني لأضنُّ بك يا بن عمِّ رسولِ الله عن القتل .

اجتمع فتيةٌ من قریش ببطنِ مُحَسَّر يتذاكرون الأحاديث ، ويتناشدون [الأشعار]<sup>(٢)</sup> ، فأقبل طويس ، وعليه قيضٌ قوهي<sup>(٣)</sup> ، وحبرة قد أرندى بها ، وهو يخطِر في مشيته ، فجلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد النعم<sup>(٤)</sup> ، غننا شعراً مليحاً له حديث طريف ، فغنناهم شعراً عاتكة بنت زيد ، ترثي عمرَ رضى الله عنه :

مُنِعَ الرَّقَادُ فَعَادَ عَيْنِي عَيْدُ      مِمَّا تَضَمَّنَ قَلْبِي الْمَعْمُودُ  
يَالَيْلَةَ نَحَسْتُ عَلَى نَجْوُمِهَا      فَسَهَرْتُهَا وَالسَّاهِرُونَ رُقُودُ<sup>(٥)</sup>  
قَدْ كَانَ يُسَهِّرُنِي حِذَارِكِ مَرَّةً      وَالْيَوْمَ حَقَّ لِعَيْنِي التَّسْهِيدُ  
أَبِكِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ      لِلزَّارِئِينَ صَفَائِحُ وَصَعِيدُ

فقال له القوم : لمن هذا الشعر؟ فقال : لأجلِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَشَامِ خَلْقِ اللَّهِ ، فقالوا : بأنفسنا أنت ؛ لمن هذا؟ قال : والله من لا يُجْهَلُ نسبها ، ولا يُدْفَعُ شرفها ، تزوجت بأبن خليفة رسول الله؛ وثنت بخليفة خليفة رسول الله ، وثنت بجواري رسول الله ، وربعت بابن رسول الله ، وكلت قتلت ، فقالوا : جعلنا الله فداك ! من هذه ؟ فإن أمرها لعجب ! قال : عاتكة بنت زيد . قالوا : نعم ، هي على

(١) كذا في ١ ، وفي الأغاني : « حما » ، وها سواء .

(٢) تكلمة من الأغاني .

(٣) الثياب القوية : ثياب بيض ، معروفة ، تنسب إلى قوهستان .

(٤) في الأغاني : « يا أبا عبد الله » .

(٥) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « حبست على نجومها » .

ما وَصَفَتْ ، قوموا بنا لا يُدْرِكُ شَوْمُهَا مَجْلِسَنَا<sup>(١)</sup> ، فقال طُوَيْسٌ : إِنَّ شَوْمَهَا  
قَدِمَاتٌ مَعَهَا . قالوا : وَاللَّهِ أَنْتَ أَعْلَمُ مَنْنَا .

وَلَمْ يَزَلِ السَّهْمُ الَّذِي أَصَابَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَحْفُوظًا عِنْدَ أَبِيهِ أَبِي بَكْرٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قَدِمَ وَفَدُّ تَقِيْفٍ ، فَأَخْرَجَ السَّهْمَ ، فَقَالَ : مَنْ يَعْرِفُ هَذَا مِنْكُمْ ؟  
فَقَالَ سَمِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ مِنْ بَنِي عِلَاجٍ : هَذَا سَهْمِي أَنَا زَيْتُهُ ، وَبِرِّيَّتُهُ وَعَقَبَتُهُ<sup>(٢)</sup> ،  
وَأَنَا رَمَيْتُ بِهِ يَوْمَ الطَّائِفِ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَهَذَا السَّهْمُ الَّذِي قَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِيَدِكَ ،  
وَلَمْ يُهِنِّكَ بِيَدِهِ .

---

(١) ١ ، والأغاني : « لا يدرك شؤمها » .

(٢) عقب السهم والقوس : لوى شيئاً من العقب عليها .



## الزبير بن دحمان\*

يُذكر نسبه في ترجمة أبيه في حرف العين ؛ لأن اسم أبيه عبد الرحمن ؛ وهو دحمان الأشقر ، أبوه مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة .

كان الزبير من المحسنين المتقدمين في الصنعة ، قدم على الرشيد من الحجاز ، وكان المنون في أيامه حزبين ، وكان الزبير في حزب إسحاق ، وأخوه عبيد الله في حزب إبراهيم بن المهدي ، فلما قدم الزبير من الحجاز على الرشيد ، قدم رجل ماشئت عقلا ونبلا ، وأدبا ودينا ، وسكونا ووقارا ، وكان أبوه قبله كذلك .  
وقدم معه أخوه عبيد الله .

قال إسحاق بن إبراهيم : فلما جلسنا مع الرشيد تحيلت في الزبير الفضل ، فقلت لأبي : يا أبة<sup>(١)</sup> ما أخلق الزبير بالفضل ، وأن يكون أفضل من أخيه !  
فقال : هذا لا يجيء بالظن والتخمين<sup>(٢)</sup> ، والجواد إنما يمتحن في الميدان .  
فقلت : إن الجواد عينه فراره<sup>(٣)</sup> ، فضحك وقال : ننظر في فراستك ، فلما غمينا بان فضل الزبير وتقدمه ، فاصطفيناه لأنفسنا ، وقرظناه ووصفناه ، وصار في حزبنا .

وغنى الرشيد غناء كثيرا من غناء المتقدمين ، فأجاد وأحسن .  
وسأله الرشيد أن يعنيه شيئا من صنمته ، فقلوبى وقال : قد سمع أمير المؤمنين

\* ترجمته في الأغاني ١٧ : ٧٣-٧٨ (ساسي).

(١) في الأغاني : « يا أبت » .

(٢) في الأغاني : « التخيل » .

(٣) فراره ، مثلثة الفاء ، أى يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه .

غناء الحذاق ، فما عسى أن يأتي من صنعتي ! فأقسم عليه أن يفيته من صنعته ،  
وجد به فغناه :

أرحلًا صاحبيَّ حان الرّحيلُ      وأبكياني فليس تبكي الطلؤلُ  
قد تولّى النهارُ ، وانقضت السّم      س يُمينًا ، وحان منها أفولُ

فسمعنا صنعةً حسنةً ، لا مَطْعَنَ عليها ، فطرب الرّشيدُ ، واستعاده ثلاث  
مرّات ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، ولأخيه بعشرين ألف درهم .

قال إسحاق : فقات لأبي : يا أبة ، كيف كانت صنعةُ عبيد الله ؟ قال : أنا أجمل  
لك القول ، لو كان الزبيرُ مملوكًا لا شترته بعشرين ألف دينار ، ولو كان عبيد الله  
مملوكًا لما طابت نفسى أن أشرته بعشرين دينارًا ، فقلت له : قد أجبته بما يكفيني .

وكان غناء دحمان يُشبهه غناء ابنه عبد الله ، والزبيرُ يَفْضَلُ عليهما فضلًا بعيدًا .

كتب الرّشيدُ في إشخاص الزبير بن دحان إلى مدينة السلام (١) فوافاها ،  
واتفق قدومه في وقت يخرج الرّشيد إلى الرّبيّ لمُحاربة بندار هُرْمز أصهبند (٢)  
بطبرستان ، فأقام الزبيرُ بمدينة السلام إلى أن عاد الرّشيد ، فدخل عليه في  
الشماسية (٣) ، فغناه في أوّل غنائه :

ألا إن حزب الله ليس بمجزرٍ      وأنصاره في منعة المتحرزِ  
أبي الله أن يعصى لها دون أمره      وذلت له طوعًا يد المتعزِ  
إذا الرّاية السوداء راحت أو أعتدت      إلى هاربٍ منها ، فليس بمجزرٍ

(١) مدينة السلام ؛ هي بغداد .

(٢) الإصهبند : اسم لمملوك طبرستان . الألفاظ الفارسية ١٠٧ . وفي الأغاني : « أصهبند

طبرستان » .

(٣) في الأغاني : « فلما قدم دخل عليه بالمجزرانية وهو الموضع الذي يعرف بالشماسية ... » .

أطاعتْ لهَادُونَ الْعِدَاةَ لَدَى الْوَعْيِ وَكَبُرَ لِلْإِسْلَامِ بِنِدَارِ هُرْمُزٍ<sup>(١)</sup>  
قيل : إنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَخَانَ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ،  
فَاسْتَحْسَنَ الرَّشِيدُ الشَّعْرَ وَالْغِنَاءَ ، وَأَمْرُهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَدُفِعَتْ إِلَيْهِ ، فَكَثَّ  
سَاعَةً<sup>(٢)</sup> وَغَنَى صَوْتًا ثَانِيًا :

وَأَحْوَرَ كَالغُصْنِ يَشْفِي السَّقَامَ وَيَحْكِي الْغَزَالَ إِذَا مَا رَنَا  
شَرِبْتُ الْمُدَامَ عَلَى وَجْهِهِ وَعَاطَيْتُهُ الْكَأْسَ حَتَّى أَثْنَى  
وَقَلْتُ مَسِيحًا أُرْجَى بِهِ مِنْ الْأَجْرِ حِطًّا وَنَيْلَ الْغِنَى  
وَأَعْنَى بِذَلِكَ الْإِمَامَ الَّذِي بِهِ اللَّهُ أَعْطَى الْعِبَادَ الْمُعْنَى  
فَمَا فَرَّغَ مِنَ الصَّوْتِ حَتَّى أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى ، فَأَخَذَهَا ، وَخَفَّ عَلَى قَلْبِهِ ،  
وَأَسْتَظَرَفَهُ ، فَأَغْنَاهُ فِي أَيَّامِ سِيرَةٍ .

كَانَ الرَّشِيدُ بِمَدِّ قَتْلِ الْبِرَامِكَةِ شَدِيدَ الْأَسْفِ عَلَيْهِمْ ، وَالنَّدَمَ عَلَى مَا فَعَلَ بِهِمْ  
<sup>(٣)</sup> فَفَطَنَ لَذَلِكَ الزُّبَيْرِ بْنِ دَحَانَ ؛ فَكَانَ يَغْتَنِيهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَيَجْرِّكُهُ ، فَغَنَاهُ يَوْمًا  
فِي شَعْرِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ<sup>(٤)</sup> :

مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الْخِصَامُ بِهِمْ يَوْمَ الْجِدَالِ وَمَنْ لِلضُّمَرِ الْقُودِ<sup>(٥)</sup>  
وَمَوْقِفٍ قَدْ كَفَيْتَ الْنَاطِقِينَ بِهِ فِي تَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ<sup>(٥)</sup>  
فَرَجَّتْهُ بِلِسَانٍ غَيْرِ مَلْتَبَسٍ عِنْدَ الْحِفَازِ وَقَلْبٍ غَيْرِ مَزْمُودِ<sup>(٦)</sup>

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي ، وَفِي الْأَصُولِ « وَكَفَرَ » تَحْرِيفٌ .

(٢) ب ، ج : « ثَانِيًا » .

(٣-٣) سَاقَطَ مِنْ ب ، ج .

(٤) الْقُودُ : جَمْعُ أَقُودٍ ؛ وَهُوَ مِنَ الْحَيْلِ : الذَّلُولُ الْمُنْقَادُ .

(٥) يُرِيدُ بِنَوَاصِي النَّاسِ رُءُوسَهُمْ .

(٦) الْمَزْمُودُ : الْمَذْمُورُ ؛ وَفِي الْأَغَانِي : « غَيْرِ مُرْدُودٍ » .

فقال الرشيد: أَعِدُّ، فأعاد، فقال: وَيَحْكُ ! كَأَنَّ قَائِلَ هَذَا الشَّعْرِ يَصِفُ بِهِ يَحْيَى  
ابن خالد وجعفر بن يحيى ؛ وبكى حتَّى جرتْ دموعُه ، ووَصَلَ الزَّيْبِرَ صِلَةً سَنِيَّةً .  
غَضِبَ الرَّشِيدُ عَلَى أُمِّ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ تَرْضَاهَا ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْضَى عَنْهُ ، فَأَرَادَ  
لَيْلَتَهُ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ قَالَ : أفرشوا لِي عَلَى دِجْلَةٍ ، ففعلوا ، وجعل ينظر إلى الماء ، وقد زاد  
زيادةً عجيبةً ، فسمع غناءً في هذا الشعر :

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَانِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى

وفاضت له من مقلتي غروبُ

وما ذاك إلا حين خُبرتُ أنه

يكون أجاجاً دونكم فإذا أنتهى

فيا ساكني أكناف دجلة كلُّكم

إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ

فسأل عن النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا الْغَنَاءُ ، فقيل دار المسيب <sup>(٢)</sup> ، فبعث إليه أن أبعث  
المغني ، فبعث به ، فإذا هو الزَّيْبِرُ بْنُ دَحَّانٍ ، فسأله عن الشعر ، فإذا هو للعبَّاس  
ابن الأحنف ، فاحضره فأستنشدَه إِيَّاهُ فَأَنشَدَه ، وجعل الزَّيْبِرُ يَغْنِيهِ ، والعبَّاس  
يُنشِدُه ، وهو يستعيدهما ، حتَّى أصبح وقام ، فدخل على أُمِّ جَعْفَرٍ ، فسألت عن سبب  
دخوله فمرفته ، فوجهت إلى العبَّاس ألفَ دينار ، وإلى الزَّيْبِرِ بن دحمان ألفَ دينار .  
تشوَّقَ الرَّشِيدُ إِلَى بَنَدَادٍ وَهُوَ بِالرَّقَّةِ ، فَأُنْحَدَرَ إِلَيْهَا ، فأقام بها مدَّةً ،  
وخلف هناك جاريةً من حظاياها لمغاضبةٍ كانتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ ، فتشوَّقها شوقاً شديداً ،  
فقال فيها :

سَلامٌ عَلَى النَّازِحِ الْمُغْتَرِبِ تَحِيَّةٌ صَبَّ بِه مَكْتُوبُ

(١) كذا في ا ، وفي الأغاني : « ليله » ؛ وفي ب ، ج : « ذات ليلة » ، وليس بشيء .

(٢) في الأغاني : « ابن المسيب » .

غزال مَرَّاقُمُه بِالْبَلِيخِ إِلَى دَيْرِ زَكِّي فَقَصَرَ الخَشَبَ (١)  
أَيَا مَنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِتَخْلِيْفِهِ طَائِمًا مَنْ أَحَبُّ  
سَأَسْتُرُ وَالسَّتْرُ مِنْ شِيْمَتِي هَوَى مَنْ أَحَبُّ بِيْنَ لَا أَحِبُّ  
وَجَمَعَ المَفْنِيْنَ ، وَأَعْطَاهُم الشُّمْرَ ، وَقَالَ : لِيَعْمَلْ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِ لِحْنًا ، فَعَمَلُوا  
فِيهِ عَشْرِينَ لِحْنًا ، فَمَا أَعْجَبَهُ مِنْهَا إِلَّا لِحْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ دَحْهَانَ ، وَأَجَازَهُ خَاصَّةً دُونَ الجَمَاعَةِ  
بِجَازَةِ سَنِيَّةٍ .

---

(١) فِي الأَغْنَى : « بَقَصَرَ الخَشَبَ » .

## زهيرُ بنُ جناب\*

هو زهيرُ بنُ جنابِ بنِ هُبَلِ بنِ عبدِ الله بنِ كنانةَ بنِ بكرِ بنِ عوفِ بنِ عُذرةِ ابنِ زيدِ اللاتِ بنِ رُفيدةَ بنِ ثورِ بنِ كَلْبِ بنِ وبرةَ بنِ ثعلبةَ<sup>(١)</sup> بنِ حُلوانِ بنِ عمرانِ ابنِ الحُفّاءِ بنِ قُضاعةَ .

شاعرٌ جاهليٌّ ، سيّدُ بني كَلْبِ ، وقائدُهُم في حروبِهِم . وكان شجاعاً مظفراً ميمونَ النَّقِيبَةِ في غزواتِهِ ، وهو أحدُ المعمّرينِ ، وأحدُ مَنْ مَلَّ عمرَهُ ، فشربَ الخمرَ صرفاً حتّى قتلتَهُ ، ولمْ يوجدْ شاعرٌ في الجاهليّةِ والإسلامِ وُلدَ من الشعراءِ أكثرَ من وُلدِ زهيرٍ<sup>(٢)</sup> .

وكان ظاعناً ، فقال عبدُ الله بنُ عُلمِ بنِ جنابِ : إنَّ الحَيَّ مقيمٌ . فقال عبدُ الله : إنَّ الحَيَّ ظاعنٌ ، فقال : مَنْ هذا الَّذي يُخالِفي منذَ الأيَّامِ ؟ فقيلَ له : أبنُ أخيك عبدُ الله ، فقال : أو ما هاهنا أحدٌ ينهأ عن ذلك ! قالوا : لا تغضب ، فغضب وقال : لا أرى ، قد خولفتُ ! ثم دعا بالخمرِ فشرَبها صرْفاً بغيرِ مزاجِ على غيرِ طعامٍ حتّى قتلتَهُ .

وهو القائلُ في ذمِّ الكدِّ وطولِ الحياة :

الموتُ خيرٌ للفتى      فليهلِكَنَّ وبِهِ بقيّةُ  
من أن يَرى الشيخَ البجا      لَ إذا تهادى بالعشيّةِ<sup>(٣)</sup>

\* ترجمته في الأغاني ٢١ : ٦٣ - ٦٩ (ساسى) .

(١) في الأغاني : « تغلب » .

(٢) في الأغاني : « ممن ولد زهير » .

(٣) البجال : السيد الذي يجعله قومه .

أَبْنِيَّ إِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَوْرَثْتُكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةً  
فَدَرَكْتُمْ أَبْنَاءَ سَا دَاتٍ زِنَادُكُمْ وَرِيَّةً (١)  
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ (٢)

كان الحارثُ بنُ ماريةَ الغَسَّانِيُّ مُكْرِمًا لَزُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ، يناديه ويحادثه ،  
فقدِمَ على الحارثِ رجلانِ من بني نَهْدِ بْنِ أَيْزِيدٍ ، يقال لأحدهما : حَزْنٌ ، وللآخر سَهْلٌ  
ابنِي رَزَاحٍ ، وكان عندهما من أحاديثِ العَرَبِ عِلْمٌ ، فأجبتاهُ المَلِكُ ، ونزلا منه  
المكان الأثِيرُ ، فحسدها زهيرُ بنُ جَنَابٍ ، فقال : أيها المَلِكُ ، هما واللهِ عَيْنُ لَدَى  
الْقَرْنَيْنِ عَلَيْكَ - يعنى المُنْدِرَ الأكبرَ ، جَدَّ التَّعْمَانِ بْنِ المُنْدَرِ - وهما يكتبانِ إليه  
بمَوَرَّتِكَ ، وَخَلَلِ مَا يَرِيانِ مِنْكَ ، قال : كَلَّا ؛ فلم يزلْ به زهيرٌ حَتَّى أَوْعَلَ صدره ،  
وكان إذا ركبَ بعثَ إليهما بعيرينَ ، يَرِ كَبانَ معه ، فبعثَ إليهما بناقةً واحدةً ،  
فَمَرَفَا الشَّرَّ ، فلم يركبَ أحدهما وتوقَّفَ ، فقال له الآخرُ :

فإِلا تَجَلَّلَها يُعَالُوكِ فَوْقَها وَكَيْفَ تُوقِي ظَهْرَما أَنْتَ رَاكِبُهُ! (٣)

فركبها مع أخيه ومضى بهما فقتلًا . ثم بحث عن أمرها بعد ذلك فوجدها  
باطلا ، فشتتم زهيراً وطرده ، وأنصرف إلى بلاد قومه . وقدِمَ رَزَاحٌ أبو المقتولين  
إلى المَلِكِ ، وكان شيخا عالما ، فأكرمه المَلِكُ ، وأعطاه ديةَ أبنِيهِ .

وبلغ زهيرٌ مكانه ، فدعا أبنائاً له يقال له عامر ، وكان من فتيان العرب لسانا

---

(١) زنادكم وريه ، كنى بذلك عن بلوغ مأربهم ؛ تقول العرب : وريت بك زنادى ، أى  
نلت بك ما أحب من النجاح والنجاة .

(٢) التحية : الملك أو البقاء .

(٣) تجللتها : علاها وركبها .

وَبَيَّانًا ، فقال له : إن رَزَاحًا قد قَدِمَ على المَلِكِ ، فألْحَقْ به ، وأَحْتَلْ في أنْ تَكْفِينِيهِ .  
وقال له : أَتَهْمِنِي عندَ المَلِكِ ونَلِّ مَتْنِي ، وضرَبَ به ، وأثَّرَ فيه آثارًا .

فخرج الغلامُ حتَّى قَدِمَ الشَّامَ ، فتلَطَّفَ للدَّخولِ على المَلِكِ حتَّى وصلَ إليه ،  
فأعجَبَهُ بَيَّانُهُ ، فقال له : مَنْ أنتُ ؟ قال : عامرُ بنُ زهيرِ بنِ جَنَابٍ ، قال : لا حِيَاكَ  
اللهُ ولا حِيَا أَبَاكَ العَادِرَ الكذُوبَ السَّاعِي ! قال <sup>(١)</sup> عامر : نعم ، فلا حِيَا الله !  
انظُرْ أَيُّهَا المَلِكُ ما صنَعَ بَطْهَرِي ! وأراه آثارَ الضَّرْبِ ، فقبلَ ذلكَ منه ، ثم أدخَلَهُ  
في نُدُمَائِهِ ؛ فبينما هو يوما يحدِّثُهُ إذ قال : أَيُّهَا المَلِكُ ، إنِّي وإنْ كانَ أبى مُسِيئًا لا أدعُ  
أنْ أقولَ الحَقَّ فيه ، وقد والله نَصَحَكَ ، ثم قال :

فِيَاكَ نَصْحَةٌ لَمَّا يذْفُهَا أَرَاهَا نَصْحَةٌ ذَهَبَتْ ضَلَالًا

ثم تركه أيتامًا ، وقال بعد ذلك : أَيُّهَا المَلِكُ ، ما تقول في حِيَّةٍ قَطَعَتْ ذَنبُهَا وبقيَ  
رأسُها ؟ قال : ذلكَ أبوكَ وصنيمه بالرَّجُلَيْنِ ما صنَع ، قال : أبيتَ اللَّعْنُ ! فوالله  
ما قَدِمَ رزَاحٌ إلا لِيُثَارَ بهما ، فقال له : وما آيةُ ذلكَ ؟ قال : اسقِه الخمرَ ، ثم أبعثْ  
عليه عِيْنًا لكَ يَأْتِيكَ بِخَبْرِهِ ؛ فسقاه ، فلَمَّا أَتَشَى صرَفَهُ إلى قَبْتِهِ ومعه بنتُهُ ، وبعثْ  
عليه عِيُونًا ، فلَمَّا دخلَ قَبْتَهُ قامتْ أبنَتُهُ تُسَاندُهُ ، فقال :

دَعِينِي من سِنَادِكَ إنَّ حَزَنًا وَسَهْلًا ليس بَمَدَّهِمَا رُقُودُ

ألا تَسَلِينِ عن سِبْطِيكَ ماذا أصَابَهُمَا إذا اهْتَرَشَ الأَسْوَدُ !

فإني لو تَمَارَتُ المرءُ حَزَنًا وَسَهْلًا قد بدا لكِ ما أريدُ

فرجع القومُ إلى المَلِكِ فأخبروه بما سَمِعُوا ، فأمرَ بِقَتْلِ التَّهْدِي ، فقتل . وردَّ

زهيرًا إلى موضعه .



وكان قد غزَا غَطَفَانَ ؛ وسببُ ذلك أن بني بغيض خرجوا من تهامة ، فساروا بأجمعهم ، فعمرت لهم صداء ( قبيلة من مذحج ) فقاتلهم ، وبنو بغيض ساروا بأهلهم ونسائهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حريمهم فظهروا على صداء ، فأوجعوا فيهم ، وعزّت بنو بغيض بذلك وأثرت ، وأصاب غنائم ، فلما رأوا ذلك قالوا : والله لنتخذن حرمًا مثل حرم مكة ؛ لا يُقتل صيده ، ولا يُعضد شجره ، ولا يُهاج عائده .

فوليت ذلك بنو مرة بن عوف ، ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رباحُ ابن ظالم ، ففعلوا ذلك ، وهم على ماء لهم ، يقال له : « بس » ، وبلغ فيهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب - وهو يومئذ سيد بني كلب - فقال : والله لا يكون ذلك أبدًا وأنا حي ، ولا أخلى غطفان تتخذ حرمًا أبدًا ، فنادى في قومه ، فأجمعوا إليه ، فقام فيهم فذكر حال غطفان ، وما بلغه عنها وأن أكرم مائة يعتقدها هو وقومه أن يمنعهم من ذلك ، ويحولوا بينهم وبينه ، فأجابوه ، وأستمد بنو القين بن جشم ، فأبوا أن يغزوا معه ، فسار في قومه حتى غزا غطفان ، فقاتلهم وظفر بهم زهير ، وأصاب حاجته منهم ، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حرمهم الذي بنوه . فقال لبعض أصحابه : اضرب عنقه <sup>(١)</sup> . فقال : إنه بس <sup>(٢)</sup> فقال زهير : وأبيك ما بس على حرام ، وقام إليه فضرب عنقه ، وعطل ذلك الحرم ، ثم من على غطفان ، فردّ النساء ، وأستاق الأموال ، وقال زهير في ذلك :

وَلَمْ تَصْبِرْ لَنَا غَطَفَانُ لَمَّا <sup>(٣)</sup> تَلَقَيْنَا وَأَحْرَزَتِ النِّسَاءُ  
وَلَوْلَا الْفَضْلُ مِنَّا مَا رَجَعْتُمْ إِلَى عَدْرَاءِ شِمْتِهَا الْحِيَاءِ

(١) الأغاني : « رقبته » .

(٢) البسل : الحلال والحرام ، ضد ، وهنا بمعنى حرام .

(٣) ب ، ج : « بنو غطفان » .

فكم غادرتُ من بطلِ كميِّ  
 فدونكم دُيوناً فأطلبوها  
 فإنّا حيث لا نخفى عليكم  
 فغلى بعدها غطفانُ بساً  
 فقد أضحي لحيّ بنى جنابٍ  
 ويصدقُ طمنناً في كلِّ يومٍ  
 نفينا نخوةَ الأعداءِ عنّا  
 ولولا صبرُنا يومَ التقيماً  
 غداةَ تعرّضوا لبنيِ بغيضٍ  
 وقد هربتُ حذارَ الموتِ قينٌ  
 وقد كنا رجونا أن يمدّوا  
 وألهى القينَ عن نصرِ الموالى

لدى الهيجاءِ كان له غناء  
 وأوتاراً ودونكم اللقاء  
 ليوثُ، حينَ يُهتصرُ اللواءُ (١)  
 وما غطفانُ والأرضُ الفضاءُ!  
 فضاء الأرضِ، والماءُ الرّواءُ (٢)  
 وعند الطعنِ يُختبرُ اللقاءُ  
 بأرمحٍ أسنتها ظهائِ  
 لقينا مثلَ ما لقيتُ صداءُ  
 وصدقُ الطعنِ للنوَكى شفاءُ  
 على آثارٍ من ذهبِ الغفاءِ  
 فأخلفنا من أخوتنا الرّجاءِ  
 حلابُ النيبِ، والمرعى الصّراءُ (٣)

كان أزرهه حين طلع نجداً أتاه زهيرُ بنُ جنابٍ ، فأكرمه أبرههً وفضّله على من أتاه من العرب ، ثم أمره على بكرٍ وتغلبَ أبني وائل ، فولّيهم وأصابتهم سنةٌ شديدة ، فاشتدّ عليهم ما يطلبُ منهم زهير ، فأقام بهم في الجذب ، ومنعهم من النّجعة حتى يؤدّوا ما عليهم ، فكادت مواشيمهم تهلك ، فلمّا رأى ذلك ابنُ زبابة ، أحد بني تميم اللات بن ثعلبة - وكان رجلاً فاتكاً - دخل على زهير بن جناب ، وهو نائم في قبةٍ له من آدم - وكان زهير رجلاً عظيمَ البطن - فأعتمد ابنُ زبابةَ بالسيف

(١) الاهتصار : سقوط اللواء ، وأصله في غصن الشجرة .

(٢) الرّواء : العذب والكثير .

(٣) الصّراء : الشجر الكثيف المتلف في الوادي .

على بطن زهير ، فآر في بطنه حتى خرج مارقاً بين الصفاق<sup>(١)</sup> ، وسَلِمَتْ أَعْفَاجُ بطنه<sup>(٢)</sup> ، وظن ابن زِيَابَةَ أَنَّهُ قَتَلَهُ ، وَعَلِمَ زُهَيْرٌ أَنَّهُ قَدْ سَلِمَ ، وَتَخَوَّفَ أَنْ يَتَحَرَّكَ فَيُجْهَزَ عَلَيْهِ ، فَسَكَتَ وَانصَرَفَ ابْنُ زِيَابَةَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ قَتَلْتُ زُهَيْرًا فَكَفَيْتُمْ كُمُوهَ ، فَسَرَّهَمُ ذَلِكَ ، وَلَمَّا عَلِمَ زُهَيْرٌ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنْ بَكْرِ وَتَغْلِبَ ، وَإِنَّمَا مَعَ زُهَيْرٍ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ بِمَنْزِلَةِ الشَّرَطِ ، فَأَمَرَ زُهَيْرٌ قَوْمَهُ فَعَمِيْبُوهُ بَيْنَ عَمُودَيْنِ فِي ثِيَابٍ ، ثُمَّ أَتَوْا الْقَوْمَ فَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّكُمْ فَعَلْتُمْ بِصَاحِبِنَا مَا فَعَلْتُمْ ، فَأَذَنُوا لَنَا فِي دَفْنِهِ ، ففَعَلُوا ، فحَمَلُوا زُهَيْرًا مَلْفُوفًا بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ وَالثِّيَابِ ؛ حَتَّى إِذَا أَبْعَدُوا عَنِ الْقَوْمِ أَخْرَجُوهُ ، فَلَفَّوهُ فِي ثِيَابِهِ ، ثُمَّ حَفَرُوا حُفْرَةً فَعَمَّمَوْهَا ، وَدَفَنُوا فِيهَا الْعَمُودَيْنِ ، وَسَارُوا وَمَعَهُمْ زُهَيْرٌ ، فَلَمَّا بَلَغَ زُهَيْرٌ أَرْضَ قَوْمِهِ ، جَمَعَ لِبَكْرِ بْنِ وَاثِلِ الْجَمُوعَ ، وَبَلَّغَهُمْ أَنْ زُهَيْرًا حَيٌّ ، فَقَالَ ابْنُ زِيَابَةَ :

طَعْنَةً مَا طَعْنْتُ فِي غَلَسِ الصُّبَّةِ حَجَّ زُهَيْرًا وَقَدْتَوَا فِي الْحَصُومِ<sup>(٣)</sup>  
حِينَ تَجَسَّى لَهُ الْمَوَاسِمَ بَكْرٌ أَيْنَ بَكْرٌ ، وَأَيْنَ مِنْهَا الْحُلُومُ !  
خَانِي السَّيْفُ إِذْ طَعْنْتُ زُهَيْرًا وَهُوَ سَيْفٌ مُضَلَّلٌ مَشْهُومٌ

وَجَمَعَ زُهَيْرٌ بَنِي كَلْبٍ ، وَمَنْ تَجَمَّعَ لَهُ مِنْ شُدَّاذِ الْقَبَائِلِ<sup>(٤)</sup> ، وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، فَفَزَا بَكْرًا وَتَغْلِبَ أَبْنَى وَاثِلِ ، وَهَمَّ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ : الْحِجْنِي ، وَقَدْ كَانُوا نَذَرُوا بِهِ<sup>(٥)</sup> ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَمَتْ بَكْرٌ ، وَأَسْلَمَتْ بَنِي تَغْلِبَ ، فَقَاتَلَتْ شَيْئًا مِنْ قِتَالِ ، ثُمَّ انْهَزَمَتْ ، وَأَسْرَكَ كَلْبٌ وَمَهْلَهْلٌ أَبْنَا رِبِيعَةَ ، وَسِيقَتْ

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو هو جلد البطن كله .

(٢) الأعفاج : جمع عفج ، وهو الوضع الذي يتحول إليه الطعام بعد المعدة .

(٣) الأغاني : « في عبس الليل » .

(٤) في الأغاني : « من شداذ العرب والقبائل » .

(٥) نذروا به : علموا .

الأموال، وقتلتُ كلبٌ من تغلبَ قتلى كثيرة، وأسروا جماعةً من فرسانهم، ووجوههم  
وقال زهير بنُ جناب في ذلك :

تَبًّا لِتَغْلِبَ إِذْ تُسَاقُ نَسَاؤُهُمْ	سَوِّقَ الإِمَاءَ إِلَى المَوَاسِمِ عَطَلًا <sup>(١)</sup>
لَحِقَتْ أَوَائِلُ خَيْلِنَا سَرَاعَانَهُمْ	حَتَّى أُسْرِنَ عَلَى الحَيْنِ مُهْلَهَلًا <sup>(٢)</sup>
إِنَّا مُهْلَهُلٌ مَا تَطْيِشُ سِهَامُنَا	أَيَّامَ يَنْبُتُ فِي يَدَيْكَ الحَنْظَلَا <sup>(٣)</sup>
وَلَّتْ مُحَاتِكُ هَارِيَيْنِ مِنَ الأَسَى	وَبَقِيَتْ فِي حَلَقِ الحَدِيدِ مَكْبَلًا
فَلَنْ قَهَرْتَ لَقَدْ أُسْرَتِكَ عَنَوَةٌ	وَلَنْ قَتَلْتَ لَقَدْ تَكُونُ مُرْمَلًا <sup>(٤)</sup>

وقال من قصيدة أخرى في هذه الواقعة، يعيرُ بني تغلبِ :

أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ مِنَ حَذَرِ المَوِّ	تِ ، وَإِذْ يَتَّقُونَ بِالأَسْلَابِ
إِذْ أُسْرِنَا مُهْلَهَلًا ، وَأَخَاهُ	وَأَبْنِ عَمْرٍو فِي القِدِّ ، وَابْنَ شَهَابِ
وَسَبَبَيْنَا مِنَ تَغْلِبِ كُلِّ بِيضَا	ءَ رَقُودِ الضُّحَى بَرُودِ الرُّضَابِ
يَوْمَ يَدْعُو مُهْلَهُلٌ : يَا لِبَكْرٍ !	وَيَحْكُمُ فِي حَفِيظَةِ الأَحْسَابِ <sup>(٥)</sup>
وَهُمُ هَارِيُونَ فِي كُلِّ فَجٍّ	كَشْرِيدِ النِّعَامِ فَوْقَ الرِّوَابِ
وَأُسْتَدَارَتْ رَحَا المَنَافَا عَلَيْهِمْ	بَلِيُوثٍ مِنَ عَامِرٍ وَجَنَابِ
طَحَنَتْهُمُ رِحَاؤُهَا بِطَحُونِ	ذَاتِ ظُفْرِ حَدِيدَةِ الأَنْيَابِ <sup>(٦)</sup>
فَهُمْ بَيْنَ هَارِبٍ لَيْسَ يَأْلُو	وَقَتِيلٍ مَعْفَرٍ فِي التَّرَابِ
فَضَلَ العِزَّ عِزَّنَا حِينَ نَسَمُو	مِثْلَ فَضْلِ السَّمَاءِ فَوْقَ السَّحَابِ

(١) العطل : من لا حلّ عليهم .

(٢) سرعانهم : أوائلهم .

(٣) في الأغاني : « يتقف في يديك » .

(٤) الرمل : الملطخ بالدم .

(٥) ب ، ج : « الأنساب » .

(٦) في الأغاني : « أرجأوها » ، والطحون هنا : الحرب .

وَفَدَّ زَهْرِيُّ بْنُ جَنَابٍ ، وَأَخُوهُ حَارِثَةُ عَلَى بَعْضِ مَلُوكِ غَسَّانٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُهُ وَأَنْشَدَاهُ ، فَأَعْجَبَ بِهِمَا وَنَادَاهُ ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : إِنَّ أُمَّيَّ عَلِيَّةٌ شَدِيدَةُ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ أَعْيَانِي دَوَاؤُهَا ، فَقَالَ حَارِثَةُ : كَمَرَّةٌ حَارَّةٌ - وَكَانَتْ فِيهِ لُوثَةٌ - فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيُّ شَيْءٍ قُلْتَ ؟ فَقَالَ زَهْرِيُّ : كَمَمَاءُ حَارَّةٌ تُطْعِمُهَا . فَوَثَبَ الْمَلِكُ وَقَدْ فَهَمَ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةَ ، يُرِيهِمَا أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِصْلَاحِ الْكَمَمَاءِ لَهَا ، وَحَلَّمَ عَنْ مَقَالَةِ حَارِثَةَ ، فَقَالَ حَارِثَةُ لَزَهْرِيُّ : اِقْلِبْ مَا شِئْتَ يَنْقَلِبْ ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

وعاش زهيرُ بن جناب مائتين وخمسين سنة ، أُوَقِّعَ فِيهَا مَائَتِي وَقَمَّةٍ فِي الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ قَضَاعَةٌ إِلَّا عَلَيْهِ وَعَلَى حِينَ<sup>(١)</sup> بِنِ زَيْدِ الْعُدْرِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَمَنِ أَشْجَعٌ وَلَا أَخْطَبٌ ، وَلَا أَوْجَهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ مِنْ زَهْرِيُّ ، كَانَ يُدْعَى السَّكَاهِنَ لِحَسَنَةِ رَأْيِهِ .

وقيل : إن زهيراً عاش أربعاً مائة سنة ، وخمسين سنة .

وقيل : أربعاً مائة سنة ، وكان لما أسنَّ ذهب عقله ، وكان يخرجُ تائهاً لا يدري أين يذهب ، فتلحقه المرأةُ من أهله ، أو الصبيُّ فيرده ، ويقول له : إنا نخاف عليك الذئبَ أن يأكلك فأين تذهب ؟ ومما قال في كبره :

لَقَدْ عَمُرْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي      أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أُمَ مَسَائِي

وَحَقٌّ لِمَنْ أَنْتَ مَائَتَانِ عَامًا      عَلَيْهِ ، أَنْ يَمِلَّ مِنَ النَّوَاءِ

وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ صِرْفًا حَتَّى مَاتَ      خَمْرُ بْنُ كَلْثُومِ التَّغْلِبِيِّ ، وَأَبُو بَرَاءِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ، مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ .

(١) كذا في ب ، ج ، والأغاني ، وفي كتاب المتمرين ٢٨ : « ولم يجتمع قضاة لإعاليه وعلى رزاح بن ربيعة » .

وعاش هُبَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَدُّ زُهَيْرِ سِتِّمِائَةَ سَنَةٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ الْجَلَّاحُ ابْنَ عَوْفِ السَّجِّيمِيِّ أَحَدَ بَنِي سُجَيْمَةَ قَدْ وَطَّأ زُهَيْرَ بْنَ جَنَابٍ نَزَلَهُ مَعَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ جَنَاحِهِ حَتَّى كَثُرَ مَالُهُ وَوَلَدُهُ ، وَكَانَتْ أُخْتُ زُهَيْرٍ مَتْرُوجَةً مِنْ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ ، فَبَاءَ رَسُولُهَا إِلَى زُهَيْرٍ وَمَعَهُ بُرْدٌ فِيهِ صِرَارٌ رَمَلٍ وَشَوْكَةٌ قَتَادَ ، فَقَالَ زُهَيْرٌ لِأَصْحَابِهِ : أَتَيْتُمْ شَوْكَةً شَدِيدَةً ، وَعَدَدٌ كَثِيرٌ فَأَحْتَمِلُوا .

فَقَالَ لَهُ الْجَلَّاحُ : أَنْحَتِمِلِ لِقَوْلِ أَمْرَأَةٍ ! وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لِكَذَلِكَ ، فَقَالَ زُهَيْرٌ :

أَمَّا الْجَلَّاحُ فَإِنِّي فَارَقْتُهُ لَأَعْنَ قَلِيٌّ وَلَقَدْ يَشِطُّ بِنَا النَّوَى  
فَلَمَّا ظَمَنْتَ لِأَصْبِحَنَّ مَحْمِيماً وَلَمَّا أَقْتِ لَأُظَمَنَّ عَلَى هَوَى

وَأَقَامَ الْجَلَّاحُ ، وَظَمَنَّ زُهَيْرٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ ، فَقَتَلَ عَامَّةَ قَوْمِ الْجَلَّاحِ وَذَهَبُوا بِمَالِهِ - وَاسْمُ الْجَلَّاحِ عَامِرُ بْنُ عَوْفِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُذْرَةَ - وَمَضَى زُهَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ مَعَ عَشِيرَتِهِ مِنْ بَنِي جَنَابٍ ، وَبَلَغَ الْجَيْشُ خَبْرَهُ فَقَصَدُوهُ ، وَحَارَبَهُمْ وَثَبَّتَ لَهُمْ فَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَلَ رَئِيسًا مِنْهُمْ ، فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ خَائِبِينَ . وَقَالَ زُهَيْرٌ فِي ذَلِكَ مِنْ أَيْبَاتِ :

سَأَلْتُ أَمَامَةَ عَنِّي هَلْ وَفِيَتْ لَهَا أُمُّ هَلْ مَنَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ جَبْرَانَا (١)  
لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ إِلَّا مَا جَدُّ بَطَلٌ إِنَّ الْكَرِيمَ كَرِيمًا حَيْثَمَا كَانَا

وَأَمَّا الشُّعْرَاءُ مِنْ وَلَدِ زُهَيْرٍ فَفِيهِمْ مَعَاذُ (٢) بْنِ أَسَدِ بْنِ جُنَادَةَ بْنِ صَهْبَانَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ .

وَمِنْهُمْ حُرَيْثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ .

(١) كَذَا فِي ب ، ج ، وَفِي الْأَغَانِي . « مِنْ الْخِزَاةِ » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « مَصَاد » .

ومنهم الحزَنبَلُ بنُ سَلَامَةَ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَسْعَدِ بنِ صَهْبَانَ بنِ أَمْرِئِ القَيْسِ  
ابنِ زُهَيْرِ بنِ جَنَابِ .

ومنهم غُرَيْرِ بنِ أَبِي جَابِرِ بنِ زُهَيْرِ بنِ جَنَابِ .

ومنهم عَرَفَجَةَ بنِ جُنَادَةَ بنِ النَّمَانِ بنِ زُهَيْرِ بنِ جَنَابِ .

ومنهم : المَسَيَّبُ بنُ زُفَرَ<sup>(١)</sup> بنِ حَارِثَةَ بنِ جَنَابِ بنِ قَيْسِ بنِ<sup>(٢)</sup> جَابِرِ بنِ زُهَيْرِ بنِ

جَنَابِ ؛ وهذا هو القائل :

قَتَلْنَا يَزِيدَ بنَ المَهَلَّبِ بِمَدَامَا تَمَنَيْتُمْ أَنْ يَغْلِبَ الحَقُّ بَاطِلُهُ

وَمَا كَانَ مِنْكُمْ فِي العِرَاقِ مَنَافِقُ عَنِ الدِّينِ إِلا مَن قُضَاعَةَ قَاتِلُهُ

تَجَلَّلَهُ قَحْلٌ بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ حُسَامٍ جَلَّاعِنِ شَفَرَتَيْهِ صَيَا قَلُهُ

القَحْلُ هُوَ أَبُو عِيَاشِ بنِ شَمْرِ بنِ شَرَّاحِيلِ بنِ غُرَيْرِ بنِ أَبِي جَابِرِ بنِ زُهَيْرِ بنِ

جَنَابِ ؛ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ يَزِيدَ بنَ المَهَلَّبِ .

وَمِنْ بَنِي زُهَيْرِ شَعْرَاءُ كَثِيرَةٌ ، ذَكَرْنَا الفُحُولَ مِنْهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ .

(١) الأغانى : « رفل » .

(٢) فى الأغانى : « ابن أبى حامر » .

## زُهَيْرُ السَّكْبِ التَّمِيمِيُّ الدَّارِمِيُّ \*

هو زُهَيْرُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ جَلْهَمَةَ بْنِ حُجْرٍ ، خُرَاعِيٌّ جَاهِلِيٌّ ، شَاعِرٌ ، وَلُقِّبَ  
السَّكْبَ لِقَوْلِهِ :

\* بَرَقَ بِيضِيٌّ خِلَالَ الْبَيْتِ أُسْكُوبٌ <sup>(١)</sup> \*

وكان من أشرف بني مازن وأشدائهم ، وشعرائهم وفرسانهم ، ففاضب قومه  
في شيء ذمه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلجحه فيهم ضميم ، وأراد  
الرجوع إلى عشيرته فأبت نفسه ذلك ، فقال يتشوق ناساً منهم كانوا بني عمه  
دنيّةً <sup>(٢)</sup> يقال لهم بنو حنبل :

فَسَقَى وُجُوهُ بَنِي حَنْبَلٍ	إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ غَيْرَ الْكِرَامِ
مِنَ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُجَلِّ <sup>(٣)</sup>	وَسَقَى دِيَارَهُمْ بَاكِراً
هَزِيمَ الصَّلَاصِلِ وَالْأَزْمَلِ <sup>(٤)</sup>	مُلْتَأِ أَحَمَّ دَوَانِي السَّحَابِ
وَتَفَرَّغَهُ هِرَّةُ الشَّمَالِ	تُكْفِكِفُهُ خَصَخَصَاتُ الْجَنُوبِ
نَعَامٌ تَعْلُقُ بِالْأَرْجُلِ	كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ
لَدَى حِطَامَةِ الزَّمَنِ الْمُجَلِّ	فَنَعَمَ بَنُو الْعَمِّ وَالْأَقْرَبُونَ

\* ترجمته في الأغاني ١٩ : ١٥٦ ، ١٥٧ ( ساسي ) .

(١) كذا في الأغاني والكتاب لسبويه ٢ : ٣١٦ ، وفي ب ، ج : « مسكوب » تحريف  
وأسكوب ، أي منسكب . قال في اللسان : « كان هذا البرق يسكب المطر » .

(٢) يقال : هو ابن عمه « دنية ودنيا » بكسر الدال وضمها ، أي لحا .

(٣) المجل : المجدب .

(٤) الغيث الملت : الدائم المطر . والأحم : الداني . وصلاصل : مصوت . والأزمل : الصوت

المختلط .



وَنِعْمَ الْمَوَاسُونَ فِي النَّائِبَاتِ      لِجَارِ وَالْمَعْتَنِي الرَّمِيلِ  
وَنِعْمَ الْحِمَاءُ الْكُفَاءُ الْعَظِيمِ      إِذَا غَائِظُ الْمَرْءِ لَمْ يَحْمِلْ  
مِيَامِينُ صُبْرُهُ لَدَى الْمُضِلَّاتِ      عَلَى مُوجِعِ الْحَدَثِ الْمُضِلِّ  
مِبَادِيلُ عَفْوٍ جَزِيلُوا الْعَطَاءِ (١)      إِذَا فَضْلُهُ الزَّادُ لَمْ تَبْدَلِ  
هُمْ سَبَقُوا يَوْمَ جَرَى الْكِرَامِ      ذَوَى السَّبْقِ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ  
وَسَامَوْا إِلَى الْمَجْدِ أَهْلَ الْعَمَالِ      فَطَالُوا بِفَعْلِهِمُ الْأَطْوَالَ

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرباب ماهو؟ فقال: ما تراه متعلقاً بالسحاب

كالذييل له؛ أما سمعت قول صاحبي:

كأنَّ الرَّبَّابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ      نَعَامٌ تَمَلَّقَ بِالْأَرَجُلِ

(١) كذا في الأغاني، وفي ب، ج: « مناويل ».

## حرف السين

### سعيد الدارمي\*

هو من ولد سويد بن زيد، الذي كان جدّه قتل أسعد بن عمرو بن هند، ثم هربوا إلى مكة، فخالفوا بني نوفل بن عبد مناف.

وكان الدارمي في زمن عمر بن عبد العزيز، وله أشعار ونوادر، وكان من ظرفاء أهل مكة، وهو القائل:

ولما رأيتك أوليتني ألقبيح وأبمدت عني الجميلا  
تركت وصالك في جانبٍ وصادقت في الناس خلاً بديلاً<sup>(١)</sup>

قدم تاجر من الكوفة إلى المدينة بحمُر ملوثة، فباعها كلها، وبقيت السود منها فلم تنفق<sup>(٢)</sup>؛ وكان صديقاً للدارمي، فشكا إليه ذلك، وقد كان نسك<sup>(٣)</sup> وترك الغناء وقول الشعر، فقال له: لاتهم بذلك؛ فأبى سأنفقها عليك حتى تبيعها أجمع، ثم قال:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعت بزاهد متعبد  
قد كان شمراً للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ٤٥ - ٥١ ( طبعة الدار ).

(١) في الأغاني : « صادفت » ، تصحيف .

(٢) نفقت السلعة نفاقا : راجت وورغ فيها .

(٣) نسك : تعبد .

وَعَنِّي فِيهِ وَشَاعَ فِي النَّاسِ ، وَقَالُوا : قَدْ فَتَكَ (١) الدَّارِمِيُّ وَرَجَعَ عَنِ نُسْكَهَ ،  
فَلَمْ تَبْقَ فِي الْمَدِينَةِ ظَرِيفَةٌ إِلَّا أَبْتَاعَتْ خِمَارًا أَسْوَدَ حَتَّى نَفِدَ مَا كَانَ مَعَ الْكُوفِيِّ (٢)  
مِنْهَا ، [ فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ الدَّارِمِيُّ رَجَعَ إِلَى نُسْكَهَ وَلَزِمَ الْمَسْجِدَ ] (٣) .  
قَالَ أَبُو هَفَّانَ : حَضَرْتُ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ وَكَانَتْ لَهُ سِتَّارَةٌ ،  
فَنُصِبَتْ ، ثُمَّ قَالَ [ لِجَارِيَتِهِ ] (٤) : غَنِّي صَوْتَ الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ الْمَلِيحِ ، فَلَمْ نَعْلَمْ مَا أَرَادَ  
حَتَّى غَنَّتْ :

\* قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ \*

ثم أمسك ، ثم قال لها : غَنِّي :

\* إِنِّي خَرَيْتُ وَجِئْتُ أَنْتَقِلَهُ \*

فضحكت ، ولم ندر ما أَرَادَ حَتَّى غَنَّتْ :

\* إِنَّ الْخَلِيظَ أَجَدَّ مَنْتَقَلَهُ \*

كَانَ الدَّارِمِيُّ ظَرِيفًا ، وَكَانَتْ مُتَفَتِّتَاتٍ (٤) مَكَّةَ لَا يَطِيبُ لهنَّ مَتَزَّةٌ إِلَّا بِهِ ،  
فَاجْتَمَعَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهنَّ فِي مَتَزَّةٍ لهنَّ ، وَفِيهنَّ صَدِيقَةٌ لَهُ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهنَّ  
قَدْ وَاعَدَتْ هَوَاهَا (٥) ، فَخَرَجْنَ حَتَّى أَتَيْنَ الْجُحْفَةَ (٦) وَهُوَ مَعْنَى .

فَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ : كَيْفَ لَنَا أَنْ نَخْلُوَ مَعَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ مِنَ الدَّارِمِيِّ !  
فَإِنَّا إِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ قَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ (٧)

(١) فتك : مجن .

(٢) الأغاني : « العراق » .

(٣) تكلمة من الأغاني .

(٤) متفتيات ، وصف من تفتت الجارية لإذارتها فت فخرت ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٥) أَرَادَ مِنْ تَحِبِّهِ وَتَهْوَاهُ .

(٦) الجحفة : قرية بطريق المدينة ، على أربع مراحل من مكة .

(٧) يريد أنه يمزق أعراضهن ، وينشر ذلك في الأرض بين الناس .

فَقَالَتْ لَهِنَّ صَاحِبَتُهُ : أَنَا أَكْفَيْكُمُنَّ<sup>(١)</sup> ، قُلْنَ : إِنَّا نَزِيدُ إِلَّا يَلُومَنَا .  
قَالَتْ : عَلَيَّ أَنْ يَنْصَرَفَ حَامِدًا . وَكَانَ الدَّارِيُّ مِنْ أَبْجَلِ النَّاسِ ، فَأَتَتْهُ ، فَقَالَتْ :  
يَا دَارِيَّ ، قَدْ تَقَلْنَا<sup>(٢)</sup> فَأُحْتَلْ لَنَا طَيِّبًا ، قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ فِي سُوقِ الْجُحْفَةِ فَأَتَيْكَنَّ  
مِنْهَا بِطَيِّبٍ ، فَأَتَى الْمُكَارِينَ ، فَأَكْتَرَى حَمَارًا فَصَارَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ  
يَقُولُ :

أَنَا بِاللَّهِ ذِي الْعِزِّ وَبِالرُّكْنِ وَبِالصَّخْرَةِ  
مِنَ اللَّائِي يُرِدْنَ الطَّيْبَ — بَ فِي الْبُسْرِ وَفِي الْعُسْرَةِ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا أَقْوَى عَلَيَّ هَذَا وَلَوْ كُنْتُ عَلَيَّ الْبَصْرَةَ<sup>(٥)</sup>

فَمَكَتِ النَّسْوَةُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَدِمَتْ مَكَّةَ ، فَلَقِيَتْهُ صَاحِبَتُهُ لَيْلَةً فِي الطَّوَافِ ،  
فَأَخْرَجَتْهُ إِلَى نَاحِيَةِ فِي<sup>(٦)</sup> الْمَسْجِدِ ، وَجَعَلَتْ تَمَاتِبَهُ عَلَيَّ ذَهَابَهُ وَيَمَاتِبُهَا ، إِلَى أَنْ قَالَتْ لَهُ :  
يَا دَارِيَّ ، بِحَقِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ<sup>(٧)</sup> تَحْبِبْنِي<sup>(٨)</sup> ! قَالَ : نَعَمْ ، تَحْبِبْنِي أَنْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ،  
قَالَ : فَيَا لِكِ الْخَيْرِ ! أَنْتِ تَحْبِبْنِي وَأَنَا أَحْبَبْتُكَ ، فَمَا مَدَّخَلَ الدَّرَاهِمَ بَيْنَنَا !  
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ الدَّارِيَّ : لَوْ صَلَّحْتُ عَلَيْكَ ثِيَابِي لَكَسَوْتُكَ ؛  
قَالَ : فَدَيْتُكَ ، إِنْ لَمْ تَصْلُحْ عَلَيَّ ثِيَابَكَ ، صَلَّحْتُ عَلَيَّ دَرَاهِمُكَ وَدَانِيْرُكَ !

(١) ب ، ج : « اكفيكموه » .

(٢) تفل ، كفرح : تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب . وفي الأغاني : « فاجب » .

(٣) في الأصول : « قطار » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٤) ١ والأغاني : « في اليسرة والعسرة » .

(٥) يقول : إني لا أقدر على ذلك ولو كنت والى البصرة .

(٦) في الأغاني : « إلى ناحية المسجد » .

(٧) البنية : الكعبة .

(٨) في الأغاني : « أتحبني » .

كان الدارميُّ عند عبدِ الصَّمَدِ بنِ عليٍّ يحدِّثه ، فأغْفَى عبدُ الصَّمَدِ ، فمَطَسَ الدارميُّ عَطَسَةً هائلةً (١) ، ففزعَ عبدُ الصَّمَدِ ؛ وغَضِبَ غضباً شديداً ثم استوى جالسا فقال له : يا عاصَّ بَطْرَ أمِّه ! أفرَعْتَنِي ، قال : لا والله ، ولكن هذا عَطَسِي . قال : لا والله لا يَنْفَعُكَ (٢) ذلك ، أو تأتيني بيئته عليه؟ قال : فخرج ومعه حَرَسِيٌّ (٣) ، لا يدري أين يذهب ، فلقيه ابنُ الرِّبَّانِ (٤) المسكِي ، فسأله ، فقال له : أنا أشهدُ لك ، فمضى حتَّى دخل على عبدِ الصَّمَدِ ، فقال له : بيم (٥) تَشهدُ لهذا؟ فقال : إني رأيتُه مرَّةً عَطَسَ عَطَسَةً فسقطَ (٦) ضَرْسُهُ ، فضحك عبدُ الصَّمَدِ وخلَّى سبيلَه .

خرج الدارميُّ مع السَّعَاةِ (٧) فصادَفَ جماعةً مِنْهُمْ قد تَرَكُوا على الماء ، فسأَلَهُمْ ، فأعطَوْه دراهم ، فأتى بها في ثوبه وأحاط به أعرابيات ، فجملنَ يسألنَه وألْحَظْنَ عليه ، وهو يرْدُهُنَّ ؛ فعرَفته صَبِيَّةٌ مِنْهُنَّ فقالت : يا أخواتي ، أتدرين من تسألن منذُ اليوم؟ هذا الدارميُّ السَّالُّ (٨) ، ثم أنشدت :

إذا كنتَ لا بدَّ مستطعمًا      فدعْ عنك مَنْ كان يَستطعمُ

فولَّى الدارميُّ هاربا مِنْهُنَّ وهن يتضاحكُن منه .

(١) كذا في الأغانى ، وفي ب ، ج : « شديدة » .

(٢) في الأغانى : « لأنقمك في دمك » .

(٣) الحرس : الأعوان ، قال في المصباح : « جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ، ولا

ستعمل له واحد من لفظه ولهذا نسب إلى الجمع » .

(٤) ابن الريان ، هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن هشام المسكي .

(٥) كذا في الأغانى ، وفي ا : « لم » ، وهى ساقطة من ب ، ج .

(٦) ب ، ج والأغانى : « سقط » .

(٧) السعاة : جمع ساع؛ وهو العامل على الصدقات ؛ يأخذها من الأغنياء ليردها على الفقراء

(٨) ب ، ج : « السائل » ؛ وما أثبتته من الأغانى .

مدح الدارمى عبد الصمد بن عليّ بقصيدة ، وأستأذنه في الإنشاد ، فأذن له ،  
فلما فرغ من إنشاده أدخل إليه رجلٌ من الشراة<sup>(١)</sup> ، فقال لعلامة : أعط هذا مائة  
دينار ، وأضرب رقبة<sup>(٢)</sup> هذا ، فوثب الدارمى وقال : بأبي أنت وأمي ! برّك  
وعقوبتك جميعاً نقد ، فإن رأيت أن تبدأ بهذا فتقتله ، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني ؛  
فأتى لن أريم من حضرتك حتى يفعل ؛ قال : فلم ؟ وياك ! قال : أخشى  
أن يغلط فيما بيننا ، والغلط في هذا لا يستقال ؛ فضحك منه وأجابته إلى ما سأل .  
أصاب الدارمى قرحةً في صدره ، فدخل عليه بعضُ أصدقائه يعمّده ، فرآه  
قد نفث<sup>(٣)</sup> [ من فيه ]<sup>(٤)</sup> شيئاً أخضر ، فقال له : أبشر فقد أخضرت القرحة  
وعوفيت ؛ فقال : هيهات ! والله لو نفثت<sup>(٥)</sup> كلُّ زُمُرُذةٍ في الدنيا ما أفلت منها !

---

(١) الشراة : جماعة الحوارج ؛ سمو بذلك لقولهم : لناشرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة ،

(٢) في الأغاني : « عنق هذا » .

(٣) ١ : « وقد » .

(٤) تكملة من الأغاني .

(٥) كذا في الأغاني ؛ وفي الأصول : « لو تقيأت »

## سعيدُ بن مسجح\*

هو سعيدُ بنُ مسجح . كنيته أبو عثمان ، وقيل أبو عيسى مولى بني مُجمَح .  
 وقيل : مولى بني نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب ، مكى أسود ، مُغْنٍ من أكابر  
 المغنّين ، وهو أول من نقل غناء الفُرس إلى غناء العرب .  
 رحل إلى الشام ، وأخذ الحان الروم وغيرهم ، وانتقل إلى فارس ، وأخذ بها  
 غناء كثيرا ، وتعلّم الضرب بالعود ، ثمّ قدّم الحجاز ، وقد أخذ محاسن تلك النغم ،  
 وألقى منها ما أستقبحه من النبرات وغيرها .  
 وقيل : إنه مرّ على الفُرس وهم يبنون المسجد الحرام ، فسمع غناءهم بالفارسيّة ؛  
 فقلبه في شعرٍ عربيّ .

وهو الذي علم ابنُ سُرَيْج ، فإنه كان هو وابنُ سُرَيْج لمولى واحد ، وكان فطنا  
 ذكياً ، أصفر حسن الوجه واللون . وكان مولاه ممجّباً به ، وكان يقول عنه :  
 ليكونن لهذا الغلام شأن ، وما يمتنى من عتقه إلا حسنُ فراسيتي فيه ، فإن  
 حيتُ لا تعرّفن ذلك ، وإن مت قبله فهو حرّ .  
 وسمّاه مولاه يوماً يغنى بشعر ابن الرّفاع العاملي :

الميمُ على طللٍ عفاً متقادِمِ      بين اللّكيكِ وبين غيبِ النّاعمِ <sup>(١)</sup>  
 لولا الحياءُ وأن رأسي قد بدأ <sup>(٢)</sup>      فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسمِ

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ٢٧٦ - ٢٨٥ ( طبعة الدار ) .

(١) اللكيك ، كأمير : موضع في ديار بني عامر ؛ وغيب الناعم ؛ قال ياقوت : « ورد في

في شعر عدى بن الرّفاع » ، وأورد البيت .

(٢) ب ، ج « فشا » ، وفي الأغاني : « عسا » وما أثبتته عن رواية أثبتتها ناسخ افي

لها مش .

فدعاه مولاه وقال له : أعد فأعاد ، أحسنَ مما بدأ ، فقال : هذا بعض ما كنتُ أقول ، فقال له : لك هذا ، قال : سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنى بالفارسية ، فقلبتُها في هذا الشعر ، فقال له : أنت حُرٌّ لوجه الله ، فلزِمَ مولاه وكثرَ أدبه ، واتسع في غنائه ، وشُهرَ بمكّة ، وأعجبوا به لظرفه وحسن ما سمعوه منه .

ودفع إليه مولاه عُبيد بن سريج ، وقال : علّمه وأجهد فيه ، وكان ابنُ سريج أحسنَ الناس صوتاً ، فتعلّم منه ، ثم برزَ عليه حتّى لم يُعرف له نظير .

والذي نشير إليه في سماع غناء الفُرس في المسجد الحرام ، هو بناء الكعبة لما أحرقت في زمن ابن الزبير ، وكان سبب ذلك أن أهل الشام لما حاصروه سمع أصواتا في الليل فوق الجبل ، يخاف أن أهل الشام ، قد وصلوا ؛ فكانت ليلة ظلماء ذات ريحٍ صعبة ، ورعدٍ وبرق ، فرفع نارا على رأس رُمح لينظر إلى الناس ، فأطارها الرّيح ، فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها وأستطارت (١) فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدرُوا ، فأصبحت الكعبة تنهات (٢) ، وماتت امرأةٌ من قريش ، فخرج الناس كلُّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزل عليهم المذاب ، وأصبح ابنُ الزبير ساجدا يدعو ويقول : اللهم إني لم أعتمد (٣) ما جرى فلا تُهلك عبادك بذنبي ، وهذه ناصيتي بين يديك ؛ فلما تمالى النهار أمن ورَجَعَ الناسُ ، فقال لهم : أينهدم (٤) في بيت أحدكم حجرٌ أو يزول عن موضعه حتّى يبنيه ويصلحه ، وأترك الكعبة خراباً ! ثم هدمها مبتدئاً بيده ، وتبعه الفعلة حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا بينائين من الفُرس والرُّوم فبناها ؛ فسمع ابنُ مسجحٍ غناءهم ، فنقله وغنّاه .

(١) في الأغاني : « واستطالت » .

(٢) تنهات : تتساقط حجرا على حجر .

(٣) في الأغاني : « أئتمد » .

(٤) عبارة الأغاني : « الله الله أن يهدم في بيت أحدكم » .



وقيل : إنه نقل غناء الفرس لما بنى معاوية بن أبي سفيان دُورَه التي يقال لها : الرُقْطُ<sup>(١)</sup> . وهي ما بين الدارين إلى الرَّدْمِ أو لها الدار البيضاء ، وآخرها دار الحَمَام ، وهي على يسار المُصْعِدِ من المسجد إلى رَدْمِ عُمَرُ ، حَمَل لها بَنَاتَيْنِ فُرْسًا من العراق ، فكانوا يبنونها بِالْحِصِّ وَالْأَجْرِّ ، وكان أَبْنُ مَسْجَحٍ يَأْتِيهِمْ وَيَسْمَعُ غِنَاءَهُمْ عَلَى بَنَائِهِمْ<sup>(٢)</sup> ، وَيَأْخُذُ مَا يَسْتَحْسِنُهُ وَيَنْقُلُهُ .

ومن قديم غنائه في شعر الأحوص :

أَسْلَامُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجِحِي      قَدْ يَمْلِكُ الْحَرُّ الْكَرِيمُ فَيَسْجِحُ<sup>(٣)</sup>  
 مُنِّي عَلَى عَانٍ أَطَلَّتِ عِنَاءَهُ      فِي الْغُلِّ عِنْدَكَ وَالْعُنَاةُ تُسْرَحُ<sup>(٤)</sup>  
 إِنِّي لِأَنْصَحُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ      سَيَّانٌ عِنْدَكَ مَنْ يَفْشُ وَيَنْصَحُ  
 وَإِذَا شَكُوتَ إِلَى سَلَامَةِ حُبَّهَا      قَالَتْ أَجِدُّ مَنْكَ ذَا أَمٍ تَمْرَحُ!

كَتَبَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِمَكَّةَ إِلَيْهِ : إِنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ : سَعِيدُ ابْنِ مَسْجَحٍ قَدْ أَفْسَدَ فِتْيَانًا قَرِيبًا ، وَأَنْفَقُوا عَلَيْهِ أَمْوَالَهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبِضَ مَالَهُ ، وَسَيِّرْهُ ، فَفَعَلَ ، وَوَجَّهَ أَبْنُ مَسْجَحٍ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا وَصَلَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَسَأَلَ : مَنْ أَحْصَى النَّاسَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقِيلَ لَهُ : هَؤُلَاءِ النَّفَرُ مِنْ بَنِي عَمَّةٍ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَهُمْ ثُمَّ قَالَ : يَا فِتْيَانُ ، هَلْ فِيكُمْ مَنْ يُضَيِّفُ رَجُلًا غَرِيبًا<sup>(٥)</sup> مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ؟ فَنظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَكَانُوا عَلَى مَوْعِدٍ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى فَيْئَةِ يُقَالُ لَهَا

(١) ذكر الأزرقي في تاريخ مكة (٤٤٩ ، ٤٥٠ - لبيك) أن لمعاوية دورا كانت بمكة وذكر

من بينها دارا تسمى الرقطاء .

(٢) ب ، ج : « بنيانهم » .

(٣) الإسجاح : حسن العفو ؛ ومنه المثل : « ملكت فأسجح » .

(٤) العاني : الأسير .

(٥) أ : « عربيا » .

« بَرَقَ الْأَفُقُ » ، فَتَنَاقَلُوا بِهِ إِلَّا فَتَى مِنْهُمْ تَذَمَّمٌ<sup>(١)</sup> لَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أُضِيْفُكَ . وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : انْطَلِقُوا أَنْتُمْ ، وَأَنَا أَذْهَبُ مَعَ ضَيْفِي ، قَالُوا : لَا ، بَلْ تَجِيءُ مَعَنَا أَنْتَ وَضَيْفُكَ ، فَذَهَبُوا جَمِيعًا إِلَى بَيْتِ الْقَيْمِنَةِ ، فَلَمَّا أُتُوا بِالْغَدَاءِ ، قَالَ لَهُمْ سَعِيدٌ : إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدٌ ، وَلَعَلَّ فِيكُمْ مَنْ يَسْتَقْدِرُنِي ، فَأَنَا أَجْلِسُ وَأَأْكُلُ نَاحِيَةً ، وَقَامَ ، فَاسْتَحْيَوْا مِنْهُ وَبِمَثْوَاهُ بِمَا يَأْكُلُ ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الشَّرَابِ ، وَأَخْرَجُوا جَارِيَتَيْنِ فَجَلَسَتَا عَلَى سَرِيرٍ قَدْ وُضِعَ لهُمَا ، فَغَنَّتَا إِلَى الْعِشَاءِ ، ثُمَّ دَخَلَتَا ، وَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ ، حَسَنَةُ الْوَجْهِ وَالْهَيْئَةِ ، وَهَمَامَةٌ ، فَجَلَسْتُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَجَلَسَتِ الْجَارِيَتَانِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، فَتَمَثَّلَ ابْنُ مَسْجَحٍ :

فَقُلْتُ أَشْمَسُ أُمَ مَصَائِيحُ بِيَمِيَةٍ      بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أُمُّ أَنْتَ حَالِمٌ

فَغَضِبَتِ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ : أَيَضْرِبُ بِي هَذَا الْأَسْوَدُ الْأَمْثَالَ ! فَظَنُّوا إِلَى نَظَرِهَا شَزْرًا<sup>(٢)</sup> ، وَسَكَّنُوهَا حَتَّى سَكَنَتْ ، ثُمَّ غَنَّتْ صَوْتًا . فَقَالَ ابْنُ مَسْجَحٍ : أَحْسَنْتُ وَاللَّهِ ، فَغَضِبَ مَوْلَاهَا ، وَقَالَ : مِثْلَ هَذَا الْأَسْوَدِ يَقْدِمُ عَلَى جَارِيَتِي ! فَقَالَ لِي الرَّجُلُ الَّذِي أُنزَلْتِي عَنْهُ : قُمْ فَأَنْصُرْهُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ ، فَتَذَمَّمَتِ الْقَوْمُ وَقَالُوا : بَلْ أَقِمُّ وَأَحْسِنُ أَدَبِيكَ ، فَأَقَّتْ وَغَنَّتْ ، فَقُلْتُ : أَخْطَأْتُ وَأَسَأْتُ ! ثُمَّ أَنْدَفَعْتُ وَغَنَّنْتُ الصَّوْتُ ، فَوَثَبَتِ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ لِمَوْلَاهَا : هَذَا وَاللَّهِ أَبُو عَمَّانِ بْنِ مَسْجَحٍ . فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ! أَنَا هُوَ ، وَلَا أَقِمُّ عِنْدَكُمْ ، وَوَثَبْتُ فَوَثَبَ الْقُرَشِيُّونَ ، وَكَلَّمْتُ مِنْهُمْ يَقُولُ : يَكُونُ عِنْدِي ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَقِمُّ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِكُمْ - يَعْنِي الرَّجُلَ الَّذِي أُنزَلَهُ - فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَقْدَمَهُ ؛ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : إِنِّي أَسْمُرُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّيْلَةَ ، فَهَلْ تُحْسِنُ أَنْ تُحَدِّثُوهُ ؟

(١) تَذَمَّمٌ ؛ أَي خَشِيَ الذَّمَّ وَاللُّومَ .

(٢) شَزْرًا : شَزْرُهُ وَوَالِيهِ : نَظَرَ فِي أَحَدٍ شَقِيحَهُ ، أَوْ هُوَ نَظَرَ فِيهِ لِإِعْرَاضِ .

فقال : لا والله ، لكنني أصنع حُداء . قال : فإن منزلي بحداء منزل أمير المؤمنين ، فإذا وافقتُ منه طيبَ النفسِ ، أرسلتُ إليك .

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رآه طيبَ النفسِ أرسل إلى ابن مسجحٍ ، فأخرج رأسه من وراء شرف القصر ، ثم حدًا :

إنك يا معاويةَ المفضلِ  
إن زلزل الأقبامُ لم تُزلزلِ  
عن دين موسى والكتاب المنزلِ  
تقيم أصداع القروم الميئلِ  
\* للحق حتى ينتحوا للأعدل \*

فقال عبد الملك للقرشي : من هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيٌّ قدم علي . قال : أحضره ؛ فأحضره ، ثم قال : تغنَّ غناء الركبَانِ فغنى ، ثم قال : تغنَّ الغناء المتغن ، فغنى ، فاهترَّ عبد الملك طربًا ، ثم قال : أقسم أن لك في القوم اسمًا كبيرًا ، من أنتَ وويلك ! قال : أنا المظالمُ المقبوضُ ماله ، المنفَى عن وطنه ، سعيد بن مسجح ، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني ، فتبسَّم عبد الملك وقال : قد وضَّحَ عذرُ فتیان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالهم . وأمنه ووصله ، وكتب إلى عامله بردَ ماله عليه ، وألا يعرض له بسوء .

## سعيد الهذلي\*

سعيد وعبدال ابنا مسعود ، هذليان ، وسعيد الأكبر منهما ، وكنيته أبو مسعود . وقيل : أبو عبد الرحمن ، وأمه امرأة يقال لها : أم فَيْمَلَى ، وكان كثيرا ما يُنسب إليها .

وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيْس ، ويعمل البرم من حجارة الجبل وقد قيل : إن الأكبر عبدال .

وكان سعيد إذا أمسى أسرف على المسجد ، ثم غنى ، فلا يلبث أن يرى الجبل كقرص الخبيص<sup>(١)</sup> ، خضرة وصفرة من أردية قریش ، فيقولون : يا أبا عبد الرحمن ، أعد . فيقول : أما والله ؛ وها هنا حجرٌ أحتاج إليه ، لم يرد الأبطح ،<sup>(٢)</sup> فلا يضمون أرديتهم حتى يُجدرونها إلى الأبطح<sup>(٣)</sup> ، وينزل معهم ؛ فيجلس على أعظمها حجراً ، ويغنى لهم .

لما احتضر ابن سريج نظرا إلى ابنته وبكى ، فقالت له : ما يبكيك ؟ فقال : أخشى عليك الضيعة من بعدى ! قالت : لا تخف ، فما في غنائك شيء إلا أخذته . قال : فغنى ، فغنته ، فقال : قد طابت نفسي ، ثم دعا بالهذلي فزوجها منه ، فأخذ الهذلي غناء أبيها كله ، وأنتحله أو أكثره .

وولدت بنت ابن سريج منه ابناً ، فلما يفع أجتاز يوماً بأشعب وهو جالس في فتية من قریش فوثب ، فحمله على كتفه ، وجعل يرقصه ويقول : هذا ابن دفتي المصحف ، هذا ابن مزامير داود .

\* ترجمته في الأغاني ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ ( ساسي ) .

(١) كذا في الأغاني ، والخبيص : نوع من الخلواء ، وأراد بالصفرة والحمره هنا التمر والسمن ، لأن الخبيص يصنع منهما ، وفي ب ، ج : « كعرض البيض » تصحيف .

(٢ - ٣) عبارة الأغاني : « فيضمون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها ويجدروها إلى الأبطح »

فَقِيلَ : وَيْلَكَ ! مَا تَقُولُ ؟ وَمَنْ هَذَا الصَّبِيِّ ؟ فَقَالَ : أَوَّ مَا تَعْرِفُونَهُ ! هَذَا  
أَبْنُ الْهَدَلِيِّ مِنْ ابْنَةِ ابْنِ سُرَيْجٍ ، وَوُلِدَ عَلَى عُوْدٍ ، وَاسْتَهْلَ (١) عَلَى غِنَاءٍ ، وَحُنَّكَ  
بِمَلْوَى (٢) ، وَقَطَعَتْ سُرَّتَهُ بِزَيْرٍ (٣) ، وَحُنَّ بِمِضْرَابٍ (٤) .

- 
- (١) يقال : استهل الصبي ؛ إذا رفع صوته بالبكاء عند ولادته .  
(٢) الملوى : مفتاح العود الذي تعرف به نيب أوتاره .  
(٣) الزير : الدقيق من الأوتار ، أو أحدها .  
(٤) المِضْرَاب : ما يضرب به على أوتار العود .

## سليمانُ بنُ سلام الكوفي\*

كنيته أبو عبد الله ، وكان حسنَ الوجه ، حسنَ الصوت ، كان أُنْقَطِعَ وهو أمرُدُّ إلى إبراهيم الموصلي ، فقال إليه وتعمَّقه ، فعلمه وناصحته ، فبرع ، وكثرت روايته وصنع .

وكان إسحاق يهجوهُ وَيَطْمِنُ عليه ، وكان من أْبْخَلَ الناس .

ولما مات خلف جملةً وافرةً من المال ، فقَبَضَهَا السُّلْطَانُ ، وكان من أصحابِ أبي مسلم صاحبِ الدَّعْوَةِ ودُعَاتِهِ وثِقَاتِهِ ، وكان يكتب أهلَ العِراقِ على يَدَيْهِ (١) .

قال أبو الحواجب محمد الأنصاري : قال لي سليم يوماً : امضِ إلى موسى بن إسحاق الأزرق ، فأدِّعُه ، ووافياني مع الظَّهر ، فحُفْنَا الظَّهْرَ ، فأخرج لنا ثلاثين جاريةً مُحْسِنَةً ، ونبيذاً ، ولم يُطْعِمْنَا شيئاً ، ولم نَكُنْ أَكَلْنَا . ففَمَزَ موسى غلامه ، فذهب فاشترى خبزاً وبيضاً ، ودخل به الكَنيفَ ، وجلسنا نأْكُلُ ، فلما رأنا غضبَ وخاصمنا ، وقال : هكذا يَفْعَلُ الناس ! تأْكُلون ولا تُطْعِمونني معكم ! فجلس معنا في الكَنيفِ يأْكُلُ حَتَّى فرَغْنَا .

\* ترجمته في الأغاني ٦ : ١٦٤ - ١٧٠ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) في الأغاني : « يده » .

## السَّمُوَءُ بن عادياء الغَسَّانِي\*

هو السَّمُوَءُ بنُ غَرِيضِ بنِ عادياءِ بنِ حَيَّاءِ<sup>(١)</sup> . قيل: هو من قَحْطَانَ وقيل: هو من وَلَدِ الكاهِنِ بنِ هارونَ بنِ عمرانَ عليه السلام .

هو صاحبُ تيماءَ ، والحِصْنِ الأَبْلَقِ ، وأحتَفَرَ به بُرّاً عَدْبَةَ ، وكانت العربُ تنزِلُ به فيضيْفِها ، فتمتار من حِصْنِهِ ، ويُقيم لهم هناك سُوقاً ويقال: إنَّ جدَّهُ عادياء هو الَّذي بنى الحِصْنَ بَتَيْمَاءَ ، وهو من يهودِ يَثْرِبَ ، وهو الَّذي يُضْرَبُ به المَثَلُ في الوفاءِ لإسلامِهِ أبنه حتى قُتِلَ ، ولم يَخُنْ أمانتَهُ في أَدْرَاعِ أودِعَها ، فيقال: وفاءٌ كوفاءِ السَّمُوَءِ .

والسببُ في ذلك أنَّ أمراً القَيْسِ بنِ حُجْرٍ ، لما سار إلى الشام يريد قَيْصَرَ ، نزل على السَّمُوَءِ بنِ عادياءِ بحِصْنِهِ الأَبْلَقِ بعد إيقاعِهِ بِنِي كِنانَةَ ، على أَنَّهُم بنو أُسَدٍ وكراهةِ أصحابِهِ لِفِعْلِهِ ، وتَفَرُّقُهُم عنه حتى بَقِيَ وحده ، وأحتاج إلى الهَرَبِ ، وطلبُهُ المَنذُرُ بنُ ماءِ السماءِ ، ووجهه في طلبِهِ جيشاً من إِيادَ ، وبَهْرَاءَ ، وتَنُوخَ ، وجيشاً من الأَساورَةِ أمدَّهُ بهم أنوشِرُوانَ ، وخذلتَهُ حِميرُ ، وتفرقت عنه .

فلجأ إلى السَّمُوَءِ بنِ عادياءِ ومعه خمسةُ أَدْرَاعِ : الفَضْفاضةُ ، والضاْفِيَّةُ ، والحِصْنَةُ ، والحريقُ ، وأمّ الذبولِ ، وكانت لبِنِي آكلِ العُرارِ يتوارَثونها ، مَلِكٌ عن مَلِكٍ ، ومعه أبلتُهُ هِنْدُ ، وأبنُ عَمِّهِ يزيدُ بنُ الحارثِ بنِ معاويةَ ، وسلاحُ ومالٌ كان معه ، ورجلٌ من بنِي فزارةِ يقال له: الرَّبيعُ بنُ ضُبَيْعٍ ، شاعرٌ . فقال له الفَزَارِيُّ:

\* ترجمته في الأغاني ١٩ : ٩٨ ، ٩٩ (سامي) .

(١) كذا في الأصول ، وفي الاشتقاق لابن دريد ٤٣٦ : « السموءل بن غريص بن حيا بن

قل في السموءل شعرا تمدحه به ؛ فإن الشعر يُعجبه ، وأنشداه الربيع شعرا مدحه به ؛ وهو :

ولقد أتيتُ بني المُضاضِ مُفَاخِرًا      وإلى السموءلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ  
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمَلُ حَاجَةً      إن جئته في مَوْثِقٍ أَوْ مَرْهَقِ  
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ      وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا يُسْبِقِ  
فقال امرؤ القيس فيه :

طرقتكَ هَندُ بعدَ طُولِ تَجَنُّبِ      وَهَنَا وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقِ

فقال له الفزاريُّ : إن السموءلَ يمنعُ منك حتى ترى ذاتِ عينيك ، وهو في حصنِ حصين ، ومالٍ كثير ، فقدم به على السموءلِ وعرفه إياه ، وأنشده الشعر ، فعرف لهما حقهما ، وضرب على هندی قبةً من آدم ، وأنزل القومَ في مجلس له براح ، فأقاموا عنده ما شاء الله ، ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتبَ له إلى الحارثِ ابنِ أبي شميرِ النَسائي أن يُوصِله إلى قَيْصِر ، ففعل ، واستصحب معه رجلاً يدُّه على الطريق ، وأودع أبنته وماله وأدراعه السموءل ، فدخل الشام ، وخلف ابن عمِّه يزيد بن الحارث مع أبنته هندی ، فنزل الحارثُ بنُ ظالم في بعض غاراته بِالْأَبْلَقِ - ويقال : بل الحارث ابن أبي شميرِ النَسائي ، ويقال : بل كان المنذر وجه الحارثِ بنِ ظالم في خَيْلٍ ، وأمره أن يأخذ مالَ امرئ القيس من السموءل ، فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابنٌ قد يَفَع ، وخرج إلى قَنَصٍ له ، فلما رجع أخذه الحارثُ بنُ ظالم ، وقال للسموءل : أتعرفُ هذا ؟ قال : نعم ، هذا أبنی . قال : أفتسلم ما قبلك أو أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلست أخفرُ ذمتي ، ولا أسلم جاري ، فضرب الحارثُ وسطَ الغلامِ فقطعه قطعتين ، وأنصرف عنه ، فقال السموءل في ذلك :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِيَّيْ      إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ  
وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بِالْأَلَا      تُهْدَمُ يَا سَمُوءَلُ مَا بَنَيْتُ



بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا      وماءً كَلَّمَا شَتُّتُ أُسْتَقِيَّتُ  
 عَادِلَتِي أَلَا لَا تَعْدُ لِي نِي      فَكَمَّ مِنْ أَمْرِ عَادِلَةٍ عَصِيَّتُ !  
 دَعَيْتِي وَأُرْشِدِي إِنْ كُنْتُ أُغْوَى      وَلَا تَعْوَى زَعَمْتَ كَمَا غَوَيْتُ  
 عَادِلَ قَدْ أَطَلَّتِ اللَّوْمَ حَتَّى      لَوْ أَنِّي مُنْتَهَ لَقَدْ أَنْهَيْتُ  
 وَحَتَّى لَوْ يَكُونُ فَتَى أَنَا      بَكِيٍّ مِنْ عَدْلٍ عَادِلَةٍ بِكَيْتُ  
 وَصَفْرَاءَ الْمَعَاصِمِ قَدْ دَعَيْتِي      إِلَى وَصْلِ فَقَلْتُ لَهَا أَيْتُ  
 وَزِقِّ قَدْ جَرَّرْتُ إِلَى النَّدَامَى      وَزِقِّ قَدْ شَرِبْتُ وَقَدْ سَقَيْتُ

وكان الأعمشى وقع في أسر عند رجلٍ كلبى كان الأعمشى هجاه ، ولم يعرف أنه هو الأعمشى ، فأستجار بشريح بن السموع ، فأحسن ضيافته ، ومرّ بالكلبي ، فناده الأعمشى :

شُرِّحُ لَا تُسَلِّمَنِي الْيَوْمَ إِذْ عَلِقْتُ      حَبَالُكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقِدِّ أَظْفَارِي  
 قَدْ سَرْتُ مَا بَيْنَ بَانِقِيَا إِلَى عَدَنِ      وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَكَرَّرِي وَتَسْيَارِي <sup>(١)</sup>  
 فَكَانَ أَوْتَقَهُمْ عَهْدًا وَأَمْنَعَهُمْ      جَارًا أَبُوكَ بَعْرِفٍ غَيْرِ إِنْكَارِ  
 كَالْعَيْثِ مَا أَسْتَمَطَّرُوهُ جَادَ وَإِبْلَهُ      وَفِي الشَّدَائِدِ كَالسُّتَاسِدِ الضَّارِي  
 كُنْ كَالسَّمُوعِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ      فِي جَحْفَلٍ كَهَزْبِيعِ اللَّيْلِ جَرَّارِ  
 إِذْ سَامَهُ حَظَّتِي حَسَفٍ فَقَالَ لَهُ <sup>(٢)</sup>      قَلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي سَامِعٌ جَارِ  
 فَقَالَ غَدْرٌ وَتُكَلُّنَّ أَنْتَ بَيْنَهُمَا      فَأَحْتَرُ ، وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ مُخْتَارِ  
 فَشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ      أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي  
 وَسَوْفَ يَعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ <sup>(٣)</sup>      رَبُّ كَرِيمٌ وَيَبِضُّ ذَاتَ أَظْهَارِ

(١) في الديوان ١٢٦ : « ترحالى وتسيارى » .

(٢) في الأصول : « خطناحسف » ، وصوابه من الديوان .

(٣) في الأصول : « وسوف يعقبه أن قد ظفرت به » ، والأجود ما أثبتته من الديوان .

لا سِرَّهِنَ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدْرًا      وحافظات إذا أُسْتُودِعْنَ أُسْرَارِي  
 فاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْلًا يُسَبِّبُهَا      ولم يكن وعده فيها بختار<sup>(١)</sup>  
 فجاء شريحٌ إلى السكبيّ فقال له : هبْ لي هذا الأسيرَ ، فقال : هو لك ،  
 فأطلقه فقال له : أقيمْ عندي حتّى أُخْبُوكَ وأُكْرِمَكَ ، فقال له الأعشى : إنَّ تمامَ  
 صَنِيعِكَ أنْ تعطيني ناقةً ناجيةً ، وتخليني الساعة ، فأعطاه ناقةً ناجيةً فركبها ،  
 ومضى من ساعته .

وبلغ السكبيّ أن الذي وهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح ، ابعث  
 لي الأسير الذي وهبته لك حتى أُخْبِوه وأعطيه . فقال : قد مضى . فأرسل السكبيّ  
 في أثره فلم يلحقه .

وشعبة بنُ غريص بنِ عادياء ، أخو السموءل ، شاعرٌ أيضاً ؛ فن شعره :

لَبَابُ يَا أُخْتَ بَنِي مَالِكٍ	لا تَشْتَرِي العاجِلَ بِالْأَجَلِ
لَبَابُ دَاوِيْنِي وَلَا تَقْتُلِي	قد فَضَّلَ الساقِي على القَاتِلِ
لَبَابُ هَلْ عِنْدَ أَمْرِي نَائِلٌ	لما شقِ ذِي حَاجَةِ سَائِلِ !
عَلَّتْهُ مِنْكَ بِمِالٍ يَنْلُ	فَطَالَ مَا عَلَّتْ بِالْبَاطِلِ !
إِنْ تَسْأَلِي بِي فَاسْأَلِي خَيْرًا	فَالْعِلْمُ قَدِ يَكْفِي لَدَى السَائِلِ
يُنْبِيئِكَ مَنْ كَانَ بِنَا عَالِمًا	عَنَّا وَمَا الْعَالِمُ كَالْجَاهِلِ
إِنَّا إِذَا مَاتَ دَوَاعِي الْهَوَى	وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
وَأَعْتَلَجَ الْقَوْمُ بِالْبِائِبِهِمْ	نَقَضِي بِمُحْكَمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا	نُلْطُّ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ <sup>(٢)</sup>
نَخَافُ أَنْ تَسْفَهُ أَحْلَامُنَا	فَنُخَمِّلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ <sup>(٣)</sup>

(١) الديوان : « ولم يكن وعده » .

(٢) نلط : نستر .

(٣) الأحلام : العقول .

## سميد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت \*

قد مضى نسبه في نسب جدّه حسان ، شاعرٌ من شعراء الدولة الأموية متوسّط ، ليس معدوداً من الفحول ، مدح بني أمية ووصّوه ، ولم تكن له نباهةٌ أبيه ولا جدّه .

وفد سميد بن عبد الرحمن بن حسان ، ومعه جماعةٌ من قريشٍ إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسألهم معاونته ، فلم يُصادفوا من هشامٍ له نشاطا .

وكان الوليد بن يزيد قد طلق امرأته العنابية ليتزوج أختها ، فمَنعه هشامٌ من ذلك ، ونهى أباه أن يزوجه ، فرّ يوماً سميد بالوليد ، وقد خرج من داره ليركب ، فلما رآه وقف ، وأمر الوليد به ، فدعى إليه ، فلما جاءه قال : أنت ابن عبد الرحمن بن حسان ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال : ما أقدمك ؟ قال : وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومدحاً ، ومستشفعاً بجماعةٍ من أهله ، فلم أنزل منه خطوةً ولا قبولا . قال : لكنك تجد عندي ماتحِبّ ، فأقم حتى أعود ، فأقام بيا به حتى دخل على هشام وخرج من عنده ، فنزل ودعا بسميد ، فدخّل إليه ، فأمر بتحسين هيئته وإصلاح شأنه ثم قال : أنشدني قصيدةً لك بلغتنني فشوقتنني إليك ، وغنيتُ في بعضها ، فلم أزل أتعنى لِقائك ، فقال : أي قصيدة هي أيها الأمير ؟ قال : قولك :

أبائنه سُدَى ولم تُوفِ بالعهدِ	ولم تشفِ قلباً تيمّته على عمدِ
نعم أفسودُ أنت إن شطت النوى	بسُدَى وما من فرقة الدهر من بدِّ
ومهما أكن جلدًا عليه فإنني	على هجرها غير الصبور ولا الجلدِ

كَجَمَلٍ يُنْسِدُهَا وَدَمَوْعُ الْوَالِيدِ تَتَحَدَّرُ عَلَى خَدَّيْهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :  
لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى رِفْدٍ مِنْ أَحَدٍ وَلَا مَعُونَةٍ مَا بَقِيَتْ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِحَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَقَالَ :  
أَبِثْ بِهِذِهِ إِلَى أَهْلِكَ ، وَأَقِمْ عِنْدِي ، فَلَمْ تَعُدْ مَا تَحِبُّ مَا بَقِيَتْ ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ ،  
ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ وَأَنْصَرَفَ .

وَفَدَّ سَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ جَمِيلَ  
الْوَجْهِ ، فَأُخْتَلَفَ إِلَى عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى مُؤَدِّبِ الْوَالِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ، فَأَرَادَهُ عَلَى  
نَفْسِهِ وَكَانَ لُوطِيًّا زِنْدِيْقًا ، فَدَخَلَ سَمِيدٌ عَلَى هِشَامٍ مَغْضَبًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَنْجُ مِنِّي سَالِمًا عَبْدُ الصَّمَدِ

فَقَالَ هِشَامُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ :

إِنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِّي خُطَّةً لَمْ يَرْمُهَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدٌ

قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ :

رَامَ جَهْلًا بِي وَجَهْلًا بِأَبِي يُدْخِلُ الْأَقْمَى إِلَى بَيْتِ الْأَسَدِ (١)

فَضَحِكَ هِشَامُ وَقَالَ لَهُ : لَوْ فَعَلْتَ بِهِ شَيْئًا مِنْ شَعْرِكَ لَمْ أَنْكَرْهُ عَلَيْكَ .

قَالَ أَبُو عَائِشَةَ : قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِعَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ : أَنْشَدَنِي شَيْئًا  
مِنْ شَعْرِكَ . قَالَ : وَمِنْ أَىِّ الْعَرَبِ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ : مَنْ  
مِنْكُمْ الْقَائِلُ :

إِنَّ الْحَمَامَ إِلَى الْحِجَازِ يَهْبِجُ لِي طَرَبًا تَرْتُمُهُ إِذَا يَتَرْتَمُ  
وَالْبَرْقُ حَيْثُ أَشِيمُهُ مُتِيَامًا وَجَنَائِبُ الْأَرْوَاحِ حِينَ تَنْسَمُ

فَقَالَ لَهُ : سَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ

(١) فِي الْأَغَانِي : « خَيْسُ الْأَسَدِ » ؛ وَهِيَ سِوَاءُ .

بصاحبكم ، فاكذب شعره ، فلست تحتاجُ معه إلى غيره ، وهذه الأبيات من قصيدة أولها :

بَرَحَ الْخَفَاءَ فَأَيْنَ مَا بَكَ تَكْتُمُ      ولسوفَ يَظْهَرُ مَا تُسِرُّ فَيَعْلَمُ<sup>(١)</sup>  
مُحَلَّتْ سُقْمًا مِنْ عِلَاقٍ حَبَّهَا      والحبُّ يَمَلِّقُهُ الصَّحِيحُ فَيَسْقَمُ  
قَالَتْ وَمَاءَ الْعَيْنِ يَغْسِلُ كَحَاهَا      عندَ الفِراقِ بِمَسْهَلٍ يَسْجُمُ  
يَالَيْتَ أَنْتَ يَا سَمْعِيدُ بَارِضْنَا      تَلْقَى المَرَامِي ثَاوِيًا وَتُخَيِّمُ  
فَتُصِيبَ لَذَّةَ عَيْشِنَا وَرِخَاءَهُ      ونكونَ أحرارًا فإذا تَنَقَّمُ!  
لَا تَرَجِعَنَّ إِلَى الْحِجَازِ فَإِنَّهُ      بَلَدٌ بِهِ عَيْشُ السَّكْرِيمِ مَذْمَمُ!

سأل سمعيد بن عبد الرحمن أبابكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجةً يكلم فيها سليمان بن عبد الملك ، فلم يقضها له ، ففرع إلى غيره ، فقال :

سُئِلْتَ فَلَمْ تَفْعَلْ فَأَدْرَكَتُ حَاجَتِي      تَوَلَّى سِوَاكُمْ حَمْدَهَا وَأُصْطِنَاعَهَا  
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصَّرٌ      ونفسٌ أَضَاقَ اللهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا مَا أَرَادَتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً      عصاها وإن هَمَّتْ بِشَرِّ أَطَاعَهَا

(١) رواية البيت في الأغاني :

بَرَحَ الْخَفَاءَ فَأَيَّ مَا بَكَ تَكْتُمُ      والشوقُ يَظْهَرُ مَا تُسِرُّ فَيَعْلَمُ

(٢) كذا في ١ ، والأغاني ، وفي ب ، ج : « وأيد اضاق » .

## سائب خاثر\*

هو مولى بنى ليث ، وأصله من فيء كسرى ، اشتراه عبد الله بن جعفر وأعتقه .  
 وقيل : بل أشتري عبد الله ولأه . وقيل : بل كان على ولأه لبني ليث ؛ وإنما أنقطع  
 إلى عبد الله بن جعفر ، ولزيمه فعرّف به ، وكان يبيع الطعام بالمدينة . وأسم أبيه  
 الذى أعتقه بنو ليث : « يسار »<sup>(١)</sup> . وهو أول من عمل العود بالمدينة وعتى به .  
 كان لعبد الله بن عامر بن بكر بن سبأ إمام صناعات<sup>(٢)</sup> ، فأتى بهن المدينة ،  
 وكان لهن يوم في الجمعة يابعن فيه ، ويسمع الناس منهن ، فأخذ عنهن .  
 وقدم رجل فارسى اسمه : نسيط ، ففتى فمجب عبد الله بن جعفر منه ، فقال  
 له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسى بالعربية ، ثم غدا على عبد الله  
 ابن جعفر فغناه :

لمن الديارُ رسومها ففرُّ      لعبت بها الأرواحُ والقطرُ !  
 وخلاها من بعد ساكنها      حجج مَضِينِ ثمانٍ أو عشرُ  
 والزعفرانُ على ترائبه      شَرِقتْ به اللَّبَّاتُ والنَّحرُ

وهو أول شعر غنى به في الإسلام من الغناء العربى المتقن الصنعة . ثم أشتري  
 عبد الله بن جعفر نسيطاً بعد ذلك ، فأخذ عنه سائب الغناء العربى ؛ وكنية سائب  
 خاثر : أبو جعفر ، ولم يكن يضرب بالعود ؛ وإنما كان يقرع بقضيب ويغنى  
 مرتجلاً .

\* ترجمته في الأغاني ٨ : ٣٢٦-٣٣٤ .

(١) في الأغاني : « يشا » .

(٢) الصناعات : اللعاب بالصبح ؛ وهو صفيحة من نحاس تضرب بأخرى مثلها .

وُقِتِلَ أَيَّامَ الْحَرَّةِ ، وَمَرَّ بِهِ بَعْضُ الْقَرَشِيِّينَ ، وَهُوَ قَتِيلٌ فَضْرَبَهُ بِرَجْلِهِ ، وَقَالَ :  
إِنَّ هَا هُنَا لِحَنْجَرَةٌ حَسَنَةٌ .

وَكَانَ سَائِبُ خَازِرٌ مُوسِرًا ؛ وَكَانَ تَحْتَهُ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وَكَانَ مَعَ انْتِقَاعِهِ إِلَى  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ يَخْلُطُ سَرَوَاتِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ لظَرْفِهِ وَحِلَاوَتِهِ ، وَحُسْنِ  
صَوْتِهِ ، وَكَانَ آتَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَمْنَى أَحَدًا سِوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
خَلِيفَةً ، أَوْ وَلِيَّ عَهْدٍ أَوْ ابْنَ خَلِيفَةٍ ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قُتِلَ .

وَفَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَمَعَهُ سَائِبُ خَازِرٌ ، فَوَقَعَ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ ،  
ثُمَّ سَأَلَ عَنْ حَاجَةِ سَائِبِ خَازِرٍ . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : مَنْ سَائِبُ خَازِرٌ هَذَا ؟ فَقَالَ : رَجُلٌ  
لِيُنِيُّ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، يَرَوِي الشُّعْرَ ، قَالَ : أَوْكَلْتُ مَنْ يَرَوِي الشُّعْرَ نَصْلَهُ ! قَالَ :  
إِنَّهُ يُحْسِنُهُ : قَالَ : وَإِنْ حَسَنَهُ ، قَالَ : أَفَأَدْخِلُهُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .  
قَالَ : فَأَلْبَسَهُ إِزَارًا وَرِدَاءً .

فَلَمَّا دَخَلَ وَقَفَ عَلَى الْبَابِ وَغَنَّى :

\* لَمَنْ الدِّيَارُ رُسُومُهَا قَفَرُ \*

فَالْتَفَتَ مَعَاوِيَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَقَالَ : لَقَدْ حَسَنَهُ ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ ،  
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

وَهَذَا الشُّعْرُ يُنْسَبُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ مِسْوَرِ بْنِ نَخْرَمَةَ الزُّهْرِيِّ ، وَإِلَى الْحَارِثِ  
ابْنِ خَالِدِ الْخَزْرَوِيِّ .

أَشْرَفَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ لَيْلَةً عَلَى مَنْزِلِ يَزِيدَ ، فَسَمِعَ صَوْتًا أَعْجَبَهُ ،  
وَأَسْتَحْفَهَ السَّمْعَ ، فَاسْتَمَعَ قَائِمًا حَتَّى مَلَّ ، ثُمَّ دَعَا بِكَرْسِيِّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :  
أَشْتَهِي الْأُسْتِزَادَةَ ، فَاسْتَمَعَ بِقِيَّةِ أَيْلَتِهِ ، ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ يَزِيدُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، مَنْ كَانَ  
جَلِيسَكَ الْبَارِحَةَ ؟ قَالَ : أُمِّي جَلِيسٌ ؟ وَأَسْتَعْجِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : عَرَفْتَنِي فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ

على شيء من أمرِك . قال : سائب خاثر يا أمير المؤمنين ، قال : فأكثر<sup>(١)</sup> له من برك وصلاتك ، فما رأيت بمجالسته بأسا .

لما قدم معاوية المدينة أمر حاجبه بالإذن للناس ، فخرج ثم رجع ، فقال : ما بالباب أحد ! فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند عبد الله بن جعفر ، فدعا ببيعلته فركبها ، ثم توجه إليهم ، فلما جلس ، قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مطرف في هذا من خزي وإن أنت اندفعت تغنى فهو لك ، فقام بين السماطين وغنى :  
لنا الجففات الغرّ يلعبن في الضحى<sup>(٢)</sup> وأسيافنا يقطرن من نجدة دما  
فطرب معاوية وسمع وأصغى إليه حتى سكت ، وهو مستحسن لذلك ، ثم قام وأنصرف إلى منزله ، وأخذ سائب المطرف .

وكان سائب خاثر يخشى على نفسه من أهل الشام ، فخرج إليهم يوم الحرّة ، وجعل يقول : أنا مغمّن ومن حالى ، ومن قصتي ؛ وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله ، فقالوا : غنّ لنا ، ففعل فقام أحدهم فقال : أحسنت ، ثم ضربته بالسيف فقتله .

وبلغ يزيد خبره وصرّ به أسمه في أسماء من قتل يومئذ ، فلم يعرفه ، فقال : ومن سائب خاثر هذا ؟ فعرف به ، وقيل له : هو سائب خاثر ؛ فعرفه ، فقال : ويئله ! وماله ومالنا ، ألم نحسن إليه ونصله ، ونخلطه بأنفسنا ؟ فما الذى حمّله على عداوتنا ؟ لا جرّم إن بغيه صرعه ، ثم قال : أو بلغ القتل إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أرى أنه بقي في المدينة أحد ! ثم قال : قبّحكم الله يا أهل الشام ! تجدّهم وجدوه في حائط أو حديقة مستترا فقتلوه .

(١) في الأغاني : « فأكثر » ، وهو بمعنى : « أكثر » .

(٢) كذا في ب ، ج ، و ، ق : « في الدجى » ، وفي الأغاني « بالضحى » .



## سَلَامَةُ الْقَسِّ\*

مولدة من مولدات المدينة ، وبها نشأت وأخذت الغناء عن مَعْبِدٍ وغيره ،  
فمهرت وإنما سُمِّيَت القسّ ، لأن رجلاً مشهوراً بالعبادة يُعرف بعبد الرحمن بن عمار  
الجشمي<sup>(١)</sup> ؛ من قرّاء أهل مكة ، كان يلقب بالقسّ لعبادته ، شُغِفَ بها وشُهِرَ  
بحبّها حتى غلبَ عليها لقبه ، واشتراها يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ في خلافة سليمان أخيه  
وعاشت بعده ، وكانت لما مات تندُّبه بهذه الأبيات ، من شعر الأحوص :

قد لعمري بت ليلى	كأخي الداء الوجيه
ونجى الهَمَّ مني	بات أدنى من ضجيمي
كلما أبصرت ربعا	خالياً فاضت دموعي
لا تلمنا إن خشعنا	أو هممنا بالخشوع
للذي حل بنا اليوم	م من الأمر الفظيع
إذ فقدنا سيّداً كا	ن لنا غير مضيع

وكانت إحدى من أتهم بها الوليدُ من جوارى أبيه حين قال له قتلته : نَنَقِمُ  
عليك أنك تطأ جوارى أبيك .

قال : وكانت سلامة تقول الشعر ، وكانت قبل ذلك لسُهَيْلِ بنِ عبدِ الرحمن .  
وكان عبدُ الرحمن بنِ عمار بنِ جُشمِ بنِ معاوية القسّ ، يسكن بمكة وكان  
سبب أفتتانه بسلامة<sup>(٢)</sup> هذه التي غلب عليها اسمه ، أنه كان أعبد أهل زمانه ، وكان

\* ترجمتها في الأغاني ٨ : ٣٣٤ - ٣٥٠ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كذا في ١ ، والأغاني ، وفي ب ، ج : « الجبشي » .

(٢) كذا في ١ ، وفي الأغاني : « بها » ، وفي ب ، ج : « بمكة بسلامة » .

يشبّه بمطأءِ بنِ أبي رباح ، فسَمِعَ غنَاءَ سَلَامَةَ عَلَى غَيْرِ تَمَمِّدٍ مِنْهُ ، فَبَلَغَ غَنَاؤُهَا مِنْهُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، فَرَأَاهُ مَوْلَاهَا فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ فَتَسْمَعُ ؟ فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهَا : فَأَنَا أَقْعِدُهَا حَيْثُ تَسْمَعُ غِنَاءَهَا وَلَا تَرَاهَا وَلَا تَرَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، حَتَّى دَخَلَ فَسَمِعَ غِنَاءَهَا ، فَأَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ أُخْرِجَهَا إِلَيْكَ ؟ فَأَبَى ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْرَجَهَا إِلَيْهِ ، وَأَقْعَدَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَمَّتْ فَشَغِفَ بِهَا ، وَشُفِفَتْ بِهِ ، وَعَرَفَ ذَلِكَ أَهْلُ مَكَّةَ :

فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا : أَنَا وَاللَّهِ أَحَبُّكَ . فَقَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحَبُّكَ قَالَتْ : وَأَحِبُّ أَنْ أَضَعَ فِيَّ عَلَى فَمِكَ ، وَأَعَاتِقَكَ وَأَقْبَلَكَ . فَقَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّ ذَلِكَ . قَالَتْ : وَأَشْتَهُى وَاللَّهِ أَنْ أَضَاجِعَكَ وَأَضَعَ بَطْنِي عَلَى بَطْنِكَ ، وَصَدْرِي عَلَى صَدْرِكَ . قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّ ذَلِكَ . قَالَتْ : فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَاللَّهِ إِنَّ الْمَكَانَ خَالٍ . قَالَ : يَمْنَعُنِي مِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الْإِخْلَافُ يَوْمَئِذٍ لِبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ حُلَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوَوُّلٌ إِلَى عِدَاوَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

ثم قام وأنصرف ، ولم يعد إليها ، وعاد إلى ما كان عليه مِنَ النَّسْكِ وَقَالَ فِيهَا أَسْمَارًا ، مِنْهَا :

سَلَامٌ هَلْ لِي مِنْكُمْ نَاصِرٌ      أَمْ هَلْ لِقَلْبِي عَنْكُمْ زَاجِرٌ !  
قَدْ سَمِعَ النَّاسُ بِوَجْدِي بِكُمْ      فَفِيهِمُ اللَّائِمُ وَالْمَآذِرُ

ومما قال فيها :

إِنَّ آتَى طَرَفَتِكَ بَيْنَ رِكَائِبِ      تَمْشِي بِمِزْهَرِهَا وَأَنْتَ حَرَامٌ  
بَاتَتْ تَعْلَلْنَا وَتَحَسَّبَ أَنْفَا      فِي ذَاكَ أَقْبَاطُ وَنَحْنُ نِيَامٌ  
حَتَّى إِذَا سَطَعَ الصَّبَاحُ لَنَا ظِرٌّ <sup>(١)</sup>      فَإِذَا وَذَلِكَ بَيْنَنَا أَحْلَامٌ

(١) فِي الْأَغَانِي : « سَطَعَ الضِيَاءُ » .

قد كنت أعزّل في السفاهة أهلها فاعجب لما أتى به الأيام !  
فاليوم أعذرهم وأحسب أنما<sup>(١)</sup> سبب الضلالة والهدى أقسام

وكانت سلامة ورياً لرجل واحد ، وكاننا أختين ، وكاننا من أجمل الناس وأحسنهن غناء ، وكانت حباة تنظر إلى سلامة بعين الإجلال والفضل<sup>(٢)</sup> عليها .  
لما وليّ عثمان بن حبان المرتضى المدينة ، قال له قوم من وجوه الناس : إنك قد وليت المدينة على كثرة من الفساد فإن كنت تريد أن تصلح فطهرها من الغناء والزنا ، فصاح في ذلك ، وأجل أهله ثلاثا يخرجون [ فيها ]<sup>(٣)</sup> من المدينة .

وكان ابن أبي عتيق غائباً ، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح ، فلما كان آخر ليلة من الأجل ، قدم ابن أبي عتيق ، فقال : لا أدخل إلى منزلي حتى أدخل على سلامة القس ، فدخل عليها فقال : ما دخلت منزلي حتى جئتكم لأسلم عليكم ، فقالت : ما أغفلك عن أمرنا ! وأخبروه الخبر ، فقال : اصبروا على الليلة . فقالوا : نخاف أن يلهيك شيء . قال : إن خفتم شيئاً فأخرجوا في السحر .

ثم خرج ، فاستأذن على عثمان بن حبان ، فأذن له ، فسلم عليه ، وذكر غيبته ، وأنه جاء ليقضى حقه ، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا ، وقال : أرجو ألا يكون [ هناك ]<sup>(٤)</sup> عمل هو خير لك منه .

قال عثمان : قد فعلت ذلك وأشار على أصحابك به . فقال : قد أصبت ، ولكن ما تقول في امرأة كانت هذه صناعتها ، وكانت تسكره على ذلك ، ثم تركته ،

(١) في الأغاني : « وأعلم أن ما » .

(٢) ب ، ج : « التفضل » .

(٣) تكملة من الأغاني .

(٤) تكملة بقتضيتها الكلام .

وأقبلت على الصلاة والصيام والخير ، وأنا رسولها إليك ؛ تقول : أتوجهُ إليك وأعوذُ بك أن تُخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده .  
قال : فإنني أدعها لك ولسلامك .

فقال ابنُ أبي عتيق : لا يدعُك الناس ، ولكن تأتيك وتسمعُ كلامها وتنظرُ إليها ، فإن رأيتَ أن مثلها ينبغي أن يقول تركتها . قال : نعم ، فجاءه بها ، وقال : احملني معك مسبحةً وتخشعي ، ففعلت .

فلما دخلت على عثمان سَدَمَتْ عليه ، وجلست وحدثته ، فإذا هي من أعلم الناس بأمر الناس ، فأعجب بها ، وحدثته عن آباءه وأمرهم ، ففككه (١) لذلك .  
فقال ابنُ أبي عتيق : إقرئني للأُمير ، فقرأت له . فقال لها : احدي لي ، ففعلت ، وكثر تعجبها منها ، فقال : كيف لو سمعتهما في صناعتها ، فلم يزل يُنزل له شيئاً فشيئاً حتى أمرها بالفناء ، فقال لها ابنُ أبي عتيق : تَغَنَّى :

مَلَأْنَ خِصَاصَ الْحَلِيمِ لَمَّا دَخَلْنَهُ  
بِكَلِّ لَبَانٍ وَاضِحٍ وَجَبِينِ (٢)

فغنته ، فقام عثمان من مجلسه فجلس بين يديها ثم قال : لا والله ما مثل هذه يخرج .  
فقال ابنُ أبي عتيق : لا يدعُك الناس تُقرِّ سلامةً وحدها وتُخرج غيرها !  
قال : فدعوهم جميعاً ، وتركهم (٣) جميعاً .

لَمَّا قَدِمَتْ رُسُلُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَشْتَرُوا سَلَامَةَ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ مِنْ مَلِكِ أَهْلِهَا طَلَبُوا مِنَ الرَّسُلِ أَنْ يَتْرُكُوهَا عِنْدَهُمْ أَيَّامًا ، لِيَجْهَرُوهَا بِمَا يُشَابِهُهَا مِنْ حُلِيِّ وَثِيَابٍ وَصِنَعٍ (٤) وَطِيبٍ .

(١) فكك بذلك : طابت نفسه .

(٢) اللبان : الصدر ، وفي الأغاني : « سددن خصاص الحميم » .

(٣) في الأغاني : « وتركوهم » .

(٤) الصنع هنا : ما يؤتم به .

فقلت لهم الرُّسُلُ : هذا كلُّه معنا لا حاجة بنا إلى شيء منه ، وأمروها بالرحيل ،  
فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك ، وشيعتها الخلق من أهل المدينة ،  
فلما بلغوا السقاية . قالت للرُّسُلُ : إن لي قوما كانوا يغشون نبي ويسلمون عليّ ،  
فلا بد لي من وداعهم ، والسلام عليهم ، فأذن للناس عليها ، فانقضوا حتى ملأوا  
رحبة القصر ، ووقفت هي بارزة لهم ومعها العود ، فغنت :

فارقوني وقد علمتُ يقيناً ما لمن ذاق ميمتهً من إياب  
إن أهل القباب قد تركوني مولعاً مُغرماً بأهل القباب<sup>(١)</sup>  
أهل بيتٍ تتابعوا للمنايا ما على الدهر بعدهم من عتاب<sup>(٢)</sup>  
فلم تزل تُردّد هذا الصوت ، والناس يلتجئون حتى ركبتُ وأتجّبت الناسُ عند  
رُكوبها ، وتوجّهت .

وقال يزيد بن عبد الملك : ما يُقرُّ بعيني ما أتيتُ من الخلافة حتى أشتري سلامة  
جارية مُصعب بن سُهَيْل الزُّهريّ ، وحبابة جارية آل لاحق المكيّة ، فلما ملكهما  
قال : أنا الآن في بلوغ أمنيّتي كما قيل :  
فألت عصاها وأستقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالأياب المسافر  
ثم قال لهما : قد ملكتكم فما شاء بعد كما من أمر الدنيا فليفتني .

قال إسحاق الموصليّ : سمعتُ نائحة مكيّة تنوح بهذا الشعر :  
قد لعمريّ بت ليلى كأخي الداء الوجيع  
فكنتُ أترنم به لشدة إعجابي به ، فسمعه أبي فقال : ما تصنع به ؟ قلتُ :

(١) الأغاني : « بأهل الحصاب » .

(٢) تتابعوا : تهافتوا .

هذا شعر الأحوص ، وصنعةُ معبد ، وناحت به سلامةُ علي يزيد بن عبد الملك ،  
ثم ضربَ الدهرُ ضربه<sup>(١)</sup> ، فمات الرشيد ، فإذا رسولُ أمِّ جعفر يأمرُني بالحضور ،  
فحضرتُ ، فبعثتُ إلى : إني قد جمعتُ بناتِ الخلفاء ، وبناتِ بني هاشم لنوحٍ على  
الرشيد في ليلتنا هذه ، فقلْ آياتا رقيقةً ، وأصنعن صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بها ؛  
فأردتُ نفسي على أن أقولَ شيئاً فاحضرتني ، وجمعتُ تحشني رسلها ، فذكرتُ  
هذا النوحَ ، فأردتُ أن أصنعَ شيئاً ، ثم قلتُ : قد حضرتني القولُ ، وقد صنعتُ  
ما أمرت به ، فبعثتُ إلى بكنيزة ، وقالت : طارحها حتى تطارحنا ، فأخذت كُنيزة  
المودَ وردّته عليها حتى أخذته ، ودخلت فطارحته أمّ جعفر ، فبعثتُ إلى بمشرة  
آلافِ درهمٍ ومائةِ ثوب .

(١) ضرب الدهر ضربه : باعد بيننا .

## سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ\*

هو سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ حَسَلٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ سَعْدِ بْنِ جُشَمٍ  
ابن دُبَيَّانِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ يَشْكُرَ ، واسم أبي كاهل : شَيْبٍ وكنيته سويدُ أبو سعد ،  
بدليل قوله :

أنا أبو سعدٍ إذا الليل دجا      دخلتُ في سِرِّبَالِهِ ثم النجاء

جعلهُ ابنُ سَلامٍ في الطبقة السادسة ، وقرنَهُ بعنترَةَ العَبْسِيِّ وطبقته ، وهو  
مُخَضَّرٌ جاهليٌّ إسلاميٌّ . وكان أبوه أبو كاهل شاعراً ، ولما قرأ أبو نصر صاحبُ  
الأصمى على الأصمى قصيدة سُوَيْدٍ ، فضلها وقدمها ، وهي :

فَوَصَلْنَا الحَبْلَ مِنْهَا مَا أُنَّسَعُ <sup>(١)</sup>	فَبَسَطْتُ رَابِعَهُ الحَبْلَ لَنَا
جَلَلَّ الرَأْسَ بِيَاضٍ وَصَلَعُ <sup>(٢)</sup>	كَيْفَ يَرْجُونَ سُقُوطِي بَعْدَ مَا
قَدْ تَمَنَّيَ لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ	رُبَّ مَنْ أَنْصَجَتْ عُيْظًا صَدْرَهُ <sup>(٣)</sup>
عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يَنْتَرَعُ	وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ
وَإِذَا أُمَكِّنَ مِنْ لِحْيِ رَنَعُ <sup>(٤)</sup>	وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ
وَيُعَيِّنِي إِذَا النَجْمُ طَلَعُ	وَآيَةُ اللَّيْلِ مَا أَهْجَهُ

وكانت العرب تفضل هذه القصيدة وتقدمها وتعدُّها من حِكْمِهَا ، وكانت  
في الجاهلية تسمى اليَتِيْمَةَ .

\* ترجمته في الأغاني ١٣ : ١٠٢ - ١٠٨ (طبعة دار الكتب) .

(١) اتسع : امتد . والقصيدة مفضلية .

(٢) في المفضليات : « كيف يرجون سقاطي »

(٣) المفضليات : « قبله » .

(٤) المفضليات : « وإذا يخلوله لحي رنع » .

وكان زياد الأعجمُ قد هجا بني يشكرَ بقوله :

إذا يشكرى مسَّ ثوبك ثوبهُ      فلا تذكرنَّ اللهَ حتى تطهرا  
فلو أنَّ من لؤم تموتُ قبيلةُ      إذا لأماتَ اللهَ لا شكَّ يشكرا

فأتى بنو يشكرَ إلى سويدِ بن أبي كاهلٍ ليهجوَ زياداً الأعجمَ ، فأبى عليهم ، فقال

زياد :

وأنبثهم يستصيرِ خونَ ابنِ كاهلٍ      للؤمِ فيهمُ كاهلٌ وسامٌ<sup>(١)</sup>  
فإن يأتنا يرجعُ سويدٌ ووجهه      عليه الخزايا عُبرةٌ وقتامُ  
دعىَّ إلى ذبيانَ طوراً وتارةً      إلى يشكرٍ ما في الجميعِ كرامُ

فقال سويد : هذا ما طلبتم ! وكان سويدٌ مغلباً<sup>(٢)</sup> ، وكان يتأخرُ عن هجاء زياد .

وأما قوله :

دعىَّ إلى ذبيانَ طوراً وتارةً      إلى يشكرٍ . . . . .

فإن أمَّ سويدِ امرأةٌ من بني عُبرَ ، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني  
ذبيان بن قيس عيلان ، فمات عنها فزوجها أبو كاهلٍ ، وكانت فيما يقال حاملاً ،  
فاستلاط<sup>(٣)</sup> أبو كاهلٍ ابنها لما ولدته ، وسماه سويد ، واستلحقه به ، وكان إذا غضب  
على يشكرٍ ادعى إلى ذبيانٍ وإذا رضى عنهم أقامَ على نسيه .

وقيل : إنه وُلد في بني ذبيان ، وتزوجت أمه أبا كاهلٍ ، وهو غلامٌ يقع ، فاستلحقه

أبو كاهلٍ وأدعاه ، وقد أنتمى سويدٌ إلى قيسٍ وافتخر بذلك في قوله :

(١) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٢) المغلب هنا : المغلوب مرارا .

(٣) استلاطه : ادعاه ولدا وليس منه .



أنا العَظفانيّ ابن ذبيان فأبمدوا      فللزّنج أدنى منكم ويحاربُ  
أبت لي عَبْسٌ أن أسامَ دَنيمةً      وسعدٌ وذبيانُ الهِجَانُ وعامرُ  
وحيُّ كرامٍ سادةٌ من هوازنٍ      لهم في المَلِمَاتِ الأثوفُ الفواخرُ<sup>(١)</sup>

وكان زهير قد جاور بني شيبان ، فأساءوا جوارَه وعصّبوه شيئاً من ماله ،  
فأنتقل عنهم وهاهم فأكثر ، وكان الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني علم ، فهجاهم ،  
وإخوتهم بني<sup>(٢)</sup> ربيعة ، فأستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعود الجحّيّ  
والى الكوفة ، فدعا به وتوعده وأمره بالكف عنهم بعد أن أمر بحبسّه ، فغضبت  
له قيس ، وقامت بأمره حتى خلصته ، فقال في ذلك :

يكفُّ لسانى عامرٌ وكأعمى      يكفُّ لساناً فيه صابٌ وعَلَمٌ  
ألترك أولادَ البغايا وغيرهم      وتحبسنى عنهم ولا أتكلّم !  
ألم تعلموا أنّى سويدٌ وأننى      إذا لم أجد مستأخراً أتقدّم !  
حسبتُم هجائى إذ بطنتم غنيمَةً      على دماءِ البدن إن لم تندموا

وكان سويدٌ قد هاجى حاضرَ بنِ سَلَمَةَ العُبريّ ، فطلبهما عبد الله بنُ عامر  
ابن كرز ، فهربا من البصرة [ثم هاجى الأعرج أخا بنى حمّال بن يشكر]<sup>(٣)</sup> ثم أخذها  
صاحبُ الصدقة في أيام ولايةِ عامر بن مسعود الجحّيّ الكوفة ، فحبسهما ،  
وأمر ألا يخرجوا من السّجن حتى يؤدّيا مائةً من الإبل ، فجاء بنو حمّال إلى صاحبهم  
فكفّلوه وخذّل بنو عبدِ سعد سويداً ، وهم قومه ، فسأل بنى عُبر ، وكان قد هجاهم  
فقال :

(١) الأثوف الفواخر ، كناية عن ارتفاعها وشمها .

(٢) في الأغاني : « بنى أبي ربيعة » .

(٣) تكلمة من الأغاني .

مَنْ سَرَّهُ التَّمِيكَ بِغَيْرِ مَالٍ فَالْعَبْرِيَّاتُ عَلَى طِحَالٍ<sup>(١)</sup>  
\* شِوَاغِرٌ يُلْمَعِنُ لِلْقُقَالِ<sup>(٢)</sup> \*

فلما سأل بنى عُبرَ قالوا له : يا سُوَيْدُ ، « ضَمِيتَ الْبِكَارَ بِطِحَالٍ » ، فَأَرْسَلُوها  
مَثَلًا ، أَى أَنْكَ عَمَمْتَ جَمَاعَتَنَا بِالْهَجَاءِ فِي الْأَرْجُوزَةِ ، فَضَاعَ مَا قَدَّرْتَ ، أَنَا نَفْدِيكَ  
بِهِ مِنَ الْإِبِلِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى اسْتَوْهَبْتَهُ عَبَسَ وَذُبْيَانٌ لَمَدِيحِهِ لَهُمْ ، وَأَنْتَاهُ  
إِلَيْهِمْ ، فَأَطْلَقُوهُ بِغَيْرِ فِدَاءٍ .

---

(١) طحال : موضع بعينه .

(٢) الشواغر : المرفوعة أرجلها للنكاح . والإلماع : الإشارة . والقفال : الراجعون من

## سليمان بن القصار \*

هو سليمان بن علي الطنبوري ، قالت قمرية البكتمرية : كنت في حدائتي لرجل من الكتاب يُعرف بالبأوري ، وكانت ستي التي ربنتي له مغنية شجية الصوت ، حسنة الغناء ، وكانت تمسق ابن القصار ، وكانت علامة مصيره إليها أن يجتاز في رجلة وهو يغني ، فإن قدرت على لقائه أوصلته إليها ، وإلا مضى ؛ فأذكره ، وقد اجتاز بنا في ليلة مقمرة ، وهو يغني :

أنا في يُمنى يديها وهي في يُسرى يديها  
إنّ هذا لقضاء فيه جورٌ يا أخته

ويغني في آخره رده :

\* وَيَلَّ وَيَلِي يَا أُبَيَّةَ \*

وكانت ستي واقفة بين يدي مولاها ، فما ملكت نفسها أن صاحت : أحسنت والله أيها الرجل ! فأعد وتفضل ؛ ففعل ، وشربت رطلاً ، فتغافل عنها مولاها لموضعها من قلبه ، فما أذكر أنّي سمعتُ قطُّ أطيّب من غنائه ولا أحسن .

## سليمان بن أبي الزوائد\*

هو سليمان بن يحيى بن يزيد<sup>(١)</sup> بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف ابن<sup>(٢)</sup> نضلة بن عصية بن بكر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ؛ ويقال له : ابن أبي الزوائد ، شاعرٌ مُقلِّدٌ ، من مخضرمي الدولتين ، وكان يومئذٍ الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان ابن أبي الزوائد يتعشق جاريةً سوداء مولاة الصَّهْمِيِّينَ ، وكان يختلف إليها ؛ فَمَا قَالَ فِيهَا :

قد كان لي منك ما أسرَّ به      وليت ما كان منك لم يكن  
نَعَفُ في لِهوننا ويَجْمَعُنَا الـ      مَجْلِسُ بين العَرِيشِ والجُرُنِ<sup>(٣)</sup>  
يُعْجِبُنَا اللُّهُو والحديثُ ولا      نَخْلَطُ في لِهوننا هَتَأًا بَهَنِ<sup>(٤)</sup>

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة صديقاً لابن أبي الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما فهجره ، فقال فيه :

قَطَعَ الصَّفَاءَ ، ولم أكن      أهلاً لذلك ، أبو عبيدة  
لا تحسبناك عاقلاً      فلأنت أحمق من حميدة  
كانت بالمدينة امرأة رَعْنَاءَ يقال لها : حميدة ، يُضْرَبُ بها المثل في الخلق .

\* ترجمته في الأغاني ١٤ : ١٢١ - ١٣٠ (طبع دار الكتب) .

(١) في الأغاني : « ابن زيد » . ، وأثبت ما في الأصول .

(٢-٢) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « ابن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن

هوازن » .

(٣) أصلها الجرن ، كقفل ؛ وهو موضع تجفيف التمر .

(٤) كناية عما يستهجن ذكره من الرجل والمرأة .

دخل ابنُ أبي الزوائد إلى حماد بن عمران الطليحيّ ، وكان يلقب بمطعمط  
 وكان له قيانٌ يسمهنّ الناس ، فرآهنّ ابنُ أبي الزوائد ، فقال فيهنّ :  
 أقولُ وقد صُفِّ البُظْرُ لى (١)      اللِّبْظُرِ أَدْخَلَنِي عُطْمَطُ ؟  
 وإني امرؤٌ لا أحبُّ الزّنا      ولا يَسْتَفِزُّنِي البرَبَطُ (٢)  
 ولو بضمهنّ أبتغى صَبَوَتِي      لحا ط هامتها الخَبَطُ (٣)  
 لبئس إذا فعلٌ من قد قرا      وهمت عوارضه تَشْمَطُ (٤)  
 وما كنت مُفْتَرِشاً جارتي      وسيدها نائمٌ يَضْرُطُ  
 أأفرغ في جارتِي نطفةً      حراماً كما يُفرغ المسْمَطُ (٥)

قال ابنُ دَاب : خرجتُ أنا وأخي يحيى ، وابنُ أبي السعلى (٦) ومصعب ابنُ  
 عبد الله النوفليّ ، ومعنا ثابتٌ والزبير ابنا خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ،  
 وابنُ أبي الزوائد السعديّ ، وابنُ أبي ذئب متنزّهين إلى العقيق . وقد سال يومئذ ،  
 فبينما نحن جلوسٌ إذ أتانا آت ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ، فقال : ورد كتابُ  
 المنصورِ يأمرُ ألا تتزوج منافيةً إلا منافياً . فقال ابنُ أبي ذئب : إذا والله لا يخطبُ  
 قرشيٌّ إلا من لا يُحبُّها ولا يرغب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضل له عليها ، وكان  
 غيرَ حسنِ الرأي في بني هاشم وتكلمهم أبنا خبيبٍ بمثل ذلك ، وقال أحدهما : إن

(١) الأغاني : « صفت البظر » .

(٢) الربط : العود ، معرب .

(٣) الخبط : العصا يخطب بها الورق .

(٤) الشمط ، بالتحريك : بياض في الرأس يخاطب سواده . والعارضه : صفحة الحد ، وقراء ،

مسهل : « قرأ » ؛ أي الذي قرأ القرآن .

(٥) المسعط : ما يجعل فيه السعوط ويصب في الأنف .

(٦) الأغاني : « السعلاء » .

عَمَّنا من بنى عبدِ منافٍ قد طال ، فأدالنا الله منهم<sup>(١)</sup> ، قال : فغضب مصعب  
النوفلي ، وكان أحول ، فأزدادت عيناه أنقلابا ، فقال : أما أنت يا بنِ أبي ذئب ،  
فوالله ما شرتك جاهلية ولا رفعتك إسلام فيقع في بالِ أحدٍ أنك عنيت بما جرى ؛  
وأما أنتما يا بنى حُبَيْبٍ فمُغضُّكما لبنى عبد منافٍ تالدٌ موروث ، لا يزال يتجدد  
كلما ذكرتم قتل الزبير ، وإنكم لَمِنَ طينتين مختلفتين ، أما إحداهما فَمِنَ  
صِفِيَّة<sup>(٢)</sup> ، وهى الطينة الأبطحية السنية ، تنزعان إليها إذا نفرتما<sup>(٣)</sup> ، وتفخران  
بها إذا فخرتما ، والأخرى الطينة العوامية التى تعرفانها ، ولو شئت أن أقول  
لقلت ، ولكن صِفِيَّةٌ تحجزنى ، فأحسن الشكر لمن رفعكما ، ولا تميلاً عليه  
بمن وضعكما .

فقال له : مهلا ، فوالله لقد يمينا فى الإسلام أفضل من قديمك ولحظنا فيه  
بالزبير أفضل من حظك .

فقال مصعب : ما تفخران فى نسبكما إلا بعمتى ، ولا تفضلان فى دينكما إلا بآبنِ  
عمى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ففأخبره لى دونكما ، ثم تفرقوا . فقال ابن  
أبى الزوائد :

لعمركما يا بنى حُبَيْبٍ بنِ ثابتٍ	تجاوزتما فى الفخر جهلا مداكما
وأنكرتما فضلَ الذين بفضلهم	سمت بين أيدى الأكرمين يداكما
كأنكما لم تعرفا إذ سموتما	إلى العز من آلِ النبىِّ أبابكما
ولا تعرفا الفضلَ الذى قد حوتما	به لا من العوامِ حقا أناكما
ولولا الكرامُ العرُّ من آلِ هاشمٍ	فلا تجهلا لم تدقما من رماكما

- (١) أدالنا الله منهم : نصرنا عليهم ، وفى ب ، ج : « عليهم » ، بدل « منهم » .  
(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
(٣) كذا فى الأصول ، وفى الأغاني : « نافرتما » ؛ ولانفارة : المفارقة والمحاكمة .

## سلامة الزرقاء\*

هي جارية عبد الملك بن رامين ، وكان يقال لها : أم عثمان .

قال بعض المدائنيين : أنبت منزل ابن رامين ، فرأيت عنده جارية قد رفع ثديها قيصها ، ولها شارب أخضر ممتد على شفها أمتداد الطراز ، كأنما خطت طرفاتها وحاجباها بقلم لا يلحقها في ضرب من ضروب حسنها ، وصف واصف ، فسألت عنها فقيل لي : هذه الزرقاء ؛ ثم رأيتها في دار جعفر بن سليمان .

كان محمد بن الأشعث القرشي الزهري الكاتب ، من فتيان الكوفة وظرفائهم ، يقول الشعر ، وكان يالف سلامة الزرقاء ، فمما قال فيها :

أُسمى لسلامة الزرقاء في كبدى      صدغٌ مقيمٌ طوال الدهر والأبد  
لا يستطيع صناع القوم يشعبه      وكيف يشعب صدغ الحُب في الكبد<sup>(١)</sup>  
إلا بوصل التي من أجلها أنصدعت      تلك الصدوع من الأسقام والكمد

ولم يزل محمد بن الأشعث ملازما لابن رامين ولجاريته سلامة حتى شهر بذلك ، وكان رجلا قصافا<sup>(٢)</sup> ، فلامه قومه في فعله ، فلم يحفل بمقاتلهم ، وطال ذلك منهم حتى رأى بعض ما كره في منزل ابن رامين ، فقال إلى سحيفة جارية زريق ابن مفيح ، وكان زريق شيخا سخيا كريما نبيلًا يجتمع إليه أمراء أهل الكوفة من كل حي ، وكان الغالب على منزله رجلا من ولد القاسم بن عبد الغفار المجلي ، كغلبته محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين ، فتلازما منزل زريق ، وفي ذلك يقول محمد بن الأشعث :

\* ترجمتها في الأغاني ١٥ : ٥٦ - ٧٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) الصناع : الحاذق بالصنعة . والشعب : الإصلاح .

(٢) القصاف : كثير القصف ؛ وهو اللهو واللعب .

يابن رامين بُحْتُ بالتصريح      في هواي سحيفةَ ابنِ مُنيحِ  
 قينه عفةً ومولَى كريمٍ      ونديمٍ من اللُّبابِ الصَّريحِ  
 رَبَّيْ مَهْدَبُ أَرِيحِي      يَشْتَرِي الحُمدَ بالفعالِ الرِّيحِ  
 نحن منه في كلِّ ما تشتهي الأرز      فُسُ من لَذَّةٍ وعيشٍ نَجِيحِ  
 عند قَوْمٍ من هاشمٍ في ذُرَاهَا      وغنَاءٍ من الغزالِ المَلِيحِ<sup>(١)</sup>  
 في نعيمٍ وفي سرورٍ مُقيمٍ      قد أَمِنَّا من كُلِّ أمرٍ قَبِيحِ  
 فاسلُ عنها كما سلوناكَ إِنِّي      غيرُ سَالٍ عن ذاتِ نَفْسِي ورُوحِي  
 حافظُ عنكَ كَأَمَّا كُنْتَ قَدِضِي      مَتَّ مَمَّا عَصَيْتُ فِيهِ نَصِيحِي  
 يابن رامين فالزَّمنُ مَسْجِدَ الحِ      يَ بَطُولِ الصَّلَاةِ والتَّسْبِيحِ

فلم يدع ابنُ رامينَ شريفًا في الكوفةِ إِلَّا وتحمَّلَ به علي ابن الأشعث أن  
 يرَضِي عنه ، وبما وَدَّ زيارته ، فلم يفعل حتى تحمَّلَ عليه بجمد بن بشر الأَسديّ ،  
 وكان يومئذ على الكوفة ، فكلمه فرضى عنه ، وعاد<sup>(٢)</sup> إلى زيارته ولم يقطع منزلَ  
 زريق . وقال في سحيفة شعرا .

كان محمد بنُ جميل يهوى سلامةَ الزرقاء وتهواه ، وكان رُوح بنُ حاتم بن  
 المهلب كثيرَ الغشيان لمنزل سيدها ابنِ رامين ، فقال لها محمد بنُ جميل يوماً : إنَّ  
 رُوح بنَ حاتم قد ثقل علينا ، فقالت : وما أصنعُ فيه ، قد غمرَ مولاي برُّه ، قال :  
 احتقالي له ، فبات عندهم رُوحٌ ليلةً ، فأخذت سرَّوَاله ففسلته وهو نائم ، فلما أصبح  
 سأل عنه ، فقالت : غسلناه ، ففطن أنه أحدث فيه ، واحتجيج إلى غسله فأستحيا من  
 ذلك ، وانقطع عنهم ، وخلا وجهها لابنِ جميل .

(١) القرم : السيد .

(٢) في الأغاني : « ورجع » .



كان جعفر بن سليمان أشتري سلامة الزرقاء بثمانين ألف درهم ، وسترها عن أبيه ، وأبوه يومئذٍ على البصرة في خلافة المنصور ، وقد تحرك في تلك الأيام عبد الله بن علي ، فهجم عليهما يوما سليمان بن علي ، فأخفيا العود تحت السرير ، فقال له : وَيَحْك ! نحن على هذه الحال ، وأنت تشتري جارية بثمانين ألف درهم ! وأظهر له غضباً وسخطاً بما فعله ، فغمزَ خادماً له كان<sup>(١)</sup> على رأسه ، فأخرجها إلى سليمان ، فأكبَّت على رأسه فقبَّلته ، ودعت له .

وكانت عاقلةً مقبولةً شكلة<sup>(٢)</sup> ، فأعجبته ، فقام عنها ولم يعد إلى معاتبته أبنه بعد ذلك . ولما مضت لها مدة عند جعفر بن سليمان قال لها يوماً : هل ظفرك منك أحدٌ قطُّ ممن كان يهواك بحاوةٍ أو قبلةٍ ؟ فحشيتُ أن يبلغه شيءٌ كانت فعلته بحضرة جماعة ، أو أن يكون قد بلغه شيء ، فقالت : لا والله ، إلا يزيد بن عون العبادي الصيرفي ، فإنه قبلي قبلةً وقَدَف في فمي لؤلؤةً بعثها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفرٌ يحتمل له ويطلبه ، حتى وقع له ، فضربه بالسياط حتى مات .

قال عبد الرحمن بن مقرون<sup>(٣)</sup> : كتبتُ إلى ابن رامين أستاذته في إتيان منزله ، فكتب إلي : قد سبقك رَوْحُ بن حاتم ، فإن كنت لا تحشم منه فرُح ، فرُحْتُ ، فكأنتنا كنا فرسى رِهان ، فألتقينا ، فماتتني وقال لي : أين تريد ؟ قلت : حيث أردت . قال : الحمد لله ، فدخلنا فخرجت الزرقاء في رداء وإزار قوهيين<sup>(٤)</sup> موردين كأن الشمس طالعةٌ من بين رأسها وكمبها<sup>(٥)</sup> ، فغنمتنا ساعةً ، ثم جاء الخادم الذي

(١) ساقطة من ا .

(٢) شكلة : ذات غنج ودلال وغزل ، وفي الأغاني : « متكلمة » .

(٣) في الأغاني : « مقرن » .

(٤) القوهي : ضرب من الثياب بيض ؛ منسوبة إلى قوهستان .

(٥) في الأغاني : « وكتفيها » .

يأذن لها<sup>(١)</sup> ، وكان الإذن عليها دون مولاها ، فقام على الباب وهي تفتني فلما قطعت الغناء نظرت إليه ، فقالت : من ؟ قال : يزيد بن عون العبادني الصبري الملقب بالماجن على الباب . قالت : أدخله ، فلما استقبلها كفر<sup>(٢)</sup> ثم أقعى<sup>(٣)</sup> بين يديها ، فجودت<sup>(٤)</sup> والله له ، ورأيت أثر ذلك ، وتنوقت تنوقاً خلاف ما كانت تفعل بنا ، فأدخل يده في ثوبه ، فأخرج لؤلؤتين ، فقال : أنظري يا زرقاء ، جمعت فداك ! ثم حلف أنه تقد فيهما بالأمس بأربعين ألف درهم ، قالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردت أن تعلمي ، فغنت صوتاً ثم قالت : يا ماجن هبما لي . قال : إن شئت والله فعلت . قالت : قد شئت . قال : فاليمين التي حلفت بها لازمة لي إن أخذتكما إلا بشفتيك من شفتي !

قال : فذهب رَوْحٌ يتسرّع إليه ، فقلت<sup>(٥)</sup> : ألك في بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم . قلت : إنما يتكسبون بما ترى .

وقام ابنُ رامينَ فقال : ضَع لي ماءً يا غلام ، ثم خرج عننا . فقالت : هاتيرهما ، فبشي على ركبتيه وكفّيه ، وهما بين شفتيه ، وقال : هاك ، فلما ذهبت تناولهما ، جعل يصد عنها يميناً وشمالاً ليستمكن منها ، فغمزت جاريةً على رأسها ، فخرجت كأنها تريد حاجة ، ثم عطفت عليه ، فلما دنا وذهب ليروغ دفعت منكبه ، وأمسكته حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيها من فمه ورشح جبينها عرقاً حياً منّا ، ثم تجلّدت علينا ، فأقبلت علينا وقالت : المغبون في استه عود .

(١) يأذن لها ، يريد : يستأذن عليها .

(٢) التكفير : أن ينحى الذمي أو المجوسي برأسه ؛ إيماء إلى التعظيم .

(٣) أقعى : نساند إلى الوراء .

(٤) جودت له : أعجبت به ، وفي الأغاني : « فوجدت والله له » ، أي لحقها الوجد به

والحب له .

(٥) في الأغاني : « فقالت له » .

فقال: أما أنا فلا أبالي. والله لا يزال طيبُ هذه الرائحةِ في أنفي وفي ما حَيَّيتُ .  
اجتمعَ عند ابنِ رامينَ معنُ بنُ زائدةَ ، وروحُ بنِ حاتمَ ، وابنُ المقفَّعِ فلما  
تغفَّت الزرقاءُ ، وسعدَةُ ، بعثَ معنُ فحجىءَ ببدرَةَ فصَبَّها بينَ يديها ، وبعثَ روحُ  
فحجىءَ ببدرَةَ فصَبَّها بينَ يديها ، ولم يكن عند ابنِ المقفَّعِ دراهمُ ، فبعثَ فحجىءَ بصكِّ  
فيه عُهدَةُ ضَيْعَتِهِ ، فقال: هذه عُهدَةُ ضَيْعَتِي نُحْذِيهَا ، وأما الدراهمُ فإعندي منها شيءٌ .

وقال سُراعةُ بنُ الزَّندَبُودِ :

قالوا سُراعةُ عَيْنٌ فقلتُ لهمُ  
فإن أبيتُم وقلتم غيرَ قولِكُم  
ثم أخبروا كيف طَعَنِي عند مُعْتَرِكِي (٢)  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ عَيْنٍ  
فَأفحِمُونِي فِي دارِ ابنِ رامينِ (١)  
فِي حِرِّ مَنْ كُنْتُ أَرْمِيهَا وَتَرْمِينِي

(١) أقحمه : ألقاه ورمى به .

(٢) رواية الأغانى : « ثم انظروا » .

## سُدَيْفٌ \*

هو سُدَيْفُ بْنُ مَيْمُونٍ ، مَوْلَى خُزَاعَةَ ، وَسَبَبُ أَدْعَائِهِ وَوَلَاءُ بَنِي هَاشِمٍ ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ مَوْلَاةً لَّالَ أَبِي لَهَبٍ <sup>(١)</sup> ، فَأَدَّعَى وَوَلَاءَهُمْ ، وَدَخَلَ فِي مُجَلَّةِ مَوَالِيهِمْ .  
وقيل : إنَّ أَبَاهُ مَيْمُونٌ هُوَ الَّذِي تَزَوَّجَ مَوْلَاةَ اللَّهَيْبِيِّينَ <sup>(٢)</sup> ، فَوَلَدَتْ لَهُ سُدَيْفًا .  
وَلَمَّا بَقِيَ وَقَالَ الشُّعْرُ ، وَعُرِفَ بِالْبَيَانِ ، وَحُسْنِ الْعَارِضَةِ أَدَّعَى الْوَلَاءَ فِي مَوَالِي بَنِي أُمِّيَّةٍ ، فَغَلَبُوا عَلَيْهِ .

وسُدَيْفٌ شَاعِرٌ مُقَلِّدٌ حِجَازِيٌّ ، مِنْ مَخْضَرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ ، وَكَانَ شَدِيدَ التَّمَعُّبِ لِبَنِي هَاشِمٍ ، مَظْهَرًا لِدَلَالِكَ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمِّيَّةٍ ، فَغَلَبُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُخْرِجُ إِلَى أَحْبَابِهِ صُفَى <sup>(٣)</sup> فِي أَرْضِ ظَهْرِ مَكَّةَ ، يُقَالُ لَهُ : صُفَى السَّبَّابِ وَيُخْرِجُ مَوْلَى لِبَنِي أُمِّيَّةٍ مَعَهُ ، يُقَالُ لَهُ : سَبَّابٌ ، فَيَتَسَابَتَانِ وَيَتَشَاتَمَانِ وَيَذْكُرَانِ الْمَثَلِ وَالْمَعَايِبَ ، وَيُخْرِجُ مَعَهُمَا مِنْ سُفْهَاءِ الْفَرِيقَيْنِ مَنْ يَتَعَصَّبُ لِهَذَا وَلِهَذَا ، فَلَا يَبْرَحُونَ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُمَا الْجِرَاحُ وَالشُّجَاجُ ، وَيُخْرِجُ السَّلْطَانَ إِلَيْهِمْ فَيَفِرُّهُمْ ، وَيَعَاقِبُ الْجُنَاةَ ، فَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ الْعَصْبِيَّةُ بِمَكَّةَ حَتَّى شَاعَتْ فِي الْعَامَّةِ وَالسَّفَلَةِ ؛ وَكَانُوا صَنْفَيْنِ ، يُقَالُ لَهُمْ : السُّدَيْفِيَّةُ وَالْأُخْرَى السَّبَّابِيَّةُ طُولُ أَيَّامِ بَنِي أُمِّيَّةٍ ، ثُمَّ انْقَطَعَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَصَارَتْ الْعَصْبِيَّةُ بِمَكَّةَ مِنَ الْخَلِيَّاطِينَ وَالْحَرَارِينَ <sup>(٤)</sup> .

\* ترجمته في الأغاني ٤ : ٣٤٣ - ٣٥٥ ، و١٦ : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١) كذا في الأغاني ؛ وهو الصواب ؛ وفي الأصول : « لأبي لهب » .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « أبي لهب » .

(٣) في الأغاني : « صفا » .

(٤) الحرارون : صانعو الحرير .

وَمِنْ شَعْرِ سُدَيْفٍ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا يَذْكَرُ فِيهَا أَمْرَ بَنِي حَسَنٍ ، وَخَرَجَهُمْ ،  
وَأَنشَدَهَا الْمَنْصُورَ بَعْدَ قَتْلِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ ، فَلَمَّا آتَى عَلَى هَذَا الْبَيْتِ :  
وَأَسْوَأُ تَأَلُّقِ الْقَوْمِ لَا كَفُّوا وَلَا إِذْ حَارَبُوا كَانُوا مِنَ الْأَحْرَارِ  
فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَتَحْرَضُهُمْ <sup>(١)</sup> عَلَى يَا سُدَيْفٍ ؟ قَالَ : وَلَكِنِّي أُؤْتَبِّهُمُ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

سَلَّمَ سُدَيْفٌ عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ . فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا ؟ قَالَ :  
أَنَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِكَ ، أَنَا سُدَيْفُ بْنُ مَيْمُونٍ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا هَذَا ، مَا فِي قَوْمِي  
« مَيْمُونٌ » . فَقَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ مَا فِيهِمْ مَيْمُونٌ وَلَا مُبَارَكٌ .

بَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَبَنُو هَاشِمٍ دُونَهُ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ،  
وَبَنُو أُمَيَّةَ عَلَى الْوَسَائِدِ قَدْ تُنْبِتُ لَهُمْ ، وَكَانُوا فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ يَجْلِسُونَ هُمْ وَالْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ  
عَلَى السَّرِيرِ ، وَيَجْلِسُ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ، فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
رَجُلٌ حِجَازِيٌّ أَسْوَدٌ ، رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ ، مِثْلَهُمْ يَسْتَأْذِنُ ، وَلَا يَخْبِرُ بِأَسْمِهِ ،  
وَحَلَفَ أَلَّا يَحْسِرَ اللَّثَامَ <sup>(٢)</sup> عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاكَ .

فَقَالَ : هَذَا مَوْلَايَ سُدَيْفٌ ، يَدْخُلُ ، فَدَخَلَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ،  
وَبَنُو أُمَيَّةَ حَوْلَيْهِ حَسَرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَأَنشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَحَ الدِّينَ ثَابِتَ الْآسَاسِ      بِالْبَهَائِلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ <sup>(٣)</sup>  
بِالصُّدُورِ الْمُقَدِّمِينَ قَدِيمًا      وَالرُّءُوسِ الْقُمَاقِمِ الرُّؤَاسِ <sup>(٤)</sup>

(١) الأغانى : « أتحضهم » .

(٢) حسر اللثام عن وجهه : كشفه .

(٣) البهائل : جمع بهلول ؛ وهو السيد الجامع لكل خير . ورواية الأغانى : « أصبح الملك »

(٤) القماقم : العدد الكثير .

يا أمينَ المطهرين من الذنوب  
 أنت مهدي هاشم وهداها  
 لا تُقيلنَّ عبدَ شمسٍ عثارًا  
 أنزلوها بحيثُ أنزلها الله  
 خوفهم أظهر التوود منهم  
 أفصهم أيها الخليفة وأحيم  
 وأذكرن مصرع الحسين وزيدا<sup>(٢)</sup>  
 والإمام الذي بجران أمسى  
 ولقد ساءني وساء سوائى  
 نعم عبدُ الهراش مولاك لولا  
 فتغير لونُ أبي العباس ، وأخذهُ زَمَعٌ<sup>(٦)</sup> ورعدة ، فالتقت بعضُ ولدِ سليمان

ابن عبد الملك إلى رجل منهم كان إلى جنبه ، فقال : قتلنا والله العبد !  
 ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال : يا بني الفواعل ، لا أرى قتلاكم من أهلي ،

(١) الرقلة : النخلة الطويلة .

(٢) في الأصول : « وزيد » ؛ والأجود ما أثبتته من الكامل ٤ : ٨ ؛ و« زيد » هو ابن علي بن الحسين ؛ وكان قد خرج على هشام بن عبد الملك ؛ وقتله يوسف بن عمر الثقفي وصلبه بالكناسة عريانا ؛ هو وجماعة . والقتيل الذي بجانب المهراس هو حمزة بن عبدالمطلب ؛ عم الرسول عليه السلام والمهراس ماء بأحد .

(٣) القتيل الذي بجران هو إبراهيم بن محمد بن علي ؛ المعروف بالإمام .

(٤) غاظ سوائى ، أى غيرى . والتمازق : جمع نمرقة ؛ وهى الوسائد .

(٥) الأود : التعب والجهد ؛ ورواية الكامل والعقد :

نعم شبيل الهراش مولاك شبيل لونجما من حباثل الإفلاس

(٦) الزمع : شبه رعدة تظهر على الوجه عند الغضب .

وقد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا ! خذوهم ، فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات<sup>(١)</sup> ، فأهمدوا ؛ إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فإنه أستجار بدوود بن علي ، وقال له : إن أبي لم يكن كتابهم ، وقد علمت صنيعه إليكم ، فأجاره ، واستوهبه من السفاح وقال له : قد علمت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إليكم ، فوهبه له ، وقال : لا تربيّني وجهه ، وليكن بحيث تأمنه . وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية .

وقيل : إن سبب قتل بني أمية أن السفاح أنشد قصيدةً مدح بها ، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا مما مدحتم به ؟ فقال : هيهات ! لا يقول أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرقيّات فينا :

ما تقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا  
وأنهم معدن الملوك فلا تصالح إلا عليهم العرب

فقال له : يا ماص كذا من أمة إن الخلافة لفي نفسك بعد ! خذوهم . فأخذوا فقتلوا ، ثم دعا أبو العباس بالعداء حين قتلوا ، وأمر ببساطٍ فبسط عليهم ، وجلس فوقهم يأكل وهم يضطربون تحته فلما فرغ قال : ما أعلم أني أكلت أكلة قطّ كانت أهناً ولا أطيب في نفسي منها . فلما فرغ من الأكل قال : جرّوا بأرجلهم ، وألقوهم في الطريق ليلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء .

قال : فرأيت الكلاب تجرّ بأرجلهم وعليهم سراويل من الوشي حتى أتنوا ، ثم حفرت لهم بئرٌ فآلقوا فيها .

(١) في حاشية ١ : « كافر معلوم ، وكوب بالفارسي المدق ، اسم الآلة ؛ يعني آلة حطم الكافر . والألف والتاء في آخره علامة الجمع . »

لَمَّا دَخَلَ سُدَيْفٌ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَعِنْدَهُ رِجَالٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، أَنشَدَهُ :  
 يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ ضِيَاءٌ      اسْتَبْنَا بِكَ الْيَقِينَ الْجَلِيَاءُ  
 جَرَدِ السَّيْفِ وَأَرْفَعِ الْعَفْوَ حَتَّى      لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويَا  
 لَا يَفْرُؤُكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ      إِنَّ تَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيَا  
 بَطْنُ الْبَغْضِ فِي الْقَدِيمِ وَأَضْحَى      ثَابِتًا فِي قُلُوبِهِمْ مَطُويَا  
 وهى طويلة ، فقال : يا سُدَيْفُ ، ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . ثم قال  
 أبو العباس متمثلاً :

أَحْيَا الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَأَفُوا      فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلآبَاءِ أَبْنَاءُ  
 وَأَمْرٌ بَيْنَ عِنْدَهُ فُقُتِلُوا .

روى طارقُ بنُ المبارك عن أبيه : قال : جاءني رسولُ عمرو بنِ مُعاويةَ  
 ابنِ عمرو بنِ عُتْبَةَ ، قال : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنا حديثُ  
 السنِّ ، كثيرُ العيال ، منتشرُ الأموال <sup>(١)</sup> ، فما أكون في قبيلة إلا شهرِ أمرى ، وقد  
 عزمتُ على أن أُنْدِىَ حُرْمِي بنفسي ، وأنا سائرٌ إلى بابِ الأميرِ سليمان بنِ عليٍّ ،  
 فَصِرْتُ إِلَى ، فَوَافَيْتُهُ فَإِذَا عَلَيْهِ طَيْلَسَانٌ أبيضُ مطبَّقٌ وسراويلٌ وشيٌّ مسدولٌ ،  
 فقلت : يا سبحان الله ! ما تصنعُ الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللباسِ تلقى هؤلاء القومَ ،  
 لِمَا تريد لقاءهم فيه ! قال : لا والله ، ولكنَّه ليس عندي ثوبٌ إلا أشهر مما ترى ،  
 فأعطيته طَيْلَسَانِي ، ولويتُ سراويله إلى رُكبتيه ، فدخل ثم خرج مسرورا ، فقلت  
 له : حدِّثني ما جرى بينك وبين الأمير .

قال : دخلتُ عليه ولم يكن رأني قطُّ ، فقلت : أصلحَ الله الأمير ! بلادى  
 لَفَظْتُنِي <sup>(٢)</sup> إليك ، ودلَّني فضلكَ عليك ، فإمَّا قتلْتَنِي غانماً ، وإمَّا ردَّدْتَنِي سالماً .

(١) الأغاني : « المال » .

(٢) ١ : « لفظتني البلاد إليك » .



قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَأَنْتَسِبْتُ لَهُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ ، أَعَدَدْتُكُمْ غَاثًا آمِنًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ يَا بَنَ أَخِي ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ الْحُرَمَ اللّٰوَاتِي كُنْتُ أَقْرَبَ إِلَيْهِنَّ مِنَّا ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِنَّ بَعْدَنَا ، قَدْ خِفْنَا بِخَوْفِنَا ، وَمَنْ خَافَ خِيفَ عَلَيْهِ . قَالَ : فَوَاللّٰهِ مَا أَجَابَنِي إِلَّا بِدَمْعِهِ عَلَى خَدَّيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنَ أَخِي يَحْقِنُ اللّٰهُ دَمَكَ ، وَيَحْفَظُكَ فِي حُرْمِكَ ، وَيُؤَفِّرُ عَلَيْكَ مَالَكَ ، وَاللّٰهُ لَوْ أَمَكَّنَنِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ قَوْمِكَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَكُنْ مَتَوَارِبًا كَظَاهِرِي ، وَآمِنًا كَخَائِفِي ، وَلْتَأْتِنِي رِقَاعُكَ .

قال : فَكُنْتُ أَكْتُبُ إِلَيْهِ كَمَا يَكْتُبُ الرَّجُلُ إِلَى أَبِيهِ وَعَمَّهُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْحَدِيثِ ، رَدَدْتُ عَلَيْهِ طَيْلَسَانَهُ ، فَقَالَ : مَهْلًا ! فَإِنَّ ثِيَابَنَا إِذَا فَارَقْتَنَا لَمْ تَرَجِعْ إِلَيْنَا . وَقِيلَ : إِنَّ الشُّعْرَ الَّذِي أَنْشَدَهُ سُدَيْفٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ هُوَ هَذَا :

كَيْفَ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَقَدِيمًا	قَتَلُواكُمْ وَهَتَّكُوا الْحُرْمَاتِ !
أَيْنَ زَيْدٌ وَأَيْنَ يَحْيَىٰ بِنُ زَيْدٍ	يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ وَتِرَاتِ !
وَالْإِمَامُ الَّذِي أُصِيبَ بِحَجْرًا	نَ إِمَامُ الْهُدَىٰ وَرَأْسُ الثَّقَاتِ
قَتَلُوا آلَ أَحْمَدٍ لَا عَفَا لِلَّهِ	هُ لِرَوَانِ ، غَافِرُ السَّيِّئَاتِ

أَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ لِرَجُلٍ مِنْ شَيْعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ يَحْضُرُهُمْ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ :

إِيَّاكُمْ أَنْ تُتْلِيَنُوا الْاِعْتِدَارَ لَهُمْ	فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ
لَوْ أَنَّهُمْ أَمِنُوا أَبَدًا وَعَدَاؤَكُمْ (١)	لَكُنْهُمْ قُمِعُوا بِالذَّلِّ فَأَتَقَمَمُوا
أَلَيْسَ فِي أَلْفِ شَهْرٍ قَدِ مَضَتْ لَهُمْ	سَقَوَكُمْ جُرْعًا مِنْ بَعْدِهَا جُرْعُ !
حَتَّى إِذَا مَا أَنْقَضَتْ أَيَّامَ مَدَّتْهُمْ	مَتُّوا إِلَيْكُمْ بِالْأَرْحَامِ الَّتِي قَطَعُوا (٢)
هِيَهَاتَ لَا بَدَأَ أَنْ يُسْقَوْا بِكَاسِهِمْ (٣)	رَبِيًّا وَأَنْ تَحْصِدُوا الزَّرْعَ الَّذِي زَرَعُوا
إِنَّا وَإِخْوَانُنَا الْأَنْصَارُ شَيْعَتُكُمْ	إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ

(١) فِي الْأَغَانِي : « عِدَاؤَتِهِمْ » .

(٢) كَذَا فِي أ ، وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ مَحْرُفًا فِي ب ، ج .

(٣) ب ، ج : « بِكَاسِكُمْ » ، تَصْحِيفٌ .

ولمّا أنشد سُديف الأبيات التفت إليه أبو الغمّر سليمان بن هشام ، فقال له :  
 ياماصّ بظر أمّه ! أتجبهنا بهذا ، ونحن سرّوات الناس ! فغضب أبو العباس -  
 وكان سليمان صديقه قديماً وحديثاً ، ويقضى حوائجه ويبرّه في أيامهم - فلم يلتفت  
 أبو العباس إلى ذلك ، وصاح بأخراسانية : خذوهم ! فقتلوهم جميعاً إلا سليمان بن هشام  
 فأقبل عليه السفّاح فقال : يا أبا الغمّر ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً . قال :  
 لا والله ، قال : أقتلوه ، وكان إلى جانبه ، فقتلوه ؛ وصلّبوا في بُستانه حتى تأذى  
 جلساؤه بريهم ، وكمّوه في ذلك ، فقال : والله إن هذا عندي الدّ من ثمّ راحة  
 المسك والمنبر ، غيظا عليهم وحنقا<sup>(١)</sup> .

ركب المأمون يوماً بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج ، فوقف في بعض  
 الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربع سرّوات<sup>(٢)</sup> ، لم ير أحسن منها ، فنزل  
 المأمون ينظر إلى آثار بني أمية ، ويعجب منها ، ويدكرهم ثم دعا بطبق عليه  
 بزّماورد<sup>(٣)</sup> ، ورطل نبيذ ، فقام علّويه فغنّى :

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعةٍ تفانوا فإلا تدرف العين أكمده

فغضب المأمون ، ورفع الطبق وقال : يا بن الفاعلة ! لم يكن لك وقت تبكي  
 فيه على قومك إلا هذا الوقت ! قال : نعم ، أبسكي عليهم ؛ مولاكم زرياب ، يركب  
 معهم في مائة غلام ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً ! فقام المأمون فركب ، وأنصرف  
 الناس ، وغضب على علّويه عشرين يوماً ، فكلمه فيه عباس ، فرضى عنه ، ووصله  
 بعشرين ألف درهم .

(١) ساقطة من ب ، ج .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قوم الساق .

(٣) البرماورد : « طعام يسمى لقمة القاضي » مصنوع من اللحم المقل بالزبد والبيض .

وفي شفاء الغليل : « زماورد » والعامّة تقول : « بز ما ورد » كلمة فارسية استعمالها العرب  
 للرفاق المنفوف باللحم .

## السائب أبو العباس الأعمى المكي\*

المذكور في صحيح البخاري

هو السائب بن فروخ ، مولى بنى ليث ، وقيل : مولى بنى الدليل ، وهو الصحيح ، وهو الذى يروى عنه حبيب بن أبى ثابت ، وهو مولى جذيمة بن على ابن الدليل بن بكر بن عبد مناة .

وهو من شعراء بنى أمية المدودين المتقدمين فى مدحهم ، والتشجيع لهم ، وأنصباى الهوى إليهم ؛ وهو الذى يقول فى أبى الطفيل عامر بن وائلة ، صاحب على بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليه :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَأَبَا طُفَيْلٍ لَمَخْتَلِفَانِ وَاللَّهُ الشَّهِيدُ  
أَرَى عِمَانَ مُهْتَدِيًّا وَيَأْتِي مُتَابِعَتِي ، وَأَبَى مَا يُرِيدُ

وروى أبو العباس عن صدر من الصحابة الحديث ، وروى عنه عطاء ، وعمرو ابن دينار ، وحبيب بن أبى ثابت .

فَمَا رَوَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيبِ قَالَ : قَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بِمَدِّ الصَّلَاةِ ، يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا » .

قال يزيد بن مزيد : سمعت الرشيد هارون يقول : سمعت المنصور يقول : خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد ، فصحبتى فى الطريق رجل ضريء ،

فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَقْصِدِهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَرِيدُ مِرْوَانَ بِشَعْرِ أُمَّتَدَّحِهِ بِهِ ، فَاسْتَنْشَدْتُهُ إِيَّاهُ <sup>(١)</sup>  
فَأَنْشَدَنِي ، وَهُوَ :

لَيْتَ شِعْرِي أَفَاحَ رَائِحَةَ الْمِسِّ      لِكِ وَمَا إِنْ إِخَالَ فِي الْحَمِيِّ إِنْسِي  
حَيْثُ غَابَتْ بَنُو أُمِّيَّةَ عَنْهُ      وَالْبَهَائِلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ  
خُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ فُرْسَا      نَ عَلَيْهَا وَقَالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ  
لَا يُعَابُونَ صَامِتِينَ وَإِنْ قَا      لَوْ أَصَابُوا وَلَمْ يَقُولُوا بَلْسِ  
بِحُلُومٍ إِذَا الْحُلُومُ أَضْحَلَّتْ      وَوَجُوهٍ مِثْلَ الدَّنَانِيرِ مُسِّ

قال : فوالله ما فرغ من إنشادها حتى توهمت أن العمى قد أدركني ،  
وأفترقنا . فلما أفضت الخلافة إلى ، خرجت حاجاً ، فنزلت أمشي بجبلي زرود ،  
فبصرت بالضرير ، ففرقت من كان معي ، ثم دنوت منه ، فقلت : أتعرفني ؟  
قال : لا ، فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان . فقال : أوه ! ومدَّ بها  
صوته ، ثم قال :

أَمَتَ نِسَاءَ بَنِي أُمِّيَّةَ بَعْدَهُمْ      فَعِيَالَهُمْ بِمَضِيعَةِ أَيَّامِ  
نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأَسْقَطْنَ نَجْمَهُمْ      وَالنَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُدُودُ تَنَامُ <sup>(٢)</sup>  
حَلَّتِ الْمَنَابِرُ وَالْأَسْرَةُ مِنْهُمْ      فَعَلَيْهِمْ حَتَّى الْمَهَاتِ سَلَامُ

قلت : فكم كان مروان أعطاك ؟ قال : أعغانى عن أن أسأل أحداً بعده ،  
فهممتُ بقتله ، ثم ذكرتُ حقَّ الأسترسال <sup>(٣)</sup> والصُّحْبَةَ ، فأمسكتُ ، وغاب عن  
عيني ، ثم بدا لي فيه ، فأمرتُ بطلبه ، فكانَّ البيداء <sup>(٤)</sup> بادت به .

(١) ساقطة من ب ، ج .

(٢) نامت جدودهم ؛ كناية عن قعود الزمن بهم .

(٣) استرسال إليه : انبسط واستأنس .

(٤) البيداء : الفلاة . وبادت به ، أى ذهبت به .

قَدِمَ البَعِيثُ المُجَاشِعِيُّ مَكَّةَ ، وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها ، وكانت جوائزُ بني أمية تأتيه من الشام ، وكانت قريشٌ كلها تَبْرُهُ لسانه ، وتقرُّ بأبني أمية ، فصلَّى البَعِيثُ مع الناس ، وسأل في سَمالةٍ كانت عليه ، وكان سَتُولا مُلحفًا ، شديد الطمع ، وكان الرَّجُلُ من قريش يأتيه بالشىء يتحمَّله عنه ، فيقول : لا أَقبِلُ حتَّى تجيء معى إلى الصَّرَافِ فينقده ويزنه ، فإن لم يفعل ذمَّه وجهًا . فشكَّوه إلى أبي العباس الأعمى ، فقال : قودوني إليه ، ففعلوا فلما عرف مجلسه رفع عصاه ، ثم ضربَ بها رأسه ، وقال :

وهل أنت إلا مُلصقٌ في مُجاشعٍ      تفالك جَريرٌ بالهجاء إلى نجدٍ (١)  
تظللُّ إذا أعطيتَ شيئًا سألتهُ      تُطالبُ من أعطاك بالوزن والنقدِ  
فلا تطمعن من بعدِ ذا في عطيةٍ      ورتقٌ بقبيح المنع والدفع والرَّدِ  
فلست بميقٍ في قريش خزايةٍ      تدمُّ ولو أنفدتَ فيها مدى الجهدِ (٢)  
فتضاحك من حصر ، وأستحيا ، ولم يُحِرْ جوابا ، فلما جنَّ عليه الليلُ هربَ من مَكَّةَ .

لَمَّا غَلَبَ عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ على الحِجاز ، جعلَ يتَّبَعُ شيمَةَ بنِ مروانَ فينفيهم عن مَكَّةَ والمدينة ، حتى لم يَبْقَ بهما أحدٌ منهم ، فبلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نَبْدٌ (٣) من كلام ، وأنه يكاتب بني أمية بعوراته ، ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزُه وصلاته ، فدعا به ، فأغلظَ له ، وهمَّ به ، ثم كَلَّمَ فيه ، فقيل : رجلٌ ضَريرٌ ، فعفا عنه ، ونفاه إلى الطائف ، فهجاه ، وهجا آلَ الزُّبيرِ بأبياتٍ ، منها :

(١) الأغاني : « فاضطرت إلى نجد » .

(٢) الأغاني : « ولو أبعد فيها مدى الجهد » .

(٣) نبد من كلام ، أى شىء يسير منه .

بني أسدٍ لا تذكروا الفخرَ إنَّكم  
متى تُسألوا فضلاً تَضنُّوا وتَبخلوا  
متى تذكروه تُكذبوا وتُحَمِّمُوا  
ونيرانكم بالشرِّ فيها تحرقُ  
إذا أُستبقتَ يوماً قريشُ خرجتمُ  
تجيشون خلفَ القومِ سوداً وجوهكمُ  
بني أسدٍ سكتنا وذو المجد يسبقُ  
إذا ما قريشُ للأضاميمِ أصفقوا<sup>(١)</sup>  
وما ذاكَ إلا أن للوئم طابماً  
يلوح عليكمُ وسمه ليس يخلقُ

كان عمرُ بنُ أبي ربيعةٍ يرأى جاريةً لأبي العباس بينادق الغالية فبلغ ذلك  
أبا العباس ، فقال لقائده : قفْ بي على بابِ بني مخزوم ، فإذا مرَّ عمرُ بنُ أبي ربيعة ،  
فضعْ يدي عليه . فلما مرَّ عمرُ وضعَ يده عليه ، فأخذَ بِحُجْرَتِهِ<sup>(٢)</sup> وقال :

ألا مَنْ يَشْتَرِي جَاراً نَوْوَمًا      بيجارٍ لا يَنَام ولا يُنِيمُ  
ويَلْبَسُ بالنَّهَارِ ثِيَابَ أنسٍ<sup>(٣)</sup>      وشَطْرَ اللَّيْلِ شَيْطَانَ رَجِيمُ

فقام<sup>(٤)</sup> إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فاه<sup>(٥)</sup> ، وضمنوا له عن عمر بن أبي ربيعة  
ألا يُعاوِدَ ما يكرهه .

(١) الأضاميم : الجماعات ؛ واحدها إضمامة . وأصفقوا بهم : جاء وهم من الطعام بما يشبعهم

(٢) الحجرة : معقد الإزار .

(٣) الأغاني : « ناس » .

(٤) الأغاني : « فهضت » .

(٥) الأغاني : « فه » .

## سيفُ بنُ ذى يزن\*

سببُ قدوم الحَبْشَةِ إلى اليَمَن ، وغَلَبِهِم عليها ،  
و-خروج سيفِ ابنِ ذى يزن إلى كِسرَى يستنجدُهُ

كان مَلِكٌ من اليمَن يُقال له : ذُو نُوَاس ، غزا أهلَ نَجْرانَ وهم نصارى ، فظفر بهم ، وخذد<sup>(١)</sup> لهم الأَخاديد ، وعَرَضَ عليهم اليهوديَّة ، فأمتنعوا من ذلك ، فخرقهم بالنار ، وحرَّق الإنجيل ، وهدم البيع ، ثم أنصرف إلى اليَمَن ، وأفلت منه رجلٌ يُقال له : دَوْسٌ ثُمْلُبَانٌ على فرس ، فركضه حتى أعجزهم في الرَّمَل ، ومضى إلى قيصر مَلِك الروم يستغيثه ويُخبره بما فعل ذو نُوَاس بنَجْرانَ ومن قتل من النَّصارى ، وما خرب من كَنائسها ، وأنه بقر<sup>(٢)</sup> بَطونَ النساء ، ولم يُبقَ فيها ناقوساً يضرب به . فقال له قيصر : بعدتْ بلادى عن بلادكم ، ولكن أبعث إلى قوم من أهل مَلَّتى<sup>(٣)</sup> من السُّودان قريب منكم فينصرونكم .

فقال له دوس : فذاك إذا .

قال قيصر : إن هذا الذى أصنع لكم أذلُّ للعرب أن يطأها سُودانٌ ليس ألوانهم على ألوانهم ، ولا ألسنتهم على ألسنتهم .  
فقال دوس : الملك : أنظر لأهل دينه ، وإنما هم خولُه ، فكتب إلى ملك الحَبْشَةِ ؛ فلما قرأ كتابه ، أمر أرباطا وهو عظيم من عظمائهم ، أن يخرج معه

\* الأغاني ١٧ : ٧١ - ٧٤ .

(١) ب ، ج : « خد » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٢) بقر بطون النساء : شقها .

(٣) الأغاني : « دينى » .

فينصره ، فخرج أرباط في سبعين ألفاً من الحبشة وأقبل معه أبرهة ، وعهد ملك الحبشة إلى أرباط أنه إذا دخلت اليمن ، فاقتل ثلث رجالها ، وأخرب ثلث بلادها ، وأبعث إلى ثلث السبي منها .

فلما ورد اليمن رأى أهل اليمن جنداً كثيراً ، فلما تلاحقوا قام أرباط في جنده خطيباً فقال :

يا معشر الحبشة ، قد علمتم أنكم إن رجعوا إلى بلادكم أبداً ، هذا البحر بين أيديكم ، إن دخلتموه غرقتم ، وهذا البر وراءكم إن سلكتموه هلكتم ، وأتخذتكم العرب عبيداً ، وليس لكم إلا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم .

وجمع ذو نواس جمعاً كثيراً ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت الدولة للحبشة ، فظفر أرباط ، وقتل أصحاب ذى نواس وأهزموا في كل وجه .

فلما تخوف ذو نواس أن يؤسر ، ركض فرسه فأستعرض به البحر ، فضى به فرسه ، وقال : الموت في البحر خير من إسار أسود ، ثم أقبحم فرسه بالبحر ، فكان آخر العهد به .

ودخل أرباط اليمن فقتل ثلثاً ، وبعث بثلث السبي إلى ملك الحبشة ، وخرّب ثلثاً ، وملك اليمن ، وهدم حصونها ، وقهر أهلها .

وكانت الحصون بنتها الشياطين في عهد بلقيس ، وأسمها علقمة<sup>(١)</sup> ، وأسمائها : بينون ، وسلحين ، وعمدان وغيرها . وكانت حصوناً لم ير مثلها .

فقال الحميري يذكر ما دخل على حمير من الدّل والوهن :

هونك أين تردّ المين ما فاتنا      لا تهلكن أسفاً في إثر من فاتنا<sup>(٢)</sup>  
أبمد بينون لا عين ولا أثر      وبمد سلحين يبني الناس أبيتانا

(١) الأغاني : « بلقمة » .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « لا يهلكن أسى »



ولمَّا ظَفِرَ أرباطُ بالأموالِ أظهرَ العطاءَ في أهلِ الشرفِ ، فغضبتِ الحبشةُ حينَ أعطى أشرافَهُمْ ، وتركَ أهلَ الفقرِ منهم ، وأستدَلَّهُم وأجاعَهُم وأعراهم وأنعمَهُم في العملِ ، وكلفَهُم ما لا يُطيقونَ ، فجزعَ الفقراءُ من ذلكَ ، وشكا بعضهم إلى بعضَ ، فقالوا : ما نَرَى إلَّا أننا شَقِينا ، أيما كُنَّا ، إن كان قتالٌ قَدَّمنا في نُحورِ العدوِّ ، وإن كان قتلٌ قُتِلنا ، وإن كان عملٌ ، فعملينا فالبلايا لنا ، والعطايا لغيرِنا ، مع ما يُقصينا وَيَجفونَا .

فقال لهم أبرهةُ : لو أن رجلا غَضِبَ لِعُضِبِكُمْ إذا لَأَسَلَمْتُمُوهُ حتى يذبحَ كالشاةِ . فقالوا : لا والمسيحِ ما كنَّا نُسَلِمُهُ حَتَّى نَموتَ عن آخِرنا ، فنأدى مُنَادِيهِ ، فَأَجْتَمَعُوا إليه ، فبلغَ ذلكَ أرباطا ؛ أن أبا أَضجَمَ قد جَمَعَ الجموعَ ، ودعا الناسَ إلى قِتالِكَ .

قال : أو قد فَعَلَ ذلكَ أبرهةُ ، وهو ممن لا يَبْتَ له في الحبشةِ ؛ وَغَضِبَ أرباطُ غَضِبا شديدا ، وقال : هو أدنى من ذلكَ نَفْسًا وَبَيْتًا ، هذا باطل .

قالوا : فأرسلَ إليه ، فإن أتاك فهو باطل ، وإن لم يأتِكَ فأعلم أنه كما يقال . فأرسلَ إليه ، أجبَ الملكَ أرباطا ، فجلسَ <sup>(١)</sup> على ركبتيه ، وخرَّ لوجهه وأخذَ عوداً من الأرضِ ، فجعله في فيه ، وقال للرسولِ : اذهب إلى الملكِ ، فأخبره بما رأيتَ مِنِّي ، وأنا أخلمه ؛ أنا أشدُّ تعظيما له من ذلكَ ، وأنا آتية على أربعِ قوائمٍ بحسابِ البهيمةِ .

فرجعَ الرسولُ فأخبرَ أرباطا الخبرَ ، فقال : ألم أقلْ لكم ! فقالوا : الملكُ أعلمُ مِنَّا وأَعقلُ .

ولمَّا وَلى الرسولُ من عندِ أبرهةِ ، وتوارى عنه ، صاحَ في الفقراءِ مِنَ الحَبَشَةِ ،

(١) الأغاني : « فجتا » .

فَأَجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَمَعَهُمُ السَّلَاحُ وَالْآلَةُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهَا ، وَالْمَسَاحِي ، ثُمَّ صَفَّوْا صَفًّا ، وَصَفَّوْا خَلْفَهُ آخَرَ بِإِزَائِهِ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ أَرْهَةٌ عَلَى الْمَلِكِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِيهِ عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ كَمَا قَالَ ، وَاتَى أَرْيَاطُ ، فَأَخْبَرَهُ <sup>(١)</sup> بِمَا صَنَعَ ، فَرَكِبَ فِي الْمُلُوكِ وَمَنْ تَبِعَهُ ، وَلَبَسُوا السَّلَاحَ ، وَجَاءُوا بِالْفَيْلَةِ ، وَهُمْ سَبْعَةٌ ، فَلَمَّا دَنَا بِمَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ بَرَزَ أَرْهَةٌ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْحَدَشَةِ ، اللَّهُ رَبُّنَا ، وَالْإِنْجِيلُ كِتَابُنَا ، وَعِيسَى نَبِينُنَا ، وَالنَّجَاشِيُّ مَلِكُنَا ، عَلَامٌ يَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَتَدَّهَبَ <sup>(٢)</sup> النَّصْرَانِيَّةُ ! هَذَا رَجُلٌ ، وَأَنَا رَجُلٌ ، نَخْلُوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَنِي عَادَ الْمَلِكُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَثَرَةِ لِلْأَغْنِيَاءِ ، وَهَلَكَ الْفُقَرَاءُ ، وَإِنْ قَتَلْتَهُ سَلِمْتُمْ وَعَمِلْتُ بِالْإِنْصَافِ بَيْنَكُمْ مَا بَقِيَتْ .

فَقَالَ الْمُلُوكُ لِأَرْيَاطُ : قَدْ أَخْبَرْنَاكَ أَنَّهُ صَنَعَ مَا تَرَى ، وَأَبَيَّتَ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّ فِيهِ ، وَقَدْ أَنْصَفَكَ .

وَكَانَ أَرْيَاطُ مَعْرُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَكَانَ جَمِيلًا ، وَكَانَ أَرْهَةٌ دَمِيمًا قَبِيحًا ، مِنْكَرَ الْفَوَادِ ، فَاسْتَحْيَا أَرْيَاطُ مِنَ الْمُلُوكِ أَنْ يَجْبُنَ ، فَبَرَزَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، وَمَشَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ أَرْيَاطُ وَضَرَبَ أَرْهَةٌ ضَرْبَةً وَقَعَ مِنْهَا عَامَةٌ أَنْفَهُ <sup>(٣)</sup> ، وَوَقَعَ بَيْنَ يَدَيْ أَرْيَاطُ ، فَمَمَدَ أَرْهَةٌ إِلَى عِمَامَتِهِ ، فَشَدَّ بِهَا وَجْهَهُ ، فَسَكَنَ الدَّمُ ، وَأَخَذَ عَوْدًا لِيَجْعَلَهُ فِي فِيهِ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّمَا أَنَا شَاةٌ ، فَاصْنَعْ مَا أَرَدْتَ ، فَقَدْ أَبْصَرْتُ رُشْدِي ، فَفَرِحَ أَرْيَاطُ بِمَا فَعَلَ .

وَكَانَ أَرْهَةٌ قَدْ سَمَّ خَنْجَرًا ، وَجَعَلَهُ فِي بَطْنِ فَخِذِهِ كَأَنَّهُ خَافِيَةٌ نَسْرٍ فَلَمَّا رَأَى أَرْهَةٌ أَنَّ أَرْيَاطًا قَدْ أَنْكَسَرَ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ يَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، أَسْتَلَّ خَنْجَرَهُ ، فَطَعَنَهُ

(١) ب ، ج : « فَأَخْبَرَهُ » .

(٢) الْأَغْنَى : « فِي مَذْهَبِ النَّصْرَانِيَّةِ » .

(٣) الْأَغْنَى : « وَقَعَ مِنْهَا حَاجِبَاهُ وَعَامَةٌ أَنْفَهُ » .

طعنةً في فَرْجِ دِرْعِهِ ، نَحَرَ أرباطَ على قَفَاهُ ، وَقَعَدَ أَرْهَةً على صَدْرِهِ ، فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ، فَسُمِّيَ أَرْهَةَ الْأَشْرَمِ بِمَلِكِ الضَّرْبَةِ الَّتِي شَرَمَتْ وَجْهَهُ وَأَنْفَهُ .

وَمَلَكَ أَرْهَةً عَشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَكْسُومُ بْنُ أَرْهَةَ ، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقُ بْنُ أَرْهَةَ ، وَأُمُّهُ رَيْحَانَةُ امْرَأَةُ ذِي يَزَانَ أُمِّ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَانَ .

فَلَمَّا طَالَ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ الْبَلَاءُ مَشَوْا إِلَى سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَانَ فَكَلَّمُوهُ فِي الْخُرُوجِ ، وَقَالُوا : إِنَّا نَجِدُ فِيما رَوَتْ حَمِيرَ مِنْ خَبَرِ سَطِيحِ إِنَّ هَذَا <sup>(١)</sup> الْبَلَاءُ يُفَرِّجُ رِجْلَ <sup>(٢)</sup> مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَقَدْ رَجَوْنَا أَنْ نُدْرِكَ بِثَارِنَا ، فَأَنْعَمَ لَهُمْ .

وَخَرَجَ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، فَكَلَّمَهُ فِي أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى الْحَبَشَةِ ، فَأَبَى ، وَقَالَ : الْحَبَشَةُ عَلَى دِينِي ، وَمِلَّتِي مِلَّتَهُمْ <sup>(٣)</sup> ، وَأَنْتُمْ عَلَى دِينِ الْيَهُودِ .

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مَوْيَسًّا عَامِدًا إِلَى كَسْرَى ، فَأَتَقَهَى إِلَى النَّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ فِي الْحَيْرَةِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا لَقِيَ قَوْمَهُ مِنَ الْحَبَشَةِ .

فَقَالَ لَهُ : أَرِمْ ، فَإِنَّ لِي عَلَى الْمَلِكِ إِذْنًا فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَقَدْ حَانَ ذَلِكَ فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَانَ ، فَأَدَخَلَهُ عَلَى كَسْرَى ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، غُلِبْنَا عَلَى بِلَادِنَا ، وَدَخَلَ الْأَحَابِيشُ إِلَيْنَا ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ؛ لِأَنِّي أَبْيَضُ وَأَنْتَ أَبْيَضٌ وَهُمْ سُودَانُ ، فَقَالَ : بِلَادُكَ بِلَادٌ بَعِيدَةٌ ، فَلَا أَمِثُ مَعَكَ جَيْشًا فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ ، وَلَا آمَنُ أَخْفَاهُ عَلَى مُلْكِي ، فَلَمَّا أَيْسَ مِنَ النَّصْرِ لَهُ ، أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكِسَاهٍ .

فَلَمَّا خَرَجَ بِهَا مِنْ بَابِ كَسْرَى نَثَرَهَا بَيْنَ الْعَبِيدِ وَالغُلَامَانِ ، فَرَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ

(١) الْأَغَانِي : « أَنْ هَذَا الْبَلَاءُ يَوْشِكُ » .

(٢) الْأَغَانِي : « عَلَى يَدِ رِجْلِ » .

(٣) كَذَا فِي ب ، ج ، وَفِي : « وَمَمْلَكَتَهُمْ مَمْلَكَتِي » ، وَفِي الْأَغَانِي : « وَمَنْ أَهْلُ مَمْلَكَتِي » .

كسرى ، فذكروه له ، فأرسل إليه ، فقال له : ما صنعتَ بجأرتي ؟ نثرتها للناس ! فقال سيف : وما أعطاني الملك ! جبالُ أرضي ذهبٌ وفضةٌ ؛ وإنما جئتُ إلى الملك ليمتنعني من الظلم ، ولم آتِه ليعطيني الدرهم ؛ فإن ذلك في بلدي كثير .

فقال كسرى : أنظرُ في أمرِك . فخرج سيفٌ على طمعٍ منه ، فأقام عنده ، فجعل سيف كلِّما ركب كسرى مركباً عرض له .

فجمع كسرى مرازبته<sup>(١)</sup> ، فقال : ما ترون في هذا العربيّ ؟ فقد رأيتُه رجلاً جلدًا . فقال قائلٌ منهم : إن في السجون قوماً قد حبسهم الملكُ في مَوْجِدَةٍ<sup>(٢)</sup> عليهم ، ولو بعث بهم الملكُ معه ؛ فإن قتلوا أُستراح منهم ؛ وإن ظفروا بما يريد هذا العربيُّ فهو زيادةٌ في [ ملك ]<sup>(٣)</sup> الملك .

فقال كسرى : هذا الرأي ، فأمر كسرى بإحضارهم ، فأحضروا فوجدوا ثمانمائة رجل ، فولى أمرهم رجلاً منهم يقال له : وهرز ، وكان رامياً شجاعاً ، فجهزهم وأعطاهم سِلَاحاً ، وحملهم في البحر على ثمانى سُنُن ، ففرقت سفينتان ، وبقى منهم ستمائة رجل ، وبقى رجل ، فأرسوا إلى ساحلِ عدَن .

فلما أرسوا قال وهرز لسيف : ما عندك ؟ فقد جئنا بلادك . قال : ما شئتُ من رجلٍ عربيّ ، وفرَسٍ عربيّ ، ثم اجعل رحلي مع رحلك حتى نموت جميعاً ، [ أو نظفر جميعاً ]<sup>(٣)</sup> .

فقال وهرز : أنصفتَ فأستجلب سيف من استطاع من اليمن ، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة ، وقد سمع بهم مسروق ، فجمع إليه جُنْدَه من الحبشة ، فسار ،

(١) المرازبة : الوزراء والمقدمون والرؤساء من الفرس .

(٢) الموجدة : الغضب .

(٣) تكلمة من الأغاني .

فالتقى العسكران ، وجعلت أمدادُ اليمين تنوب إلى سيف ، وبمث وهرز أبنائه كان معه على جريدة<sup>(١)</sup> خيل ، فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر كيف قتالهم ، فناوشهم وناوشوه شيئاً من قتال .

ثم تورط أبنه في هلكة لم يستطع التخلص منها ، فاشتعلوا عليه ، فقتلوه ، فأزداد وهرز عليهم حنقاً ، وساء العرب أمره ، وفرحت الحبشة ، وأظهروا الصليبان<sup>(٢)</sup> ، فوتر وهرز قوسه ، وكان لا يقدر أن يوترها غيره .

ثم قال وهرز - والناس على صفوفهم - : انظروا أين ترون ملكهم ؟ فقال سيف : إني أرى رجلاً قاعداً على الفيل ، تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . ثم قال وهرز : اتر كوه . ثم وقف قليلاً<sup>(٣)</sup> فقال : انظروا . فقالوا : قد تحول على فرس . قال : هذا منه أختلاط ، ثم وقف قليلاً وقال : انظروا . هل تحول ؟ قالوا : قد تحول على بغلة . فقال : أبنه الحمار ؟ ذل الأسود وذل ملكه ! ثم قال لأصحابه : قتلتهم في هذه الرمية ، تأملوا النشابة ، ثم جعل فوقها<sup>(٤)</sup> في الوتر ثم نزع فيها حتى ملأها ، وكان أيداً<sup>(٥)</sup> ، ثم أرسلها ، فصكت الياقوتة التي بين عيني مسروق ، وتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من فاه ، وحملت عليهم الفرس ، فأنهزمت الحبشة في كل وجه ، وقُتل مسروق ملكهم . وجعلت حمير تقتل من أدر كوا منهم ، وتجهز على جريحهم .

(١) الجريدة : جماعة الخيل .

(٢) الأغاني : « الصليب » .

(٣) الأغاني : « طويلاً » .

(٤) الفوق : موضع السهم من الوتر .

(٥) الأيد : القوى .

وأقبلَ وهرز يريد أن يدخل صنعاء ، وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارجَ صنعاء ضيقاً ، وكان اسم صنعاء أزال فلما قدمت الحبشةُ بنوها وأحكموها ، فقالت العرب : صنعة ، فسميتُ صنعاء .

فلما دنا وهرز من باب المدينة ، رآه صغيراً ، فقال : لا تدخل رايتي منكسةً أبداً ، اهدموا الباب ، فهدموا بابَ صنعاء ، ودخل ناصبا رايته .  
فقال سيف بنُ ذى يزن : ذهب مُلكُ حميرَ إلى آخر الدهر ، لا يرجع إليهم أبداً .

فملكَ وهرز اليمنَ والحبشةَ وقهرها ، وكتبَ إلى كسرى يُخبره ، أنّي ملكتُ اليمنَ ، وهي أرضُ العربِ القديمة التي يكون فيها ملوكهم ، وبثت بجوهي وغيره من أموالٍ وطيبٍ وزبادٍ<sup>(١)</sup> وعود .

فكتبَ إليه كسرى يأمره بأن يملكَ سيفاً ويُقدم عليه . فخرج وهرز إلى كسرى ، وخلفَ سيفاً على اليمنَ ، فلما خلا سيفٌ باليمن وملكها غداً على الحبشة ، فجعل يقتل رجالهم ، ويبقر بطون نساءهم ؛ حتى أفناهم إلا بقايا منهم أهل ذلةٍ وقلةٍ ، فاتخذهم خولاً ، وأتخذ منهم من يمشى بحراهم بين يديه ، فسكت كذلك غيرَ قليل ، فركب يوماً وتلك الحبشةُ معه ، وحرأبهم معهم يسمعون بين يديه ، حتى إذا كان وسطاً منهم مالوا عليه ، فطعمنوه بحراهم حتى قتلوه .

وكان سيفٌ قد آلى ألا يشربَ الخمرَ ، ولا يمسَّ النساءَ<sup>(٢)</sup> حتى يُدرك ثاره من الحبشة ، فجعلتُ له حلتان واسمتان ، فأتزر بواحدة وأرتدى بالأخرى ، وجلس على رأس غمدنٍ يشربُ ، وبرتَ يمينه ، وخرج بعد ذلك يتصيد ، فقتلته الحبشة .

(١) في الأغاني ؛ « وهو جلود لها رائحة طيبة » .

(٢) في الأغاني : « امرأة » .

وكان مُلْكُ أرباطِ عشرين سنةً ، ومُلْكُ أبرهةَ إحدى<sup>(١)</sup> وعشرين سنةً ، ومُلْكُ يكسومَ تسعَ عشرةَ سنةً ، ومُلْكُ مسروقِ أُنثى عشرةَ سنةً فهذه اثنتان<sup>(٢)</sup> وسبعون سنةً ، وكان قدومُ أهلِ فارسَ ووهزِ إلى اليَمَنِ بَعْدَ الفِجَارِ بعشرِ سنينَ ، وقَبَلَ بُنيانِ قريشِ البيتَ بِخمسِ سنينَ ، ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبْنُ ثلاثينَ سنةً ونحوها ، لأنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ بَعْدَ قدومِ الفِيلِ بِخمسِ وخمسينَ ليلةً .

وكان ظَفَرُ سيفِ بنِ ذِي يَزَنَ بِالْحَبَشَةِ بَعْدَ مولدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسنتينَ ، ولَمَّا قَدِمَ أَتَتْهُ وَفُودُ العَرَبِ وَأَشْرَافُهَا وشِعْرَاؤُهَا لَتَهْنَتَهُ وتمدَّحَهُ ، وتذَكَرَ ما كان من بَلَاءِهِ ، وطلبه بِأثرِ قومِهِ ، فأَتَتْهُ وفُودُ قريشِ فيهِمُ عبدُ المطلبِ بنُ هاشمٍ ، وأمِّيَةُ بنُ عبدِ شمسٍ ، وخُوَيْلِدُ بنُ أسَدٍ في وجوهِ قريشِ ، فأَتَوْهُ بِصَنَمَاءَ ، وهو في رأسِ قَصِرٍ له يقالُ له : مُعْمَدَانُ ، فأخْبَرَهُ الآذِنُ بِمَكَانِهِمْ ، فأذِنَ لَهُمْ ، فدخلوا عليه وهو على شَرَابِهِ ، وعلى رأسِهِ غلامٌ واقِفٌ يَنْتُرُ في مَفْرَقَةِ المِسْكِ ، وعن يمينِهِ وبِيسارِهِ المَقَاوِلُ<sup>(٣)</sup> والملوكُ ، وبين يديه أمِّيَةُ بنُ أبي الصَّلْتِ التَّقْفِيُّ يُنْشِدُهُ قولَهُ فيه :

لا يَطْلُبُ النَّارَ إِلَّا كَابِنِ ذِي يَزَنٍ      إِذْ خِيَمَ البَحْرُ لِلأَعْدَاءِ أَحْوالاً<sup>(٤)</sup>  
أَتَى هِرَقْلٌ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ      فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ النُّصْرَةَ الَّذِي سَالَا<sup>(٥)</sup>

(١) الأغاني : « ثلاثة وعشرون » .

(٢) في الأغاني : « ثلاثة وسبعون » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، كبير ؛ وهو من ملوك حمير الذي يقول ما يشاء فينفذ ؛ وهو دون

الملك الأعلى .

(٤) في الأغاني :

\* في البَحْرِ خِيَمَ لِلأَعْدَاءِ أَحْوالاً \*

(٥) سال ، أى سأل ؛ على التخفيف .

ثم أتحتي نحو كسرى بعدَ عاشرَةٍ  
 حتى أتى بني الأحرار يقدمهم  
 لله درهم من فتية صبرٍ  
 بيض مرازبة غلب أساورَة  
 فالتطَّ بالمسك إذ شالت نعمتهم  
 وأشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً  
 تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ  
 من السنين يهين النفس والمالا  
 تخالهم فوق من الأرض أجبالا  
 ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا  
 أسد تربت في الغابات أشبالاً (١)  
 وأسبل اليوم من برؤدك إسبالاً (٢)  
 في رأس محمدان داراً منك مجللاً (٣)  
 شيباً بماء فعاداً بعد أبوإلا (٤)

بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره ، هم الفرس الذين قدموا مع سيف ،  
 وهم إلى الآن يسمون بصنعاء بني الأحرار ، ويسمون باليمن الأبناء ، ويسمون  
 بالكوفة الأحامرة ، وبالبحرة الأساورَة ، وبالجزيرة الخضارمة .

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام ، فقال له سيف بن ذي يزن : إن كنت  
 ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك .

فقال عبد المطلب : إن الله عز وجل قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ،  
 شامخاً باذخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومته ، وعزت جرومته ، في أكرم موطن  
 وأطيب معدن .

فأنت ملك العرب ووريثها الذي به تُخصب ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له

(١) المرازبة : الأمراء الكبار . والغلب : جمع أغلب ؛ وهو الأسد . والأساورَة : جمع  
 أسوار ؛ وهو قائد الفرس أو الجيد الرمي بالسهم أو الثابت على ظهر الفرس . وتقول : المرأة  
 تربت صبيها ؛ وهو أن تضرب بيدها على جنبه قليلاً قليلاً حتى ينام .  
 (٢) التط بالمسك : تلتخ به . وشالت نعمتهم : تفرقت كلمتهم . وأسبل برده : أرخاه .  
 (٣) مرتفقاً : دائماً ثابتاً .  
 (٤) شيباً : خلطاً .



تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومقلها الذي يلجأ إليه العباد ، فسلفك لنا خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يحمل من أنت خلفه ، ولن يهلك من أنت سلفه .

نحن أهل حرم الله ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجننا من كشفك<sup>(١)</sup> الكرب الذي فدحنا . فنحن وفد التهنة ، لا وفد المرزنة .

فقال : وأبيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . فأدناه حتى أجلسه إلى جانبه ؛ ثم أقبل على القوم وعليه وقال : مرحبا وأهلا وسهلا ، ناقة ورحلا ، ومناخاسهلا ، ومليكاريجلا<sup>(٢)</sup> ، يعطي عطاء جزلا .

قد سمع الملك مقالكم ، وعرف قرابتكم ، وقيل وسيلتكم ، فأنتم أهل الشرف والنباهة ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظمتم ، ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ، فأقاموا بها شهراً لا يصلون إليه ، ولا يأذن<sup>(٣)</sup> لهم في الأنصراف ، وأجريت لهم الأزال<sup>(٤)</sup> ، ثم اتبه لهم أتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ، وأخلى مجلسه .

ثم قال : يا عبد المطلب ، إني مفوض إليك من سري علمي أمراً لو يكون غيرك لم أبح به له ؛ ولكن رأيتك موضعه فأطلعتك طلعه<sup>(٥)</sup> ، فليكن عندك مطويًا حتى يأذن الله فيه بأمره ، إن الله بالنع أمره . إني أجد في الكتاب

(١) الأغاني : « لكشفك » .

(٢) الريجل : العظيم الشأن .

(٣) الأغاني : « لا يؤذن لهم » .

(٤) الأزال : جمع نزل ؛ وهو ما هي للضيف أن ينزل عليه .

(٥) يقال : أطلتته طلع أمرى ، أى أثبتته سري .

المكنون ، والعلم المخزون ؛ الذي اخترناه لأنفسنا ، وحجبناه عن غيرنا ؛ خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ؛ فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ؛ للناس عامة ، ولرَهْطِكَ كافةً ، ولك خاصة .

فقال عبدُ المطلب : مثلك أيُّها الملك من سرِّ<sup>(١)</sup> وبرِّ ، فما هو فِدَاك أهل الوبرِ زمرّاً بعدَ زمرٍ !

فقال له سيف : إذا وُلِدَ غلامٌ بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة .

فقال عبدُ المطلب : أيُّها الملك ، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثله وافِد ، ولولا هَيِّبَةُ المَلِكِ وإِكرامِهِ وإِعظامِهِ ، لسألته أن يزيدَ في البشارة ما أزدادَ به سرورا .

قال ابنُ ذِي يَزَن : هذا حينُهُ الذي يولدُ فيه أو قد وُلِدَ ؛ وأسمُهُ مُحَمَّد ، يموتُ أبوه وأُمُّه ، ويكفَلُهُ جَدُّه وعمُّه ؛ وقد وجدناه مرارا ، والله عزَّ وجلَّ باعِثُهُ جِهَاراً ، وجاعِلُهُ له مِنَّا أنصاراً ، يُعزِّزُ بهم أوليائه ويُبدِلُ بهم أعداءه ، يَضْرِبُ بهم الناسَ عن عَرَضٍ ، وَيَسْتَفْتِحُ بهم كرائمِ الأَرْضِ ، يُخَمِّدُ النيرانَ ، وَيَدْحَرُ الشيطانَ ، وَيُكَسِّرُ الأوثانَ ، وَيَعْبُدُ الرَّحْمَنَ ؛ قوله فَصَلْ ، وحكْمُهُ عدلٌ ، يأمرُ بالمعروفِ ويفعلُهُ ، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وَيَنْهَى عن المنكرِ وَيُبْطِلُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .

فقال له عبد المطلب : أيُّها الملك ، عزَّ جَدُّكَ ، وعلا كَعْبِكَ ، ودام مُلْكُكَ ، وطلالُ عَمْرِكَ ، فهل المَلِكُ مُخْبِرِي بِإفصاح ، فقد أَوْضَحَ لِي بعضَ الإيضاح .

فقال ابنُ ذِي يَزَن : والبيتُ ذِي الحُجُبِ ، والعلاماتُ على النَّصْبِ<sup>(٢)</sup> ، إنَّكَ يا عبدَ المطلبِ ، لَجَدُّهُ غيرُ الكَذِبِ .

(١) كذا في ب ، ج وفي الأغانى : « بشر » .

(٢) النصب : واحد الأُنصاب ؛ وهى حجارة تنصب عليها دماء الذبائح .

فخرَ عبدُ المطلبِ ساجداً ، فقال له : ارفعِ رأسَكَ ، ثلجَ صدرُكَ ، وعلا أمرُكَ ، فهل أحسستَ شيئاً مما ذكرته لك ؟

فقال عبدُ المطلبِ : كان لي ابنٌ ، وكنتُ به معجباً ، وعليه رفيقاً ، وزوجتهُ كريمةٌ من كرائمِ قومي ، اسمها آمنَةُ بنتُ وهبٍ ، فجاءت بغلامٍ سمَّيتهُ محمداً ، ومات أبوه وأمه ، وكفَلتهُ أنا وعمه .

قال : الأمر ما قلتُ لك ، فأحفظ به ، وأحذرْ عليه من اليهود ؛ فإنهم أعداءُ له ، ولن يجعلَ اللهُ لهم إليه سبيلاً ، وأطوب ما ذكرتُ لك من هؤلاء الرهط الذين معك ؛ فإنِّي لست آمنهم أن تدخلهم النفاسة<sup>(١)</sup> ، من أن تكون له الرياسة ، فينصبون له الحباثل ، ويطلبون له الغوائل ، وهم فاعلون ذلك ، وأبناؤهم ، وبطنى ما يحببه<sup>(٢)</sup> قومه ، وسيلقى منهم عنتاً ، والله مُبلِغُ حجتِهِ ، ومُظهِرُ دَعْوَتِهِ ، ومُعَلِّي كَلِمَتِهِ ، وناصرُ شيعتِهِ ولولا أني أعلمُ أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرتُ بخيلى ورجلى ؛ حتى أصيرُ يثرب فأجعلها دارَ مُلكي ؛ فإنِّي أجدُ في الكتاب المكنون ، أن في يثربِ أَسْتَحْكامَ نصره ، وموضِعَ قبره ؛ ولولا أني أتوقى عليه الآفات ، وأخشى عليه العاهات ، لأعلنتُ على حدائثِ سنه أمره ، ولكني صارِفٌ ذلك إليك من غيرِ تقصيرٍ متى بمن معك .

قال : ثم أمر لكلِّ رجلٍ منهم بمشرةٍ أعبد ، وعشرِ إماء ، ومائةٍ من الإبل ، وحلتين بُرودا ، وخمسةِ أرطالٍ ذهباً ، وعشرةِ أرطالٍ فضةً ، وكرشٍ مملوءةٍ عنبرا . ثم أمر لعبد المطلبِ بمشرةٍ أضمافٍ ذلك ، وقال : يا عبد المطلب ، إذا حال الحولُ فأُتني .

فمات ابنُ ذى يزن قبل أن يحول الحول .

(١) يقال . نفس عليه الشيء نفاسة : لم يره أهلا له حسداً منه .

(٢) الأغاني : « وبطنى ما يحببه قومه » .

وكان عبدُ المطلب كثيراً ما يقول : يا معشرَ قريش ، لا يَغِطُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ  
بِحَزِيلِ عِطَاءِ الْمَلِكِ وَإِنْ كَثُرَ ؛ فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادٍ ، وَلَكِنْ لِيَغِطُنِي بِمَا يَبْتَقِي لِي شَرَفُهُ  
وَذِكْرُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : سَتَعْمَلُونَ نَبَأَ مَا أَقُولُ  
بِمَدْحِي ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ :

جَلَبْنَا النَّصْحَ تَحْمِلُهُ الْمَطَايَا	عَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقِ
مُغْلَغَلَةً مِرَاقِفُهَا نِقَالًا	إِلَى صَنَعَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقِ
تَوَّمُ بِنَا بِنَ ذِي يَزَنٍ وَنُهْدِي	نَخَالِيهَا إِلَى أُمَّمِ الطَّرِيقِ (١)
فَلَمَّا وَافَقَتْ صَنَعَاءَ صَارَتْ	بِدَارِ الْمُلْكِ وَالنَّسَبِ الْعَرِيقِ (٢)

(١) أمم الطريق : قصدها ووسطها .

(٢) في الأغاني : « والحسب العريق » .

## سعيد بن محمد\*

هو سعيد بن محمد بن يحيى الكاتب ، كنيته أبو عثمان ، من أولاد الدهاقين ،  
 وأصله من النهروان الأوسط ، وكان يقول : إنه مولى بني سامة بن لوئى .  
 وُلِدَ ونَشَأَ ببغداد ، ثم تنقل في السككى بينها وبين سُرَّ من رأى .  
 كان شاعراً مترسلاً ، حسن الكلام ، فصيح اللسان ، وكان أبوه وجيهاً  
 من وجوه المعتزلة ، وخالف أحمد بن أبي دُوَادٍ في بعض مذهبه ، فأغرى به المعتصم ،  
 وقال : إنه شعوبى<sup>(١)</sup> زنديق ، فحبسه مدةً طويلةً ، ثم بانت براءته له ، أو للوائق  
 بعده ، فحُلِّيَ سبيلَه .

فقال يهجو أحمد بن أبي دُوَادٍ :

لقد أصبحت تُنسب في إيادٍ	بأن يُكنى أبوك أبا دُوَادٍ
فلو كان اسمه عمرو بن معدى	دُعيتَ إلى زبيدٍ أو مُرادٍ
لئن أفسدتَ بالتخويفِ عيشى	لما أصلحتَ أصلك في إيادٍ
فإن تكُ قد أصبتَ طريفَ مالٍ	فبُخلكَ باليسير من التلادِ

قال أبو يوسف بن الدقاق اللغوى : دفع محمدٌ ولده سعيداً إلى ، وهو صبي ،  
 وقال لى : امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابى .

قال : فحضرناه ذات يوم ، فأنشدنا ابن الأعرابى أرجوزةً لبعض العرب ،  
 فاستحسنتمها ، ولم يكن معنا محررةٌ نكتبها عنه ، فلما أنصرفنا قلت له : فأنشدنا

\* ترجمته في الأغاني ١٨ : ٣ - ٨ (سامى) .

(١) الشعوبى : من يفضل العجم على العرب .

هذه الأرجوزة . فقال : لم تفتك ، أحب أن أنشدكها ؟ قلت : نعم . فأنشدنيها ،  
وهي نيف وعشرون بيتا قد حفظها عنه ، وإنما سمعها مرة واحدة .  
فلقيتُ أباه من غدٍ ، فقال لي : كيف رأيتَ سميدا ؟ فقلت له : إنك  
قد أوصيتني به ، وأنا أسألك أن توصيه بي ؛ فضحك وسألني عن السبب ،  
فأخبرته ، فسرَّ به .

دخل سميدُ بنُ مُحمَّدِ يوما على أبي العباس بن ثوبة ، وكان أبو العباس يماثبه  
على الشَّغفِ بِالْعِلْمَانِ المُرْدِ ، فرأى سميدُ على رأسِ أبي العباس غلاما أمرَدًا ،  
حسنَ الوجهِ ، عليه مِنطَقَةٌ وَثِيَابٌ حِسانَ ، فقال : يا أبا العباس :

وزعمتُ أنك لا تلوِّطُ قُلُوبَ لَنَا هَذَا المَقْرَنُ قَائِمًا مَا يَصْنَعُ<sup>(١)</sup>

شَهِدْتُ مَلاَحَتَهُ عَلَيْكَ بَرِيَّةٍ وَعَلَى المُرَيْبِ شَوَاهِدٌ لَا تُدْفَعُ

فضحك أبو العباس وقال : خذهُ لَا بُورِكَ لَكَ فِيهِ حَتَّى نَسْتَرِيحَ مِنْ عَيْبِكَ<sup>(٢)</sup> .

وكان يهوى غلاما من أولاد الموالى ، فهجره<sup>(٣)</sup> مدة ، ثم جاء مسلما عليه ،  
فلما أراد الأنصراف قال له : غبت عني هذه المدة ثم جئتني ولا تقيم عندي  
ساعة ! فقال : قد أمسينا . فقال : بيت . قال : لا أقدر ، فلم يزل به حتى أتفقا على  
أنه إذا سمع أذان العتمة<sup>(٤)</sup> انصرف . فقال له : قد رضيت ، ووضع النبيذ ،  
وجعل سميدُ يحث السَّعْيَ بِالْأرطالِ ، فلما قَرُبَ وَقْتُ العَتْمَةِ ، أخذ رقعةً وكتب بها  
إلى إمام المسجد ومؤذنه :

(١) المقرن : من يلبس القرطن ؛ وهو قباء .

(٢) كذا في ا و في ب ، ج والأغاني : « عيبك » .

(٣) الأغاني : « فغاب عنه مدة » .

(٤) العتمة : وقت صلاة العشاء الآخرة .

قل لداعِي الصَّلَاةِ أُخِّرْ قَلِيلًا      قد قَضَيْنَا حَقَّ الصَّلَاةِ طَوِيلًا  
 أُخِّرِ الْوَقْتَ فِي الصَّلَاةِ وَقَدِّمْ      بَعْدَهَا الْوَقْتَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا  
 لَيْسَ فِي سَاعَةٍ تَوَخَّرَهَا وَزُ      رُ فَنَحْيَا بِهَا وَتَأْتِي جَمِيلًا<sup>(١)</sup>  
 فُتْرَاعِي حَقَّ الْمَوَدَّةِ فِينَا      وَتُعَاقِبُ مَنْ أَنْ تَكُونَ ثَقِيلًا<sup>(٢)</sup>

فلما قرأ الرُّقْمَةَ ضَحِكَ ، وكتب إليه يَحْلِفُ أنه لا يُؤذَنُ ليلته تلك العتمة ، وجعل الصبيُّ ينتظر الأذان حتى ذهب شَطْرُ الليل ، وسمع صوت الحارس ، فعلم أنها حيلةٌ وقعت عليه ، وبات في موضعه .

وقال سميدٌ في ذلك :

عَرَضْتُ بِالْحَبِّ لَهُ وَعَرَضًا      حَتَّى طَوَى قَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْقَضَى  
 وَأَظْهَرْتُ نَفْسِي عَنِ الدَّهْرِ الرِّضَا      ثُمَّ جَفَانِي وَتَوَلَّى مُعْرِضًا  
 لَمْ يَنْقُضِ الْحُبُّ بَلَى صَبْرِي أَنْقَضَى      فَذَاكَ مِنْ ذَاقِ الْكِرَى أَوْ غَمَضًا<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى طَرَقَتْ فَنَسِيتُ مَا مَضَى      سَأَلْتُهُ حَوَائِجًا فَأَعْرَضًا<sup>(٤)</sup>  
 وَقَالَ : لَا ، قَوْلٌ جَمِيبٌ بِالرِّضَا      وَكَانَ مَا كَانَ وَكَأَبْرُنَا الْقَضَا

كتب سميدٌ بنُ حُمَيْدٍ إِلَى فَضْلِ الشاعِرةِ يعْتذرُ إليها من بعد تَعَيُّرِ ظَنَّتَهُ بِهِ :

تَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَ كَمْ      بَدِيلًا وَبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَمَنْكَرُ  
 إِذَا كَانَ قَلْبِي فِي يَدَيْكُمْ رَهِينَةً      فَكَيْفَ بَلَ قَلْبِ أَصَابِي وَأَهْجُرُ !

(١) لم يذكر هذا البيت في رواية الأغاني .

(٢) في الأغاني : « حق الفتوة فينا » .

(٣) في الأغاني : « فذاك من ذاق » .

(٤) في الأغاني : « سألته حوائج » .

استدعى أبو العباس بن ثوابة يوماً سميد بن حميد ، وجاءه رسولٌ فضلُ  
الشاعرة يسأله المصيرَ إليها ، فمضى إليها وتأخر عن أبي العباس ، فكتب إليه مُعاتبَةً  
فيها بعضُ الغلظة . فكتب إليه سميد :

أَقْلِلْ عَتَابَكَ فَالْبِقَاءُ قَلِيلٌ	والدهرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
لَمْ أَبْكِ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ صُرُوفَهُ	إِلَّا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً	وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ
وَالنَّمْتُمُونَ إِلَى الْإِخَاءِ جَمَاعَةً	إِنْ حَصَلُوا أَفْنَاهُمْ التَّحْصِيلُ
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي وَالنَّوَى (١)	يَوْمًا سَتَصَدَّعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ
فَلَمَّا سَبَقْتُ لَتَبَكِّيْنَ بِمَبْرَةٍ	وَلِيَكْثُرَنَّ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلُ
وَلتُفْجَعَنَّ بِمُخْلِصٍ لَكَ وَامِقٍ	حَبْلُ الْوَفَاءِ بِجَبَلِهِ مَوْصُولُ
وَلِيَذْهَبَنَّ جَمَالُ كُلِّ مَرْوَةٍ	وَلِيُقْفِرَنَّ فِنَاؤُهَا الْمَاهُولُ
وَلَمَّا سَبَقْتَ - وَلَا سَبَقْتَ - لِيَمْضِينَ	مَنْ لَا يَشَاكِرْهُ لَدَى عَدِيلُ
وَأَرَاكَ تَكَلَّفَ بِالْعِتَابِ وَوَدَّنَا	بَاقٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وَدُّ بَدَا لَدَوِي الْإِخَاءَ جَمِيلُهُ	وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهِجَةٌ وَقَبُولُ
وَلَمَّا أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ	فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ !

دخلت فضلُ الشاعرةُ على سميد بن حميد على غفلةٍ ، فوثبَ إليها ، وسلمَ عليها ،  
وسألها أن تقيمَ عنده ، فقالت : قد جاءني رسولٌ من القصر ، فليس يُمكنني الجلوس ،  
وكرهتُ أن أصرَّ بيا بك ولا أراك .

فقال سميدُ بديهاً (٢) :

قَرَبْتُ وَلَمْ تُدْنِ اللَّقَاءَ وَلَمْ نَجِدْ  
أَنَا حِيلَةً بِدُنْيِكَ مِمَّا أُحْتِيالُهَا

(١) الأغاني : « والردي » .

(٢) الأغاني : « على البديهة » .



فأصبحت كالشمس المنيرة ضوءها قريبٌ ولكن أين منّا نوالها (١)  
كظاعنة ضنت بها غربة النوى علينا ولكن قد يمنّ خيالها (٢)  
تقرُّبها الآمالُ ثمّ تمّوقها مماطلة الدنيا بها وأختيالها (٣)  
ولكنّها أمنيّةٌ فاعلمها يجود بها صرف النوى وأنتقالها

كان سعيد بن حميد في مجلس الحسن بن مخلد ، إذ جاءه الغلام برقعة فضل  
الشاعرة ، تشكو شدة شوقها إليه ، فقرأها وضحك ، [ فقال له الحسن بن مخلد :  
بجياتي عليك ، أقرئنيها ، فدفعتها إليه ، فقرأها ، وضحك ، وقال له : قد وحياتي ] (٤)  
ملّحت فأجب ، فكتب إليها :

يا واصل الشوقِ عندي من شواهدِهِ قلبٌ يهيم وعينٌ دمعها يكفُ  
فكنْ على ثقةٍ منّي وبينتِهِ إني على ثقةٍ من كلّ ما تصفُ  
والنفسُ شاهدةٌ بالودِّ عارفةٌ وأنفسُ الناسِ بالأهواءِ تأتلفُ  
فرضيتُ فضل ، فكتبتُ إلى سعيد :

الصبرُ ينقصُ والغرامُ يزيدُ والدارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ  
أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سواها المجهودُ  
أنا يا أبا عثمان في حال التلّف ، ولم تعدّني ، ولا سألتَ عن خبري ، فضى إليها  
وسألَ عن خبرها ، فقالت : هو ذا ، أموت وتستريح منّي ! فأنشأ يقول :  
لا مُتُّ قبلي بل أحيأ وأنتَ معاً ولا أعيشُ إلى يوم تموتينا

(١) الأغاني : « منالها » .

(٢) الأغاني : « قد يلم خيالها » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ب ، ج : « واختيالها » . الأغاني : واءتلاها » .

(٤) تكملة من الأغاني .

لكن نعيشُ كما نَهْوَى ونأملُهُ      وَيُرْغِمُ اللهُ فِينَا أَنْفَ وَاشِينَا<sup>(١)</sup>  
 حتى إذا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مِيتَتَنَا      وَحَانَ مِنْ أَمْرِنَا مَا لَيْسَ يَمْدُونَا  
 مِنَّا جَمِيعًا كَغُصْنِي بَانَةٍ ذُبْلًا      من بعد ما نَصَرَا وَأَسْتَوْتَقَا حِينَا  
 ثم السَّلَامَ عَلَيْنَا فِي مَضَاجِعِنَا      حتى نَعُودَ إِلَى مِيزَانِ مُنْشِينَا<sup>(٢)</sup>

افتصد سعيدُ بنُ حميدٍ فمزمتُ فضلُ الشاعرةُ علي زيارته هي وعريب ، وسيرتُ  
 فضلُ إليه هدايا ، منها : أَلْفُ جَدِي وَحَمَلِ ، وَأَلْفُ دَجَاجَةٍ فَائِقَةٍ ، وَأَلْفُ طَبَقِ  
 فَاكِرَةٍ ، ومع ذلك طيبُ كثير ، وشراب و تحف حسان . فكتب إليها سعيد :  
 إن سروري لا يتم إلا بحضورك ، فجاءته في آخر النهار ، وجلسوا يشربون .  
 فاستأذن غلامُ سعيدِ بُنَان ، فأذن له ، فدخل وهو شابٌ طريرٌ<sup>(٣)</sup> حسن الوجه ،  
 نظيفُ الثوب ، شكل<sup>(٤)</sup> ، فذهبَ بها كلَّ مذهب ، وأقبلتُ عليه بحدِيثها ونظرها ،  
 فغمَّ سعيد وأستطير غضبا ، وتبين بُنَانُ القصةَ فأقبل عليها سعيد يمدلها ساعة ، ثم  
 أمسك ، فكتبتُ إليه :

يا مَنْ أَطَلْتُ تَفْرُسِي      فِي وَجْهِهِ وَتَنْفُسِي  
 أَفْدِيكَ مِنْ مَتَدَلِّ      يُزْهِى بِقَتْلِ الْأَنْفُسِ  
 هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَا      تُ بَلُّ أَقْرُّ أَنَا الْمُسِي  
 أَحَلَفْتَنِي إِلَّا أَسَا      رِقَ نَظْرَةً فِي مَجْلِسِ  
 فَظَرْتُ نَظْرَةً مَخْطِئَةً      أَتَبِعْتُهَا بِتَفْرُسِ  
 وَنَسِيتُ أَنِّي قَدْ حَلَفْتُ      تَ فَمَا عَقُوبَةُ مَنْ نَسِيَ !

(١) الأغاني : « شائنا » .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « ميراث منشينا » .

(٣) غلام طرير : طلع شاربه وظهر .

(٤) شكل ، ككفف : فيه دلال وغنج .

فقام سميد فقبّل رأسها ، وقال : لا عقوبةَ عليه ، بل يحْمِلُ هفوتهَ ونتجأ في<sup>(١)</sup>  
عن إساءته ، وغنّتْ عَرِيبُ ، وشربوا عليه بقيّةَ يومهم ثم أفترقوا ، وأثرَ بُنَانُ  
في قلبها وقد علّقَ به ، فلم ترّْ له به حتى واصلته ، وقطعتْ سميدا .

---

(١) في الأغانى : « تتجاوز » .

## سَلَمُ الْخَاسِرِ\*

سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ بْنِ مِرَّةَ ، ثُمَّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَصْرِيُّ شَاعِرٌ مُطْبُوعٌ ، مَقْصَرَّفٌ فِي فَنُونِ الشُّعْرِ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْمَبَّاسِيَّةِ .

وهو راويةُ بشار بن بُرْدٍ وتلميذهُ ، ومن بَحْرِهِ أُعْتَرِفَ ، وَعَلَى مَذْهَبِهِ وَتَطَّه .  
قال الشعر ، وعنه أخذ .

وَلُقِّبَ الْخَاسِرَ لِأَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ مُصَحَّفًا فَبَاعَهُ ، وَأَشْتَرَى بِشَمْنِهِ طُنْبُورًا .  
وقيل : بل رَدَّهُ وَأَخَذَ بَدَلَهُ دِفَاتِرَ شِعْرِ كَانَتْ عِنْدَ أَبِيهِ . وَقِيلَ : وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ مَائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَنْفَقَهَا عَلَى الْأَدَبِ وَأَهْلِهِ ، فَبَقِيَ لَا شَيْءَ عِنْدَهُ ، فَلَقَّبَهُ الْجِيرَانُ وَمَنْ يَعْرِفُهُ : الْخَاسِرَ .

وقالوا : أنفق ماله على ما لا ينفعه فلما مدح المهدي أو الرشيد وقد بلغه اللقب الذي لُقِّبَ به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : كدِّبَ بها جيرانك ، فجاءهم بها ، فقال لهم : هذه المائة ألف التي أنفقتها ، وربحت الأدب ، فأنا سلم الراجح ، لا سلم الخاسر .

وقال الجمتاز : سلم الخاسر خالي ، وسبب تليقيبه الخاسر أنه كان نسك مدَّةً يسيرة ، ثم رجع إلى أقيح مما كان عليه ، وباع مُصَحَّفًا لَهُ وَرِثَهُ عَنْ أَبِيهِ ، وَكَانَ لَجْدَهُ قَبْلَهُ ، وَأَشْتَرَى بِشَمْنِهِ طُنْبُورًا ، فَشَاعَ خَبْرُهُ وَانْفَتَحَ .

وكان يقال له : ما فعل أحدٌ ما فعلت ، فقال : لم أجد شيئًا أتوسل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينيه من هذا .

وكان سلم منقطاً إلى البرامكة ، خصوصاً إلى الفضل بن يحيى ، وفيه يقول  
أبو العتاهية :

إِنَّمَا الْفَضْلُ لِسَلْمٍ وَحَدَهُ      لَيْسَ فِيهِ لِسَوَى سَلْمٍ دَرَكٌ

وكان هذا سبب إحداهن الفساد بينه وبين أبي العتاهية ، وكان بشار يقول :  
لَوَدِدْتُ أَنْ سَلَمًا الْخَاسِرَ يَنْتَمِي فِي غَيْرِ وَلَاءِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَتَى أَعْرَمَ  
أَلْفَ دِينَارٍ ، حَبَّةً مَسْنِيٍّ لِهَيْتِكَ عَرِضِهِ وَأَعْرَاضِ مَوَالِيهِ . فقيل له : ما أخرج هذا  
القول منك إلا غمٌّ شديد ، قال أجل والله لا طعمت اليوم ، ولا أغمضت :

لَمَّا مَدَحَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدِ عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

إِذَا دَهَمَتْكَ صِعَابُ الْأُمُورِ      فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَاءُ ثُمَّ نَمَّ (١)

بعث بها مع سلم الخاسر ، فوافاه ، فأنشده إياها ، فأمر لبشار بمائة ألف درهم ،  
فقال له سلم : إن خادمك - يعني نفسه - قد قال في طريقه قصيدة فيك . قال :  
وإنك لهناك ! قال : تسمع وتحكم ، قال : هات ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :  
كَمْ كُرْبَةٍ قَدْ مَسَّنِي ضَرْهَا      نَادَيْتُ فِيهَا عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ  
فأمر له بمائة ألف درهم ، فكان ذلك أول عطية سنوية وصلت إليه .

وكان عاصم بن عتبة النسائي جواداً ، وكان صديقاً لسلم الخاسر ، كثير البر  
به ، والملاطفة له ، وفيه يقول سلم :

الْجُودُ فِي قَحْطَانِ      مَا بَقِيَتْ غَسَّانُ  
لِعَاصِمٍ سَمَاءُ      عَارِضُهَا تَهْتَانُ  
أَمْطَارُهَا لِلْحَجِينِ وَالْإِبْرِيرِ      وَالْعَقِيَانِ

(١) في الأغاني : « إذا نهبتك » .

أَسْلَمَ لَا أَبَالِي مَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ  
مَا ضَرَّ مُرْتَجِيهِ مَا فَعَلَ الزَّمَانُ  
مَنْ غَالَهُ خَوْفٌ فِعَاصِمٌ أَمَانُ  
صَلَتْ لَهُ الْمَعَالِي وَالسِّيفُ وَالسِّنَانُ

فأعطاه عاصمٌ سبعين ألفاً ، وكان مبلغُ ما وصل إلى سلمٍ من عاصمٍ خمسمائة ألف درهم .

فلما حضرته الوفاة دعا عاصماً وقال : إني ميت ، ولا ورثة لي ، وإن مالي مأخوذ ، وأنت أحقُّ به ، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم ، ولم يكن لسلمٍ وارث .

وكان يزيدُ بنُ مزيَدٍ يقول : ما أَحْسَدُ أحداً على شعري مُدِحٍ به قطُّ إلا عاصمُ ابنُ عُتْبَةَ النَّسَائِي ؛ فَإِنِّي حَسَدْتُهُ عَلَى قَوْلِ سَلَمٍ فِيهِ :

الجودُ في قَحْطَانٍ مَا بَقِيَتْ غَسَّانُ

لَمَّا تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ سَلَمٍ وَبِشَّارٍ ، صَارَ سَلَمٌ يَقْدِمُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ وَيَقُولُ : هُوَ أَشْعَرُ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ ، إِلَى أَنْ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ يَوْمَا يَخَاطَبُ سَلَمًا :

تَمَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

هَبِ الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ إِلَى زَوَالِ !

وبلغ الرشيد الشعرُ ، فأستحسنه وقال : لعمري إنَّ الحرصَ لفسدةٌ لأمر الدين والدنيا ، وما فتشت عن حريصٍ قطُّ إلا أنكشفت لي عن لؤمه ، وما أذمه (١) ، وبلغ ذلك سلماً ، فغضب على أبي العتاهية ، وقال : ويلي على الجرار بن الفاعلة الزنديق ! زعم أني حريص ، وقد كنت الكنوز ، وهو يطلب وأنا في توبى هذين لا أم لك غيرهما ، وأنحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك ، وقال فيه :

(١) الأغاني : « إلا انكشفت لي عما أذمه » .

ما أقبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ واعِظٍ      يُرْهِدُ النَّاسَ وَلَا يُزْهِدُ !  
لو كان في تزْهِيدِهِ صادِقاً      أضْحَى وَأَمْسَى بَيْتَهُ الْمَسْجِدُ  
ورَفَضَ الدُّنْيَا ولم يَلْقَها      ولم يكن يَسْعَى وَيَسْتَرْفِدُ  
يخاف أن تَنفَدَ أرْزاقُهُ      والرِّزْقُ عندَ اللَّهِ لا يَنفَدُ  
الرِّزْقُ مَقْسُومٌ على من تَرَى      يَنالُهُ الأَبْيَضُ والأَسْوَدُ

حضر أبو العتاهية يوماً عند قُتْمِ بنِ جعفر بنِ سليمان ، وهو أميرُ البصرة ،  
فجعل يُنشد شعراً في الزُّهد ، فأمر قُتْمُ بعضَ أصحابه أن يطلبَ له الجَمَّازَ ، وقال : أحضِرْ نِيهَ  
السَّاعَةِ حيثُ كان ، فحِجِّيْ به ، فطُلبَ ، فوُجد عند دارِ جعفر بنِ سليمان ، فقبل له :  
أَجِبِ الأَمِيرَ فحضر وَحِيّاً وجَلَسَ في ناحيةِ المجلسِ ، وأبو العتاهية يُنشدُهم ، ثم قام  
الجَمَّازُ فواجهَهُ وأنشده :

ما أقبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ واعِظٍ      يُرْهِدُ النَّاسَ وَلَا يُزْهِدُ

فقال أبو العتاهية : مَنْ هذا - أعزَّ اللهُ الأَميرَ - ؟ قال : هذا الجَمَّازُ ابنُ أختِ  
سَلَمِ الخاسرِ ، يَنْتَصِرُ لخاله منك حيثُ قلتَ له :

تعالَى اللهُ يا سَلَمَ بنَ عَمْرٍو      أذَلَّ الحِرْصُ أَعناقَ الرِّجالِ

فقال أبو العتاهية للجَمَّازِ : يا ابنَ أخي ، إنِّي لم أَذْهبَ بِشِمرى حيثُ ذهبَ خالُك ،  
ولا أردتُ أن أهتِفَ به ، ولا ذهبتُ في حضوري وإنشادي حيثُ ذهبَ من الحِرْصِ  
على الرِّزْقِ ، واللهُ يَفرُّ لِكِما ، ثم قام وأنصرف .

وكان سَلَمُ الخاسرِ شَفيفَ بطلبِ الكِيمياءِ ، وكان يُهاجِي واليَةَ بنَ الحُبابِ .

قال أبو عُبَيْدة مَعمر بنُ المُشْتَمِيِّ : كان سَلَمُ الخاسرِ لا يُحسِنُ المدحَ ؛ ولكنَّهُ  
كان يُحسِنُ أن يَرْتَمِيَّ وَيَسْأَلُ .

قال أبو المُستَهَلِّ : دخلتُ يوماً على سَلَمِ الخاسرِ ، وبين يديه رِقاعُ فيها أشعارُ

يرثي بيمضها أم جعفر ، وبيمضها جارية غير مسمّاة ، وأقواما لم يموتوا بعد ،  
 وأم جعفر أيضا باقية لم تمت : فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ قال : تحدث  
 الحوادث فيطلبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يجمل بنا أن نقول غير  
 الجيد ، فنمعل لهم قبل الوقائع ، فمضى حدثنا ما قلناه فيه ، على أنه  
 قيل في الوقت .

خرجت لسلم جازة ، فطالبه أبو الشمقمق بأن يهب له شيئا ، فلم يفعل فقال  
 أبو الشمقمق يهجوه :

يا أم سلم هداك الله زورينا      حتى ننيكك فردا أو تنيكيينا  
 ما إن ذكرتك إلا هجت لي شبقا      ومثل ذكرك أم السلم يشجينا  
 فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير ، وقال له : أحب أن تعفيني من أسترارتك  
 أمي ، وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها .

ومن هجاء سلم والبة بن الحباب ، وبعث بها إليه مع أبي المستهل :

يا والبة بن الحباب يا حلقى      لست من أهل الزناء فأطلق<sup>(١)</sup>  
 تدخل فيه الغرمول تولجه      مثل ولوج المفتاح في القلق<sup>(٢)</sup>

قال أبو المستهل : فأثبت والبة ، فقلت له ذلك ، فقال : قل له : يا ابن الفاحلة ،  
 سل عنك ربعمان التميمي - يعني أنه كان ينيكه - وكان ريمان لوطيا ، آفة من  
 الآفات ، وكان علامة ظريفا .

وكان يقول : نكت الهميم بن عدي ، فمن تروته يفلت مني !

(١) الحلقى ، من قولهم : هأتان حلقيه ، محركة : إذا تداولتها الحمر حتى أصابها داء في رحمها .

(٢) الغرمول : الذكر .



دخل الربيع على المهديّ ، وأبو عبيد الله جالس ، يعرض عليه كتباً ، فقال له أبو عبيد الله : مرّ هذا أن يتنحّى - يعنى الربيع - فقال له المهديّ : كأنك ترانى بالمين آتى أنت بها ! قال : لا ، قال : فلم لا تتنحّى إذا أمرتك ؟ قال : أنت ركن الإسلام ، وقد قتلت ابنَ هذا ، ولا آمن أن يكون معه حديدةٌ ، فيغتالك بها ، فقام المهديّ مذعوراً ، وأمرَ بتفتيشه ، فوجدوا بين جوربه وخفه سكيناً ، فردّت الأمور كلها إلى الربيع ، وعزّل أبا عبيد الله ، ووَلّى يعقوبَ بنَ داود مكانه ، فقال سلّم فيه :

أدخلته فعلاً عليّ ككذلك شومُ الناصية  
يعقوبُ ينظر في الأمور وأنت تنظر ناحيته

وكان المهديّ قد بلغه من جهة الربيع أن ابنَ أبي عبيد الله زنديق . فقال له المهديّ : هذا حسدٌ منك . قال : افحص عن هذا ، فإن كنت مبطلا بلغت فيّ الذى يلزم من كذبك . فأتى بأبن أبي عبيد الله فأقرّ بذلك ، فأستتابه ، فلم يتب ، فقال لأبيه : أقتله . قال : لا تطيب نفسى بذلك ، فقتله المهديّ وصلّبه على باب أبي عبيد الله . وكان ابنُ أبي عبيد الله من أحمقِ الناس .

ركب الربيع يوماً يسيراً مع محمد بن المنصور ، فقال محمد للربيع : رأيت كأن الكعبة قد تصدّعت ، وكان رجلاً جاء بجبلٍ أسود فشدّها . فقال له الربيع : من الرجل ؟ فلم يجبه ، حتى إذا أعتلّ قال للربيع : أنت الرجل الذى رأيت فى نوى يشدّ الكعبة ! فأى شيء تعمل بمدى ؟ قال : ما كنت أعملُ فى حياتك ، فكان من أمره ما كان من أخذ البيعة للمهديّ فقال سلّم الخاسر فى الفضل بن الربيع :  
يا بن الذى جبر الإسلام حين وهى وأستنفذ الناس من عمياء صيخود<sup>(١)</sup>

(١) الصيخود : الصخرة العظيمة ؛ كنى بذلك عن السنة الشديدة .

قالت قريشُ غداةَ أنْهَضَ مُلْكُهُمْ      يابنَ الرَّبِيعِ وَأَعْطَوْا بِالْقَالِيدِ<sup>(١)</sup>  
 فقامَ بالأمرِ مِثْناسُ بُوْحَدَتِهِ      ماضِي العَزِيمَةِ ضَرَابُ القَمَاحِيدِ<sup>(٢)</sup>  
 إنَّ الأُمُورَ إِذا ضاقتْ مَسالِكُها      حلتْ يَدُ الفَضْلِ مِناها كلٌّ مَعقُودِ  
 إنَّ الرَّبِيعَ وإنَّ الفَضْلَ قَد بَنِيًّا      رِواقَ مَجْدٍ عَلى العِباسِ مَمْدُودِ  
 فَوَهَبَ لَه الفَضْلُ خَمسَةَ آلافِ دِينارِ .

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ لأبنه محمد الأمين ، قال سلم الخاسر :  
 قَد بايَعَ الثَّقَلانِ في مَهدي الهُدَى      لِمُحَمَّدِ بنِ زُبَيْدَةَ ابْنَةِ جَعْفَرِ  
 وَلِئْتِهِ عَهْدَ الأَنامِ وَأَمْرَهُمْ      وَدَمَعَتْ بِالْمَعروفِ رَأْسَ المُنكَرِ  
 فَأَعْطَتَهُ زُبَيْدَةُ مائَةَ أَلْفِ دَرهمِ .

وكان إسحاق بن إبراهيم أستوهب الرشيدَ تركَةَ سلم الخاسر ؛ لأنه مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها أصحابُ الموارث ، فحصل له منها خمسون ألف دينار .

وقيل : إنَّ الَّذِي خَلَفَهُ سَلَمٌ مِمَّا أَخَذَهُ مِنَ الرَّشِيدِ ، وَمِنْ زُبَيْدَةَ خَاصَّةً أَلْفُ أَلْفِ دَرهمِ ، وَخَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ دَرهمِ ، سِوَى ما خَلَفَهُ مِنَ عَقارٍ وَغَيرِهِ ، فَقَبِضَهُ الرَّشِيدُ ، وَتَظَلَّمَ إِلَيْهِ مَوالِيهِ مِنَ آلِ أبِي بَكرِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . فَقَالَ : هَذا خادِى وَنَدِيعِى ، وَالَّذِي خَلَفَهُ كُلُّهُ مِنَ مالِى ، فَأَنا أَحقُّ بِهِ ، فَلَمْ يُعْطِهِمُ إِلَّا شِئْئًا يَسِيرًا مِنَ قَدِيمِ أَملاكِهِ .

دخَلَ سَلَمٌ الخاسرَ عَلى الفَضْلِ بنِ يَحْيَى بنِ خالِدِ البَرَمَكِيِّ في يَومِ نَوْرُوزِ المَهادِيا بَينَ يَدَيْهِ ، فَأَنشَدَهُ :

(١) المقاليد : المفاتيح .

(٢) القماحيد : جمع قعوده ؛ وهى الهنة الناشزة أعلى الفدال .

مِنْ رَبْعٍ نَسَائِلُهُ      وَقَدْ أَقْوَتَ مَنَازِلُهُ (١)  
 بَقْلِي مِنْ هَوَى الْأَطْلَا      لِ حُبِّ لَا يُزَايِلُهُ  
 رُوَيْدِكُمْ عَلَى الْمَشْفُو      فِ إِنْ الْحُبَّ قَاتِلُهُ !  
 بَلَابِلُ صَدْرِهِ تَسْرِي      وَقَدْ نَامَتْ عَوَاذِلُهُ  
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّقْضِي      لِمَنْ تَرْجَى فَوَاضِلُهُ  
 رَأَيْتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَا      قِ مَا ضَمَّتْ سَمَائِلُهُ  
 فَلَسْتُ أَرَى فَتَى فِي النَّا      سِ إِلَّا الْفَضْلَ فَاضِلُهُ  
 يَقُولُ لِسَانُهُ خَيْرًا      وَتَفَعَّلُهُ      أَنَامِلُهُ  
 وَمَهْمَا تَرَجُّ مِنْ خَيْرٍ      فَإِنَّ الْفَضْلَ فَاعِلُهُ

وكان إسحاق الموصلي وأبوه إبراهيم حاضرين ، فقال لإبراهيم : كيف ترى ؟  
 قال : أحسنُ مرأى ومسمع ، وفضلُ الأمير أكبر منه ! فقال : خذوا جميعاً  
 ما هدى إليّ اليومَ فأقسّموه بينكم أثلاثاً إلا ذاك التمثال ؛ فإني أريد أن أهديه  
 إلى دنانير . ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقوّمون وندفعُ إليهم ثمنه ،  
 ثم نُهديه ، فقوّمَ بألقي دينار ، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله ، وقسموا جميعاً  
 الهدايا بينهم .

حَدَّثَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ أَمْرٌ ، فَأَحْتَمِجَ فِيهِ إِلَى الرَّأْيِ : فَأَشْكَلَ ، وَكَانَ الْفَضْلُ  
 غَائِبًا ، وَأَتَّفَقَ حُضُورُهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ بِالقِصَّةِ ، فَأَشَارَ بِالرَّأْيِ مِنْ وَقْتِهِ ، وَأَنْفَذَ  
 الْأَمْرَ عَلَى مَشُورَتِهِ ، فَحَمِدَ مَا جَرَى فِيهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَلْمُ الْخَاسِرِ ، فَأَنْشَدَهُ :  
 بَدِيهَتُهُ وَفِكْرَتُهُ سَوَاءٌ      إِذَا مَا نَابَهُ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ  
 وَأَحْزَمُ مَا يَكُونُ الدَّهْرُ رَأْيًا      إِذَا عَى الْمُسَاوِرُ وَالْمُشِيرُ

وَصَدْرٌ فِيهِ لِلَّهِمَّ اتَّسَاعٌ إِذَا ضَاقَتْ عَنِ الْهَمِّ الصُّدُورُ  
فَأَمْرٌ لَهُ بِمِثْرَةِ آلَافٍ دَرَاهِمٍ .

جاء أبو الشَّيْمَقِ إِلَى سَلَمٍ ، يَسْتَمِيحُهُ ، فَمَنَعَهُ ، فَقَالَ : اسْمَعْ مَا قُلْتُ وَأَنْشُدْهُ :

حَدَّثُونِي أَنْ سَلَمًا يَشْتَكِي جَارَةً أُبْرَهُ  
فَهُوَ لَا يَحْسُدُ شَيْئًا غَيْرَ أُبْرٍ فِي أُسْتِ غَيْرِهِ  
فَإِذَا سَرَّكَ يَوْمًا يَا خَلِيلُ نَيْلُ خَيْرِهِ  
فَمَرَّ رَاهِبَكَ الْأَصْدُ لَمَعَ يَقْرَعُ بَابَ دَيْرِهِ

فَضَحِكَ سَلَمٌ وَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ دِينَارٍ ، وَقَالَ لَهُ : جِئْتُ فِدَاكَ ! أَحِبُّ أَنْ تَصْرِفَ  
رَاهِبَكَ الْأَصْلَحَ عَنِ بَابِ دَيْرِنَا .

دَخَلَ سَلَمٌ الْخَامِسُ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَنْشَدَهُ :

\* حَيِّ الْأَحِبَّةَ بِالسَّلَامِ \*

فَقَالَ الرَّشِيدُ :

\* حَيَّاهُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامِ \*

فَقَالَ :

\* أَعْلَى وَدَاعٍ أُمَّ مُقَامِ \*

فَقَالَ الرَّشِيدُ :

حَيَّاهُمْ اللَّهُ عَلَى أَىِّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ .

فَقَالَ :

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ وَمِنْهُمْ غَيْرُ الْجُلُودِ عَلَى الْعِظَامِ

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : بَلِ مِنْكَ ، وَأَخْرَجَهُ ، وَتَطَيَّرَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ بَاقِي شِعْرِهِ ،

وَلَا أَنَا بِهِ بِشَيْءٍ .

لما أتت وفاة المهديّ إلى الهادي ، وهو بجزّان ، بُويع له هناك فدخل عليه  
سَلْمٌ فأنشدهُ :

لَمَا أَنْتَ خَيْرَ بَنِي هَاشِمٍ      خِلافةُ اللهِ بِجُرْجَانِ  
تَسْمَرُ لِلْحَرْبِ سَرَايِلُهُ      بغيرِ لا غَمْرٍ ولا وَاَنِ (١)  
لَمْ يَدْخُلِ الشُّورَى عَلَى رَأْيِهِ      وَالْحَزْمُ لَا يُمِصُّهُ رَأْيَانِ

دخل سَلْمٌ على الرّشيد ، وعنده العباس بن محمد ، وجعفر بن يحيى فأنشدهُ :  
حَصَرَ الرَّحِيلُ وَشَدَّتْ الْأَحْدَاجُ      وغدا بهنّ مشمرٌ مزعاجُ (٢)  
فلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَنَائِبَ فِي السُّيُوفِ كَوَامِنٌ      حَتَّى يَهَيِّجَهَا فَتَى هَيَّاجُ  
فقال الرّشيد : ذاك معن بن زائدة ، فقالوا : صدق أمير المؤمنين ، ثم أنشده  
حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

وَمَدَّجٍ يَغْشَى الْمَضِيقَ بِسَيْفِهِ      حَتَّى يَكُونَ بِسَيْفِهِ الْإِفْرَاجُ  
فقال الرّشيد : ذلك يزيد بن مزيد ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فاعتاظ جعفرُ  
ابنُ يحيى ؛ لأنّ يزيد بن مزيد كان عدوّ البرامكة مُصافياً للفضل بن الرّبيع ، ثم  
أنشده ، حَتَّى أُنِيَ إِلَى قَوْلِهِ :

نَزَلَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ      وَلِكُلِّ قَوْمٍ كَوْكَبٌ وَهَاجُ  
فقال جعفر بن يحيى : مِنْ قَلَّةِ الشَّعْرِ حَتَّى تَمْدَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِشَعْرٍ ، قيل  
في غيره ! هذا البشار . فقال الرّشيد : ما تقول يا سَلْمُ ؟ قال : صدق يا أمير المؤمنين ،  
وهل أنا إلا جزءٌ من محاسن بشار ، أم هل أنطق إلا بفضّل منطِقِهِ ! وحياتك  
ياسمدي ؛ إِنِّي لَأَرَوِي لَه تَسْمَعَةَ آلاَفِ بَيْتٍ ، ما يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْهَا شَيْئاً غَيْرِي .

(١) الغمر : الغر الذي لم يجرب الأمور .

(٢) الأحجاج : جمع حدج ؛ وهو مركب للنساء .

فضحك الرشيد ، وقال : ما أحسنَ الصِّدقَ ! امضِ في شِعرك ، وأمر له بمائة ألفِ درهم .

ثم قال للفضل بن الربيع : هل قال أحدٌ غير سلم في طي<sup>(١)</sup> المنازل شيئاً . وكان الرشيد قد أنصرف من الحج ، وطوى المنازل ، فوصف ذلك سلم فقال : نعم يا أمير المؤمنين النمري ، فأمر سلماً الخاسر أن يثبت قائماً حتى يفرغ النمري من إنشاده ، فأنشد النمري قوله :

تَحْرَقُ جِلْبَابُ الشَّبَابِ مَعَ الْبُرْدِ      وحالت لنا أم الوليد عن المهدي<sup>(٢)</sup>

فقال الرشيد للعباس بن محمد : أيهما أشعر عندك ياعم ؟ قال : كلاهما شاعر ، ولو كان كلامٌ يستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل ، لاستفحل كلام النمري ، فأمر له بمائة ألفِ درهم .

ومما رآني به أشجعُ السُّلَميِّ سلماً الخاسر - ومات قبله :-

يَاسَلَمُ إِن أَصْبَحْتَ فِي حُفْرَةٍ      مَوْسِدًا تُرْبًا وَأَحْجَارًا  
فَرُبَّ بَيْتٍ حَسَنٍ قَلَّتْهُ      خَلْفَتُهُ فِي النَّاسِ سَيَّارًا  
لَوْ نَطَقَ الشَّعْرُ بِكَيْ بَعْدَهُ      عَلَيْهِ إِعْلَانًا وَإِسْرَارًا

(١) الأغاني . « طينا » .

(٢) الأغاني : « تحرق سربال » .

## سَرِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ\*

هو السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ عُويْمِ بْنِ سَاعِدَةَ الْأَنْصَارِيِّ . لجدّه  
عُويْمِ بْنِ سَاعِدَةَ صَحْبَةً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والسَّرِيُّ شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْمَدِينَةِ ، لَيْسَ بِمُكَثِّرٍ وَلَا فَحْلٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ أَحَدُ  
الْفَزَائِلِ ، وَالْفَتَيَانَ الْمُنَادِمِينَ عَلَى الشَّرَابِ ، كَانَ هُوَ وَعُتَيْبُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
ابْنِ عَوْفٍ ، وَجُبَيْرُ بْنُ أَيْمَنٍ ، وَخَالِدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، يَتَنَادَمُونَ ، وَفِيهِمْ  
يَقُولُ السَّرِيُّ ، وَكُلُّهُمْ كَانَ جَلِيلًا مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ :

إِذَا أَنَا نَادَمْتُ الْعُتَيْبَ وَذَا النَّدَى      جُمَيْرًا وَنَازَعْتُ الرَّجُلَاجَةَ خَالِدًا  
أَمِنْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْ تَقْرَعَ الْعَصَا      وَأَنْ يُنْهَوَا مِنْ نَوْمَةِ الشُّكْرِ رَاقِدًا  
وَصِرْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ خَيْرِ عُصْبَةٍ      حِسَانِ النَّدَامَى لَا نَخَافُ الْعَرَابِدَا  
فَقَالُوا : قَبْحَكَ اللَّهُ ! مَاذَا أُرِدْتَ فِي التَّنْبِيهِ عَلَيْنَا ، وَالْإِذَاعَةَ لِسِرِّنَا ؛ إِنَّهُ لِحَقِيقُ

أَلَا نُنَادِمُكَ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أُرِدْتُ شَيْئًا ؛ وَلَكِنَّهُ شَعْرٌ طَفَحَ (١) عَلَى ، فَفَنَفَثْتُهُ عَنْ صَدْرِي .

جَلَسَ نُصَيْبٌ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْشَدَ ، وَكَانَ إِذَا أَنْشَدَ  
لَوَى حَاجِبِيهِ ، وَأَشَارَ بِيَدَيْهِ ، فَرَأَاهُ السَّرِيُّ ، فَجَاءَهُ حَتَّى وَقَفَ بِأَزَائِهِ ، وَقَالَ :  
فَقَدَّتْ الشُّعْرَ حِينَ أُنِي نُصَيْبًا      أَلَمْ تَسْقَحْنِي مِنْ مَقْتِ الْكِرَامِ !  
إِذَا رَفَعَ ابْنُ ثَوْبَةَ حَاجِبِيهِ      حَسِبْتُ السُّكْلَبَ يَضْرِبُ فِي الْكِعَامِ (٢)

\* ترجمته في الأغاني ١٨ : ٦٥ - ٦٨ ( ساسي ) .

(١) طفح على : غلب .

(٢) الكعام : ما كعم به فم البعير في هياجه .

فقال نصيب : من هذا ؟ فقالوا : سرى بن عويم بن ساعدة . فقال : قد وهبته  
لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولمويم بن ساعدة .

وكان سرى قد هجا الأخوص ونصيبا ، فلم يجيباه .

وكان سرى قصيرا دميما ، أزرق ، وكان يهوى امرأة يقال لها : زينب ،  
وشبب بها ، فخرج إلى البادية فرآها في نسوة ، فصار إلى راع هناك ، فأعطاه ثيابه ،  
وأخذ منه جبته وعصاه وأقبل يسوق الغنم ، حتى صار إلى النسوة ، فلم يحفلن  
به ويحسبن أنه أعرابي ، وأقبل يقلب بعصاه الأرض وينظر إليهن ، فقلن له :  
أذهب منك شيء ؟ يراعى الغنم فأنت تطلبه ؟ قال : نعم ، قلبي . فضربت زينب  
بكمها على وجهها وقالت : سرى والله ! أخزاه الله ! فانشأ يقول :

ما زال فينا سقيمٌ يُسقطُ له      من ريح زينب فينا ليلة الأحد  
حزت الجمال ونشرا طيبا أرجا      فما تسمين إلا مسكة البلد  
أما فؤادى فشى قد ذهب به      فما يضرك إلا تحرُّبى جسدى

قال عبد الله بن عروة بن الزبير : خرجت أنا وغلأم لي أدور في سبك  
المدينة ، فأتهيت إلى فناء مرشوش وشاب جميل الوجه جالس ، فلما رأني دعاني ،  
وقال : من أنت يا غلام ؟ فقلت : عبد الله ابن عروة بن الزبير . فقال : اجلس .  
فجسلت ، ودعا بالطعام ، فتغدينا جميعا ، ثم قال : يا جارية ، فأقبلت جارية  
تتهادى<sup>(١)</sup> كأنها مهاة ، وفي يدها قنينة شراب صاف ، وقلة ماء ، وكأس .

فقال لها : اسقني ، فصبت في الكأس ، وسكبت عليه ماء ، وناولته فشرب ،  
ثم قال : اسقيه ، فصبت في الكأس ، وسكبت عليه ماء ، وناولتني ، فلما وجدت

(١) تهادت الجارية : إذا تمايلت في مشيتها .



ريحه بكيتُ ، فقال : ما يُبْكِيكَ يا بنَ أخي ؟ فقلتُ : إن أهلي إن وجدوا رَأْحَةَ  
هذا مَنِّي ضربوني ، فأقبلَ على الجارية بوجهه وهو يقول :

الأسقني كأسِي ودعْ عنك من أبنِي ورؤِّ عِظاما قَصْرُهْن إلى بِلِي (١)  
فإنَّ بَطوئَ الكأس موتٌ وحبَّسها (٢)

وإن دراك الكأس عندي هو الحياً  
فأخذته من يدي ، وأعطته إياه ، فشرِب ، فقامتُ ، فلما جاوزته سألت  
عنه ، فقيل لي : هذا خالدُ بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر :  
إذا أنت نادمت العتيرَ وذا الندى جبيراً ونازعتَ الرُّجاجةَ خالداً

(١) قصرهن : مصيرهن . وفي الأغاني : « من أبي » .

(٢) في الأغاني : « بطاء » ؛ وهما سواء .

## سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاشٍ\*

هو مَوْلَى بنى حِمْيَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَوْيَ . شاعرٌ بَصْرِيٌّ مَخْضَرَمٌ ، شَهِدَ الدَّوْلَتَيْنِ  
وكان يتدين ويتصوف ، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ابْنَيْ سُلَيْمَانَ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
ابن عباس ومدحهما ، فأكثر وأجاد .

قال سلمة بن عيَّاش : دخلتُ على الفَرَزْدَقِ السَّجْنِ ، وهو محبوس ،  
وقد قال :

إِنَّ الَّذِي سَمَّكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا      يَدْتَمَّ دَعَائِمُهُ أَعْرُ وَأَطْوَلُ

وقد أُخْبِرُ وَأَجْبَلُ<sup>(١)</sup> ، فقلت له : ألا أُرْفِدُكَ<sup>(٢)</sup>؟ فقال : وهل ذلك عندك؟ قلتُ :

نعم . ثم قلت :

بَيْتُ زُرَّارَةَ مُخْتَبِ بِفَنَائِهِ      وَمُجَاشِعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ

فاستجاد البيتَ وغازه ذلك ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلتُ : من قُرَيْشٍ . فقال :

كَلُّ أَيْرِحَاحٍ مِنْ قُرَيْشٍ ! فَمِنْ أَيِّهَا أَنْتَ ؟ قلتُ : من بني عامر بن لؤي ، فقال :

لثامٌ وَضَمَّةٌ ، حاورتهم بالمدينة ، فإحمدتهم . فقلت : الأُمُّ مِنْهُمْ وَاللَّهِ ، وَأَوْضَعَ قَوْمِكَ ،

جاء رسولُ مالكِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَأَنْتَ سَيِّدُهُمْ وَشَاعِرُهُمْ ، فَأَخَذَكَ بِأُذُنِكَ يَقُودُكَ حَتَّى

حَبْسِكَ ، فَا عْتَرَضَهُ أَحَدٌ ، وَلَا نَصَرَكَ .

فقال : فَا تَلَّكَ اللَّهُ ! مَا أَمْكَرَكَ ؟ وَأَخَذَ الْبَيْتَ ، فَأَدْخَلَهُ فِي قَصِيدَتِهِ .

\* ترجمته في الأغاني ٢١ : ٨٤ - ٨٧ ( ساسي ) .

(١) أضعم : تلبذ وأعيا ، وأجبل الشاعر : صعب عليه قول الشعر وأرتج عليه .

(٢) أرفدك أعطيك

كان سلمةُ بنُ عيَّاش ، وأبو سُفْيَانُ بنُ العلاء عند محمد بن سُلَيْمَانَ ، وجارِيَتُهُ  
بَرَبْرٌ تغنيهم وتسقيهم ، فقال سلمةُ :

إلى الله أشكُومُ الأقي من القلي  
على حين ودَّعتُ الصَّباةَ والصِّبا  
نأى جعفرُ عَنَّا وكان لِمِثْلِهَا  
لأهلي وما لاقيتُ من حُبِّ بَرَبْرٍ  
وفارقتُ إخواني وشمرتُ ممزري  
وأنتَ لنا في التَّائِبَاتِ كجعفرِ

فقال محمد بنُ سليمان لسلمةُ : خذها هي لك ، فاستحيا وأرتدَّع ، وقال :  
لا أريدها ، وأحَّ عليه في أخذها . فقال : أعتق ما أمك إن أخذتها .

فقال أبو سُفْيَانُ : يا سَخِينِ العين ، اِعتق ما تملك ! وخذها ، فهي خيرٌ من كلِّ  
ما تملكُ . فلما مات أبو سُفْيَانُ رثاه سلمةُ فقال :

لعمركُ ما تعفُو كُلوْمُ مُصِيبَةٍ  
تَقَطَّعُ أَحْشَائِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهُمْ  
وكنتُ امرأً جَلْدًا على ما يَنوؤُني  
فهدَّ أبو سُفْيَانُ رُكْنِي ولم أكنُ  
غَنِينًا مَعًا بِضْعًا وَخَمْسِينَ حِجَّةً  
فأصبحتُ لَمَّا حَالَتِ الأَرْضُ دُونَهُ  
على صاحبٍ إلَّا فِجِمتُ بِصاحبِ (١)  
وتنهَّلَ عَيْنِي بِالدُّمُوعِ السَّوَابِكِ  
ومعترفًا بالصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ (٢)  
جَزُوعًا وَلَا مُسْتَنَكِرًا لِلْمَصَائِبِ (٣)  
خَلِيلِي صَفَاءٌ وَدُنَا غَيْرُ كاذِبِ  
على قُرْبِهِ مِنِّي كَأَنَّ لَمْ أَصَاحِبِ

(١) الكلوم : الجروح .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي الأغانى : « عند المصائب » .

(٣) كذا في ب ، ج ، وفي الأغانى : « للنوائب » .

## سعيدُ بنُ وهبٍ \*

هو سعيدُ بنُ وهبٍ ، وكنيته أبو عثمان ، مولى بني سامة بن لؤي ، بصريُّ المولد والمنشأ ، ثم صار إلى بغداد ، وأقام بها ، وكانت الكتابة صنعتُه ، وتصرّف مع البرامكة فأصطنعوه ، وتقدّم عندهم .

وكان شاعراً مطبوعاً ، ومات في أيام المأمون ، وكان شعرُه في الغزل والشراب والتشبيب بالذكور ، وكان مشغولاً بالعلمان ، ثم نَسَكَ وتاب ، وحجّ راجلاً على قدميه ، ومات على توبة وإفلاع ، ومذهبه جميل .

ومات وأبو العتاهية حتى ورثاه ، وكان صديقه ، وكان له عشر بنين ، وعشرة بنات ، وكان أخذ ما قدر عليه من شعره ، فخرّقه وأحرقه ، وكان أمراً صدقٍ ، كثير الصلاة ، يزكّي في كل سنة عن جميع ما عنده ، حتى إنه ليركّي عن فضة كانت على امرأته .

كان سعيدُ بنُ وهبٍ يتعشّق غلاماً يتشطرّ (١) ، وكان يقال له : سعيد ، فبلغه عنه أنه توعدّه أن يجرّحه . فقال سعيدُ بنُ وهبٍ :

مَنْ عَذِرِي مِنْ سَمِيٍّ !      مَنْ عَذِرِي مِنْ سَعِيدِ !  
أنا باللّحم أجثُّه      ويحجّني بالحديد

نظر سعيدُ بنُ وهبٍ إلى قومٍ من كتّاب السلطان في أحوالٍ جميلة ، فأنشأ يقول :

من كان في الدنيا له شارةٌ      فنحن من نظارة الدنيا  
ننظرها من كسب حسرةٍ      كأننا لفظ بلا معنى  
يعلوها الناسُ وأيامنا      تذهب في الأزدل والأدنى

\* ترجمته في الأغاني ٢١ : ٦٩ - ٧٣ .

(١) يتشطر : يدعى الخلاعة .

قال عبدُ الله بنُ العلاءِ المُعَسِّنِي : نظر إلى سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين أخضرَّ شاربِي ، ومعه إسحاق الموصلي ، فسَلَّمَ عليَّ إسحاق ، فأقْبَلَ عليه سعيدٌ ، وقال : مَنْ هذا الغلام ؟ فتبسَّم وقال : هذا ابنُ صديقنا ، فأقْبَلَ عليَّ وقال :

لا تَخْرُجَنَّ مَعَ الْغَزِيِّ لِمَعْنَمٍ      إِنَّ الْغَزِيَّ يَرَاكَ أَفْضَلَ مَعْنَمٍ (١)  
 في مِثْلِ وَجْهِكَ يَسْتَحِلُّ ذُووَالْتَقَى      وَالَّذِينَ ، وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ مُحْرَمٌ  
 ما أَنْتَ إِلَّا غَاذَةٌ مَمْكُورَةٌ      لَوْلَا شَوَارِبُكَ اللَّطِيفَةُ بِالْفَمِ (٢)

مرَّ سعيد بنُ وهبٍ والكِسَائِيُّ ، فلَقِيَا غلاماً جميلَ الوجه ، فاستحسَنه الكِسَائِيُّ وأراد أن يستمِله بالنَّحو ، فلم يَمِلْ إليه ، فأخذ سعيدُ بنُ وَهْبٍ في الشَّعر ، قال إليه الغلام ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه الكِسَائِيُّ ، وقال : حَدِّثْهُ وَأَنْسَهُ حَتَّى أُجِىءَ ، وتشاغل بحاجته ، فمضى به الكِسَائِيُّ ، وما زال يُدارِيه حتى قضى حاجته منه ثم أنصرف ، وجاء سعيد فلم يَرَهُ فقال :

أبو حَسَنٍ لا يَفِي      فَمَنْ ذَا يَفِي بَعْدَهُ !  
 أَثَرْتُ لَهُ شَادِنًا      فَصَايِدُهُ وَوَحْدَهُ  
 وَأَظْهَرَ لِي غَدْرَةَ      وَأَخْلَفَ لِي وَعْدَهُ (٣)  
 سَأَطْلُبُ مَا سَاءَهُ      كَمَا سَاءَ نِي جَهْدَهُ

قال إسحاق بنُ إبراهيمِ المَوْصِلِيُّ : كان لسعيد بنِ وَهْبٍ وَلَدٌ يُكْنَى أبا الخطَّابِ ، من أكيَسِ الصَّيْبَانِ وأحْسَنِهِمْ وَجْهاً وأدبا ، وكان لا يفارقه في كلِّ حال

(١) الغزى : الجماعة يغزون .

(٢) يقال : امرأة ممكورة الساقين ؛ إذا كانت ممثلاثهما .

(٣) في الأغاني : « وأخلفني » .

لَشَدَّةِ شَفَفِهِ بِهِ ، وَرَأْفَتِهِ عَلَيْهِ ، فَمَاتَ وَهُوَ عَشْرُ سِنِينَ ، فَجَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَنْقَطَعَ  
عَنْ لَدَائِهِ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا لِأَعَاتِبَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَسْتَمِطِفُهُ ، فَحِينَ رَأَى عَرَفَ ذَلِكَ  
فِي وَجْهِهِ ، فَفَاضَتْ دُمُوعُهُ وَأَتَتْحَبَّ حَتَّى رَحِمْتُهُ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي لَهُ :

عَيْنُ جُودِي عَلَى أَبِي الْخَطَّابِ	إِذْ تَوَلَّى غَضًّا بِمَسَاءِ الشَّبَابِ
لَمْ يُقَارِفْ ذَنْبًا وَلَمْ يَبْلُغِ الْحَذَّ	ثُمَّ مَرَجَّى مَطَهَرَ الْأَنْبُوبِ (١)
فَقَدْتُهُ عَيْنِي إِذَا مَا سَعَى أَتَدَّ	رَابُهُ فِي جَمَاعَةِ الْأَتْرَابِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتُ كُتَّابَهُ لَمْ	أَرَ فِيهِ رِيحَانَةَ الْكُتَّابِ (٢)
إِنْ غَدَا مُوحِشًا لِدَارِي فَقَدْ أَصَدَّ	بِحَاحِ أَنْسِ الثَّرَى وَزَيْنِ الرَّابِ
أَحْمَدُ اللَّهِ يَا حَبِيبِي فَإِنَّ	بِكَ رَاحَ مِنْهُ عَظِيمَ الثَّوَابِ

ثُمَّ نَاشَدَنِي أَلَّا أَذْكَرُهُ بِشَيْءٍ مِمَّا جِئْتُ لَهُ ، فَحَمَمْتُ وَلَمْ أَخَاطِبْهُ بِحَرْفٍ .

كَانَ سَمِيعُ بْنُ وَهَبٍ مَأَلَفَةً لِكُلِّ غَلامٍ أَمْرَدٍ ، فَخَدَّثَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَمَاشِرُهُ ،  
قَالَ : دَخَلَ إِلَيْهِ يَوْمًا غَلامَانِ أَمْرَدَانِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ تَحَاكَمْنَا إِلَيْكَ ، أَيُّنَا أَجْمَلُ  
وَجْهًا ، وَأَحْسَنُ جِسْمًا ؟ وَجَمَلْنَا أَجْرَ حُكْمِكَ أَنْ تَخْتَارَ أَيُّنَا حَكَمْتَ لَهُ ، فَتَقَضَى  
حَاجَتَكَ مِنْهُ ، فَحُكِمَ لِأَحَدِهِمَا ، فَقامَ وَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهُ ، وَأَحْتَبَسَهُمَا عِنْدَهُ ، وَشَرِبَا ،  
ثُمَّ مَالَ إِلَى الْآخِرِ أَيْضًا ، وَقَمْتُ مَعَهُ فِدَاخِلْتُهُمَا حَتَّى فَعَلْتُ كِفِيلَهُ .

فَقَالَ لِي سَمِيعٌ : هَذَا يَوْمُ الْغَارَاتِ فِي الْحَارَاتِ ، ثُمَّ قَالَ :

رِثْمَانِ جَاءَا فَحُكِّمَانِي	لَا حُكْمَ قَاضٍ وَلَا أَمِيرِ
هَذَا كَشَمْسِ الضُّحَى جَبَّالًا	وَذَا كَبْدَرِ الدُّجَى الْمُنِيرِ
وَفَضْلُ هَذَا كَذَا عَلَى ذَا	فَضْلُ حَمِيرِ عَلَى عَشِيرِ

(١) يقال : بلغ الغلام الحنت ؛ إذا بلغ الإدراك والبلوغ ، والحث : الحلم أيضا .

(٢) لم يرد هنا البيت في الأغاني .

فَقَالَ أَشْرُ بَيْنَنَا بِرَأْيٍ      وَنَجْعَلُ الْفَضْلَ الْمُسِيرِ  
تَبَادُلًا ثُمَّ قَتُّ حَسْتِي      أَخَذْتُ فَضْلِي مِنَ الْكَبِيرِ  
وَكَانَ عَيْبًا بَانَ أَرَانِي <sup>(١)</sup>      أَمْنَعُ حَظِّي مِنَ الصَّغِيرِ <sup>(٢)</sup>  
فَكَانَ مَنِّي وَمِنْ قَرِيبِي      إِلَيْهِمَا وَثْبَةُ الْمُنِيرِ  
فَمَنْ رَأَى حَاكِمًا كُكْمِي      أَعْظَمَ جَوْرًا بِلَا نَكِيرِ !

وشاعت الأبيات حتى بلغت الرشيد ، فدعا ، فأستشده ، فتلكأ ، فقال له :  
أنشد فلا بأس عليك ، فأشده ، فقال له : وَيَلَك ! اخترت الكبير سنأ أو قدرا ؟  
فقال : بل الكبير قدرا . قال : لو قلت غير هذا لسقطت عندي واستخففت بك ،  
ووصله ، وصرفه .

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يومٍ قد جلس فيه للشعراء ،  
فجعلوا ينشدونه ، ويأمرهم بالجوائز حتى لم يبقَ منهم أحد ، ثم التفت إلى سعيد بن  
وهب كالستنطق ، فقال له :

أيها الوزير ، إني ما كنت أستعدت لهذه الحال ، ولا تقدمت لها عندي مقدمة ،  
فأعرفها ، ولكن قد حضرني بيتان ، أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما  
فرب قليل يكون أبلغ من كثير ، فقال سعيد :

مَدَحَ الْفَضْلُ نَفْسَهُ بِالْفِعَالِ      فَعَمَلًا عَنِ مَدِيحِنَا بِالْمَقَالِ  
أَمْرُونِي بِمَدْحِهِ قَلْتُ كَلًّا      كَبُرَ الْفَضْلُ عَنِ مَدِيحِ الرَّجَالِ

فطرب الفضل ، وقال : أحسنت وأجدت ، ولئن قلَّ القول ، فترر لقد أسمع المعنى ،  
وكثر ، وأمر له بمثل ما أعطى كل من أشده مدحا يومئذ ، وقال : لاخير فيما يحيى  
بعد بيتيك ، ثم قام من المجلس وخرج الناس يومئذ لا يتناشدون غير البيتين .

(١) كذا في ب ، ج ، والأغاني ، وفي ا : « عينا » .

(٢) في الأغاني : « أحرم حظي » .

قال الفضلُ بنُ الربيع : عَرَفْتَنَا أَيَّامُ الْبَلِيَّةِ مَن كُنَّا نَجْهَلُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَذَلِكَ أَنَا أَحْتَجُّنَا أَنْ نُودِعَ أَمْوَالَنَا وَكَانَتْ كَثِيرَةً مُفْرَطَةً ، فَكُنَّا نُلْقِيهَا عَلَى النَّاسِ إِفْقَاءً ، وَنُودِعُهَا التَّقَةَ وَغَيْرَ التَّقَةِ . وَكَانَ مِمَّنْ أُوْدِعْنَاهُ سَعِيدَ بْنَ وَهْبٍ ، وَكَانَ رَجُلًا صُعْلُوكًا<sup>(١)</sup> لَا مَالَ لَهُ ، وَإِنَّمَا صَحَبْنَا عَلَى الْبَطَالَةِ وَالضَّحْكَ<sup>(٢)</sup> فَظَنَنْتُ أَنْ مَا أُودِعَهُ ذَاهِبٌ ثُمَّ طَلَبْتُهُ مِنْهُ بَعْدَ حِينٍ ، فَجَاءَنِي بِهِ بِخَوَاتِمِهِ ، وَأُوْدِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْهَيْثَمِ ، وَكَانَ كَاتِبَنَا جُمْلَةً عَظِيمَةً ، وَكَانَ عِنْدِي أَوْثَقُ مَنْ أُوْدِعْتُهُ ، فَلَمَّا أَمِنْتُ طَالِبَتُهُ بِالْوَدِيعةِ ، فَجَحَدَنِي وَبَهَتَنِي ، وَحَلَفَ عَلَى ذَلِكَ ، فَصَارَ عِنْدِي سَعِيدٌ فِي السَّمَاءِ ، وَبَلَغَتْ بِهِ كُلَّ مَبْلَغٍ ، وَسَقَطَ عَلَيَّ بْنُ الْهَيْثَمِ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَى وَلَا تَلْقَانِي .

وَكَانَ لِسَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ خَادِمٌ يُجِنُّهُ بِهِ جُنُونًا مِنْ عِشْقِهِ لَهُ ، فَفَضِبَ عَلَيْهِ يَوْمًا شَيْئًا أَنْكَرَهُ مِنْهُ ، فَأَمَرَهُ بِفُطْحٍ ، وَكُشِفَتْ أَسْتُهُ ، وَأَخَذَ الْقِرْعَةَ وَقَامَ لِيَضْرِبَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا غَرَّتْكَ مَنَى أَسْتِكَ هَذِهِ ، حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ ، وَسَارِيكَ هَوَانَهَا عَلَيَّ ! فَقَالَ الْخَادِمُ : طَالَمَا غَرَّتْكَ هَذِهِ الْأَسْتُ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ بِمَا اجْتَرَأْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا ! وَسَتَرِي هَوَانِكَ عَلَيْهِ إِذَا لَافَيْتَهُ :

قَالَ سَعِيدٌ : فَوَرَدَ عَلَيَّ مِنْ جَوَابِهِ مَا حَيَّرَنِي حَتَّى سَقَطَتِ الْمِقْرَعَةُ مِنْ يَدِي ، وَكَفَفْتُ عَنْهُ .

قَالَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ : كَانَ فِي جِوَارِي رَجُلٌ مِنَ الْبَرَامِكَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ شَاعِرَةٌ ظَرِيفَةٌ أَدِيبِيَّةٌ ، يُقَالُ لَهَا حَسَنَاءٌ ، يَدْخُلُ إِلَيْهَا الشُعْرَاءُ وَيَسْأَلُونَهَا عَنِ الْمَعَانِي فَتَأْتِي بِكُلِّ مُسْتَحْسَنٍ مِنَ الْجَوَابِ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ يَوْمًا ، وَجَلَسَ إِلَيْهَا فَحَادَثَهَا طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ :

(١) الصعلوك : الفقير .

(٢) ساقطة من الأغاني .



حاجيتك يا حسناً  
وفيما طوله شبره  
له في رأسه شق  
إذا ما جفّ لم يجر  
وإن بلّ أتى بالهـ  
أجيبى لم أُرْدُ فُحْشَا  
ولكن صُغْتُ أَيْمَانَا  
في جنس من الشعر  
وقد يوفى على الشبر  
نطوف بالقدى يجرى  
لدى برّ ولا بحر  
جب المعجب والسحر  
ورب الشفع والوتر  
لها حظ من الزجر

يريد القلم ، فقالت له : عند أمك من خبر هذا المسؤل عنه عجائب فأسألها عنه  
تُخْبِرُكَ .

## السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ\*

هو السُّلَيْكُ بْنُ عَمْرٍو - وقيل : عُمَيْرُ بْنُ يَثْرَبَةَ - أَحَدُ بَنِي مُقَاعِسَ ، وهو الحارثُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ . وَالسُّلَيْكَةُ أُمُّهُ وَهِيَ أُمَّةٌ سَوْدَاءٌ ، وهو أَحَدُ صَعَالِيكِ الْعَرَبِ الْعِدَائِينَ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا لَمْ يُلْحَقُوا ، وَلَا تَتَمَلَّقُ بِهِمُ الْخَيْلُ إِذَا عَدَوْا ، وَهُمْ السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ ، وَالشَّهْرِيُّ ، وَتَأَبَّطُ شَرًّا ، وَعَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ ، وَتُقَيْلُ بْنُ بُرَاقَةَ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَكَانَ السُّلَيْكُ إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ ، اسْتَوَدَعَ بَيْضَ النَّعَامِ مَاءَ السَّمَاءِ ثُمَّ دَفَنَهُ ، فَإِذَا كَانَ الصَّيْفُ ، وَانْقَطَعَتْ إِغَارَةُ الْخَيْلِ أَغَارَ ، وَكَانَ أَدَلَّ مِنْ قَطَاةٍ ، فَيَجِيءُ فَيَقِفُ عَلَى الْبَيْضَةِ ، وَكَانَ لَا يُبْعِرُ عَلَى مُضَرٍّ ، وَإِنَّمَا يُبْعِرُ عَلَى الْيَمَنِ ، فَإِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ أَغَارَ عَلَى رَيْبَةَ .

وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ رِجَالِ الْعَرَبِ ، وَأَشْعَرِهِمْ ، وَأَنْسَكِرِهِمْ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَدْعُوهُ : سُلَيْكُ الْمَقَابِرِ<sup>(١)</sup> . وَكَانَ أَدَلَّ النَّاسِ بِالْأَرْضِ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَسَالِكِهَا ، وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ بِمَا نَسْتَعِينُكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ كُنْتُ ضَعِيفًا كُنْتُ عَبْدًا ، وَلَوْ كُنْتُ أَسْرَاءً كُنْتُ أُمَّةً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَيْبَةِ ، فَأَمَّا الْهَيْبَةُ فَلَا هَيْبَةَ ، وَكَانَ قَدْ أَمْلَقَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ . فَخَرَجَ عَلَى رِجْلَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَصِيبَ غَرَّةً مِنْ بَعْضِ مَنْ يَمُرُّ بِهِ ، فَيَذْهَبُ بِإِبْلِهِ حَتَّى أَمْسَى فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ ، بَارِدَةٍ مُقْمَرَةٍ ، فَاسْتَمَلَّ الصَّمَاءَ ثُمَّ نَامَ - وَأَسْتَمَالَ الصَّمَاءَ أَنْ يَرُدَّ فَضْلَ ثَوْبِهِ عَلَى عَضُدِهِ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ يَنَامُ عَلَيْهَا - فَبَيْنَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ جَثَمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَعَدَ عَلَى جَنْبِهِ وَقَالَ لَهُ : اسْتَأْسِرْ ، فَرَفَعَ السُّلَيْكُ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقْمَرٌ ؛ فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

\* ترجمته في الأغاني ١٨ : ١٣٣ - ١٣٩ (ساسي) .

(١) المقاب : جمع مقنب ؛ وهي جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

فجعل الرجل يُلَهِّزُهُ (١) ويقول : يا خبيث ، استأسر ، فلما آذاه ذلك أخرج السُّلَيْمِيَّ  
يَدَهُ ، فضمَّ الرجل إليه ضَمَّةً ضَرَطَ مِنْهَا ، وهو فوقه ، فقال له : أَضْرِبْ طًا وَأَنْتَ الْأَعْلَى !  
فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

ثم قال له السُّلَيْمِيَّ : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال له : أنا رجل افتقرتُ فقلتُ : لأُخْرِجَنَّ  
فَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَسْتَعِينِي ، فَاصْطَحَبْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْجُرْفَ ؛ جِرْفٌ مُرَادٌ ، فَلَمَّا  
أَشْرَفَا عَلَيْهِ إِذَا فِيهِ نَعْمٌ قَدْ مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ كَثْرَتِهَا ، فَخَافُوا أَنْ يُغَيِّرُوا فَيَطْرُدُوا  
بَعْضَهَا ، فَيَلْحَقَهُمُ الطَّلَبُ .

فقال له السُّلَيْمِيَّ : كُن قَرِيبًا مِنِّي حَتَّى آتِي الرَّعَاءَ ، فَأَعْلَمَ لَكُمْ عِلْمَ الْحَيِّ ،  
أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ ؟ فَإِنْ كَانُوا قَرِيبًا رَجَعْتُ إِلَيْكَ ، وَإِنْ كَانُوا بَعِيدًا قَلْتُ لَكُمْ قَوْلًا  
أَوْمِي لَكُمْ بِهِ فَأَغَيِّرُوا ، فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى آتَيْتُ الرَّعَاءَ فَلَمْ يَسْتَنْطِقْهُمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ بِمَكَانِ  
الْحَيِّ فَإِذَا هُوَ بَعِيدٌ ، إِنْ طَلَبُوا لَمْ يُدْرِكُوا

فقال السُّلَيْمِيَّ لِلرَّعَاءِ : أَلَا أَعْنِيكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَرَفَعَ عَقْبِرَتَهُ وَغَنَّى :

يَا صَاحِبِيَّ أَلَا لَأَحْيَى بِالوَادِي سَوَى عَمِيدٍ وَأَمِّ بَيْنَ الْأَذْوَادِ (٢)  
أَنْتَظِرَانِ قَلِيلًا رَيْثَ غَفَلْتَهُمْ أَمْ تَغْدُوَانِ فَإِنَّ الرَّبْحَ لِلْغَادِي

فَلَمَّا سَمِعَا ذَلِكَ أَتَيْنَا السُّلَيْمِيَّ ، فَطَرَدُوا الْإِبِلَ فَذَهَبُوا بِهَا ، وَلَمْ يَبْلُغِ الصَّرِيحُ  
الْحَيَّ حَتَّى فَاتَوْهُمْ بِالْإِبِلِ .

كَانَ جَيْشٌ لِبَيْكِرِ بْنِ وَائِلٍ قَدْ أَرَادُوا الْإِغَارَةَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْلَمَ بِهِمْ ،  
فَقَالُوا : إِنْ عَلِمَ بَنُو السُّلَيْمِيَّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ ، فَبِعَثُوا إِلَيْهِ فَارَسِينَ عَلَى جَوَادِيْنِ ،

(١) يلهزه : يلكره ويضربه .

(٢) يقال : فلان ماله آم وعام ؛ أى هلكت امرأته واماشيته . والأذواد : جمع ذود . ؛

وهم ثلاثة أبعرة إلى العشرة .

فلما هاجاه خرج يُحْضِرُ<sup>(١)</sup> كأنه ظنّ ، وطارداه سحابة يومهم . قالوا : إذا كان الليل أعياء وسقط ، أو قصر عن العدو ، فأنأخذ . فلما أصبحوا وجدوا أثره ، قد عثر بأصل شجرة فأنزاعها ، وندرت<sup>(٢)</sup> قوسه فأنحطمت فوجدوا قصدة<sup>(٣)</sup> منها قد ارتزت<sup>(٤)</sup> بالأرض ، فقالا : ما له ؟ أخزاه الله ! ما أشده ! فهما بالجوع ، ثم قالوا : لعل هذا من أول الليل ثم فتر ، فتبعاه ، فإذا أثره ، قد بال في الأرض فزعاً منهما وحدهما ، فقالا : ما له ؟ قاتله الله ! ما أشدّ منته<sup>(٥)</sup> ! والله لا تبعه أبداً ، فأصرّفا ، وتمّ إلى قومه فأنذرهم ، فكذبوه ، فأنشأ يقول :

يكذبُ بنى العَمرانِ عمروُ بنُ جُنْدُبٍ      وعمرُ بنُ سعدٍ والمكذِبُ أكذِبُ  
 شكّلتُهما إن لم أكن قد رأيتُهما      كراديسُ يهْدِيها إلى الحىِّ موكِبُ<sup>(٦)</sup>  
 كراديسَ فيها الحوْفزانِ وقومُه      فوارسُ هَمامٍ متى يدعُ يرُكَبوا<sup>(٧)</sup>  
 تفاقَدْتُم هل أنكرنَ مُنيرةً      مع الصُّبحِ يهْدِيهنَّ أشقرُ مُغربُ<sup>(٨)</sup>  
 أغار السُّلَيْك على بنى عُوارةَ ، بطنٌ من بنى مالِك بنِ صَمْعَمَةَ<sup>(٩)</sup> ، فلم يظفرَ  
 منهم بشيء ، وأرادوا مُساوَرَتَه<sup>(١٠)</sup> فقال لهم شيخ : إنّه إذا عدا لم تتعلّق به الخيل ، فدعوه

(١) يحضّر : يعدو .

(٢) ندرت قوسه : سقطت .

(٣) القصدة : القطعة .

(٤) كذا في الأصول ، وارتزت : سقطت . وفي الأغاني : « ارتزت » ، أى أثبتت .

(٥) المنّة : القوة .

(٦) الكراديس : جماعة الخيل .

(٧) في الأغاني : « يعنى الحوْفزان بن شريك الشيباني » .

(٨) تفاقدتُم : يدعو عليهم بالتفاقد . ومغيرة : أى خيلا مغيرة . يهدين : يقدمهن . والمغرب :

المرتفع الجرى .

(٩) في الأغاني : « ضبيعة » .

(١٠) المناورة : المواثبة . ، وفي الأغاني : « مساورته » ؛ وهو بمعناه .

حتى يَرِدَ الماءَ ، فإذا شَرِبَ وَثَقُلَ لم يَسْتَطِعِ المَدْوُ ، وظفرتُم به ؛ فأَمهلوه حتى وَرَدَ الماءَ وشَرِبَ ، ثم بادروه ، فلما رأى أَنَّهُ مأخوذٌ جامِلُهم ، وقصد لأدنى بيوتهم حتى وَلَجَ على أَسْرَأَةٍ منهم ، يقال لها : فُكَيْهَةٌ ، فأَسْتَجَارَ بها ، فنمته ، وجعلته تحتَ دِرْعِها ، وأَخْتَرَطَتِ<sup>(١)</sup> السَّيْفَ ، وقامت دونه فكَأَثُرُوها ، وكشفتُ خمارها ، عن شَعْرِها ، وصاحتُ بإخوتِها ، فدَفَعُوا عنه حتى تَحَامَى القَتْلَ .

فقال السُّلَيْكُ في ذلك :

لنِعمَ الجارِ أُخْتُ بِنِي عَوَارِ	لعمْرُ أَيْبِكَ والأَنْبَاءِ تَنَمِي
ولم تَرْفَعِ لوالِدِها الشَّنارَا <sup>(٢)</sup>	مِنَ الخَضِرَاتِ لم تَفْضَحِ أَخاها
فَقادَرَجَتْ عليه الرِّيحُ هارَا <sup>(٣)</sup>	كأنَّ بِجامعِ الأَرْدافِ مِنْها
وَبَتَّبِعَ المُنْعَةَ النُّوارَا <sup>(٤)</sup>	يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَدَلِ قَلْبِي
بَنصَلِ السَّيْفِ وأَسْتَلَبُوا الخِمارَا	وما عَجَزَتْ فُكَيْهَةٌ يَوْمَ قامَتْ

كان السُّلَيْكُ أَخَذَ رجلاً من بَنِي كِنانَةَ بَنِي تَيْمِ بْنِ أُسامَةَ بْنِ مالِكِ بْنِ بَكْرِ ابنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِثْمَانَ بْنِ تَغْلِبِ يُقالُ له : النُّعْمانُ بْنُ عُمَاقانِ<sup>(٥)</sup> ، ثم أَطْلَقَهُ وقال :  
 سَمِعْتُ يُجَمِّمُهُمْ فَرَضَخْتُ فِيهِمْ  
 فَإِنْ يَكْفُرُ فَإِنِّي لا أَبالِي  
 بِنُعمانِ بْنِ عُمَاقانِ بْنِ عَمْرِو  
 وَإِنْ يَشْكُرُ فَإِنِّي لَسْتُ أُدْرِى  
 ثم قَدِمَ بَعْدَ ذلكَ على بَنِي كِنانَةَ ، وهو شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَهُمُ بَما لَهم يُقالُ له :

(١) اخترطت السيف : سلته .

(٢) الشنار : أقبح العيب ، وفي الأغاني :

\* ولم ترفع لإخوتها شناراً \*

(٣) النفا من الرمل : القطعة تنقاد محدودبة . وهار : ضعف وسقط .

(٤) النوار : النفور من الريبة .

(٥) في الأغاني : « عقبان » .

قَبَابٍ<sup>(١)</sup> ، خلفِ البِشْرِ ، فَأَتَاهُ نَهْمَانُ بَابْنِيهِ : الْحَكَمُ وَعَثْمَانُ ، وَهِيَ سَيِّدَا بَنِي كِنَانَةَ ، وَنَائِلَةُ ابْنَتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا وَهَذِهِ لَكَ ، وَمَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمْ . فَقَالُوا : صَدَقَ . قَالَ : قَدْ شَكَرْتُ لَكَ ، وَقَدَّرَدْتُهُمْ عَلَيْكَ ، فَجَمَعْتُ لَهُ بَنُو كِنَانَةَ إِبْلًا عَظِيمَةً وَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرِينَا بَعْضَ مَا بَقِيَ مِنْ إِحْضَارِكَ . فَقَالَ : نَعَمْ ، ابْغُونِي أَرْبَعِينَ شَابًّا ، وَابْغُونِي دِرْعًا ثَقِيلَةً ، فَأَتَوْهُ بِذَلِكَ ، فَلَيْسَ الدَّرْعُ وَقَالَ لِلشَّبَّانِ : الْحَقُّوْا بِي إِنْ شِئْتُمْ ، ثُمَّ عَدَا ، فَلَاثَ الْعَدُوِّ لَوْثًا ، وَعَدَا وَبَجْنَبِيهِ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ إِلَّا قَلِيلًا ، ثُمَّ غَابَ وَكَرَّرَ رَاجِمًا حَتَّى عَادَ عَلَى الْقَوْمِ وَهُوَ يُحْضِرُ ، وَالدَّرْعُ فِي عُنُقِهِ تَضَطَّرِبُ كَأَنَّهَا خِرْقَةٌ مِنْ شِدَّةِ إِحْضَارِهِ .

وَكَانَ السُّلَيْكُ يُعْطَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مُوَيْلِكَ الْخَثْعَمِيَّ إِنَاوَةً مِنْ غَنَائِمِهِ ، عَلَى أَنْ يُجْبِرَهُ ، فَيَتَجَاوَزُ بِلَادَ خَثْعَمَ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَيُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ .

وَكَانَ مِنْ مَقْتَلِ السُّلَيْكِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ خَثْعَمَ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا فَحِيَّةٌ بَيْنَ أَرْضِ عَقِيلٍ وَسَعْدِ تَيْمٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَالِكُ بْنُ مُعْمِرِ بْنِ أَبِي ذِرَاعِ بْنِ جُثَمِ بْنِ عَوْفٍ ، فَأَخَذَهُ وَمَعَهُ أَمْرَأَةٌ لَهُ مِنْ خَفَاجَةَ ، يُقَالُ لَهَا : النَّوَارُ ، فَقَالَ الْخَثْعَمِيُّ : أَنَا أَفْدَى نَفْسِي مِنْكَ . فَقَالَ لَهُ السُّلَيْكُ : ذَلِكَ لَكَ عَلَى الْإِتْخِيسِ بِي<sup>(٢)</sup> ، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَثْعَمَ ، فَخَالَفَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَخَلْفَ أَمْرَأَتِهِ رَهِينَةً مَعَهُ ، فَنَاكَمَهَا السُّلَيْكُ ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ لَهُ : إِحْذَرْ خَثْعَمَ فَإِنِّي أَخَافُهُمْ عَلَيْكَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تُحَذِّرُنِي كِي أَحْذَرَ الْعَامَ خَثْعَمًا      وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي أَمْرٌ غَيْرُ مُسْلِمٍ  
وَمَا عَلِمْتُ خَثْعَمَ إِلَّا لِثَامٍ أَذْلَةٍ      إِلَى الدُّلِّ وَالْإِسْحَاقِ تَنْمِي وَتَنْمِي

(١) قَبَابٍ : مَاءٌ لَبَنِي تَقَلِبُ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ ، وَالْبِشْرِ : جَبَلٌ بِالْجَزِيرَةِ .

(٢) لَا تَخْيِسُ بِي : لَا تَقْدِرُ .

وبلغ ذلك شبيل<sup>(١)</sup> بن قِلادة ، وأنس بن مُدْرِك الخثعمي خالفاً<sup>(٢)</sup> إلى السليكي ، فلم يشعُرْ إلا وقد طَوَّقَا في الخيل ، فأنشأ يقول :

يأربُّ نهبٍ قد حويتُ عُشْكَوْلُ      ورُبُّ قِرْنٍ قد تَرَكتُ مَجْدُولُ  
ورُبُّ زَوْجٍ قد نَكَحتُ عُطْبُولُ      ورُبُّ عانٍ قد فَكَّكتُ مَكْبُولُ  
\* ورُبُّ وادٍ قد قَطعتُ مَسْبُولُ \*

فقال أنس لسبيل : إن شئتَ كَفَيْتَكَ القومَ ، وأَكْفِيَنِي الرَّجُلَ ، وإن شئتَ أَكْفِيَنِي القومَ وَأَكْفِيكَ الرَّجُلَ . فقال : بل أَكْفِيكَ القومَ ، فَشَدَّ أنسُ على السليكي فقتله ، وقتل شبيل أصحابه ومن كان معه .

وكاد الشرَّ يتفاقم بين أنس وعبد الملك بن مويك ، لأنه كان أجاره حتى ودَّاه أنس لما خاف أن يخرج الأمر من يده .

وقيل : إن أنسا قال : والله لا دية ولا كرامة ؛ ولو طلب في ديتِه عقالا ما أعطيتُه ، وقال في ذلك :

إني وقتلي سليكام أعقله      كالثورٍ يُضْرَبُ لما عافتِ البقرُ  
عجبتُ للمرء أن نيكته حليلته      وأن يُشدَّ على وجمائها التَّغْرُ<sup>(٣)</sup>  
إني لتارك هاماتٍ بمجزرةٍ      لا يزدهيني سواد الليل والقمرُ  
أغشى الحروبَ وسرباً إلى مضاعفةٍ      تغشى البنانَ وسيفي صارمٌ ذكْرُ

كان إبراهيم بن سمدان يؤدب ولد علي بن هشام ، وكان يُعني بالعود تأديبا ولعبا . قال : فوجه إلى يومنا علي بن هشام يدعونني ، فدخلتُ ؛ فإذا بين يديه

(١) في الأغاني : « شبيل » .

(٢) خالفا إلى السليكي : سارا إليه .

(٣) الوجعاء : الدبر ؛ والتغر ، بالتحريك : السير في مؤخر السرج .

أمرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالترد ، فرجعت عَجَلًا ، فصاح بي : أدخل ،  
فدخلتُ فإذا بين يديهما نبيدٌ يشرِّبانه ، فقال : خذْ عودا وغنِّ لنا ، ففعلتُ ،  
وغنيتُ في وَسَطِ غِنَائِي :

مِنَ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَبَاهَا      وَلَمْ تَرْفَعْ لِإِخْوَتِهَا سَنَارًا  
فَوُثِّبَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَغَطَّتْ رَأْسَهَا وَقَالَتْ : أُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي تَائِبَةٌ إِلَيْهِ ،  
وَلَا أَفْضَحُ أَبِي ، وَلَا أَرْفَعُ لِإِخْوَتِي سَنَارًا .

فَتَغَيَّرَ وَجْهُ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، وَلَمْ يَنْطِقْ ، وَخَرَجْتُ مِنْ حَضْرَتِهِ ، فَقَالَ لِي :  
وَيْلَكَ ! مِنْ أَيْنَ صَبَّكَ اللَّهُ عَلَيَّ ! هَذِهِ مَغْنَمِيَةٌ بَغْدَادَ ، وَلِي فِي طَلَبِهَا سَنَةٌ لَمْ أَقْدِرْ  
عَلَيْهَا إِلَّا الْيَوْمَ ؛ فَجِئْتَنِي بِهَذَا الصَّوْتِ حَتَّى هَرَبْتُ .

فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَخِي مَا أَعْتَمَدْتُ مَسَاءَتَكَ ؛ وَلَسَكِنَّهُ شَيْءٌ حَضَرَ عَلِيَّ غَيْرِ  
تَعَمُّدٍ مِنِّي لِذَلِكَ .



## السَّمَهْرِيُّ\*

هو السَّمَهْرِيُّ بنُ بَشْرِ بنِ أَوْسٍ<sup>(١)</sup> بنِ مالِكِ بنِ الحارثِ بنِ أَوْسٍ<sup>(٢)</sup> المُكَلِّيِّ، وكنيته أبو الدَّيْلَمِ<sup>(٣)</sup>، لقيَ هو وبَهْدَلُ ومَرْوانُ أبنا قِرْفَةَ الطائِيانِ - وقِرْفَةُ أمهُما، وأبوها جَيَّانُ الطائِي - لَقُوا عَوْنَ بنَ جَعْدَةَ بنِ هُبَيْرَةَ بنِ أَبِي وَهَبِ ابنِ عَمْرٍو بنِ عائِدِ بنِ عِمْرانِ بنِ مَخْزومِ بنِ يَظْظَةَ بنِ مُرَّةِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ، (ومع عَوْنِ بنِ جَعْدَةَ خالُه أحدُ بنِي حارِثَةَ بنِ لامِ بنِ طِيبِءِ بالثعلبية<sup>(٤)</sup> وهو يريد الحجَّ من الكوفةِ في خلافةِ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانِ، أو هو يريد المدينة، فقالوا له: العِراضَةُ<sup>(٥)</sup>)، أي مُرُّ لنا بشيء. فقال: يا غلام، جَفْنٌ<sup>(٥)</sup> لهم. فقالوا: لا والله ما الطعامُ نُريدُ، فقال: عَرَضْهُمْ. فقالوا: ولا ذلك نُريدُ.

فأرتابَ بهم، وعَلِمَ أَنَّهُم لُصُوصٌ، فأخَذَ السَّيْفَ فَشَدَّ عَلَيْهِمُ وهو صائِمٌ، وكانَ بَهْدَلُ لا يَسْقُطُ سَهْمُهُ، فرمى عَوْنًا فَأَقْصَدَهُ، فلمَّا قتلوه لم يَرَوْا ما كانوا يظنون، فلمَّا رَأَوْا ذلكَ نَدِمُوا، فهِرَبُوا ولم يأخذوا إبلَه فتفرقت. فنجى خالُه الطائِيُّ إِمَّا عَرَفُوهُ فَكَفَّوْا عَنْ قَتْلِهِ وإمَّا هَرَبَ ولم يَعْرِفْهُ القَتْلَةَ، فوجدَ بعضَ الإبلِ في يدِ شافعِ بنِ وائِرِ الأَسَدِيِّ.

\* ترجمته في الأغاني ٢١ : ٥١ - ٥٩ .

(١) كذا في الأصول، وفي الأغاني: « ابن قيس » .

(٢) في الأغاني: « أبو الديلم » .

(٣-٣) كذا وردت العبارة في الأغاني؛ وهي في الأصول غير واضحة .

(٤) العراضة، بضم العين: ما يعرضه المائر؛ أي يطعم من الميرة .

(٥) جفن لهم، أي أطعمهم اللحم في الجفان .

وبلغ عبد الملك بن مروان الخبر ، فكتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي وهو عامله على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل بالمدينة ، وإلى عامله باليمامة ، أن يبالغوا في طلب قتلة عوَن ، وأن يجملوا لمن دلَّ عليهم جمالة<sup>(١)</sup> .

وأقام السَّمهريُّ ببلاد غطفان ما شاء الله عزَّ وجلَّ ، ثم مرَّ بنخلٍ فقالت عجوز من بني فزارة : أظنُّ والله هذا العُكلى الذي قتل عوَنًا ! فوثبوا إليه فأخذوه . ومرَّ أيوب بن سلمة المخزوميُّ بهم ، فقالت له فزارة : هذا العُكلى الذي قتل عوَنًا ابن عمِّك ، فأخذَه منهم .

فأتى به هشام بن إسماعيل المخزوميُّ ، عامل عبد الملك على المدينة ، فجدد ولم يُقرِّ ، فحبسه ، وأحسوا على بهدل بالطلب ، وضيَّقوا على السَّمهريِّ في السِّجن والقيود بالمدينة ، فأيقن السَّمهريُّ أنه غيرُ ناجٍ ، فجعل يلتمس الخروج من السِّجن . فلما كان يومَ جُمعة والإمام يخطب ، وقد سُغِلَ الناسُ بالصلاة ، كسر<sup>(٢)</sup> إحدى حلقتي القيد ، ثم رمى بنفسه من فوق السِّجن ، والناس في صلاتهم ، فقصد الحرة ، فولج غاراً في الحرة ، وأنصرف الإمام من الصلاة ، فجمع عامة أهل المدينة ، وقال لهم : اتبعوه ، فقالوا : كيف نتبعه وحدنا ؟ فقال لهم : أنتم ألفاً رجُل ، فكيف تكونون وحدكم ؟ فقالوا : أرسل معنا الأبلين<sup>(٣)</sup> وهم حرسُ وأعوانُ من الأبلَّة .

ولما أمسى السَّمهريُّ كسر الحلقة الأخرى ، وأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ؛ فبينما هو يعيش إذ نعب<sup>(٤)</sup> غرابٌ عن شماله ، فنظر فإذا هو بالغراب على شجرة

(١) الجمالة هنا : الأجر الذي يأخذه الإنسان على فعل الشيء .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « فك » .

(٣) الأبلون ، نسبة إلى الأبلَّة ؛ موضع بالبصرة ؛ وكان من متزهات الدنيا الأربعة .

(٤) نعب الغراب : صوت .

بان<sup>(١)</sup> يُنَشْنَشُ<sup>(٢)</sup> ريشه ويُلقيهِ ، فأعتاف<sup>(٣)</sup> شيئاً في نفسه ومضى وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لقيَ راعياً في وجهه ذلك ، فسأله مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : رجلٌ من لَهَبٍ ، اتَّبَعَ أَهْلِي<sup>(٤)</sup> ، فَقَصَّ عَلَيْهِ حَالَهُ ، وَخَبَرَ الْغُرَابَ وَالشَّجْرَةَ .  
فقال اللّهُبِيُّ : هذا الَّذِي فَعَلَ مَا فَعَلَ ، ورأى الغرابَ على البانَةِ يَطْرَحُ ريشه سَيُصْلَبُ .

فقال السَّمْهَرِيُّ : بِفِيكَ الْحَجَرُ ! فقال اللّهُبِيُّ : بِفِيكَ أَنْتَ الْحَجَرُ ! اسْتَخْبِرْنِي فَأخْبِرْتُنِي ، ثُمَّ تَغَضِبُ ! فمضى حتى أتى أرضَ بَنِي عُذْرَةَ بنِ سَعْدٍ يَسْتَجِيرُ مِنْ قَوْمِ إِلَى قَوْمٍ مَتَنَكِّراً ، وَيَسْتَحْلِبُ الرُّعْيَانَ اللَّبَنَ ، فَيَحْلِيُونَ لَهُ .  
ولقيَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَحْدَبُ بنِ بَعِيضِ السَّعْدِيِّ ، أَحَدُ بَنِي مَخْزُومِ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَكَانَ أَشَدَّ مِنْهُ وَأَلْسَنَ ، فَجَنَى جَنَابَةً ، فَطَلِبُ ، فَتَرَكَ بِلَادَ بَنِي تَمِيمٍ ، وَلَحِقَ بِلَادَ بَنِي قُضَاعَةَ ، وَهُوَ عَلَى نَجِيبٍ<sup>(٥)</sup> لَا تُسَايِرُ .

فبينما السَّمْهَرِيُّ يَمْشِي رَاعِيًا لِبَنِي عُذْرَةَ وَيُحَدِّثُهُ عَنْ خِيَارِ إِبِلِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَسْتَدْلُهُ<sup>(٦)</sup> عَنْ أَنْجَاهُنَّ لَيْرُ كَبِيهَا ، فَيَهْرُبُ بِهَا لَيْلًا وَيُرَافِقُ الْأَحْدَبَ<sup>(٧)</sup> ؛ فَأُشَارَ إِلَى نَاقَةٍ .  
فقال السَّمْهَرِيُّ : هَذِهِ خَيْرٌ مِنَ الَّتِي تَفْضَلُهَا ، هَذِهِ لَا تُجَارِي ، فَتَحَيَّنَ النَّقْلَةَ حَتَّى غَفَلَ ، فَوَثَبَ عَلَيْهَا وَصَاحَ بِهَا ، فَخَرَجَتْ تُطِيرُ بِهِ ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ .

(١) البان : شجر لحب ثمره دهن طيب .

(٢) نشنش الطائر ريشه بمنقاره : أهوى له إهواء خفيفاً فنتف منه وطيره .

(٣) اعتاف : تكهن وتظير .

(٤) اتجع أهلي : ذهبوا في طلب الكلاء .

(٥) كذا في ب ، ج ، وفي ا : « نجبية لاتسائر » .

(٦) في الأغاني : « يسأله » .

(٧) في الأغاني : « لثلا يفارق الأحذب » .

فلما أصبحوا فقدوا الأحدب ، فطلبوه في الأثر ، وخرجا حتى استقبلتهما  
سمة ، وهي أوسع من الطريق ، فظننا أن الطريق فيها ، فسارا ملياً ، فلما عرفا  
أنهما حائدان ، وأتقت الجبال أمامهما ، ووجد الطلب أثر بعيريهما ، ورأوه قد  
سلك النقب في غير الطريق . عرفوا أنهما يرجمان ، فقدم لهما الطلب بقم النقب .

ثم كرراً راجعين ، وجاءت الناقة على رأسها مثل السكوك من لغامها<sup>(١)</sup> ،  
وأبصرا القوم ، فهم أن يعمر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها ؟ فنزل  
ونزل الأحدب . فقالت لهما القوم حتى كادوا يفشون السمهرى ، فهتف بالأحدب  
فطرد عنه القوم حتى توَقَّلا<sup>(٢)</sup> في الجبل . وقال الأحدب في ذلك :

ولما دعاني السمهرى أُجبتُهُ بأبيض من ماء الحديدِ صقيلِ  
وما كنتُ ما اشتدَّت على السيفِ قبضتى

لأسلمٍ من حُبِّ الحياةِ زميلِ

ورجع إلى صحراء مندج - وهي إلى جنب أضاح ، وإحلة قريب منها ، وفيها  
منازل عُكَل - فكان يتردد ولا يقرب إحلة ، وقد كان أكثر الجمل فيه .

فمرّ بابن حبيب من بني أسد ، ثم من بني قعس ، فقال . أجيلاً متنكراً ،  
كحلبا له فسرِب ، ومضى ولا يعرفانه ، ثم لبث السمهرى ساعة وكرّ راجما ،  
فحدث إلى أخت ابني فائد ، فوجداه منبطحا على وجهه يحدّثها ، فنظر أحدهما  
إلى ساقه ومكدحة ، وإذا كدوح<sup>(٣)</sup> طريّة ، فأخبر أخاه بذلك ، فنظر فرأى  
ما أخبره به أخوه .

(١) اللغام : الزبد الذى يخرج من فم الجمل أو الناقة .

(٢) توَقَّلا في الجبل ؛ إذا علاه .

(٣) الكدوح : جمع كدح ؛ وهو الحدش .

فقال أحدهما : هذا والله السّمهرى ، وقد جعل فيه ما جعل ، فوثباً عليه ، فعمد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجله ، فوثب السّمهرى فألقى الذى على ظهره تحت إبطه ، وعاجل الآخر فجعل رأسه أيضا تحت إبطه ، وجعل الرجلان يمالجانه ؛ فنادياً أختهما أن تعينهما ، فقالت : ولى الشُّرك فى جُمليكما ، قالا : نعم ، فجاءت بجرير<sup>(١)</sup> فجعلته فى حلقة بأنشوطة<sup>(٢)</sup> ، ثم جذبته حتى ذبحته وهو مشغول بالرجلين ينعمنهما فلما استحكمت العقدة خلى عنهما ، وشدّ أحدهما وجاء بجبل ، فألقاه فى رجله وهو يُداور الآخر ، والأخرى تخنقه ، فخرّ لوجهه ، فربطاه وأطلقاه به إلى عمرو بن حيان الرىّ أمير المدينة ، وأخذ ما جعل لأخذه . فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخى عمّون . فقال له السّمهرى : أتقتلنى وأنت لا تدرى أقاتل عمّك أنا أم لا ؟ اذن أخبرك ، فأراد الدنو منه ، فنودى : إياك والكلب ، وإنما أراد أن يقطع أنفه فقتله .

ومما قال السّمهرى فى المجلس :

الآحى ليلٍ إذ ألمّ لمامها	وكان مع القوم الأعدى كلامها
تعلل بليلى إنما أنت هامة	من الغد يدنو كل يوم حامها
وبادر بليلى أوجه الركب إنهم	متى رجعوا يحرم عليك لمامها <sup>(٣)</sup>
وكيف ترجيها وقد حيل دونها	وأقدم أقوام مخوف قسامها !
لأجتنينها أو ليبتدرونى	بييض عليها الأثر فعم كلامها <sup>(٤)</sup>

(١) الجرير : الجبل .

(٢) الأنشوطة : العقدة .

(٣) الأغانى : « كلامها » .

(٤) فعم : طيب ، وأثر السيف : جوهره وروثه .

لقد طرقت لَيْلَى وَرَجُلَى رَهِينَةً  
 فلما ارتفعتُ لِلخِيَالِ الَّذِي سَرَى (١)  
 فإن لا تكن لَيْلَى طَوْتُكَ فَإِنَّهُ  
 أَلَيْتَنَا نَحْيًا جَمِيعًا بِغَيْطَةٍ  
 فإذا مات مَوْتَاهَا تَزَاوَرُ هَامُهَا  
 فإراعى فى السَّجْنِ إِلَّا سَلَامُهَا  
 شَيْبُهُ بَلِيغَى حُسْنُهَا وَقَوَامُهَا  
 وَتَبَلَى عِظَامَى حِينَ تَبَلَى عِظَامُهَا !

وأما بهدَل ومروان ، فإن طَيْئًا أَخَذَتْ بِهِمَا أَشَدَّ أَخْذٍ ، فَقَالُوا : إِنْ حُسِنَا  
 لَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِمَا وَنَحْنُ مَحْبُوسُونَ ؛ وَلَكِنْ خَلَّوْا عَنَّا حَتَّى نَأْتِيَكُم بِهِمَا ، وَكَانَا  
 قَدْ تَأَبَّدَا (٢) مَعَ الْوُحُوشِ يَرْمِيَانِ الصَّيْدَ ، فَهُوَ رِزْقُهُمَا ؛ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى مَرْوَانَ  
 هَبَطَ إِلَى رَاعٍ ، فَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ وَسَقَاهُ ، وَبَسَطَ إِلَيْهِ حَتَّى عَرَفَهُ ، وَلَمْ يُخْبِرْهُ  
 أَنَّهُ عَرَفَهُ ، وَجَعَلَ يَأْتِيهِ بَيْنَ الْأَيَّامِ فَلَا يُنْكِرُهُ .

فَانْطَلَقَ الرَّاعَى فَحَدَّثَ بِأَخْتِلافِهِ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ الطَّلَبَ مَعَهُ ، فَكَمِنُوا حَتَّى إِذَا جَاءَ  
 مَرْوَانَ إِلَيْهِ سَقَاهُ وَحَدَّثَهُ ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى أَطَافُوا بِهِ وَأَخَذُوهُ ، وَأَتَوْا بِهِ عُمَانَ  
 ابْنَ حَيَّانَ الْمُرْسِيِّ ، فَأَعْطَى الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ جُعْلَهُ ، وَقَتَلَهُ .

وأما بهدَل ، فَإِنَّهُ كَانَ يَأْوِي إِلَى هَضْبَةِ بَسْلَمَى ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سَيِّدٌ مِنْ سُلَمَى ،  
 فَقَالَ : قَدْ أُخِيفَتْ طَيْبَى وَشَرِدَتْ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْفَاسِقِ الْهَارِبِ ، فَجَاءَ حَتَّى حَلَّ  
 بِأَهْلِهِ أَسْفَلَ تِلْكَ الْهَضْبَةِ ، وَمَعَهُ أَهْلَاتٌ (٣) مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّكُمْ بَعِيْنِي  
 الْخَلْبِيْثَ ، فَإِذَا كَانَ النَّهَارَ فَلْيَخْرُجْ إِلَى الرَّجَالِ مِنَ الْبَيْوتِ ، وَلْيَعْمَلُوا النِّسَاءَ ،

(١) فى الأغانى : « انتهت » .

(٢) التأبد : التوحش .

(٣) فى الأصول : « أهلاب » ؛ والصواب ما أثبتته من الأغانى ، وأهلات ؛ جمع أهل ؛

وأهل الرجل : عشيرته وقرباه .

فإذا رأى ذلك نزل فطلب الحاجة ، فكانوا يُخَلِّون الرجال نهاراً ، وإذا أظلموا  
أتوا إلى رحلهم أيّاماً .

فظنَّ بهَدَلُ أنهم فعلوا ذلك لشُغْلِ نَابِهِمْ ، فأُنحدر إلى قُبَّةِ السَّيِّدِ وقد أمر  
النساء : إذا نُحدر إليكم رجلٌ فإنه ابنُ عمِّكم ، فأطعمتهُ ، وأدهنَّ رأسه .  
وفي قُبَّةِ السَّيِّدِ ابنتان له ، فسألها : من أنتما ؟ فأخبرتاها وأطعمتاها وسقَّتاها ،  
ثم أنصرفت . فلما راح أبوهما أخبرتاها ، فقال : أحسنتما إلى ابنِ عمِّكما ، فجعل  
يُنحدر إليهما حتى أطمان ، وغسلتا رأسه ودهنتاه .

فقال الشيخ لأبنتيه : اقلبا ولا تذهناه إذا أنا كما هذه المرّة وأعقدا حُصَل  
لعتّه إذا نَعَسَ رُوَيْدًا بِحَمَلِ القُطَيْفَةِ ، ثم إذا شَدَدْتُمَا ذلك عليه فأقلبا القُطَيْفَةَ  
على وجهه ، وخذا أنتما بشعره من ورائه ، فمدّأ به إليكما . ففعلتا ، وشدّوا عليه  
فربطوه له ، فدفعه إلى عثمان بنِ حِيان فقتله ؛ فقالت بنتُ بهَدَلِ تريه بشعره منه :  
فيا ضَيْمَةَ الفَتَيَانِ إذ يَمْتَلُونَهُ      بَبْطُنِ الشَّرَى مِثْلَ الفَنَيْقِ المُسَدِّمِ (١)  
دَعَا دَعْوَةً لَمَّا أَتَى أرضَ مالِكِ      ومن لا يُجِبُّ عندَ الحَفِيظَةِ يُسَلِّمُ  
سَنَقَلُ جَبْرًا فِي فَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُ      وَفَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَمَأْتُلُ بِالدَّمِ  
أى لا يكون الدّمُ مِثْلَ الدّمِ فِي السَّكْرَةِ والقِلَّةِ .

وجبر هذا هو الذي أخذ بهدلا وحمله إلى السلطان حتى قتل ، وهو جبر بن  
عبيد ، من بني مالك بن نبهان .

---

(١) الفنيق : الفعل الكريم لا يؤذى لكرامته على أهله . والمسدم : الهاج ، والعتل : أن  
تأخذ بتلييب الرجل فقتله ؛ أى تجره إليك وتذهب به إلى حبس أو بلية ، وفي الأصول : « تقتلونه »  
وما أنبته من الأغاني .

## سُحَيْمُ عَبْدِ بَنِي الْحُسْحَاسِ \*

هو عبدُ أسودَ ، نُوْبِيُّ أَعْجَمِيٌّ مطبوعٌ في الشعر ، اشتراهُ بنو الحُسْحَاسِ ابنُ نَفَاثَةَ بنِ سَعْدٍ (١) بنِ عَمْرٍو بنِ مَالِكِ بنِ نَعْلَبَةَ بنِ دُودَانَ بنِ أَسَدِ بنِ حُرَيْمَةَ .  
وَبَنُو الْحُسْحَاسِ بَطْنٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ .

وكان إذا أنشد الشعرَ فأستحسنه يقول : أهسنت والله ، يريد أحسنت .

وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنه تمثل بكلماتٍ من شعره غير موزونة ، فقال : « كفى بالإسلام والشيبِ ناهياً » . فقال أبو بكر رضي الله عنه :  
« يا رسول الله ، إنما قال الشاعر :

\* كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلَامَ لِلرَّءِ نَاهِيًا (٢) \*

فجعل لا يُطِيقُهُ ، فقال أبو بكر : أشهدُ أنك لرسولُ الله ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ ،  
وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ .

وقيل إن اسمه حية . وكان حُلُو الشعر ، رقيقَ الحواشي ، وفي سواده يقول :  
وما ضَرَّ أبابى سَوادى وإننى  
لكالمِسْكِ لا يصحوعن المِسْكِ ذائِقُهُ (٣)  
لبستُ قَمِيصاً ذا سَوادٍ وتَحْتَهُ  
قَمِيصٌ مِنَ القُوهِىِّ بِيضٌ بِنائِقُهُ  
وُروى « قَمِيصٌ مِنَ الإِحْسَانِ » .

\* ترجمته في الأغاني ٢٠ : ٢ - ٩ (سأسى) .

(١) في الأغاني : « سعيد » .

(٢) ديوانه ١٦ ، وصدرة :

\* عميرة ودّع إن تجهزت غاديا \*

(٣) ديوانه ٦٩ ؛ وفيه : « لا يسلو عن المسك » ؛ وهى أيضاً رواية الأغاني .



ومما يُستحسن من شعره :  
أشعارُ عبدِ بنى الحسحاسِ قُمنَ لهُ  
عند الفخارِ مقامِ الأصلِ والورقِ (١)  
إن كنتُ عبداً فنفسى حرّةٌ كرمًا  
أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلقِ  
وأشَدُّ سُحيمُ عمرَ بنِ الخطّابِ رضَى اللهُ عنه :

عُميرةٌ ودّع إن تجهّزتَ غادياً  
كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً (٢)  
فقال له عمر رضَى اللهُ عنه : لو قلتَ شعركَ كلّه مثلَ هذا لأعطيتُك  
[عليه] (٣) .

وقيل : إنه قال له : لو قدّمتَ الإسلامَ على الشيبِ لأجزتُك .

كان عُبيدُ اللهِ بنُ أبي ربيعةَ عاملاً لعُمانَ بنِ عُفانَ على الجندِ ، فكتبَ إلى عُمانَ :  
إني قد أشرتِ غلاماً حبشياً يقول الشعرَ ؛ فكتبَ إليه عُمانَ : لا حاجةَ بنا إليه  
فأردّدهُ ؛ فإتما حظُّ أهلِ العبدِ الشاعرِ منه أنه إن شِيعَ شَبَّبَ بنسائهم ، وإن جاعَ  
بجَاههم ، فاشترَاهُ أحدُ بنى الحسحاسِ ، فلما رَحَلَ به قال في طريقه :

أشوقاً ولما يمضُ لي غيرُ ليلَةٍ  
فكيفَ إذا سارَ المطيُّ بنا شهراً (٤)  
وما كنتُ أخشى ما لي كأن يبيعي (٥)  
بشيءٍ ولو أمستُ أنا مِلهُ صيفراً  
أخوكُم ووالي أمرِكُم وحليفكُم  
ومن قد توى فيكُم وعاشرَكم دَهراً  
فلما بلغ شعرُه أهله استردّوه ورقّوا له ، فكان يشبّبُ بنسائهم .

(١) ديوانه ٥٥ .

(٢) ديوانه ١٦ - ٣٣ .

(٣) من الأغاني .

(٤) كذا في الأصول والأغاني ؛ ورواية الديوان ٥٩٦ : « عشرا » .

(٥) رواية الديوان :

\* وما خِفْتُ سَلاماً على أن يبيعي \*

وقيل: إنهم لما أسترذوه رُئِي واضعاً إحدى رِجْليهِ على الأخرى يُشَبِّبُ بأختِ مَوْلَاهُ - وكانت عليلَةً - يقول:

ما ذا يُريدُ السَّقَامُ من قَمَرٍ كلُّ جَمَالٍ لوجهِهِ تَبَعُ (١)  
 ما يرَ تَجِي - خَابُ (٢) - من مَحاسِنِهَا أَمَا لَهُ في القِبَاحِ مُتَسَعُ!  
 غَيْرَ مِن لَوْنِهَا وصَفَرِهَا فأرْتَدَ فِيهِ الجَمالُ والبِدَعُ  
 لو كان يَبغِي الفِدَاءَ قُلْتُ لَهُ ها أنا دُونَ الحَبِيبِ يا وَجَعُ

وكان سَحِيمٌ قد جالسَ نساءً من بني صُبَيْرِ بنِ يَرْبُوعَ ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتفزُّل أن يَتَماعَبُوا بشقِّ الثياب ، وشدة المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سَحِيمُ :

كأنَّ الصُّبَيْرِيَّاتِ يومَ لَقِينَا طِبَاءُ جَنَّتْ أعناقها لِلْمَكَانِسِ (٣)  
 فكم قد شققنا من رداء مُزَقِّرٍ ورمِ بُرُقُوعٍ عن ناظرٍ غيرِ ناعِسِ -  
 إذاشقُّ بُرْدٌ نيطُ بالبُرْدِ بُرُقُوعٌ على ذاكِ حتَّى كَلَمنا غيرَ لابسِ

فلَمَّا قال هذا الشعر ، اتَّهمه مولاهُ [ بابنته ] (٤) فجلسَ له في مكانٍ إذا رَعِيَ نام (٥) فيه ، فلَمَّا أضطجع تنفَسَ الصُّعداءُ ، وقال :

يا ذِكرَةً ما لَكَ في الحاضِرِ تَدَكُّرُها وأنتِ في الصَّادِرِ  
 من كلِّ حَسَناءَ لها كَمَثَبُ مِثْلِ سَنامِ البَكْرَةِ المائِرِ (٦)

(١) ديوانه : ٥٤ .

(٢) في الديوان : « جار » .

(٣) ديوانه ١٥ ، ١٦ .

(٤) من الديوان ٣٤ .

(٥) الديوان : « قال فيه » ، من القيلولة .

(٦) المائِرُ : المضطرب .

فَظَهَرَ سَيْدُهُ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ كَامِنٌ ، وَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ ؟ فَلَجَلَجَجَ فِي مَنْطِقِهِ ، فَأَسْتَرَابَ بِهِ ، فَأَجْمَعَ عَلَى قَتْلِهِ .

فَلَمَّا وَرَدَ الْمَاءَ ، خَرَجَتْ إِلَيْهِ صَاحِبَتُهُ فَحَادِثَتْهُ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا يُرَادُ بِهِ ، فَقَامَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَعْفَى أَثَرَهُ ، وَيَلْقُطُ رِضًا مِنْ مَسْكِيهَا (١) كَانَ كَسْرَهُ فِي لَعِبِهِ مَعَهَا ، وَقَالَ :

أُنُكْتَمُ حَيْثِيْتُمْ عَلَى النَّأْيِ تُكْتَمَا

وَمَا نُكْتَمِينَ أَنْ أُنْتِ دَنِيَّةٌ

وَمِثْلُكَ قَدْ أْبْرَزْتُ مِنْ خَدْرِ أُمَّهَا

وَمَا شِيَةِ مَشَى الْقَطَاةِ اتَّبَعْتُهَا

فَقَالَتْ : صِهْ ، يَا وَيْحَ غَيْرِكَ إِنِّي

فَنَفَضْتُ ثَوْبِيهَا وَنَظَرْتُ حَوْلَهَا

أَعْفَى بَأَثَارِ الثِّيَابِ مَبِيْتَهَا

ثُمَّ غَدَاوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ أُمْرَأَةٌ

كَانَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ثُمَّ فَسَدَتْ ،

ضَحِكْتُ سَمَاتَةً بِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ :

إِنْ تَضْحَكِي مَنَى فَيَارُبُّ لَيْلَةً

فَلَمَّا قَدَّمَ لِيُقْتَلَ قَالَ :

شُدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يُفْلِتِكُمْ

إِنْ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَاتِ قَرِيبٌ (٥)

تَحِيَّةَ مَنْ أَمَسَى بِجَبِّكَ مُغْرَمًا (٢)

وَلَا إِنْ رَكِبْنَا يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مَحْرَمًا

إِلَى مَجْلِسِ تَجْرُئٍ مُرْدَأٍ مُسَهَمًا

مِنَ السُّتْرِ يَخْشَى أَهْلَهَا أَنْ تَكَلَّمَ

سَمِعْتُ حَدِيثًا بَيْنَهُمْ يَقَطُرُ الدَّمَ

وَلَمْ أَخْشَ هَذَا اللَّيْلَ أَنْ يَقْصُرَمَا (٣)

(١) المسك : السوار :

(٢) ديوانه ٣٤ - ٣٦ .

(٣) الوقوف : جمع وقف ؛ وهو سوار من ذبل أو عاج أو قرون .

(٤) ديوانه ٥٩ .

(٥) ديوانه ٦٠ .

ولقد تحدّر من جبين فتاتكم عرق على جنب الفراش وطيب<sup>(١)</sup>  
وقدم فقتل . وقيل : إنه حفر له أخذود فألقى فيه وأحرق ، وقصيدة  
سحيم :

عُمَيْرَةٌ وَدَعَّ إِنْ تَجَهَّزَتْ غَادِيَا  
فَمَا بَيْضَةٌ بَاتَ الظَّلِيمُ يَحْفُهَا  
بأحسنَ منها يومَ قالت : أظاعنُ  
وَهَبْتَ شَمَالَ آخِرِ اللَّيْلِ قَرَّةً<sup>(٣)</sup>  
وما زالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا  
تُوسِّدُنِي كَفَاءً وَتَتْنِي بِمِصْمِ  
تَجْمَعَنَّ مِنْ شَتَى ، ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا  
وَأَقْبَلَنَّ مِنْ أَقْصَى الخِيَامِ يَمُدُّ نِي  
يَمُدَّنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ دَاءَهُ

لَمَّا أَنشَدَ سَحِيمٌ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :  
تُوسِّدُنِي كَفَاءً وَتَتْنِي بِمِصْمِ  
قال له عمر : وَيْلَكَ ! إِنَّكَ لَمَقْتُولٌ .

(١) الديوان : « على ظهر الفراش » .

(٢) ديوانه ١٦ - ٣٣

(٣) قرة : باردة .

(٤) أنهج البرد : رث وبلى .

(٥) الديوان : « وتحوى » .

(٦) الديوان : « تجمعن من شتى ثلاث وأربع » .

(٧) الديوان : « نواهد لم يقصدن » .

(٨) الديوان : « بعض العوائد دائيا » .

## سَجَاحُ التَّمِيمِيَّةِ\*

أَدْعَتِ النُّبُوَّةَ بَعْدَ وِفَاةِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا بَنُو تَمِيمٍ لِنُصْرَتِهَا ، وَكَانَ فِيهَا أَدْعَى أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهَا : « يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ ، لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ وَلَقْرِيشٍ نِصْفُهَا ، وَلَكِنْ قَرِيشًا قَوْمٌ يَبْغُونَ » .

وَكَانَ مِمَّنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهَا الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَحَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ ، وَوَجْهُ بَنِي تَمِيمٍ . وَكَانَ مُؤَدِّئَهَا شَيْبُ بْنُ رَبِيعِ الرَّيَّاحِيِّ ، فَعَمَدَتْ فِي جَيْشِهَا إِلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ وَهُوَ بِالْيَمَامَةِ ، فَقَالَتْ : « يَا مَعْشَرَ تَمِيمٍ ، اقْصِدُوا الْيَمَامَةَ ، فَأُضْرَبُوا فِيهَا كُلُّ هَامَةٍ ، وَأُضْرَبُوا فِيهَا نَارًا مَلْهَامَةً<sup>(١)</sup> ؛ حَتَّى تَتْرَكَوْهَا سَوْدَاءَ كَالْحَامَةِ » .

وَقَالَتْ لِبَنِي تَمِيمٍ : إِنْ اللَّهُ لَمْ يَجْعَلْ هَذَا الْأَمْرَ فِي رَبِيعَةٍ وَإِنَّمَا جَعَلَهُ فِي مُضَرَ ، فَاقْصِدُوا هَذَا الْجَمْعَ ، فَإِذَا فَضَضْتُمُوهُ كَرَّرْتُمْ عَلَى قَرِيشٍ . فَسَارَتْ فِي قَوْمِهَا ، وَبَلَغَ مَسِيلَمَةَ خَرُوجُهَا ، فَضَاقَ بِهِ ذَرْعًا وَتَحَصَّنَ فِي حِجْرٍ ( حِصْنِ الْيَمَامَةِ ) وَكَانَ فِي حَوْثِهَا<sup>(٢)</sup> ، فَأَحَاطَتْ بِهِ وَأَرْسَلَتْ بِهِ إِلَى وُجُوهِ قَوْمِهِ وَقَالَ : مَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : نَرَى أَنَّ تُسَلِّمُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَيْهَا .

وَكَانَ مَسِيلَمَةُ دَاهِيَةً ، فَقَالَ : أَنْظِرُونِي فِي هَذَا ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهَا : إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ وَحْيًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ ، فَهَلُمِّي نَجْتَمِعْ فَتَتَدَارَسُ مَا نَزَلَ عَلَيْنَا ، فَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ يَتَّبِعِهِ ، وَاجْتَمَعْنَا ، فَأَكَلْنَا الْعَرَبَ أَكْلًا يَقْوَمِي وَقَوْمِي . فَبِعِثْتُ إِلَيْهِ ، أَفْعَلْ ؛ فَأَمَرَ بِقَبَّةِ أَدَمٍ فَضُرِبَتْ ، وَأَمَرَ بِالْعُودِ فَيُخَّرُ فِيهَا ،

\* الْأَغْنَى ١٨ : ١٦٥ - ١٦٧ ( سَائِي ) .

(١) مَلْهَامَةٌ ، أَيْ مِنَ الْهَامَةِ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَغْنَى : « وَجَاءَتْ فِي جَيْشِهَا » .

وقال : أ كَثُرُوا مِنَ الطَّيِّبِ ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا شَمَّتِ الطَّيِّبَ ذَكَرَتْ الْبَاهُ ، ففعلوا ذلك وجاء هارسله يخبئها ، فقالت : هاتِ ما أنزلِ عليك ، قال : « ألم تر كيف ما فعل ربك بالحبلى ؛ أخرج منها نسمة تسمى ، من بين صفاقٍ وحشاً ، من بين ذكراً وأنثى ، أمواتٍ وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المنتهى » .

قالت : وماذا قال ؟ قال : « ألم تر أن الله خلقنا أفواجاً ، وجعل النساء لنا أزواجاً ، فنولج فيهن مسماً<sup>(١)</sup> إيلاجاً ، ونخرجها منهن إذا شئنا إخراجاً » .

فقالت : فبأى شيء أمرك ؟ فقال :

ألا قومي إلى النيك	فقد هبني لك المضجع
وإن شئت في البيت	وإن شئت في الخدع
وإن شئت سلقناك	وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلاثيه	وإن شئت به أجمع

فقالت : بل به أجمع .

قال : كذلك أوحى إلي ، فواقمها ، فلما قام عنها ، قالت : إن أمري لا يجري هكذا فتكون وصمة على قومي وعلى ؛ ولكني مسلمة لك النبوة ، فأخطبني إلى أوليائي يزوجوك ، ثم أفود تميماً معك . فخرج وخرجت ، فأجتمع الحيان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنه قرأ علي ما نزل عليه ، فوجدته حقاً ، فاتبعته ، ثم خطبها فزوجوه إياها ، وسألوه عن المهر ، فقال : قد وضعتُ عنكم صلاة العصر . قال : فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يُصلونها ، ويقولون : هذا حق لنا ، ومهر كرميتنا لا نردّه ، ثم أسلمت سجاح بعد هذا كله ، بعد قتل مسيلة وحسن إسلامها .

(١) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « الغراميل » .

## سليمان بن وهب\*

قد تقدّم نسبه وأتاهوه إلى الحارث بن كعب ، في حرف الحاء في ترجمة أخيه  
الحسن بن وهب .

كان المهدي قد أستوزر جعفر بن محمد ، فبلغه عنه تشيخ فكرهه ، وقال :  
هذا رافضي لا حاجة لي به ، فاستوزر جعفر بن عمار ، فاستمر حتى مضت سنة  
من خلافة المهدي .

ثم قدم موسى بن بُغا من الجبل ، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ،  
وأستوزر المهدي سليمان ، ولقب الوزير حقاً ، لأن من كان قبله [ كان ]<sup>(١)</sup>  
غير مستحق للوزارة ، ولا مستقل بها .

قال أحمد بن الخصب : لمهدي يزيد بن محمد المهدي عند سليمان بن وهب  
بعد ما أستوزره المهدي ، وقد أجسه إلى جانبه وهو يُنشد :

وهبتم لنا يا آل وهب مودة	فأبقت لنا جاهاً ومالاً يؤئل <sup>(٢)</sup>
فن كان للآثام والذل أرضه	فأرضكم للأجر والعز منزل
رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم	فقد سألوكم فوق ما كان يسأل
يقصر عن مسعاتكم كل آخر	وما فاتكم ممن تقدم أول
بلغت الذي قد كنت أمئته لكم	وإن كنت لم أبلغ بكم ما أوئل

\* ترجمته في الأغاني ٢٠ : ٦٧ - ٧٣ ( ساسي ) .

(١) من الأغاني .

(٢) الأغاني . « وجدا يؤئل » .

فَقَطَعَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ الْإِنْشَادَ ، وَقَالَ لَهُ : لِمَ يَا أَبَا خَالِدٍ ؟ فَأَنْتَ وَاللَّهِ عِنْدِي كَمَا قَالَ  
عَمَّارَةُ بْنُ عَقِيلٍ لِأَبْنِهِ :

أَفْهَمُهُ مَسْرُورًا إِذَا بَتَّ سَالِمًا وَأَبْكِي مِنَ الْإِشْفَاقِ حَيْثُ تَغَيْبُ<sup>(١)</sup>  
فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : فَلْيَسْمَعْ الْوَزِيرَ ، فَإِنَّ آخِرَ الشَّعْرِ خَيْرٌ مِنْ أَوَّلِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَتَمَّ فَقَالَ :  
وَمَا لِي حَقٌّ وَاجِبٌ غَيْرَ أَنَّنِي بِجُودِكُمْ فِي حَاجَتِي أَتَوَسَّلُ  
وَأَنْتُمْ أَفْضَلْتُمْ وَمَرَرْتُمْ وَقَدْ يَسْتَتِمُّ النِّعْمَةَ الْمُتَفَضَّلُ  
وَأَوْلِيَّتُمْ فِعْلًا جَمِيلًا مَقْدَمًا فَعُودُوا فَإِنَّ الْعَوْدَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ  
وَكَمْ مُلْحِفٍ قَدْ نَالَ مَا دَامَ عِنْدَكُمْ وَيَمْنَعُنَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ التَّجْمُلُ  
وَعُودْتُمُونَا قَبْلُ أَنْ نَسْأَلَ الْغِنَى وَلَا بَدَلَ لِلْمَعْرُوفِ وَالْوَجْهَ يُبْدَلُ

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ إِلَّا بِقَضَاءِ حَوَائِجِكَ كَائِنَمَا كَانَتْ ،  
وَلَوْ لَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدُنْ<sup>(٣)</sup> أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا شَكَرَكَ<sup>(٤)</sup> رَأَيْتُ بِذَلِكَ جَنَابِي مُمْرِعًا ،  
وَعَرَسِي مُثْمِرًا . ثُمَّ وَقَعَ لَهُ فِي رِقَاعٍ كَثِيرَةٍ كَانَتْ مَعَهُ .

لَمَّا وَلَّى الْمُهْتَدَى سُلَيْمَانَ بْنَ وَهْبٍ وَزَارَتْهُ ، قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ ذَوِي حُرْمَتِهِ<sup>(٥)</sup> ،  
فَقَالَ : أَنَا - أَعَزَّ اللَّهُ الْوَزِيرَ - خَادِمُكَ ، الْمُؤْمَلُ دَوْلَتِكَ ، السَّعِيدُ بِأَيَّامِكَ ،  
الْمَطْوِيُّ الْقَلْبِ عَلَى وُدِّكَ ، الْمَنْشُورُ اللِّسَانِ بِمَدْحِكَ ، الْمُرْتَمَنُ بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ ،  
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَقَيْتُ كُلَّ أَدِيبٍ وَدَنَى ثَمَنًا إِلَّا الْمُؤْمَلَ دَوْلَاتِي وَأَيَّامِي

(١) فِي الْأَغَانِي : « حِينَ تَغَيْبِ » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « فَيَسْمَعُ مِنَ الْوَزِيرِ آخِرَ الشَّعْرِ لَا أَوَّلَهُ » .

(٣) الْأَغَانِي : « كِتَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَغَانِي ، وَفِي الْأَصُولِ : « شَكَرًا »

(٥) الْأَغَانِي : « مِنْ ذَوِي حُرْمَتِهِ » .



فإنني ضامنٌ ألا أكافئه إلا بتسويفه فضلي وإنعامي

وإنني كما قال القيسيّ : ما زلتُ أمتطيّ النهارَ إليك ، وأستدِلُّ بفضلك  
عليك ، حتّى إذا جنّ الليل ، فقبضَ البصر ، ومحا الأثر ؛ أقامَ بدّني ، وسافرَ  
أمّلي ، والاجتهادَ عُذرًا وإذا بلغتك [ فهو مرادى ]<sup>(١)</sup> فقط .

فقال له سليمان : لا عليك ، فإنّي عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى لقائك ، ولستُ  
أؤخرُ في يومى هذا النظرَ فى أمرك ، وتوَلّيتك ما يحسنُ أثره عليك .

كان أبو عبد الله الباقرُ يتقلّد ديوان الرزق ، فتقلّد ابنُ أبي السّلاس  
ماسبذان وغيرها ، فجاءه ليأخذ كتبه ، فجعل يوصيه كما يوصى أصحابُ الدواوين  
العمّال . فقال له ابنُ أبي السّلاس : كأنك استكثرتَ لى هذا العمل ؛ أنت أيضا كنتَ  
تكتبُ لأبى العباس بن ثوابة ، ثم صرتَ صاحبَ ديوان .

فقال له الباقرُ : يا جاهل ، يا مجنون ، لولا أنه قبيحٌ بمثلى مكافأةً مثلك  
لراجعتُ الوزيرَ فى أمرك ؛ حتى أزيلَ يدك ؛ ومن لى بأن أجدَ مثلَ ابن ثوابة فى  
هذا الزمان ، فأكتبَ له ، ولا أريدُ الرياسة ! ثم أقبلَ يحدثُ الحاضرين فقال :  
دخلتُ مع أبى العباس على المهديّ ، و [ كان ]<sup>(١)</sup> سليمان بن وهب وزيره ، وكان  
يدخلُ إليه مع الوزراء أصحابُ الدواوين والعمّال والكتّاب ، فيكتبون بحضرة  
ويوقّع إليهم فى الأمور . فأمر سليمان بأن يكتبَ عنه عشرة كُتب مختلفة إلى  
جماعة من العمّال ، فأخذ سليمان بيدَ ابنِ ثوابة ، وقال له : أنت اليومَ أحدُ ذهنا  
مسنّى ، فلم نتعاون ، فدخلّا بيتنا ودخلتُ معهما ، فأخذَ سليمان خمسةَ أنصاف  
[ وأبو العباس خمسةَ أنصافٍ آخر ]<sup>(١)</sup> ؛ فكتبنا ما رسم ، وقرأ كلُّ واحدٍ منهما

(١) من الأغاني .

ما كتب به ، فأستحسنه وقَرَّظَه ، ثم وضع سليمانُ الكتابَ بين يدي المهتدي ، فقال له وقد قرأها : أحسنتَ ياسليمان ، ونعمَ الرجلُ أنت ، لولا المعجَلُ والمؤجَلُ ! وكان سليمانُ إذا وُلِّيَ عاملاً أخذ منه مالا معجَّلاً ، وأجَلٌ عليه مالا إلى أن يتسلَّم عمله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقًّا أو باطلاً ؛ فإن كان باطلاً فليس مثلك من يقبَلُهُ ، وإن كان حقًّا فقد علمت أن الأصول محفوظة ، فما يضرُّ من يساهمُني على بعض ما يصل إليهم من برٍّ ، ولا ينتقصُ الأموال ، ولا يُجحفُ الرعيه ! فقال : إذا كان هكذا فلا بأس . ثم قال : اكتب إلى فلان العامل بقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده بياقي ما عليه من المصادرة .

فقال أبو العباس بن ثوابة : كلُّنا يا أمير المؤمنين ممتثلٌ لأمرِك ، ساعٍ فيما يُرضيك ويؤيدُ مُلكك ، أفتمضي ما تأمر به على ما خيَّلت<sup>(١)</sup> ، أو تقول الحق ؟ قال : لا ، بل : قل الحق يا أحمد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، المُلك يقين ، والمصادرة شك ، أفترى أن تُزِيلَ اليقين بالشك ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدت للرجل بملك الضيعة ، وصادرتَه عن شك فيما بينك وبينه ، وهل خانك أم لا ، فجعلت المصادرة صلحا ، فإذا قبضت ضيعته بها فقد أزلت اليقين بالشك .

فقال له : صدقت ، فكيف الوصولُ إلى المال ؟ فقال له : أنت لا بدَّ مَوْلٍ عاملا على أعمالك ، وكلُّهم يرتزق ويرتفق ، فيحوز رزقه ورفقه إلى بيته ، فأجمله أحدُ عمالك ؛ ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ، ويسمفه معاملوه ، فيخلص نفسه وضيئته ، ويعود إليك مالك يا أمير المؤمنين .

فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك ؛ فلما خرجا عن حضرة المهتدي قال له

(١) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « جيلت » .

سليمان : يا أبا العباس ، عهدى بهذا الرجل عدوك ، وكلُّ منسكا يسمي على صاحبه ، فكيف زال ذلك حتى نُبِتَ عنه في هذا الوقت نيابة أحببته بها ، وتخلّصت نفسه ونعمته!

فقال : إنّما كنتُ أعاديه وأسمي عليه ، وهو يقدر على الاتصاف مني ، فأما وهو فقير إلى فهذا ما يحظره الدين والمروءة والصناعة .

فقال له سليمان : جزاك الله خيرا ! والله لأشكرنّ لك هذه النية ، ولأعتدّك من أجلكم أخواً وصديقا ، ولأجعلنّ هذا الرجل لك عبداً ما بقي ثمّ .

قال الباقراني : كنتُ آلفُ سليمانَ بنَ وهبٍ كثيرا ، وأحدّثه ؛ وكان يحضني ويأسسني ، فأنشدني لنفسه ، يذكر نكبتته في أيام الوائق :

نوائبُ الدهرِ أدبني وإنما يوعظُ الأديبُ  
قد ذقتُ حلواً وذقتُ مرّاً كذلك عيشُ الفتى ضروبُ  
ما مرّ بوُسٍّ ولا نعيمٍ إلا وليَ فيهما نصيبُ

قال أبو الحسن عليّ بن يحيى : ما رأيتُ أظرفَ من سليمان بن وهبٍ ولا أحسنَ أدبا ، خرجنا تلقاه عند قدميه من الجبل مع موسى بن بُغا . فقال لي : هاتِ يا أبا الحسن ، حدّثني بمعائبكم بعدى ، وما أظنّك تحدّثني بأعجب من خبرِ ضرّطة أبي وهبٍ بحضرة القاضي ، وما سيّر من خبرها ، وما قيل فيها حتّى قيل فيه - وجعل يضحك - :

ومن العجائب أنّها بشهادة الـ قاضي فليس يزيّلها الإنكارُ

كان سليمان بن وهبٍ وهو حدّث يمشق إبراهيم بن سوار بن ميمون ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأملحهم أدبا ، وأظرفهم . وكان إبراهيم يمشق مغنيةً يقال لها رخاص ، فأجتمعا يوماً ، فسكّر

إبراهيم ونام ، فرأت رخاص سليمان يقبله ، فلما أتته لامته ، وقالت له : كيف  
أصفوك لك ، وقد رأيت سليمان يقبلك ؟ فهجره إبراهيم ، فكتب إليه سليمان :

قل للذي ليس لي من جوى هواه خلاص  
أين لثمتك سرا فأبصرتني رخاص  
وقال في ذلك قوم على أغتيابي حراس  
هجرتني وأتتني شئمة وأنتقاص  
وسر ذلك أناسا لهم علينا أختراص  
فهاك فأقتص مني إن الجروح قصاص

وأهدى سليمان إلى رخاص هدايا كثيرة ، فأستصلحها ، وكانوا بعد ذلك  
يتناوبون الأيام ؛ يوما عند سليمان ، ويوما عند إبراهيم ، ويوما عند رخاص .

كتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فأعتمد عليه اعتمادا شديدا ؛ فصر القلم<sup>(١)</sup>  
في يده ، فقال :

إذا ما حددنا وأنتضينا قواطعا  
تظل المنايا والعطايا شوارعا  
تساقط في القراطيس منها بدائعا  
تقود أليات البنان ببطنة  
إذا ماخطوب الدهر أرخت سطورها  
أصم الذكي السمع منها صريرها<sup>(٢)</sup>  
تدور بما شئنا ونعفى أمورها  
كمثل اللالي نظمها ونثيرها  
تكشف عن وجه البلاغة نورها  
تجلت بنا عما يسر سطورها

ومات سليمان بن وهب في الحبس فرثاه البخترى ، فقال :

هذا سليمان بن وهب بعد ما طالت مساعيه النجوم سموكا<sup>(٣)</sup>

(١) صر القلم : صوت .

(٢) انتضينا : حملنا . والقواطع : السيوف .

(٣) سموكا : ارتفاعا .

وَتَنصَّفَ الدُّنْيَا يَدْبِرُ أَمْرَهَا      سَبْعِينَ حَوْلًا قَدْ تَمَنَّ دَكِيكًا<sup>(١)</sup>  
أَغْرَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ بَعَثَ مُلَمَّةً      مَا كَانَ رَتْ حَدِيثَهَا مَأْفُوكًا  
أَبْلَغُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَارِعَ مَذْحِجٍ      شَرَفًا وَمُعْطَىٰ فَضْلَهَا تَمْلِيكًا<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الرِّزِيَّةَ فِي الْفَقِيدِ فَإِنْ هَفَاً      جَزَعٌ بِلَبِّكَ فَالرِّزِيَّةَ فِيكَ  
وَمَتَى وَجَدْتَ النَّاسَ إِلَّا تَارِكًا      لِحَمِيمِهِ فِي التُّرْبِ أَوْ مَتْرُوكًا<sup>(٣)</sup>  
بَلَغَ الْإِرَادَةَ إِذْ فَدَاكَ بِنَفْسِهِ      وَتَوَدُّ لَوْ تَفَدِيهِ لَا يَفْدِيكَ  
لَوْ يَنْجَلِي لَكَ ذُخْرُهَا مِنْ نَكْبَةٍ      جَلَلٍ لِأَضْحَكَكَ الَّذِي يُكِيكَ

ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا قَبِضَ الْمَوْفِقَ عَلَى سَلِيمَانَ بْنِ وَهَبٍ ، وَأَبْنَيْهِ عُبَيْدِ اللَّهِ [ ذَكَرُوا أَنَّهُ ]<sup>(٤)</sup>  
لَمْ يَكُنْ أَسْتَكْتَبَهُمَا إِلَّا لِيَقِفَ مِنْهُمَا عَلَى ذَخَائِرِ مُوسَى بْنِ بُغَا وَوَدَائِعِهِ ، فَلَمَّا أَسْتَصَفَى  
ذَلِكَ مِنْهُمَا نَكَبَهُمَا لِكَثْرَةِ مَالِهِمَا ، فَقَالَ ابْنُ الرَّوْمِيِّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يُتَلَفُ رَبَّهُ      إِذَا حُمَّ آتِيهِ وَسُدَّ طَرِيقُهُ  
وَمَنْ جَاوَرَ الْمَاءَ الْغَزِيرَ بِجَمِّهِ      وَسُدَّ بِغِيضِ الْمَاءِ فَهُوَ غَرِيقُهُ

- 
- (١) الدكيك : التام .  
(٢) الفارع : الحسن الهيئة .  
(٣) الحميم : الصديق .  
(٤) من الأغاني .

## سعيد بن العاص\*

كان قومٌ من وجوه أهل الكوفة من القرّاء ، يَحْتَلِفُونَ إلى سعيد بن العاص يُسامرونه ، فتذاكروا يوم السّهل والجبل ، فقال حسان بن محدوح : سَهَلْنَا خَيْرٌ مِنْ جَبَلْنَا ؛ أَكْثَرُ بُرًّا وَشَعِيرًا ، فِيهِ أَنْهَارٌ مَطْرَدَةٌ ، وَنَخِيلٌ بِاسِقَاتٍ ، وَكَلٌّ فَاكِهَةٌ أَنْبَتَهَا الْجَبَلُ إِلَّا وَالسَّهْلُ يُنْبِتُ مِثْلَهَا .

فقال عبد الرحمن بن حنيس<sup>(١)</sup> : صدقتم ، ولوددتُ أَنَّهُ لِلأَمِيرِ ، وَأَنَّ لَكُمْ

أفضل منه .

فقال الأشتر : تمنّ للأمير أفضل منه ، ولا تقترّب إليه بأموالنا !

فقال : ما ضرك ذلك ، ولو شاء أن يكون لكان !

فقال : كذبت ، والله لو أراد ذلك لما قدر عليه .

فقال سعيد : ما السّواد إلا بُسْتَانٌ قُرَيْشٍ ، فما شئنا أَخَذْنَا مِنْهُ ، وما شئنا

تَرَكَنَا .

فقال له الأشتر : وأنت تقول هذا ، أَصْلَحَكَ اللهُ ، وهذا مركزُ رِمَاحِنَا ،

وَفَيْئُنَا !

وَضَرَبُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حُنَيْسٍ حَتَّى سَقَطَ .

وقيل : بل قال سعيد : اخرجوا من داري ، فخرجوا ، فلما أصبحوا أتوا المسجد ،

فداروا على الحلقى ، فقالوا : أميرُكم هذا الصبيّ السقيهِ يَزْعُمُ أَنَّ السّوَادَ بُسْتَانٌ لَهُ

وَلِقَوْمِهِ ، وَهُوَ فَيْئُنَا وَمَرْكَزُ رِمَاحِنَا ، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا .

\* الأغانى ١٢ : ١٤١ ( طبع دار الكتب ) .

(١) الأغانى : « حَيْش » .

وكتب سعيد إلى عثمان : إن قبلي أقواماً يدعون القراء ، وهم السفهاء ، وثبوا على صاحب شُرطتي فضرَبوه ، واستخفُّوا به وبى ، وهم : عمرو بن زُرارة ، وكميل ابن زياد ، والأشترُ ، وحرُّ قوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، ويزيد بن المكفف ، وزيد وصصعة أبنا صوحان ، وجندب بن عبد الله .

فكتب إليهم عثمان يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ، ويعزوا مغازيتهم .

وكتب إلى سعيد : قد كفيْتُك الذين ذكرت ، فأقرهم كتابي ؛ فإنهم لن يخالفوا إن شاء الله عز وجل ، فاتق الله وأحسن السيرة . فأقرأهم الكتاب . فخرجوا إلى دمشق ، فأكرمهم معاوية ، وقال : إنكم قد متتم بلدا لا يعرف أهلُه إلا الطاعة ، فلا تجادلوهم فتدخلوا الشك في قلوبهم .

فقال الأشتر : إن الله عز وجل أخذ على العلماء في علمهم ميثاقا ، أنهم يبينون للناس ولا يكتُمونه ، فإن سألنا سائلٌ عن شيء نعلمه لم نكتمهُ .

فقال : قد خفت أن تكونوا مرصدين للفتنة ، فاتقوا الله ولا تكونوا كالذين تفرقوا ، واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الذين هدَى اللهُ .

فأمر معاوية بجسبهم ، فقال له يزيد بن صوحان : إن الذين أشخصونا لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا ، فأحسن جوارنا ، فإن كنا ظالمين فنستغفرُ الله ، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية .

فقال معاوية : إنى لأحسبك أمراً صالحاً ، فإن أحببت أن آذن لك حتى ترجع مصرُك ، وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعملت .

قال : كخسبي أن تأذن لي ، وتكتب إلى سعيد ، فكتب إليه ، فأذن له ، فلما أراد يزيدُ الشخص كلَّه في الأشتر وعمرو بن زُرارة ، فأخرجهما .

فَأَقَامَ الْقَوْمُ فِي دِمَشْقَ لَا يَرَوْنَ أَمْرًا يَكْرَهُونَهُ ، ثُمَّ اشْتَصَمَهُمْ مَعَاوِيَةَ إِلَى حِمصَ ، فَكَانُوا بِهَا حَتَّى أَجْمَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى إِخْرَاجِ سَعِيدٍ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ فَقَدِمُوا ، وَكَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ قَدْ قَدِمُوا عَلَى عُمَانَ يَشْكُونَ سَعِيدًا . فَقَالَ لَهُمْ : أَلَا كُتِبَ إِلَيْهِ ، فَأَجْمَعُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، وَفَعَلَ ، فَلَمْ يَحْقُقُوا عَلَيْهِ [شَيْئًا] <sup>(١)</sup> ، إِلَّا قَوْلَهُ : السَّوَادُ بُسْتَانُ قَرِيشَ ، وَأَنْتَنِي عَلَيْهِ الْآخَرُونَ .

فَقَالَ عُمَانُ : أَرَى أَصْحَابَكُمْ يَسْأَلُونَ إِقْرَارَهُ ، وَلَمْ يَثْبِتُوا عَلَيْهِ إِلَّا كَلِمَةً وَاحِدَةً ، لَمْ يَنْتَهِكْ بِهَا لِأَحَدٍ حُرْمَةً ، وَلَا أَرَى عَزْلَهُ إِلَّا أَنْ تُثْبِتُوا عَلَيْهِ مَا لَا يَحِلُّ لِي مَعَهُ تَرْكُهُ ، فَأَنْصَرِفُوا إِلَى مِصْرَ كَمْ فَرَجَعَ سَعِيدٌ وَالْفَرِيقَانِ مَعَهُ ، وَتَقَدَّمَ هُمُ عَلَى ابْنِ الْهَيْثَمِ السَّدُوسِيِّ حَتَّى دَخَلَ رَحْبَةَ الْمَسْجِدِ .

فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، إِنَّا أَتَيْنَا خَلِيفَتَنَا ، وَشَكَّوْنَا عَامِلِنَا ، وَنَحْنُ نَرَى أَنَّهُ سَمِعَ صَرْفَهُ عَنَّا ، فَردَهُ عَلَيْنَا <sup>(٢)</sup> ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ السَّوَادَ بُسْتَانُ لَهُ ، وَأَنَا أَمْرٌ مِنْكُمْ أَرْضَى إِذَا رَضَيْتُمْ .

فَقَالُوا : لَا تَرْضَى . وَجَاءَ الْأَشْتَرُ فَصَمِدَ الْمَنْبَرِ ، وَخَطَبَ خُطْبَةً ذَكَرَ فِيهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَذَكَرَ عُمَانَ فَجَرَّضَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ يَرَى لِلَّهِ حَقًّا فَلْيُصْبِحْ بِالْجُرْعَةِ . ثُمَّ قَالَ لِسَكْمِيلَ بْنِ زِيَادَ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسَ <sup>(٣)</sup> بْنَ الْخَطِيمِ مِنَ الْقَصْرِ . فَأَخْرَجَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ .

(١) تَكَلَّمَ مِنَ الْأَغَانِي .

(٢) الْأَغَانِي « إِلَيْنَا » .

(٣) سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَغَانِي .



قال جهيم<sup>(١)</sup> : أنا شاهد الأمر ، وقد قالوا لعثمان : نقم عليك أنك أستعملت سفهاء

أقاربك . قال : فليقم أهل كل مصر فليسموا أصحابهم .

فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنا سعيدا وأستعمل علينا أبا موسى الأشعري ؛  
ففعل ، وكان سعيد قد أبغضه أهل الكوفة لأمره ؛ منها : أن عطاء النساء كان  
بالكوفة مائتين ، فحطه سعيد إلى مائة . فقالت امرأة من الكوفة تدمه ، وتثني  
على سعيد بن أبي وقاص :

فليت أبا إسحاق كان أميرنا وليت سعيدا كان أول هالك<sup>(٢)</sup>

يحطط أشراف النساء ويتقي بأبنائنا من مرهفات النيازك<sup>(٣)</sup>

كتب جماعة من وجوه أهل الكوفة ونساء كههم ، مثل معقل بن قيس الرياحي ،  
وعبد الله بن طفيل العامري ومالك بن حبيب اليربوعي وحجر بن عدي  
الكندي وزيد بن خصمة التيمي وزيد بن قيس الأرحبي وعمرو بن الحقيق  
الجزاعي وسليمان بن صيرة الجزاعي وزيد بن حصين الطائي وكعب بن عبدة  
النهدى إلى عثمان ، ولم يسم أحد منهم نفسه إلا كعب بن عبدة : إن سعيدا أكثر  
عدله على قوم من أهل الورع والدين والفضل ، حَمَلَك من أمرهم على ما لا يحل لك ،  
وإننا نذكرك الله في أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإنك قد بسطت يدك فيها ،  
وحملت بني أميك على رقابها ، وقد خفنا أن يكون فساد الأمة . فاتق الله تعالى ،  
فإنك إمامنا ما أطعت الله واستقممت .

وبعثوا بالكتاب مع أبي ربيعة العنزي ، فقال له عثمان : من كتب هذا ؟ قال :

صالحاء أهل المصر وأشرافهم . قال : فسمهم ، قال : ما اسمي إلا من سمى نفسه .

(١) الأغاني : « جهيم » .

(٢) أبو إسحاق كنية سعيد بن العاص .

(٣) النيازك : جمع نيزك ؛ وهو الرمح القصير .

فكُتِبَ عُمَانُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : اضْرِبْ كَعْبَ بْنَ عَبْدَةَ عِشْرِينَ سَوْطًا ،  
وَسَيِّره إِلَى الرَّيِّ ، وَحَوْلْ دِيَوَانَهُ إِلَيْهَا .  
فَقَالَ كَعْبُ :

أَتَرَجُوا عِثَارِي يَابْنَ أَرْوَى وَرَجَعْتِي      عَنْ الْحَقِّ قَدَمَا غَالَ حِلْمَكَ غَوْلُ  
وَإِنَّ دُعَايَ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      عَلَيْكَ بِمَا أَسَدَيْتَهُ لَطَوِيلُ  
وَإِنَّ أَغْتَرَابِي فِي الْإِلَهِ وَجَفَوْتِي      وَشَتَمِي فِي ذَاتِ الْإِلَهِ قَلِيلُ

فَبَلَغَ شَعْرُهُ عُمَانَ ، فَكُتِبَ إِلَى سَعِيدٍ : قَدْ خَفْتُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَحْتَمَلْتَ  
مَنْ أَبْنَى ذِي الْحَنْكَةِ حَوْبَةَ ، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِ بِنْتِي يُقَدِّمُهُ عَلَيْكَ ، ثُمَّ أَحْمِلْهُ إِلَيَّ .

فَبَعَثَ سَعِيدٌ بَكْرَ بْنَ حَمْرَانَ - وَهُوَ كَانَ أَشْخَصَهُ - فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى سَعِيدٍ أَشْخَصَهُ  
إِلَى الْمَدِينَةِ . فَقَالَ لَهُ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَخَا بَنِي نَهْدٍ ؛ إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ  
فَإِنِّي لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، قَدْ كَانَتْ مِثِّي طُرَّةٌ ؛ كُتِبْتُ إِلَى سَعِيدٍ أَنْ يَضْرِبَكَ عِشْرِينَ  
سَوْطًا ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَقْتَصَّ فَأَقْتَصَّ ، قَالَ : أَقْتَصَّ ؛ فَنَخَلَ عُمَانُ ثِيَابَهُ وَأَعْطَاهُ  
السَّوْطَ ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ : قَدْ عَفَوْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرَكْتُهُ لِلَّهِ .

فَلَمَّا قَدِمَ الْكَوْفَةَ لَامَهُ بَعْضُ قَوْمِهِ ، وَقَالَ : مَا مَنَّكَ أَنْ تَقْتَصَّ ! فَقَالَ :  
سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ الْمُسْلِمِينَ قَادَرَنِي مِنْ نَفْسِهِ - وَلَوْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ - أَقْتَصَّ مِنْهُ  
عِنْدَ تَوْبَتِهِ ! مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ .

## سَعِيَةُ بْنُ الْغَرِيضِ \*

هو سَعِيَةُ بْنُ غَرِيضِ بْنِ عَادِيَاءَ ، وقد ذُكِرَ بِهِ فِي تَرْجُمَةِ أَخِيهِ السَّمَوِيِّ بْنِ غَرِيضِ . وكان سَعِيَةُ شَاعِرًا ، وهو الَّذِي رَوَى نَفْسَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي تَذُكَّرُ بِعِدَّةِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ ؛ وَأَسْلَمَ سَعِيَةُ وَعُمَرُ عُمَرًا طَوِيلًا .  
ويقال : إِنَّهُ مَاتَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ .

رَوَى الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ : حَجَّ مَعَاوِيَةُ حَجَّتَيْنِ فِي خِلَافَتِهِ ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُونَ بَقْلَةً ، فَحَجَّ عَلَيْهَا نِسَاؤَهُ وَجَوَارِيَهُ .

قال : فَحَجَّ فِي إِحْدَاهَا فَرَأَى شَيْخًا يَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، عَلَيْهِ ثُوبَانُ أَيْضَانِ ؛ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : سَعِيَةُ بْنُ غَرِيضِ - وَكَانَ مِنَ الْيَهُودِ - فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ ، فَأَتَاهُ رَسُولُهُ فَقَالَ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَوْلَيْسَ قَدِمَاتُ ! قِيلَ : فَأَجِبْ مَعَاوِيَةَ ، فَأَتَاهُ فَلَمَّ يَسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ .

فقال له معاوية : ما فعلت أرضك التي بتيماء؟ قال : يكسى منها العاري ويرد فضلها على الجار . قال : أتبيعها<sup>(١)</sup> ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بستين ألف دينار ، ولولا خلة<sup>(٢)</sup> أصابت الحى لم أبعها . قال : لقد أغليت<sup>(٣)</sup> ! قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف ، ثم لم تبسل<sup>(٤)</sup> ! قال : أجل ، قال : فإذا

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ١٢٩ - ١٣٢ (طبعة الدار) ، ١٩ : ١٠٠ - ١٠٢ (ساسى)

(١) الأغاني : « أتبيعها » .

(٢) الخلة : الفقر والحاجة .

(٣) أغليت : بالفت في الثمن .

(٤) لم تبسل ، أى لم تبال .

بَجَلْتِ بِأَرْضِكَ ؛ فَأَنْشِدْنِي شِعْرَ أَبِيكَ الَّذِي يَرْتِي بِهِ نَفْسَهُ ، قَالَ : قَالَ أَبِي :

يَالَيْتَ شِعْرِي حِينَ أَنْدُبَ مَالِكًا      ماذا يُؤْبِنُنِي بِهِ أَنْوَاحِي ! (١)

أَيَقُلْنَ لَا تَبَعْدُ فَرَبًّا كَرِيهَةً      فَرَجَّتْهَا بِشِجَاعَةِ وَسْمَاحِ (٢)

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ بِفَضْلِ مَالِي حَقَّهُ      عِنْدَ الشَّقَاءِ وَهَبَّةِ الْأَرْوَاحِ (٣)

وَلَقَدْ أَخَذْتُ الْحَقَّ غَيْرَ مُخَاصِمٍ      وَلَقَدْ رَدَدْتُ الْحَقَّ غَيْرَ مُلَاحِ

وَإِذَا دُعِيْتُ لَصَعْبَةٍ سَهَّلْتُهَا      أَدْعَى بِأَفْلَحِ مَرَّةً وَنَجَاحِ

فَقَالَ : أَنَا كُنْتُ بِهَذَا الشُّعْرِ أَوْلَى مِنْ أَبِيكَ . قَالَ : كَذَّبْتَ وَلَوْمْتَ ! قَالَ :

أَمَّا كَذَّبْتُ فَنَعَمَ ، وَأَمَّا لَوْمْتُ فَكَيْفَ ، وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ كُنْتَ مَيِّتَ الْحَقِّ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَيِّتَهُ فِي الْإِسْلَامِ ؛ أَمَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَاتَلْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

وَكَذَّبْتَ الْوَحْيَ ؛ حَتَّى جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى كَيْدَكَ الْمَرْدُودَ . وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ

فَنَمَمْتَ وَكَذَّبْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةَ ، وَمَا أَنْتَ وَهِيَ وَأَنْتَ طَلِيقٌ (٤) !

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : قَدْ خَرَفَ (٥) الشَّيْخُ فَأَقِيمُوهُ ؛ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقِيمَ .

(١) الأنواح : النساء ينجن .

(٢) الكريهة : الأمر العظيم .

(٣) الأرواح : جمع ريح .

(٤) أي من الطلقاء الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وآذوه ، فلما غلبهم عام

الفتح خطبهم فقال : يا معشر قريش ؛ ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ

كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

(٥) يقال : خرف الشيخ ؛ إذا فسد عقله .

## حرف الشين

### الشَّمَاحُ\*

هو الشَّمَاحُ بنُ ضِرَارِ بنِ سِنَانِ بنِ أُمَامَةَ<sup>(١)</sup> بنِ عمرو بنِ جِحَاشِ بنِ بَجَالَةَ بنِ مَازِنِ بنِ ثَمَلِبَةَ بنِ سَعْدِ بنِ ذُبْيَانَ ؛ وقيل : هو الشَّمَاحُ ابنُ ضِرَارِ بنِ حَرْمَلَةَ بنِ صَيْفِيٍّ بنِ إِيَّاسِ بنِ عَبْدِ بنِ عَمَّانَ بنِ جِحَاشِ بنِ بَجَالَةَ .

وأمّ الشَّمَاحِ أُنْمَارِيَّةٌ مِنْ بَنَاتِ الْحَوْشِبِ<sup>(٢)</sup> . ويقال : إنَّهَا أُنجِبُ نِسَاءِ العَرَبِ ، وَأَسْمُهَا : مُعَادَةَ بنتُ بَجَيْرِ بنِ خَلْفِ<sup>(٣)</sup> بنِ إِيَّاسِ .

والشَّمَاحُ مَخْضَرَمٌ مِمَّنْ أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ والإِسْلَامَ ؛ والشَّمَاحُ لَقِبُ غَلَبَ عَلَيْهِ ؛ وَأَسْمُهُ مَعْقِلٌ ، وقيل : الهَيْمِ . وَمَعْقِلٌ هُوَ الصَّحِيحُ ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ هَجَا عَشِيرَتَهُ ، وَهَجَا أَضْيَافَهُ وَمَنْ عَلَيْهِمُ بِالْقَرِيِّ .

وللشَّمَاحِ أَخْوَانٌ لِأَبِيهِ وَأُمُّهُ شَاعِرَانِ ؛ أَحَدُهُمَا مَزْرَدٌ وَهُوَ مَشْهُورٌ ، وَأَسْمُهُ يَزِيدٌ ، وَسَمِّيَ مَزْرَدًا لِقَوْلِهِ :

فَقَلْتُ تَزَرَّدُهَا عُيَيْدُ فَإِنِّي لِدُرْدِ المَوَالِي فِي السَّنِينِ مُزْرَدٌ<sup>(٤)</sup>

وَالْآخَرَ جَزْءٌ<sup>(٥)</sup> بنِ ضِرَارِ . وَهُوَ الَّذِي رَتَى عَمْرَ بنَ أَخْطَابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ :

عَلَيْكَ سَلامٌ مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ يَدُ اللهِ فِي ذَاكَ الإِهَابِ المَمزِقِ

\* ترجمته في الأغاني ٩ : ١٥٨ - ١٧٣ ( طبعة الدار ) .

(١) الأغاني : « أمية » .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « الحرشب » .

(٣) الأغاني : « خالد » .

(٤) تزردها : ابتلعها .

(٥) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج « جرير » ، تصحيف .

فَمَنْ يَسَعْ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسَبِّقُ (١)  
وقيل : إنَّ الحِجْنَ ناحت بهذا الشعر على عمر رضي الله عنه ، فإنه قيل : إنَّ  
عمرَ أذن لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يحججن في آخر حجة حجاجها ، فلما  
أرتحل من الحصبية (٢) أقبل رجلٌ ملثمٌ فقال : أين كان منزلُ أمير المؤمنين ؟ فقال  
قائل : هذا كان منزله ، فأناخ في منزله ، ثم أنشد هذه الأبيات :

\* عليك سلامٌ من أميرٍ وباركت \*  
فقلت عائشة : اعلموا علمَ الرجل ، فذهبوا فلم يجدوا في منأه أحدا .

فقلت عائشة : فإني لأحسب أنه من الحِجْن ، فلما قتل عمر رضي الله عنه ، نحلَّ  
الناسُ هذه الأبيات إلى الشماخ بنِ ضرار .

وهو في الطبقة الثالثة مقرونٌ بالنايمة ولبيد وأبي ذؤيب . وكان شديد  
متون الشعر ، أشدَّ كلاماً من لبيد ، ولبيد أسهلُّ منه منطِقاً .  
وقال الحطيئة في وصيته : أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان ، وهو أوصف  
الناس للحمير ؛ والفرس .

وقال الوليد بن عبد الملك ، وقد أنشد شيئاً من شعره في الحمير : ما أوصفه  
لها ! أحسب أن أحد أبويه حمارة (٣) . وكان أرجز الناس على البديهة .

فالت معاذة بنتُ بجير لولدَيْها : الشماخ ومزرد : عرضتُماني لشعراء العرب :  
الحطيئة ، وكعب بن زهير . فقالا لها : لا تخافي . فقالت : فما يؤمِّنني ؟ قال :  
إنك ربطتِ بباب بيتك كلبِي هراش (٤) ، لا يجترىء عليهما أحد - يعنِيان  
أنفسهما .

(١) الأغاني : « ليدرك ما حاولت » .

(٢) كذا في ب ، ج ؛ وفي الأغاني عن ابن سعد : « المحصب » .

(٣) الأغاني : « كان حمارة » .

(٤) الأغاني . « جروي هراش » .

وقال مزرد لأمه : كان كعب بن زهير لا يهابني ، وهو اليوم يهابني . فقالت له : يا بُني ، إنه يرى نعم جرّو الهراش مربوطا بباب أهلك - تعني أخاه .  
قدم قوم من بهز إلى المدينة ، يستعدون على السماخ - وبهز اسمه تيم بن سليمان بن منصور ، وزعموا أنه هجاهم - فجدد ذلك السماخ فأمر عثمان بن عفان كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ما هجاهم ! فانطلق كثير إلى المسجد ، ثم أتجاه دون بهز ، فقال له : ويحك يا شتماخ ! إنك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حلف بالله كاذبا ؛ فإنما يتبوا مقعده من النار ؛ قال : فكيف أفعل فذاك<sup>(١)</sup> أبي وأمي ! قال : إني سأحلفك ما هجوتهم<sup>(٢)</sup> فأردني وناحيتي بذلك ؛ فأني سأدفع عنك .

فلما وقف حلف كما قال ، وأقبل على كثير وقال : ما هجوتهم<sup>(٣)</sup> ، فقالت له بهز : ما عني غيركم ، فأعد لنا اليمين عليه ، فقال : مالي أنا وآله ! هلا أستحلفته إلا لكم ! وما اليمين إلا مرة واحدة ! انصرف يا شتماخ ، فانصرف وهو يقول :  
أنتسني سليم قضها وقضيضها      تمسح حولي بالبيع سبأها  
يقولون لي يا احلف ولست بحالف      اخادعهم عنها لكيما أنالها  
ففرجت هم الموت عني بحلقة      كما شقت الشقراء يوما جلالها<sup>(٤)</sup>  
وقيل : إن السماخ تزوج امرأة من بني سليم ، فأساء إليها وضر بها وكسر يدها .  
فمرضت امرأة من قومها يقال لها أسماء ذات يوم للطريق ، تسأل عن صاحبيتها ،

(١) الأغاني : « فداؤك » .

(٢) زاد في الأغاني بعد هذه الكلمة : « فاقلب الكلام على وعلى ناحيتي ، فقل : والله ما

هجوتكم » .

(٣) في الأغاني : « ما هجوتكم » .

(٤) في الأغاني : « عنها جلالها » .

فاجتازَ بها الشَّمَاخَ [وهي لا تعرفه فقالت له : ما فعل الخبيث شتماخ ؟] <sup>(١)</sup> فقال :  
ما تُريدين منه ؟ قالت : إنه فَعَلَ <sup>(٢)</sup> بنا كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فتجاهَلَ عليها وقال : لا أعلم  
له خَبْرًا . وتَرَكَها ومضى .

ودخل المدينةَ في بَمَضِ حواجِجِه ، فتعلَّقت به بنوسلَمِمْ يطلبون بظلامَة صاحِبَتِهِمْ ،  
فأنكرَها ، فقالوا له : اِحْلِفْ ، فجعل يَطْلُبُ إليهم وَيُعَلِّظُ أمرَ اليمينِ وشدتها عليه  
ليرضواَ بها حتى رَضُوا ، فَحَلَفَ وقال الأبيات :

أَلَا أَصْبَحَتْ عَرَسِي مِنَ الْبَيْتِ جَامِحًا      بغيرِ بِلَاءٍ أَيُّ أَمْرٍ بَدَأَهَا !

وكان الشَّمَاخُ يَهُودِيَّ أُمْرَاءَةً مِنْ قَوْمِهِ ، يقال لها كَلْبَةُ بنت جَوَّالِ أخت جَبَلِ  
ابن جَوَّالِ بن صَفْوَانَ بنِ بِلَالِ بنِ الْأَصْرَمِ بنِ إِيَّاسِ بنِ عَبْدِ تَمِيمِ بنِ جَعْلَانَ  
ابنِ بَجَالَةَ بنِ مَازِنِ بنِ ثَعْلَبَةَ . وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر . وخطبها ،  
فأجابته ، وهمت أن تزوجه ، ثم خرج إلى سفر ، فتزوجها أخوه جزء <sup>(٣)</sup> بن  
ضرار ، فألى الشَّمَاخُ أَلَا يَكَلِّمُهُ أَبَدًا ، وهجاء بقصيدته التي يقول فيها :

لَنَا صَاحِبٌ قَدْ خَانَ مِنْ أَجْلِ نَظْرَةٍ      سَلِيبُ الْفَوَادِ حُبُّ كَلْبَةَ قَاتِلُهُ <sup>(٤)</sup>  
[فأنا متهاجرين] <sup>(٥)</sup> .

خرج الشَّمَاخُ يريد المدينة ، فلقِيَهُ عَمْرَابَةُ بنُ أَوْسِ فسأله عما أقدَمه فقال :  
أردتُ أن أُمْتَارَ <sup>(٦)</sup> ، وكان معه بَعِيرَانِ فَأَوْقَرَهُمَا <sup>(٧)</sup> له بُرًّا وَتَمْرًا وكسَاهُ ،

(١) من الأغاني .

(٢) في الأغاني : « لأنه فعل بصاحبة لنا » .

(٣) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « جرير » ، تصحيف .

(٤) الأغاني : « شاغله » .

(٥) من الأغاني .

(٦) أمتار : أطلب الميرة .

(٧) أوقرها : حملها حملا ثقيلًا .



وأكرمَه ، فخرج عن المدينة وأمتدحة بقصيدته التي يقول فيها :  
 رأيتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَجْرِي <sup>(١)</sup> إلى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعِ الْقَرِينِ  
 إذا ما رَايَهُ رُفِعَتْ لِحْجِدٌ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

هو عَرَابَةُ بْنُ أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ بن عمرو بن جُثَمِ بن حارثة بن الحارث  
 ابن الخزرج ، وإنما قاله [ الشَّمَاخ ] <sup>(٢)</sup> : « عَرَابَةُ الْأَوْسِيِّ » وهو من الخزرج ؛  
 نسبة إلى أبيه أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ ؛ لأنَّ عَرَابَةَ من الخزرج .

وكان عَرَابَةُ قد أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليفزوه معه في أحد ، فردّه في تسعة  
 أستصغروهم ، منهم عبدُ اللهِ بنُ عمر بن الخطّاب ، وزيد بن ثابت ، وأسيّد ،  
 والبراء بن عازب ، وعَرَابَةُ الْأَوْسِيِّ ، وأبو سعيد الخدريّ .

وكان أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ أبو عَرَابَةَ من المناققين الذين شهدوا أحدًا مع رسولِ اللهِ  
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ .  
 وأخوه مِرْبَعُ بْنُ قَيْظِيٍّ الْأَعْمَى الذي حثّا <sup>(٣)</sup> في وجه رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 التراب لما خرج إلى أحد ، وقد مرّ بجائطه <sup>(٤)</sup> وقال له : إن كنت نبيًّا فما أحلّ لك  
 أن تدخلَ [ في ] <sup>(٥)</sup> حائطي ؛ فصر به سعد بن زيد الأشهليّ بقوسه فشجّه ، وقال  
 لرسولِ اللهِ : دَعْنِي أَقْتَلْهُ ؛ فإنه منافق ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعْنِي  
 فَإِنَّهُ أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ » . فقال أخوه أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ : لا والله ، ولكنّها عداوتكم  
 يا بني عبدِ الأشهلِ . فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا والله ، ولكنّه نفاقكم  
 يا بني قَيْظِيٍّ » .

(١) في الأغاني : « يسمو » .

(٢) من الأغاني .

(٣) حثّا : رعى .

(٤) الحائط هنا : البستان .

وكان عرابةً سيِّدًا من ساداتِ قومه ، جوادًا ؛ وقد انقرضَ عَقْبُهُ فلم يَبْقَ منهم أحد .

وقال معاويةُ لعرابةِ بنِ أوسٍ : بأىِّ شئٍ سُدَّتْ قَوْمَكَ ؟ قال : أَعْفُو عَنْ جَاهِلِهِمْ ، وَأَعْطَى سَائِلَهُمْ ، وَأَسْعَى فِي حَاجَتِهِمْ ؛ فَمَنْ فَعَلَ مِثْلَ مَا أَفْعَلُ فَهُوَ مِثْلِي ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ فَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ زَادَ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي !

وقال الشَّمَاخُ يمدحُ عبدَ اللهَ بنَ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضى اللهُ عنه :  
إِنَّكَ يَا بْنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ الْفَتَى      وَنِعْمَ مَأْوَى طَارِقٍ إِذَا آتَى !  
وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَىِّ سُرَى <sup>(١)</sup>      صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا أَشْتَهَى  
قال ابنُ دأبٍ : العَجَبُ للشَّمَاخِ ، يقولُ هذا لعبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ ، ويقولُ لعرابةَ :  
إِذَا مَا رَايَهُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ      تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

وعبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ كان أحقَّ بهذا من عرابة .

وقال أبو نُوَاسٍ : ما أَحْسَنَ الشَّمَاخُ فِي قَوْلِهِ :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَطَّطْتُ رَحْلِي      عَرَابَةٌ فَأُشْرَقِي بَدِمَ الْوَتِينِ <sup>(٢)</sup>  
أَلَا قَالَ كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

عَلَامٌ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَحْتِي      وَخَيْرُ النَّاسِ كُلَّهُمْ أُمَامِي !  
مَتَى تَرْدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي      مِنَ التَّهْجِيرِ وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي <sup>(٣)</sup>  
وَمِنْ هَذَا أَخَذَ دَاوُدُ بْنُ سَلَمٍ فِي مَدْحِهِ قُثَمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، فَأَخَذَ وَأَحْسَنَ :  
غَنَيْتِ مِنْ حِلِّيِّ وَمِنْ رِحْلَتِي      يَا نَاقُ إِنَّ أَدْنَيْتَنِي مِنْ قُثَمِ

(١) السرى : سير عامة الليل .

(٢) في الأغاني : « إذا بلغتني وحملت » . والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٣) التهجير : المشى في الهاجرة . والذبر ، بالتحريك : القروح . والدوامى : الذى تدمى

ولَمَّا أُنْشِدَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَوْلَ الشَّمَاخِ فِي عَرَابَةٍ :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَطَطْتُ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَأُشْرِقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

فَقَالَ : بَشَّتِ الْمَكَافَاةُ كَأَفْأَاهَا ! سَحَلَتْ رَحْلَهُ ، وَبَلَّغَتْهُ بُغْيَتَهُ ، فَجَمَلْ مَكَافَاتَهَا

نَحْرَهَا .

نَصَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَوَائِدَ لِلنَّاسِ لِيُطْعَمَهُمْ ، فَجَلَسَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى بَعْضِ الْمَوَائِدِ ، فَنظَرَ إِلَيْهِ خَادِمٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : أَعِرَاقِي أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَنْتَ جَاسُوسٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : بَلَى . قَالَ : وَيَحْكُ ! دَعْنِي أَهْتَنَّا بِرِزَادِ الْأَمِيرِ ، وَلَا تَنْغُصْنِي بِهِ . ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ وَقَفَ عَلَى تِلْكَ الْمَائِدَةِ وَقَالَ : مَنْ الْقَائِلُ :

إِذَا الْأَرَطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ (١)

وَمَا مَعْنَاهُ ؟ وَمِنْ أَجَابَ فِيهِ أَجْرُ نَاهِ ، وَالْخَادِمُ يَسْمَعُ ، فَقَالَ لَهُ الْعِرَاقِيُّ : أَتُحِبُّ أَنْ أُشْرِحَ لَكَ مَا مَعْنَاهُ ، وَفِيمَ قِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَقُولُهُ : عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي صِفَةِ الْبَطِيخِ الرَّمْسِيِّ .

فَقَالَ الْخَادِمُ ذَلِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى سَقَطَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ : أَخْطَأْتُ أَمْ أَصَبْتُ ؟ قَالَ : بَلْ أَخْطَأْتُ ، فَقَالَ الْخَادِمُ : هَذَا الْعِرَاقِيُّ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَصَنَعَ لِقَنْنِيهِ ، فَقَالَ : أَيْ الرِّجَالِ هُوَ ؟ فَأَرَاهُ إِيَّاهُ ؛ فَعَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْتَ لِقَنْنَتَهُ هَذَا ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : أَخْطَأْتُ لِقَنْنَتَهُ أَمْ صَوَابًا ؟ قَالَ : بَلْ خَطَأً . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي كُنْتُ مُتَحَرِّمًا بِمَائِدَتِكَ ، فَقَالَ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْفَهُ عَنِّي ، وَأُضْحِكَكَ . قَالَ : وَكَيْفَ الصَّوَابُ ؟ قَالَ : يَقُولُهُ الشَّمَاخُ الْغَطَفَانِيُّ فِي صِفَةِ الْبَقْرِ الْوَحْشِيَّةِ ، وَقَدْ جَزَّأَتْ بِالْخَضِرِ (٢) عَنِ الْمَاءِ . قَالَ : صَدَقْتَ ؛ وَأَجَازَهُ ، ثُمَّ قَالَ : حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : تُنَحِّي هَذَا عَنِّي يَا بَكْ ؛ فَإِنَّهُ يَشِينُهُ .

(١) الْأَرَطَى : شَجَرٌ مِنْ أَشْجَارِ الْبَادِيَةِ تَدْبَعُ بِهِ الْجُلُودَ ، وَالْأَبْرَدَانُ : الظِّلُّ وَالنَّيْءُ ؛ سَمِيَا كَذَلِكَ لِجِدِّهِمَا . وَالْجَوَازِيُّ : بَقْرٌ الْوَحْشِ . وَالْعَيْنُ : الْوَأَسْعَاتُ الْعَيْونِ .  
(٢) فِي الْأَغَانِي : « الرُّطْبِ » .

## ذِكْرُ شَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ\*

هو شيبُ بنُ يزيدَ بنِ حمزةَ<sup>(١)</sup> بنِ عوفِ بنِ أبي حارثةَ بنِ مرةَ بنِ نُشْبَةَ بنِ غَيْظِ ابنِ مُرَّةَ بنِ سَعْدِ بنِ ذُبْيَانَ .

والبرصاءُ أمُّه، وأسمُها قِرْصَافَةُ بنتُ الحارثِ بنِ عوفِ بنِ أبي حارثةَ ؛ وهو ابنُ خالَةِ عَقِيلِ بنِ عُلقَةَ المُرِّي .

وأُمُّ عَقِيلِ عَمْرَةُ بنتُ الحارثِ بنِ عوفِ ، ولُقِّبَتِ قِرْصَافَةُ الْبَرِّصَاءِ لِبَيَاضِهَا لَا لِبَرِّصٍ<sup>(٢)</sup> فِيهَا .

وشيبُ شاعرٌ فصيحٌ إسلاميٌّ من شعراءِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ ، بدَوِيٌّ ، وكان يُهاجِي عَقِيلَ بنَ عُلقَةَ ويُمَادِيهِ بِشِراَسَةِ كانتِ في عَقِيلِ ومَثَرٍ عَظِيمِ ، وكلاهما كان شريفًا سَيِّداً في قومه ، في بيتِ سَبَقِهِمْ<sup>(٣)</sup> وسُوْدُدِهِمْ .

والسببُ في المهاجاةِ بينهم ، أنَّ جاراً من بني سَلَامَانَ بنِ سَعْدِ كان يطوفُ في بني مُرَّةَ يتحدَّثُ إلى النِّساءِ ، فبلغَ ذلكَ عَقِيلًا فامتلاً عليه غَيْظًا ، فبينا هو جالسٌ وعندهُ غِلْمَانٌ ، وهو يجرُّهُ إِبلًا له على الماءِ ، إذْ طَلَعَ السَّلَامَانِيُّ على راحِلَتِهِ ، فوثبَ إليه هو وغِلْمَانُهُ ، فضرَبَهُ ضَرْبًا مَبْرُحًا ، وعَقَرُوا راحِلَتَهُ ، وأنصَرَفَ من عندهُ بشرٌ ، فلمْ يَمُدُّ إلى ذلكَ الموضعِ ، ولجَّ الهِجاءُ بينهما .

وكان عَقِيلٌ سَيِّءَ الخُلُقِ ، غَيُورا ، وكان شيبُ أَعورًا ، أصابَ عَيْنَهُ رَجُلٌ من طَيِّبٍ في حَرْبٍ كانتِ بينهم .

\* ترجمته في الأغاني ١٢ : ٢٧١ - ٢٨١ ( طبعة الدار ) .

(١) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « حمزة » .

(٢) في الأغاني : « لا لأنها كان بها برص » .

(٣) الأغاني : « سرفهم » .

فاخر عقييل بن عُلفه شبيب بن البرصاء، فقال شبيب شعرا يهجوهم ويميره برجل من طيبي كان ياتي امه عمرة بنت الحارث، يقال له: حيان، ويهجو غيظ بن مرة. واجتمعما عند يحيى بن الحكم، وتكلمما في بعض الامر، فاستطال عقييل على شبيب بالعمّة<sup>(١)</sup> التي بينهم. فقال فيه شبيب يهجوهم:

الَا أَبْلِغُ أَبَا الْحَرْثَاءِ عَنِّي<sup>(٢)</sup>      بآيَاتِ التَّبَاغُضِ وَالتَّقَالِي  
فَلَا تَذْكُرُ أَبَاكَ الْعَبْدَ وَأَخْرُ      بَأَمِّ لَسْتَ مُكْرَمَهَا وَخَالِ  
إِذَا طَارَتْ نَفْسُهُمْ شَمَاعَا      سَمَّيْنَ الْمُحْصَنَاتِ لَدَى الْحِجَالِ<sup>(٣)</sup>  
بَطْنِ نَعْرُ الْأَبْطَالِ مِنْهُ      وَضَرْبِ حَيْثُ تُقْتَنَصُ الْعَوَالِي<sup>(٤)</sup>  
أَبْنِي لِي أَنْ أَبَائِي كِرَامٌ      بَنَوَالِي فَوْقَ أَشْرَافِ طِوَالِ<sup>(٥)</sup>  
أَبَا الْجَحَافِ شَرَّ النَّاسِ حَيًّا      وَأَعْنَاقِ الْأَيُّورِ بَنِي قِتَالِ<sup>(٦)</sup>  
رَفَعْتَ مُسَامِيًّا لِقَتَالِ مَجْدًا      فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِيهِمْ فِي سَفَالِ<sup>(٧)</sup>

بنو قتال: إخوة بني يربوع، رهط عقييل بن عُلفه، وهم قوم فيهم جفاء، مات رجل منهم فكفنه أخواه في عباءة له.

وقال أحدهما للآخر: كيف تحمله؟ فقال: كما تحمل القرية، فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه، وطرفه في ركبتيه، وحمله على ظهره كما تحمل القرية،

(١) الأغاني: « بالصهر ».

(٢) الأغاني: « الجرباء ». ج: « الحرقاء »؛ وما أثبتته من ب.

(٣) شعاعا: متفرقة. والحجال: جمع حجلة؛ وهي الكلة تهيأ للعروس.

(٤) العوالي: جمع عالية؛ وهي أعلى الرمح.

(٥) أشراف: جمع شرف، وهو المكان العالي.

(٦) ب، ج: « أبوالجحاف »، وفي الأغاني: « أبوالخفاث ». وفي الحواشي: الخفاث:

حية، على تشبيه قوم عقييل بها.

(٧) الأغاني: « منهم ».

فلما صاروا به إلى الموضع الذي يُدفن فيه حفروا له حُفْرَةً وَأَلْقَوْهُ فِيهَا ، ووارَوْهُ بِالْثَرَابِ  
فَلَمَّا أَنْصَرَ فَأَقَالَ لَهُ : يَا هِنَاهُ<sup>(١)</sup> ، أَنْسَيْتُ الْجَبَلَ فِي عُنُقِ أَخِي وَرِجْلِيهِ ، وَسَيَبْقَى  
مَكْتُوفًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ! قَالَ : دَعَهُ ، يَا هِنَاهُ ، فَإِنْ بُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَحُلُّهُ .

خَطَبَ شَيْبُ بْنُ الْبَرِّصَاءِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْمُرْتَمِي الصَّرْمِيِّ<sup>(٢)</sup>  
أَبْنَتَهُ ، فَقَالَ : هِيَ صَغِيرَةٌ ، فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنَّكَ تَبْنِي أَنْ تُرَدَّنِي ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ :  
مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَنْظِرْنِي<sup>(٣)</sup> هَذَا الْعَامَ ، فَإِذَا أَنْصَرَمَ فَعَلِيَّ أَنْ أَزُوجَكَ .

فَأَنْصَرَ شَيْبٌ مِنْ عِنْدِهِ مُغْضِبًا ، فَلَمَّا مَضَى قَالَ لِيَزِيدَ أَهْلُهُ<sup>(٤)</sup> : وَاللَّهِ مَا  
أَفْلَحَتْ ، خَطَبَ إِلَيْكَ شَيْبٌ سَيِّدُ قَوْمِكَ فَرَدَدْتَهُ ، قَالَ : صَغِيرَةٌ ، قَالُوا : وَإِنْ كَانَتْ  
صَغِيرَةً فَإِنَّهَا سَتَكْبَرُ عِنْدَهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَزِيدُ أَرْجَعَ فَقَدْ زَوَّجْتُكَ ، فَأَبَى أَنْ يَكْرَهُ أَنْ  
يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَقَدْ رَدَدْتُكَ ، فَأَبَى شَيْبٌ أَنْ يَرْجِعَ ، وَقَالَ :

تُرَجِّي النُّفُوسُ الشَّيْءَ لَا تَسْتَطِيعُهُ	وَتُخَشَى مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يَضِيرُهَا
تَبَيَّنُ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ	وَتُقْبَلُ أَشْبَاهًا عَلَيْكَ صُدُورُهَا
الْإِيمَا تَكْفِي النُّفُوسَ إِذَا انْقَتَتْ	تُقَى اللَّهُ مِمَّا حَازَرَتْ فَيُجِيرُهَا
وَلَا خَيْرَ فِي الْعِيدَانِ إِلَّا صَلَابُهَا	وَلَا نَاهِضَاتِ الطَّيْرِ إِلَّا صُقُورُهَا
وَمُسْتَنْبِحٌ يَدْعُو وَقَدْ حَالَ دُونَهُ	مِنَ اللَّيْلِ سَجْفًا ظَلَمَةً وَسُتُورُهَا <sup>(٥)</sup>

(١) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان؛ وتزاد الألف في آخر النداء .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « الصرمي » .

(٣) أنظرني : أمهلني .

(٤) الأغاني : « بعض أهله » .

(٥) السجف : الستر .

رَفَمْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا أَهْتَدَىٰ بِهَا زَجَرْتُ كَلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورُهَا (١)  
فَبَاتَ وَقَدْ أُسْرِيَ مِنَ اللَّيْلِ عُقْبَةً بَلِيلَةَ صَدَقٍ غَابَ عَنْهَا شُرُورُهَا (٢)  
كَانَ بَيْنَ بَنِي كَلْبٍ وَقَوْمٍ مِنْ قَيْسِ دِيَّاتٍ ، فَشَى الْقَوْمَ إِلَىٰ أَبْنَاءِ أَخْوَالِهِمْ (٣) مِنْ  
بَنِي أُمَيَّةَ يَسْتَعِيثُونَ بِهِمْ فِي الْحِمَالَةِ (٤) ، فَحَمَلَهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ كَلْبًا عَنِ الْفَرِيقَيْنِ ،  
وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ شَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ :

وَلَقَدْ وَقَفْتُ النَّاسَ عَنْ حَاجَاتِهِمْ وَالنَّفْسُ حَاضِرَةٌ الشَّمَاعُ تَطْلَعُ (٥)  
وَعَرِمْتُ فِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ غَرَامَةً يَمِيًا بِهَا الْحَصْرُ الشَّجِيحُ وَيَطْلَعُ (٦)  
إِنِّي فَتَىٰ حُرٌّ لِقَدْرِي عَارِفٌ أُعْطِيَ بِهِ وَعَلَيْهِ مِمَّا أَمْنَعُ

اسْتَعْدَى رَهْطُ أَرْطَاةِ بْنِ سُهَيْبَةَ عَلَى شَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ إِلَى عِمَّانَ بْنِ حَيَّانَ  
الْمُرِّيِّ ، وَقَالُوا لَهُ : عَمَّنَا بِالْهَجَاءِ ، وَشَتَمَ أَعْرَاضَنَا . فَأَمَرَ بِإِشْخَاصِهِ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ  
عَلَى عِمَّانَ وَقَدْ أُوتِيَ بِثَلَاثَةِ لُصُوصٍ قَدْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ ، يُقَالُ لَهُمْ : بَهْدَلٌ وَمَسْعُودٌ (٧)  
وَهُضِيمٌ ؛ فَقَتَلَ بَهْدَلًا وَصَلَبَهُ ، وَقَطَعَ مَسْعُودًا وَالهَضِيمَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى شَيْبِ ، فَقَالَ لَهُ :  
كَمْ تَسْبُّ أَعْرَاضَ قَوْمِكَ ، وَتَسْتَطِيلُ عَلَيْهِمْ ، أُقِيمُ قَسْمًا صَادِقًا (٨) لئن عَاوَدْتَ هَجَاءَهُمْ  
لَأُقَطِّعَنَّ لِسَانَكَ . فَقَالَ شَيْبِ :

(١) هزير الكلب : صوته ؛ وهو دون النباح .

(٢) العقبة : مقدار فرسخين .

(٣) الأغاني : « أخواتهم » .

(٤) الحماله : الدية يحملها القوم .

(٥) نفس شعاع : متفرقة .

(٦) الحصر : البخيل ، وطلع : غمز في مشيه ؛ وهو شبيه بالعرج .

(٧) في الأغاني : « ومتفور وهيصم » .

(٨) في الأغاني : « حقا » .

سجنت لسانى يا بن حَيَّان بعدَمَا  
وَعِيدُكَ أَبْقَى مِنْ لِسَانِي بَدَاءَةً  
رَأَيْتُكَ تَحْلُو لِي إِذَا شِئْتَ لَأَمْرِي  
وَكُلَّ طَرِيدٍ هَالِكٍ مُتَحَيِّرٍ  
يَدَاكَ يَدَا خَيْرٍ وَشَرٍّ فَهَمَّا

بِهَا أَرْطَاةُ بِنِ سُهَيْمَةَ شَيْبِ بْنِ الْبَرِّصَاءِ ، وَنَفَاهُ عَنْ بَنِي عَوْفٍ فَقَالَ :

فَلَوْ كُنْتُ عَوْفِيًّا عَمِيَّتْ وَأَسْهَلْتُ كُذَّكَ وَلَكِنَّ الرَّيْبَ مُرِيبٌ (٣)

فَعَمِيَ شَيْبُ بْنُ الْبَرِّصَاءِ بَعْدَ مَوْتِ أَرْطَاةِ بِنِ سُهَيْمَةَ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَيْتَ ابْنَ

سُهَيْمَةَ كَانَ حَيًّا ؛ لِيَعْلَمَ أَنْتَنِي عَوْفِيًّا !

قَالَ : وَالْعَمَى شَائِعٌ فِي بَنِي عَوْفٍ ، إِذَا أَسَنَّ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَمِيًّا ، وَقَالَ مَنْ يُفْلِتُ

مِنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ شَيْبِ فِي بَدَلِ النَّفْسِ عِنْدَ الْفَقَاءِ ، وَيُعْجَبُ بِهِ :

دَعَانِي حُصَيْنٌ لِلْفِرَارِ وَسَاءَ فِي مَوَاطِنُ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهَا فَأُشْتَمًا (٤)

فَقُلْتُ لِجِحْصِنٍ : نَحَّ نَفْسَكَ إِنَّمَا يَذُودُ الْفَتَى عَنْ حَوْضِهِ أَنْ يَهْدَمَا

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ (٥)

سَمِكَفِيكَ أَطْرَافَ الْأَسِنَّةِ فَارِسٌ إِذَا رِيحَ نَادَى بِالْجَوَادِ فَأُلْجَمَا

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْكَرْيَمَةَ أَوْ شَكَتْ حِبَالُ الْهُوَيْنِيِّ بِالْفَتَى أَنْ تَجَدَّمَ (٦)

(١) الأغانى : « من لسانى قذاذة » ؛ وفي شرحه : القذاذة من كل شيء : ما قطع منه .

(٢) احلولى : حلا . المرار : شجر مر .

(٣) الكدى : جمع كدية ؛ وهى الأرض .

(٤) فى الأغانى : « على فأشتما » .

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « بعد ما أتقدما » ؛ والوجه ما فى الأغانى .

(٦) تجدّم : تقطم .



## ذکر الشمرذل\*

هو الشمرذل بن شريك بن عبد الله<sup>(١)</sup> بن روبة بن سامة بن مكرم بن ضباري ابن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، معاصراً جرير والفرزدق . وكان قد أخرج هو وإخوته : حكيم ، ووائل ، وقدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سود . وبعث وكيع أخاه وائلا إلى حرب الترك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارس ، وبعث أخاه حكماً إلى سجستان .

فقال له الشمرذل : إن رأيت أيها الأمير أن تُنفِذنا معاً في وجه واحد ، فإننا إذا اجتمعنا تماوتنا وتناصرنا ! فلم يفعل ، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها .

فقال الشمرذل يهجو<sup>(٢)</sup> . ولم ينسب أن أتاه نعي أخيه قدامة من فارس ، قتله جيش لقوهم بها ، ثم تلا ذلك نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام ، فقال :

وغيصة حزن في فراق أخ جزل	أعذل كم من روعة قد شهدتها
على الضحى حتى تنسىني أهلي <sup>(٣)</sup>	إذا وقعت بين الحيازيم أسدفت
أسي الدهر عن ابني أب فارقاً مثلي	وما أنا إلا مثل من ضربت له
مضوا لا ضعاف في الحياة ولا عزل	أقول إذا عزيت نفسي بإخوة
سيمسون شتى غير مجتمعي الشمل	أبي الموت إلا فجع كل بني أب

\* ترجمته في الأغاني ١٢ : ٣٥١ - ٣٦٣ ( طبع الدار ) .

(١) الأغاني : « عبد الملك » .

(٢) كذا في الأصول . وانظر الأبيات في الأغاني ١٢ : ٣٥١ .

(٣) الحيازيم : جمع الحيزوم ؛ وهو ما استدار بالظهر والبطن أو ضلع الفؤاد وما اكتنف

الحقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت في لغة تميم ؛ والشمرذل تميمي .

وقال يرثي أخاه وائلًا ، وهي من مختار المراني (١) :

لعمري لئن غالت أختي دارُ فرقةٍ      وآبَ إلينا سيفه ورواحلهُ  
 وحلتَ به أثقالها الأرضُ وأنتهى      بمشواه منها وهو عَفٌّ مأكلهُ  
 وُصُولُهُ إذا استغنى وإن كان مُقتَرًا (٢)      من المال لم يُحِفِ الصديقُ مُسائله (٣)  
 محلٌّ لأضيافِ الشتاء كأنما      همُ عنده أيتامه وأراملهُ  
 أقولُ وقد رجمتُ عنه فأسرعتُ      إلى بأخبار اليقينِ محاصيله (٤)  
 إلى الله أشكو لا إلى الناسِ فقدهُ      ولو عة حزنٍ أوجعَ القلبَ داخلهُ  
 وتحقيقَ رؤيا في المنام رأيتها      وكان أختي رُحماً ترفُضَ عامله (٥)  
 سقى جدنا أعرافُ نعمةٍ دونه      وببيشةٍ ديماتُ الربيعِ ووايله (٦)  
 بمشوى غريبٍ ليس مِنَّا مزاره      بدانٍ ، ولا ذو الودِّ مِنَّا موايلهُ  
 إذا ما أتى يومٌ من الدهرِ دونه      فحيّاك عنّا شرقه وأصائلهُ  
 سنّا صُبحَ إشراقِ أضواءٍ ومغربٍ      من الشمسِ وافي جُنحِ ليلٍ أوائلهُ  
 تحييةً من أدّى الرسالة حُببتُ      إليه ، ولم ترَجع بشيءٍ رسائلهُ  
 أبو الصبرِ أن العَيْنَ بمدكٍ لم يزل      يخالطُ جفنتيها قَدَى لا نزاليله (٧)  
 وكنتُ أعيرُ الدمعَ قبلكَ من بكى      فأنت على من ماتَ بمدكٍ شاغلهُ

(١) في الأغاني : « وجيد شعره » .

(٢) المقتر : القليل المال .

(٣) أحفاه : برح به في الإلحاح عليه ، أو سأله فأكثر عليه الطلب .

(٤) الترجيم : من الرجم ؛ وهو القذف بالغيب والظن .

(٥) ترفض : تنكسر وتحطم . وعامل الرمح : صدره .

(٦) الأغاني : « ببيشة » .

(٧) القدى : ما ترمى به العين من غمص ورمص .

يذكرني هَيْفَ الْجَنُوبِ وَمُنْتَهَى  
وهتافةٌ فَوْقَ الْفُصُونِ تَفَجَّعَتْ  
مِنَ الْوُرُقِ بِالْأَصْيَافِ نَوَامَةُ الضَّحَى  
وَسُورَةُ أَيْدِي الْقَوْمِ إِذْ حُلَّتِ الْحُبَا  
فَعَيْنِي إِذْ أَبْكَأَ كَمَا الدَّهْرُ فَأَبْكِيَا  
فَمَا كُنْتُ أَلْفِي لِأَمْرِي عِنْدَ مَوْطِنٍ  
وَكُنْتُ بِهِ أَعْشَى الْقِتَالِ فَمَزَّنِي  
لِعَمْرُكَ إِنْ الْمَوْتَ مِنَّا لَمَوْعٌ  
ثُمَّ قُتِلَ أَخُوهُ حَكَمٌ فِي وَجْهِهِ ، وَبَرَزَ بَعْضُ عَشِيرَتِهِ إِلَى قَاتِلِهِ فَقَتَلَهُ ، وَأَنَّ  
الشمر دَلَّ أَيْضًا نَعْيَهُ ، فَقَالَ :

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكَمَا وَرَاحُوا  
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَيْقَنْتُ أَنِّي  
أَخٌ لِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي  
فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءَ عَلَيْهِ دَمْعِي  
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا  
بِأَبْيَضَ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي  
وَكَلَّ بَنِي أَبِي مَتْفَارِقَانِ  
وَكُنْتُ مُجِيبَهُ أَنِّي دَعَانِي  
وَلَوْ أَنِّي أَمُوتُ لَقَدْ بَكَانِي (٦)  
نَصُولُ بِهِ لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ (٧)

(١) الهيف : ريح حارة تأتي من نحو اليمين . الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش .

(٢) غباطله : ما اجتمع عليه والتف . الفرقد : شجر .

(٣) الحبا : جمع حبة ؛ وهو الثوب يمتد به . وحل الحبا ، كناية عن الاستعداد للحرب

ونحوها .

(٤) بات : بعد وانفصل . والنائل : العطاء .

(٥) عزني : غلبني . المقدار : القدر ، بالتحريك .

(٦) الأغاني : « ولو أنني الفقيذ إذن بكاني » .

(٧) العوان من الحرب : التي قوتل فيها مرة بعد مرة .

قتيلاً ليسَ مثلَ أخى إذا ما  
وكنتَ سِنانَ رُمحى فى قناتى  
وكنتَ بَنانَ كَفَى فى يَمِينى  
وكانَ يَهَابُكَ الأعداءُ فىنا  
فقدَ أبدوأَ ضغائنَهُمُ وشَدُّوا  
فِداكَ أَخٌ نَبأَ عنهُ غَناءُ  
وموئى لا تَصولُ له يَدانِ

كان الشمر دَل رأى فى مَنامِهِ كَأَنَّ سِنانَ رُمحِهِ سَقَطَ ، فَعَبَّرَهُ عَلَى بَعْضِ  
مِنَ يَعْبُرُ الرُّؤْيَا ، فَأَتَاهُ نَعْيُ أَخِيهِ وَأَثَل ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :

وتفسيرُ رؤْيَا فى المنامِ رأيتُها فكانَ أَخِي رُمحاً تَرَ قَضَ عامِلُهُ

كان الشمر دَل مُعَرِّماً بِالشَّرَابِ ، وَكَانَ لَهُ نَدِيمَانِ يَعَاثِرَانِهِ فى حاناتِ الخَمَارِينِ  
بمِخْرَاسانِ ، أَحَدُهُما يُقالُ لَهُ : دَيْكَلُ مِنْ قَوْمِهِ ، وَالآخَرُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ يُقالُ لَهُ :  
قَبِيصَةَ . وَتَنادَوا يَوْمَما عَلَى جَزُورٍ نَجَرُوهُ ، وَشَرِبُوا حَتَّى سَكِرُوا ، وَأَنْصَرَفَ  
قَبِيصَةَ حافِياً ، وَتَرَكَ نَعْلَهُ عِنْدَهُمْ وَأَنْسَبَها مِنْ الشُّكْرِ ؛ فَقالَ الشَّمْرُ دَل :

شربتُ ونادمتُ الملوكةَ فلمَ أَجِدُ  
على الكأسِ نَدَمًا نالها مِثْلُ دَيْكَلِ (٣)  
أَقَلَّ مِكَاساً فى جَزُورٍ وإنْ غَلَّتْ  
وأمرَعِ إنْصاجاً وإنْزالَ مِرْجَلِ (٤)  
عَشِيَّةَ أُنْسَيْنَا قَبِيصَةَ نَعْلَهُ  
فراحَ الفِتىَ البَكَرِثى غيرَ مَنعَلِ

(١) الخفرات : جمع خفرة ؛ وهى الشديدة الحياء .

(٢) الطرف : السكر من الخيل .

(٣) النديمان والنديم بمعنى .

(٤) المكاس : اتقاس الثمن فى البيع واستحطاطه .

كان رجل من بني ضَبَّةَ عدوًّا للشَّمرِ دَل ، وكان نازلاً في بني دارِم بن مالك ،  
ثم خرج في البعث الذي بعث مع وكيح ، فلما قُتِلَ إخوة الشَّمرِ دَل وماتوا ، بلغه  
عن الضَّبِّيِّ سرورٌ بذلك وشماتةٌ بمصيبته ، فقال :

يأتيها المُبتَغِي شَتْمِي لِأَشْتَمُهُ      إِنْ كُنْتَ أَعْمَى فَإِنِّي عَنْكَ غَيْرُ عَمٍ

وما بناءٌ وَإِنْ شُدَّتْ دَعَائِمُهُ      إِلَّا سَيُصْبِحُ يَوْمًا خَاوِيَ الدَّعَمِ

لَنْ نَجُوتَ مِنَ الْأَحْدَاثِ أَوْ سَلِمَتْ      مِنْهُمْ نَفْسُكَ لَمْ تَسَلَمْ مِنَ الْهَرَمِ

وكان الشَّمرِ دَل صاحبَ قَنَصٍ وَصَيْدٍ وَجَوَارِحٍ ، وله في الصَّقْرِ وَالْكَلْبِ

عِدَّةٌ أَرَاغِيزُ .

## ذكر شارية\*

هي من مولدات البصرة ، كان أبوها رجلا من بني سامة بن لؤي المروفيين  
ببني ناحية ، جدها<sup>(١)</sup> .

وأما أمة ، فدخلت في الرق ، وقيل : بل سُرقَت فبيعت ، فأشترتها امرأة  
من بني هاشم ، فأدبتها وعلّمتها الغناء ، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي ، فأخذت  
غناءه كله أو أكثره ، وبذلك يحتج من يقدمها على غيرها .

وصنف ابن المعتز كتاباً في أخبارها ، وذكر أنها كانت لامرأة بصرية من  
الهاشميات ، من ولد جعفر بن سليمان ، فحملتها لتبيعها في بغداد ، فعرضت على  
إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأعطاه ثلاثمائة درهم ، وأستفلاها بذلك ، ولم يزد لها .  
فجىء بها إلى إبراهيم بن المهدي ، فعرضت عليه ، فسأوم بها ، فقالت له مولاتها :  
قد بذل لنا إسحاق ثلاثمائة درهم ، وأنت - أعز الله الأمير - أحقُّ بها ، فقال :  
زِنُوا لها ما قالت ، فوزِن لها ، ثم دَعَا بقيمتها ، فقال : خذي هذه الجارية ولا تُرينيها<sup>(٢)</sup>  
لسنة<sup>(٢)</sup> ، وقولي للجواري يطرحنَ عليها .

فلما كان بعد سنة أُخرجت إليه ، فنظَرَ إليها ، وسمعَ منها ، فأرسل إلى إسحاق  
ابن إبراهيم ، ودعاها فأراه إياها ، وأسمعه غناءها ، وقال : هذه الجارية تُباع ،  
فبِكِّم تأخذها لنفسك ؟ فقال : آخذها بثلاثة آلاف درهم ، وهي رخيصةٌ بها .  
فقال إبراهيم : أفتعرفها ؟ قال : لا . قال : هذه الجارية التي عرضتها الهاشمية

\* ترجمتها في الأغاني ١٦ : ٣ - ١٦ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) الأغاني : « وأنه جدها » .

(٢) الأغاني : « سنة » .

بثلاثمائة درهم فلم تقبلها . فبقى إسحاق يَمَجِّبُ من حالها ، وما أنقلبت إليه . وكانت لها أمٌ حَبَشِيَّةٌ تدعى أنها بنت محمد بن زيد ، من بني سامة بن لؤى .

وقيل : كانت تدعى أنها من بني زُهْرَةَ ، فجاء بشارية إلى بغداد ، وعُرِضَتْ على ابن المهدي ، فأعجب بها إعجاباً كثيراً ، وبلغت ثمانية آلاف درهم ، ولم يكن عند إبراهيم درهمٌ ولا دَرَنِقٌ .

قال هِبَةُ اللَّهِ بنُ إبراهيم : قال لي أبي : ويحك ! قد والله أعجبتني هذه الجارية إعجاباً شديداً ، وليس عندنا شيء . فقلت : نبيع ما نملكه حتى الخَرْفَ<sup>(١)</sup> ونجمع ثمنها .

فقال لي : قد تفكّرت<sup>(٢)</sup> في شيء ، اذهب إلى عليّ ابن هشام فأقرئه مني السلام ، وقل له : جملتُ فِداك ! عُرِضَتْ عليّ جاريةٌ وقد أخذتُ بمجامع قلبي ، وليس عندي شيء ، وأحبُّ أن تُقرضني عشرة آلاف درهم .

فقلت له : إن ثمنها ثمانية آلاف درهم ، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال : إذا اشتريتها بثمانية آلاف ، ليس لنا بدٌّ من أن نكسوها بألفين ، فصرتُ إلى عليّ بن هشام وأبلغته الرسالة . فدعا بوكيلٍ له ، وقال : ادفع إلى خادمه عشرين ألف درهم ، وقل له : أنا لأصلك ، ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة ، فصرت إلى أبي بالدرهم ، فلو طلعتُ عليه الخِلافة لم تكن تعدلُ عنده تلك الدراهم . وكانت أمها كلما لم يُعطِ إبراهيمُ أبنيتها ما تشتمى ترَفَعُ قصته إلى المعتصم ، وتساءله أن يأخذ أبنيتها من إبراهيم .

(١) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « حتى الأخرق » .

(٢) الأغاني : « فكرت » .

قال يوسف بن إبراهيم المصري ، صاحب إبراهيم ، وجهه بن إبراهيم إلى عبد الوهاب بن علي في حاجة ، فلقيته وأنصرفت من عنده ، فلم أخرج من دهليز الباب حتى أستقبلتني امرأة ، فلما لصقت بي سترت وجهها ، فأخبرتني شاكري<sup>(١)</sup> أن المرأة أم شاربة جارية إبراهيم .

فبادرت إلى إبراهيم وقلت له : أدرك ، فإني رأيت أم شاربة في دار عبد الوهاب ، وهي من تعلم ، وما تفجؤك إلا بحيلة قد أوقعتها .

فقال لي في جواب ذلك : إن جاريتي شاربة صدقة على ميمونة بنت إبراهيم ابن المهدي ، ثم أشهد أبنه هبة الله على ذلك ، ثم أمرني بأن أذهب إلى دار ابن أبي ذؤاد وإحضار من أقدر عليه من الشهود المعدلين عنده ، فأحضرت عشرين شاهدا ، وأمر بإخراج شاربة فخرجت .

فقال لها : أسفري عن وجهك ، فجزعت من ذلك ، فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريد بها ، ففعلت . فقال لها : تسمى ، فقالت : أنا شاربة ، فقال لهم : تأملوا<sup>(٢)</sup> وجهها ، ففعلوا ، فقال : إني أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى ، وأني قد تزوجتها ، وأصدقها عشرة آلاف درهم ، يا شاربة مولاة إبراهيم ، أَرْضِيَتْ؟ قالت : نعم يا سيدي قد رضيت ، والحمد لله على ما أنعمت به علي ، فأمرها بالدخول ، وأطعم الشهود وطيبهم ، وأنصرفوا .

فما تجاوزوا دار أبي ذؤاد حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي ، فأقرأ عمه سلام المعصم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من الفرض علي طاعتك وصياتك عن كل ما يضرّك ، إذ كنت عمي وصنو أبي ، وقد رُفِعَتْ إلى قصة :

(١) الشاكري : أحد الجنود الشاكرية ؛ من جند العباسيين .

(٢) كذا في الأغاني وفي الأصول : « اعلموا » .



أَنَّ أُمَّ شَارِيَةَ أَمْرَأَةً مِنْ قَرِيْشٍ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ صَلِيْبِيَّةٌ <sup>(١)</sup> ، وَاحْتَجَّتْ أَنَّهُ لَا تَكُوْنُ امْرَأَةً مِنْ قَرِيْشٍ أُمَّةً ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ صَادِقَةً فِي أَنْ شَارِيَةَ بِنْتُهَا ، وَأَنَّهَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ ، فَمِنْ الْحَالِ أَنْ تَكُوْنُ شَارِيَةَ أُمَّةً ، وَالْأَشْبَهُ بِكَ وَالْأَصْلَحُ إِخْرَاجُ شَارِيَةَ مِنْ دَارِكَ ، وَتَدْعُهَا عِنْدَ مَنْ تَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِكَ حَتَّى نَكْشِفَ عَمَّا قَالَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ . فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ أَمْرَتَ مِنْ جَعَلْتَهَا عِنْدَهُ بِإِطْلَاقِهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْحِظُّ لَكَ فِي دِيْنِكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ أُعِيْدَتْ الْجَارِيَةُ إِلَيْكَ ، وَقَدْ زَالَ عِنْدَكَ الْقَوْلُ الَّذِي لَا يَلْزَمُكَ .

فَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ : فَدِيْتِكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيْمِ ! هَبْ شَارِيَةَ بِنْتَ زُهْرَةَ بِنَ كَلَابٍ ، أَتُنْكِرُ عَلَى ابْنِ الْعَبَّاسِ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْ يَكُوْنُ لَهَا بَعْمَلًا ! فَقَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ : لَا ، فَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ : فَأَبْلِغْ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّ شَارِيَةَ حُرَّةٌ ، وَأَنَّهُ قَدْ تَزَوَّجَهَا بِشَهَادَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُدُولِ ، وَقَدْ كَانَ الشُّهُودَ بَعْدَ مَنْصَرَفِهِمْ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيْمِ صَارُوا إِلَى أَبِي دُوَادٍ ، فَشَمَّ مِنْهُمْ رَائِحَةَ الطَّيْبِ ، فَأَنْكَرَهُ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ ، فَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ حَضَرُوا عَتَقَ شَارِيَةَ وَتَزَوَّجَ إِبْرَاهِيْمَ إِيَّاهَا .

فَرَكِبَ إِلَى الْمَعْتَصِمِ ، فَخَدَّمَهُ بِالْحَدِيثِ مَعْجِبًا لَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ : ضَلَّ سَمِيَّ عَبْدِ الْوَهَّابِ ! وَدَخَلَ عَبْدُ الْوَهَّابِ عَلَى أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ سَدَّ الْمَعْتَصِمُ أَنْفَهُ ، وَقَالَ : يَا عَبْدَ الْوَهَّابِ ، أَنَا أَتَمُّ رَائِحَةَ صُوفٍ مُحْرَقٍ ، وَأَحْسَبُ عَمِّيَ لَمْ يَقْنَعْ بِرَدِّكَ إِلَّا وَعَلَى أُذُنِكَ صُوفَةٌ حَتَّى أَحْرَقَهَا ، فَسَمِمْتُ رَائِحَتَهَا مِنْكَ .

فَقَالَ لَهُ : الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَأَقْبَحَ .

وَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الْوَهَّابِ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيْمِ ، ابْتَعَا إِبْرَاهِيْمُ شَارِيَةَ مِنْ مِيْمُونَةَ بِمِشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَسَتَرَ ذَلِكَ عَنْهَا ، وَكَانَ عَتَقَهُ إِيَّاهَا وَهِيَ فِي مَلِكٍ غَيْرِهِ ، ثُمَّ ابْتَعَاهَا مِنْ مِيْمُونَةَ ، فَحَلَّ لَهُ فَرَجُهَا .

(١) الصليبية : الخالصة النسب .

## ذِكْرُ الصِّمَّةِ\*

هو الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ  
ابْنِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَمْعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنِ  
ابْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارِ .

شاعرٌ إسلاميٌّ بَدَوِيٌّ ، من شعراء الدولة الأموية . ولقرّة بن هُبَيْرَةَ صحبةٌ  
بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ جَدُّهُ قُرَّةُ ، قَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا  
نَعْبُدُ آلِهَةً لَا تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّنَا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ  
[ ذَا عَقْلًا ] (١) !

وكان من خبره أنه هَوِيَ أُمَّرَأَةً مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، يُقَالُ لَهَا : الْعَامِرِيَّةُ بِنْتُ غَطِيفِ  
ابْنِ حَبِيبِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَخَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا ، فَأَبَى أَنْ يَزُوجَهَا ، وَخَطَبَهَا عَامِرُ  
ابْنُ بَشْرِ بْنِ مَالِكِ مُلَاعِبِ الْأَسْتَةِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهَا - وَكَانَ عَامِرُ  
قَصِيرًا قَبِيحًا - فَقَالَ الصِّمَّةُ فِي ذَلِكَ :

فَإِنْ تَنْكِحُوهَا عَامِرًا لَا تُطْلَعِ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِ يَدُهُدِيكُمْ بِرَجْلَيْهِ عَامِرُ (٢)  
شَبَّهَهُ بِالْجَمَلِ الَّذِي يَدُهُدِي الْبَعْرَةَ بِرَجْلَيْهِ . فَلَمَّا بَنَى بِهَا زَوْجَهَا ، وَجَدَ الصِّمَّةُ بِهَا  
وَجْدًا شَدِيدًا ، وَحَزِنَ عَلَيْهَا ، فَزَوَّجَهَا أَهْلَهُ أُمَّرَأَةً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا : خَيْرَةُ (٣) بِنْتُ وَحْشِيَّةَ  
ابْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ ، فَأَقَامَ مَعَهَا مُقَامًا يَسِيرًا ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ غَضِبًا عَلَى قَوْمِهِ ،  
وَخَلَّفَ أُمَّرَأَتَهُ فِيهِمْ ، وَقَالَ لَهَا :

\* ترجمته في الأغاني ٦ : ١ - ٩ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) تسكلمة من الأغاني .

(٢) الأغاني : « يدهدهكم : » ؛ وددهاه وددهمه . دحرجه .

(٣) الأغاني : « جيرة » .

كُلِّي التَّمْرَ حَتَّى يَهْرَمَ النَخْلَ وَأَضْفِرِي خِطَامَكَ لَا تَدْرِيْنَ يَوْمَكَ مِنْ أَمْسٍ  
وقال في العامرية أشمارا كثيرة .

رَوَى أَبُو دَاؤَبَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ قُشَيْرٍ ، أَنَّ الصَّمَّةَ خَرَجَ فِي غَزَىٍّ (١) مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
إِلَى الدَّيْلَمِ ، فَاتَ بَطْرِيَسْتَانَ . وَحَدَّثَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ طَبْرِسْتَانَ كَبِيرُ السِّنِّ . قَالَ :  
بَيْنَا أَنْ يَوْمَا أَمْشَى فِي ضِيَمَةٍ لِي فِيهَا أَلْوَانٌ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَالزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْجَارِ ،  
إِذَا أَنَا بِإِنْسَانٍ فِي الْبَسْتَانَ مَطْرُوحٍ ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ خُلُقَانٌ ، فَذَنُوتٌ مِنْهُ ، فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ  
وَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ بِصَوْتِ خَفِيِّ :

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى بِشَامَ الْحَمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ (٢)  
كَأَنَّ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحَمَى وَأَهْلَ الْحَمَى يَهْفُؤُ بِهِ رِيشُ طَائِرٍ

فَا زَالَ يَرُدُّ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ حَتَّى فَاطَتْ (٣) نَفْسُهُ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَتَقِيلُ لِي : هَذَا  
الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيُّ .

قال إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزدي: لو حلف حالف أن أحسن أبيات قيلت  
في الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة ما حث:

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا  
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِمًا وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا  
بَكَتْ عَيْنِي الْيَمَسِي فَلَمَّا زَجَرْتُهُا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا  
وَأَذْكَرُ أَيَّامِ الْحَمَى ثُمَّ أَنْثَيْ عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا  
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدَمَعَا  
أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرِيكَ مَا كَفَّكَتِ اللَّعِينُ مَدَمَعَا

(١) الغزى : الجماعة الغازون .

(٢) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٣) فاظت وفاضت بمعنى .

بَلَىٰ وَجَلالِ اللَّهِ ذَكَرًا لَوْ أَنَّهُ  
فَلَمَّا رَأَيْتُ البِشْرَ قَدْ حَالَ دُونَنَا  
يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا  
وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّقْوَى تَحْتَى فُزَعَا (١)  
تَلَفْتُ نَحْوَ الحَى حَتَّى وَجَدْتُنِي  
وَرَجَعْتُ مِنَ الإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَخَدَعَا (٢)  
وَتُرَوَّى لَقَيْسَ بنِ دَرِيحٍ .

وَرَوَى الهَيْمُ بنُ عَدَى أَنَّهُ لَمَّا خَطَبَ ابْنَةَ عَمِّهِ سَاقَ أبُوهُ الإِبِلَ عَنْهُ إِلَى أَخِيهِ  
فِي مَهْرِ ابْنَتِهِ فَعَدَّهَا ، فَإِذَا هِيَ تَنْقُصُ بَعِيرًا ، فَقَالَ : لَا آخِذُهَا إِلَّا كَامِلَةً ، فَغَضِبَ  
أَبُوهُ وَحَلَفَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ شَيْئًا ، وَرَجَعَ إِلَى الصَّمَّةِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ ؟  
فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُمَّمَنْكَ ! وَإِنِّي لِأَلَأَمُّ مَنْكَ إِنْ أَقَمْتُ .  
ثُمَّ رَكِبَ نَاقَتَهُ ، وَرَحَلَ إِلَى ثَغْرِ مِنَ الثُّغُورِ ، فَأَقَامَ بِهِ حَتَّى مَاتَ ، وَقَالَ :  
أَمِنْ أَجْلِ دَارِ الرِّقَاشِينَ أَعْصَفْتُ بِهَا بَارِحَاتُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرُجْمًا (٣)

(١) الأغانى : « وجالت بنات الشوق في الصدر » .

(٢) اللبت : صفحة العنق . والأخدع : عرق في العنق .

(٣) رواية الأغانى للبت :

أَمِنْ ذَكَرٍ دَاءٍ بِالرِّقَاشِينَ أَصْبَحْتُ بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرُجْمًا

وفي الحاشية : « الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف في متلف دار كعب و كلاب ؛ ونسب البيت إلى يزيد بن الطثيرة » .

## ذكر أبي سُفْيَانِ\*

هو أبو سُفْيَانِ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ .

وَأُمُّ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بِنْتُ أَبِي هَمَّامَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُزَيِّ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرٍو<sup>(١)</sup>  
ابن وديعة بن الحارث بن فهر<sup>(٢)</sup> بن مالك بن النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ .

وَأُمُّ أَبِي سُفْيَانَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ بُجَيْرِ بْنِ الْهَزَمِ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
ابنِ عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ . وَهِيَ عَمَّةٌ مَيْمُونَةٌ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ  
ابنِ حَزْنِ أُمَّ بِنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ .

وكان حربُ بنُ أُمَيَّةَ فائِدَ بنِ أُمَيَّةَ ، وكانت الجِنُّ قد قتلته هو ومِرداس  
ابنُ عامر السُّلَمِيِّ ؛ وذلك أن حرب بن أُمَيَّةَ لما أنصرف من حرب عكاظ هو وإخوته ،  
مرَّ بالقَرْيَةِ - وهي إذ ذاك غَمِيضَةُ شَجَرٍ مُلتَفٍّ لِأَيْرَامَ - فقال له مِرداس بنُ عامر  
السُّلَمِيِّ : أما ترى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فما له ؟ قال : نعم المزدرع ؛ فهل لك  
أن تكون شريكاً فيه ، ونحرق هذه الغمِيضَةَ ، ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال ، نعم .  
فأضرمَا النارَ في الغمِيضَةَ ، فلمَّا أَسْتَطَارَتِ ناراً ، سَمِعَ فِيهَا أُنِينَ وَضَجِيجَ ، ثم ظهرت  
منها حَيَاتٌ بَيْضٌ تُطِيرُ ؛ حتَّى خرجتُ منها ، وُسِّعَ هاتِفٌ من الغمِيضَةَ لما أحتُرقت  
يقول :

\* ترجمته في الأغاني : ٦ : ٣٤١ - ٣٥٦ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) في الأغاني : « ابن عميرة » .

(٢) كذا في الأغاني ؛ وهو الوجه ، وفي ب ، ج : « ابن فهم » .

وَيْلٌ لِّلْحَرْبِ فَارِسًا      مطاعيناً مُخَالِسًا  
وَيْلٌ لِّعَمْرٍو فَارِسًا      إِذْ لَبَسُوا الْقَوَانِسَا (١)  
لَنَقْتُلَنَّ      بَقْتَلِهِ      جَحَاجِحًا      عَنَابِسَا (٢)

ولم يلبث حربُ بنُ أمية ومرداسُ بنُ عامر أن ماتا ، فأما مرداسُ فدُفِنَ في القُرْبِيَّةِ ، ثم أَدْعَاها بحد ذلك كليب بن عَهْمَةَ السَّلْمِيِّ .

وكان أبو سُفْيَانَ سَيِّدًا من سادات قُرَيْشٍ في الجاهليَّةِ ، ورأسًا من رؤوس الأحزاب على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته ، وكهفًا للمنافقين في أيامه ، وأسلم يوم الفَتْحِ ، وكان تاجرًا يجهز التجارات من ماله وأموال قُرَيْشٍ إلى العَجَمِ . وشهد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشَاهِدَهُ بعد الفَتْحِ ، وفُقِّتَ عَيْنُهُ يوم الطائف ، فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك ، ففُقِّتَت الأخرى يومئذ ، فعَمِيَ .

وسُمِعَ أبو سُفْيَانَ يومًا يُمَارِحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويقول : ما هو إلا أن حَارَبْتُكَ حتى حَارَبَكَ النَّاسُ (٣) ، ورسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ ويقول : أنت تقول ذلك يا أبا حَنْظَلَةَ (٤) ! وذلك في بيت أبنته أم حبيبة ، ويقول : إن هو إلا أن تركتكَ ، فتركك العرب ، فانتطحت جماء (٥) ولا ذات قرن . وتزوج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم حبيبة بنت أبي سُفْيَانَ وأبو سُفْيَانَ

(١) القوانس : جمع قونس ؛ وهو أعلى البيضة .

(٢) الجحاجح : جمع جججج ؛ وهو السيد العظيم . والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الستة . حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو .

(٣) الأغاني : « والله إن هو إلا تركتك فتركك العرب فانتطحت جماء ولا ذات قرن » .

(٤) حنظلة ابن أبي سفيان ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

(٥) الجماء : الشاة التي لا قرن لها .

مُشْرِكٌ يُحَارِبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ نَكَحَ أَبْنَتَكَ ، فَقَالَ : ذَلِكَ الْفَحْلُ لَا يُقْدَعُ أَنْفُهُ (١) .

وَأَسْمُ أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةٌ ، وَقِيلَ : هَيْفَاءُ (٢) ، وَالصَّحِيحُ رَمْلَةٌ .

حَدَّثَ أَبُو سُوْفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ قَالَ : كُنَّا قَوْمًا تَجَارًا ، وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَهَكَّتْ (٣) أَمْوَالُنَا ، فَلَمَّا كَانَتْ هُدْنَةُ الْخُدَيْبِيَّةِ ، خَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ ، فَقَدِمْنَا حِينَ ظَهَرَ هِرَقْلٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْ بِلَادِهِ مِنَ الْفُرْسِ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ صَلِيمَةَ الْأَعْظَمِ ، وَقَدْ كَانَ اسْتَلْبِوهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ - وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِحِمَصٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ - خَرَجَ مِنْهَا يَمْشِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ ، تَبَسَّطَ لَهُ الْبَسْطُ ، وَيُطْرَحُ لَهُ عَلَيْهَا الرِّيحَانُ ، حَتَّى أَتَى إِلَى إِبِلِيَاءَ ، فَصَلَّى بِهَا . فَأَصْبَحَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَهُوَ مَهْمُومٌ يُقَلِّبُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَهْمُومًا ، فَقَالَ : أَجَلٌ ، فَقَالُوا : وَمَا ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أُرَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَنَّ مُلْكَ الْخِتَانِ ظَاهِرٌ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا أُمَّةً مِنَ الْأُمَّةِ تَخْتَعِنُ إِلَّا الْيَهُودَ ، وَهُمْ تَحْتَ يَدَيْكَ ، وَسُلْطَانُكَ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِكَ مِنْهُمْ ، فَأَبِثْ فِي مَمْلَكَتِكَ كُلِّهَا ؛ لَا يَبْقَى يَهُودِيٌّ حَتَّى تُضْرَبَ عُنُقُهُ ، فَتَسْتَرِيحَ مِنْ هَذَا الْهَمِّ .

فَأَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ فِي رَأْيِهِمْ يَدْبُرُونَهُ ، إِذْ أَتَاهُمْ رَسُولُ صَاحِبِ بَصْرَةَ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ ، قَدْ وَقَعَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَالْإِبِلِ يُحَدِّثُكَ عَنْ حَدِيثٍ فِي بِلَادِهِ ، فَسَلِّهِ عَنْهُ .

(١) فحل لا يقده أنفه ؛ أى لا يضرب أنفه لكرمه .

(٢) الأغاني : « هند » .

(٣) نهكت أموالنا : أنت عليها .

فلما أتتهى قال لترجأني : سئله ما الخبر ؟ قال : رجل من العرب من قريش يزعم أنه نبي ، وقد تبعه قومٌ وخالفه آخرون ، وكانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجت من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر ، قال : جرّدوه ، فإذا هو محتون ، فقال : هذا والله الذى أريت لا ما تقولون ، أعطه ثوابه ، انطلق لشأنك . ثم دعا صاحب شُرطته ، فقال : قلب لى الشام ظهراً وبطناً ، حتى تأتيني برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لمبغزة إذ هم علينا فسألنا من أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعا ، فلما انتهينا إليه ؛ ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأقف (١) ! يعنى هرقل . فقال لنا : أيكم أسئ به ؟ فقلت : أنا . فقال : أدنوه منى ، ثم أجلس أصحابي خلفي ، وقال : إن كذب فرؤوا عليه .

فقال أبو سفيان : ولقد عرفت أن لو كذبت ما ردوا على ، ولكن كنتُ أمراً سيّداً ، أتكرّم وأستحي من الكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يردوه على ، ويتحدّثوا به عني في مكة ، فلم أكذب ، فقال : أخبرتني عن الرجل الذى خرج فيكم ؟ فهدت له شأنه ، وصغرت أمره ، فوالله ما التفت إلى ذلك منى . وقال : أخبرتني عما أسألك عن أمره ، كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : محض (٢) ، من أو سطنا نسبا .

قال : فأخبرني ، هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله ، فهو يشبهه به ؟ فقلت : لا ، فقال : أخبرتني هل كان له فيكم مُلك فاستلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه مُلكه ؟ فقلت : لا ، قال : فأخبرني عن أتباعه من هم ؟

(١) الأقف : الذى لم يختن ، وفي الأغاني : « الأقف » وهما سواء .

(٢) المحض : الخالص النسب .



قلت : الأحداثُ والضعفاءُ والمساكينُ (١) ؛ فأما أشرافُ قومه ، وذوو الشأنِ منهم (٢) فلا . قال : فأخبرني مَنْ يصحبه (٣) ؛ أيحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟ قلت : قلما صحبه رجلٌ ففارقه .

قال : فأخبرني عن الحربِ بينكم وبينه ؟ فقلت : سجالٌ يدال علينا ، ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجِدْ شيئاً أعمز فيه إلا هذه ، فقلت : لا ، ونحن في هُدنة (٤) ، لا نأمن غدرة ، فوالله ما ألتفت إليها مني ، وأعاد إلى الحديث . فقال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذُ اللهُ النبيَّ إذا أخذه ؛ لا يأخذه إلا من أوسط قومه ، وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا ، وسألتك : هل كان له مُلكٌ فاستلمتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه مُلكه ؟ فقلت : لا ، ولو كان من آباءه ملكٌ قلتُ : رجلٌ يطالبُ ملكَ آباءه ، وسألتك عن أتباعه ، فقلت : إنهم الأحداثُ والمساكينُ والضعفاءُ ، وكذلك أتباعُ الأنبياء في كلِّ زمان ، وسألتك عن من يتبعه ، أيحبه ويكرمه ، أم يقلبه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قلَّ مَنْ يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك : كيف الحربُ بينكم ؟ فزعمت أنها سجال ، وكذلك يكون حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر ؛ فإن صدقتني ليعلبني على ما تحت قدميَّ هاتين ، ولوردتُ أئى عبده (٥) فأغسلُ قدميه ؛ انطلق (٦) لشأنك .

(١) زاد في الأغاني بعد هذه الكلمة : « من الغلمان والنساء » .

(٢) في الأغاني : « فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد » .

(٣) الأغاني : « يتبعه » .

(٤) كذا في ب ، ج وفي الأغاني : « مدة » .

(٥) الأغاني : « عنده » .

(٦) كذا في الأغاني ؛ وهو الوجه ؛ وفي ب ، ج : « الحق بشأنك » .

فَقَمْتُ وَأَنَا أَضْرِبُ بِإِحْدَى يَدَيَّ عَلَى الْأُخْرَى ، وَأَقُولُ : أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ ، لَقَدْ أَمَرَ<sup>(١)</sup> أَمْرُ بْنُ أَبِي كَبْشَةَ<sup>(٢)</sup> ! إِنْ مَلُوكَ بَنِي الْأَصْفَرِ<sup>(٣)</sup> يَخَافُونَهُ فِي سُلْطَانِهِمْ .  
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا عَزَمَ عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ ، خَرَجَ لِعَشْرَةِ مَضِينٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَصَامَ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالسَّكْدِيدِ أَفْطَرَ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ مَرَّةَ الظُّهْرَانِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ عَمِيَّتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبْرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ !

نَخْرَجُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ وَيَنْظُرُونَ ، هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَهُ !

قَالَ الْعَبَّاسُ : فَقُلْتُ : وَاصْبَاحُ<sup>(٤)</sup> قُرَيْشٍ إِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَنُودَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَهَالِكٌ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .  
قَالَ : فَرَكِبْتُ بَغْلَةً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْضَاءَ ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ<sup>(٥)</sup> أَقُولُ : لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْخَطَّابَةِ ، أَوْ صَاحِبَ أُتُنْ<sup>(٦)</sup> ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِيهِمْ فَيَخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِيَخْرِجُوا إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي

(١) أمر: عظم .

(٢) أبو كبشة ، رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان ، وعبد الشعري العبور ؛ فسمى المشركون النبي صلى الله عليه وسلم : « ابن أبي كبشة لخلافه لإبائهم إلى عبادة الله ؛ تشبيها له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعري . وقال بعضهم : أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف ؛ جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الاسان ( كيش ) .

(٣) بنو الأصفر : لقب ملوك الروم عند العرب .

(٤) واصباح ؛ مما يستعمل في الإشفاق من المسكروه .

(٥) الأراك ؛ واد قرب مكة .

(٦) في الأغاني ؛ « صاحب لبن » .

لَأَسِيرُ فَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَبَدَيْلَ بْنِ وَرْقَانَ ؛  
وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطًّا وَلَا عَسْكَرًا !

فَعَرَفْتُ صَوْتَ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ ! قَالَ : فَعَرَفَ صَوْتِي ، فَقَالَ :  
أَبُو الْفَضْلِ ! قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا وَرَاءَكَ ؛ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! قُلْتُ : وَبَيْتِكَ ! هَذَا  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ ، وَاصْبِحَ قُرَيْشٍ ! فَقَالَ : مَا تَأْمُرُنِي ؟  
قُلْتُ : تَرَكَبَ عَجْزَ هَذِهِ الْبَغْلَةِ ، فَاسْتَأْمِنُ لَكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَاللَّهِ  
لَنْ زَافِرَ بِكَ لِيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ . فَرَدَفَنِي ، فَجِئْتُ بِهِ أَرْكُضُ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَكَلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ فَانظَرُوا إِلَيَّ يَقَالُ : عَمُّ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى مَرَرْتُ  
بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانَ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ  
بِعَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ! ثُمَّ اشْتَدَّ نَحْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَكَضْتُ الْبَغْلَةَ  
حَتَّى أَقْتَحَمْتُ عَلَى بَابِ الْقُبَّةِ ، وَسَبَقْتُ عُمَرَ بِمَا تَسْبِقُ بِهِ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةُ وَالرَّجُلُ  
الْبَطِيُّ .

فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا  
أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ، فَدَعَانِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ !  
فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَجْرْتُهُ ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ الْيَوْمَ أَحَدٌ دُونِي . فَلَمَّا أَكْثَرَ فِيهِ  
عُمَرُ قُلْتُ : مَهْلًا يَا عُمَرُ ، فَوَاللَّهِ مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفَرٍ ،  
وَلَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا !

قَالَ : مَهْلًا يَا عَبَّاسَ ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسَلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ  
الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ !

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ فَقَدْ أَمَّنَّاكَ حَتَّى تَعْدُوَ بِهِ بَعْدَ الْغَدَاةِ ،

فرجعتُ إلى منزلي ، فلما أصبح غدَا على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فلما رآه قال : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ! قال : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ ! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ عِزٌّ وَجَلَّةٌ إِلَهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا .

فقال : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللهِ ! فقال : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ ! أَمَا هَذِهِ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ !

قال العباس : فقلتُ له : وَيْحَكَ ! تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ ! قال : فَتَشْهَدُ ؟ فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ للعباس حين تشهَدُ أَبُو سُفْيَانَ : انصرف يا عباس فأجلسه<sup>(١)</sup> عند خَظَمِ<sup>(٢)</sup> الجبلِ بِمَضِيقِ الوادِي ؛ حتى تمرَّ عليه جنودُ اللهِ عِزٌّ وَجَلَّةٌ .

فقلتُ له : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يَجِبُ الْفَخْرُ ، فَأَجْمَلُ لَهُ شَيْئًا يَكُونُ فِي قَوْمِهِ ، قال : نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ .

فخرجتُ به حتى جَلَسْتُ بِهِ عِنْدَ خَظَمِ الْجَبَلِ بِمَضِيقِ الوادِي ، فمَرَّتْ بِهِ الْقِبَائِلُ ، فَعَمِلَ يَقُولُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ ؟ فَأَقُولُ : سُلَيْمٌ ، فَيَقُولُ : مَالِي وَلِسُلَيْمٍ ! فَمَرَّتْ بِهِ قَبِيلَةٌ ، فَيَقُولُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأَقُولُ : أَسْلَمٌ ، فَيَقُولُ : مَالِي وَلَا أَسْلَمَ ! وَتَمَرُّ جُهَيْنَةٌ ، فَيَقُولُ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَأَقُولُ : جُهَيْنَةٌ ، فَيَقُولُ : مَالِي وَجُهَيْنَةٌ ! حَتَّى مَرَّتْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَتَيْبَةِ الْخَضْرَاءِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي الْحَدِيدِ ،

(١) فِي الْأَغَانِي : « فَاحْتَبِسَهُ » .

(٢) خَظَمِ الْجَبَلِ : مَقْدَمُهُ .

لا يُرَى منهم إِلَّا الْحَدَقُ ، فقال : مَنْ هؤُلاءِ يا أبا الفَضْلِ ؟ لقد أصبح مُلْكُ  
أَبْنِ أَخِيكَ عَظِيمًا ! فقلتُ : وَيَحْكُ ! إنها النبوءة ، فقال : نعم ، فقلت : الْحَقُّ الْآنَ  
بِقَوْمِكَ فَخَذَّرْهُمْ ، فخرج سريعا حتى أتى مَكَّةَ فَصَرَخَ فِي الْمَسْجِدِ : يا معشر قريش ،  
هذا مُحَمَّدٌ قد جاءكم بما لا قبَل لكم به . قالوا : فَمَهْ ! قال : مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ  
فهو آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارِي فهو آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فهو آمِنٌ .

قال عبد الله بن الزبير : لما كان يومُ اليرموك خَلَفَنِي أَبِي فَأَخَذْتُ فِرْسَالَهُ  
وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الطُّلُقَاءِ فِيهِمْ أَبُو سَفِيَّانٍ ، فوقفْتُ معهم ، فكانت  
الرُّومُ إِذَا هَزَمَتِ الْمُسْلِمِينَ قال أبو سَفِيَّانٍ : إنهم بنو الأصفر ، فإذا كشفهم  
المُسْلِمُونَ قال أبو سَفِيَّانٍ :

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مَلُوكُ الْـ أَرْضِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ<sup>(١)</sup>

فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، حَدَّثْتُ أَبِي ، قال : قَاتَلَهُ اللَّهُ ! يَا بَنِي إِلا نِفَاقًا !  
أَلَسْنَا خَيْرًا لَهُ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ ! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف بي على أصحاب رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول : حَدِّثْهُمْ فَأُحَدِّثْهُمْ فَيَعَجَّبُونَ مِنْ نِفَاقِهِ .

دخل أبو سَفِيَّانٍ عَلَى عَثْمَانَ بَعْدَ أَنْ كُفِّ بِصَرِّهِ ، فقال : هل علينا من عَيْنٍ ؟  
فقال له عَثْمَانُ : لا ، فقال : يا عَثْمَانُ ، إن الأمرَ أمرٌ عَالِمِيَّةٌ ، وَالْمُلْكُ مُلْكٌ جَاهِلِيَّةٌ ،  
فَأَجْعَلْ أُوْتَادَ الْأَرْضِ بَنِي أُمِّيَّةٍ .

وجاء أبو سَفِيَّانٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال : يا أبا الْحَسَنِ ،  
مَا بِالْ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَعْصَفِ قَرِيشٍ وَأَقْلَاهَا ! فوالله لئن شئت لأملاؤها عليهم  
خَيْلًا وَرَجُلًا .

(١) في الأغاني : « ملوك الروم » .

فقال له عليّ : يا أبا سفيان ، طالما عاديّت الله تعالى ورسوله والمسلمين ،  
فما ضرّهم ذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكرٍ لها أهلاً !  
ولما ولىّ عثمانُ ، دخل عليه أبو سفيانَ فقال له : إنّ الخلافة صارت في تيمّ (١)  
وعديّ (٢) حيث طمعتُ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها تلقّف الكُرّة ،  
فوالله ما من جنة ولا نار ! فصاح به عثمان : قم عني فَعَلَّ اللهُ بك وفَعَلَ .

---

(١) تيم بن مرة بن كعب ؛ قبيلة أبي بكر .

(٢) عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ؛ قبيلة عمر بن الخطاب .

## حرف الصاد

### ذكر صالح أبي عيسى بن الرشيد\*

اسمه صالح ، وقيل : أحمد . أمه أم ولد بربرية ، وكان من أحسن الناس وجهاً  
ومجالسةً وعزّةً ، وأمجّهم ، وأجدّهم نادرة وأشدّهم عبثاً .  
وكان يقول شعراً طيباً ، وكان إذا عزم على الرّكوب جلس الناس له حتى يروّنه  
لجماله أكثر مما يجلسون للخلفاء ، وكان المعتزّ في طرازها ، وما رُئِيَ أحسنُ من غنائه ،  
ولا أحسنُ من وجهه .

وقال الرشيد لأبي عيسى <sup>(١)</sup> - وهو صبي - : ليتَ جمالكَ لعبد الله ! يعنى المأمون .  
فقال له : على أن حظّه منك لي <sup>(٢)</sup> ! فعجب من جوابه على صباه ، وضّمه إليه وقبله .  
وكان المأمون ليلةً مع جماعة يترءون هلالَ رَمَضانَ ، [ وأبو عيسى معه ،  
وهو مستيق على قفاه ] <sup>(٣)</sup> ، فأرأوه ، وجعلوا يدعون ، فقال أبو عيسى قولاً أنكر عليه  
في ذلك المعنى ، كان يسخط بورود <sup>(٤)</sup> الشهر ، فما صام بعده . ولما قال أبو عيسى :  
دعاني شهر الصوم لا كان من شهرٍ ولا صمتُ شهراً بعده آخر الدهرِ  
فلو كان يُعديني الإمام بقدره على الشهر لا ستمدّيتُ جهدي على الشهر  
نالَه <sup>(٥)</sup> ، عقّب <sup>(٦)</sup> هذا القول صرع ، فكان يُصرع في اليوم مرّات إلى أن مات  
ولم يبلغ شهر أمثله <sup>(٧)</sup> .

\* ترجمته في الأغاني : ١٠ : ١٨٧ - ١٥٣ ( طبعة دار الكتب ) .

- (١) الأغاني : « لأبي عيسى ابنه » .
- (٢) كلمة « لي » ساقطة من ج ؛ وهى في ب والأغاني .
- (٣) من الأغاني .
- (٤) كذا في ب ، وفي الأغاني : « لورود » ، وفي ج : « برود » ؛ تصحيف .
- (٥) كذا في ب ، وفي الأغاني : « فناله » ، وفي ج : « قاله » تصحيف .
- (٦) كذا في ج ، وفي ب : « عقيب » ، وفي الأغاني : « بعقب » . (٧) الأغاني : « آخر » .

كان أبو عيسى بنُ الرشيد وطاهر بن الحسين يتفديان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِنْدِباءَ<sup>(١)</sup> فغمسها في الخَلِّ ، وضربَ<sup>(٢)</sup> بها عينَ طاهر الصَّحِيحَةَ ، فغضب طاهر وشقَّ عليه ذلك<sup>(٣)</sup> ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إحدى عينيَّ ذاهبةً ، والأخرى على يَدَيَّ عَدَلٌ ؛ يُفعل هذا بي بين يديك !

فقال المأمون : [ يا أبا الطيب ]<sup>(٤)</sup> إنه والله يَعْبَثُ بي أكثر من هذا العبث . وكان المأمون يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرُّصافة ، وأخوه أبو عيسى تلقاه وَجْهَهُ في المقصورة ، فأقبل يعقوب بن المهديّ ، وكان أفسى الناس ، معروفاً بذلك ، فلَمَّا أقبل وَضَعَ أبو عيسى كَمَّةً على أنفه ، وفهم المأمون ما أراد ، فسكاد أن يضحك . فلما أنصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره ، فقال : والله لهما مُتُّ أن أبطحك<sup>(٥)</sup> فأضربك مائةَ سوط<sup>(٦)</sup> ، وبلك ! أردتَ أن تفضحنى بين أيدي الناس يوم الجمعة ، وأنا على المنبر ! إياك أن تعود لمثل ذلك<sup>(٧)</sup> !

وكان يعقوب بن المهديّ لا يقدر أن يمكس الفُساءَ إذا جاءه ، فأخذت دايةً له مُثَلَّثَةً وطَيَّبَتها ، وتنوقت فيها ، فلما وضعتها تحتهُ فُسا ، وقال : هذه ليست بطَيِّبة . فقالت له الدايةُ : فديتك ! هذه كانت طَيِّبةً وهي مُثَلَّثَةٌ ، فلَمَّا رَبَعَتها فَسَدَت .

---

(١) الهند بآء : صنفان من النبات : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه : وفي طعمة ممرارة . مفردات ابن البيطار ٢ : ١١٨ .  
 (٢) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « فرت بها عين طاهر الصحيحة » .  
 (٣) ساقطة من ج ، وفي الأغاني : « وشق ذلك عليه » .  
 (٤) من الأغاني .  
 (٥) بطحه : ألقاه على وجهه .  
 (٦) الأغاني : « درة » .  
 (٧) الأغاني : « هذه » .



وكان المأمون أشدَّ الناسِ حُبًّا لأبي عيسى أخيه ، وكان يُمدُّهُ للأمر<sup>(١)</sup> بعده ، وكان يقول : إنه ليسهلُ على أمر الموت وفقد الملكِ ، ولا يسهل<sup>(٢)</sup> شيءٌ منهما على أحدٍ ، وذلك لمحبتى أن يلبى أبو عيسى الأمر من بعدى ؛ لشدة حُبِّ إياه .  
وقيل : كان سبب موت أبي عيسى أنه كان يحبّ صيد الخنازير ، فوقع عن دابَّته ، فلم يسلمَ دماغه ، وكان يختبط<sup>(٣)</sup> في اليوم مراتٍ حتى مات .

قال محمد بن عبّاد المهلبى : لما مات أبو عيسى بن الرّشيد ، دخلت إلى المأمون وعمامتى علىّ ، فخلعت عمامتى ونبذتها ورأى<sup>(٤)</sup> ، والخلفاء لا تُعزّى في العمائم - فقال لى : يا محمّد ، حال القدر دون الوطر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلّ مصيبة أخطأتك شوئى<sup>(٥)</sup> ، فجعل الله الحزن لك لا عليك !

وكانت وفاته سنة سبع ومائتين وصلى عليه المأمون ، ونزل في قبره ، وامتنع من الطعام أياما ؛ حتى خاف أن يضرَّ ذلك به ؛ وكان قد وجد عليه وجداً شديداً ، وركب إلى داره حتى حصر أمره . وما رُئى مصاب حزين أجمل أمراً في مصيبتته ، ولا أحرق منه ، من رجل صامت ، دموعه تجرى على خديه من غير كَلح<sup>(٦)</sup> ، ولا استنثار<sup>(٧)</sup> ، ولم يبك ويمسح عينيه .

(١) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « الأمر » ، تصحيف .

(٢) كذا في ج ، وفي ب : « ولم يسهل » ، وفي الأغاني : « وما يسهل » .

(٣) في الأغاني : « يتخبط » .

(٤) الأغاني : « وراء ظهري » .

(٥) الشوى : الأمر الهين ، وفي الأغاني : « هين » .

(٦) كذا في الأصول ؛ والذي في كتب اللغة : كَلح وجه الرجل كلوحا وكلاحا : تكشع

في عبوس

(٧) الاستنثار : إخراج ما في الأنف من أذى .

وكان أحمد بن أبي دؤاد حاضرا ، وعمرو بن مسعدة ، فتمثل أحمد بن أبي دؤاد :

نَقَصُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا      نَقَصُ النِّيَامِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

فلم يزل المأمون يبكي وينتحب ثم تمثل (١) :

سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضُّ      فحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَائِحُ

كَأَنَّ لَمْ يَمِتْ حَتَّى سِوَاكَ      وَلَمْ تَقَمْ (٢)      عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النِّوَائِحُ

قال أحمد بن أبي دؤاد : فالتفت إلى فقال : هيه يا أحمد ! فتمثلت بقول عبدة

ابن الطيب :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ      وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

تَحِيَّةَ مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً      إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمَا

فَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ      وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

فبكي ساعة ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة ، فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم .

يا أمير المؤمنين :

بَكُوا حَذِيفَةَ لَنْ تُبَكُّوا مِثْلَهُ      حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلُ لَمْ تُخَلَقِ

قال : وإذا عريبٌ وجواربها يسمعون ما يدور بيننا ، فقالت : اجعلوا لنا معكم

في القول نصيباً ، فقال المأمون : قولي ، ورب صواب منك كثير ، فقالت :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ      فَلَيْسَ لَعِينٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وِفَاتِهِ      نَجُومُ سَمَاءِ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

فبكي وبكىنا ، ثم قال لها المأمون : نوحى به ، فناحت ، ورد عليها الجوارى ،

فبكي المأمون حتى قلت : قد فاظت نفسه ، وبكىنا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكت ،

(١) الأغاني : « ثم مسح عينيه وتمثل »

(٢) الأغاني : « ولم تنح » .

ثم قال لها المأمون : اصنعي فيه لحنا على مذهب النوح ، وغنّي به . ففعلت وغنّته على العود . فلقد بكينا عليه غناء أكثر ممّا بكينا عليه نوحاً .

دخل أبو العتاهية على المأمون وقد امتنع من الطعام والنوم أياماً فقال له المأمون : حدثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لبس سليمان بن عبد الملك أنحر ثيابه ، ومسّ أطيب طيبه ، وركب أفره خيله ، وتقدّم إلى جميع من معه أن يركب في مثل زيه وأكمل سلاحه ، ونظر في مرآته ، فأعجبته هيئته وحسنه . فقال : [ أنا ]<sup>(١)</sup> الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف ترين ؟ قالت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلوّ من العيوب وممّا يكره الناس غير أنك فاني

فأعرض بوجهه ، فلم تدّر عليه الجمعة إلا وهو في قبره ؛ فسكى المأمون والناس ، فأرّنيّ باك أكثر من ذلك اليوم .

(١) تكملة من الأغاني .

## ذكر الصلّت الوابصيّ\*

هو الصلّت بن العاصي بن وابصة بن خالد بن المعيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الوابصيّ .

تنصّر فألحق ببلاد الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز حدّاه في الحجر، وهو أمير الحجاز فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصر، فمات هناك نصرانياً .

قال إسماعيل بن حكيم : كنتُ عند عمر بن عبد العزيز ، فأتاه البريد من قسطنطينية ؛ قال : بينا أنا أجولُ في القسطنطينية ؛ إذ سمعتُ رجلاً فصيح اللسان ، يتغنّى بصوت شج :

وكم من حرمة بين المصلّي إلى أحدٍ إلى الكفاف كريم<sup>(١)</sup>

فسمعتُ غناءً لم أسمع أحسنَ منه ، فلمّا سمعتُ الغناء وحسنه ، ولم أدْرِ أهو كذلك حسن ؛ أم هو لعربيته وغربة العربية في ذلك المكان<sup>(٢)</sup> ! فدنوتُ من الصوت ، فإذا هو في غُرْفَةٍ ، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم أصغيت إليه ؛ فإذا هو مستلقٍ على قفاه يعني هذين البيتين ، وهو واضح إحدى رجلَيْه على الأخرى ، فإذا فرغ بكى ما شاء الله ثم يُعيد الغناء ، ففعل ذلك مرّاتٍ ، فقلت : السّلام عليكم ، فوثب وردّ السلام : فقلت : البُشرى<sup>(٣)</sup> ، قد فكّ الله أسراك ، أنا يريدُ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

\* ترجمته في الأغاني ٦ : ١١٦ - ١١٩ (طبعة دارالكتب).

(١) البيت في الأغاني :

فَكمّ من حُرّة بين المنقّي إلى أحدٍ إلى جنبات ريم

(٢) الأغاني : « أم لعربيته وغربة العربية في ذلك الموضع » .

(٣) كذا في الأغاني ، والكلمة وردت محرفة في ب ، ج .

إلى هذه الطاغية في فك الأمرى ، ثم سألت : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا الواصى أخذتُ فَعُدَّتْ حتى دخلت في دينهم .

فقلت : فأنت والله أحب من أفتديبه<sup>(١)</sup> إلى أمير المؤمنين وإلى إن لم تكن دخلت في الكفر قال : دخلت فيه<sup>(٢)</sup> . فقلت : أشدك الله إلا أسلمت ! فقال : أسلم ، وهذان ابناى وقد تزوجت منهم امرأة ، وهذان ابناها ، فإذا دخلت المدينة قيل لى : يا نصرانى ، وقيل مثل ذلك لولدى ولأمهم ! لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنت غارثا للقرآن فما بق معك ؟ قال : والله ما أذكر إلا هذه الآية : ﴿ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ . فعاودته وقلت له : إنك لا تعير بهذا . قال : فكيف بمباداة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحان الله أما تقرا : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ، فجعل يعيد على قوله : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجبنى إلى الرجوع .

فرفع عمر يديه وقال : اللهم لا تمتنى حتى تمكّننى منه .  
قال : فازلت راجيا دعوة<sup>(٣)</sup> عمر رضى الله عنه .

(١) كذا في الأغاني .

(٢) الأغاني : « قد والله دخلت فيه » .

(٣) الأغاني : « راجيا لإجابة دعوة عمر » .

## ذکر صخر الجمعدی الحضریّ

والْحَضْرَى (١) مُالِكُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ .  
وَصَخْرُ أَحَدِ بَنِي جِحَاشِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ طَرِيفِ ، وَسَمِيَ وَلِدَ مَالِكِ بْنِ  
طَرِيفِ الْحَضْرَى لِسَوَادِهِمْ . وَكَانَ مَالِكٌ شَدِيدَ الْأُذْمَةِ ، وَخَرَجَ وَلَدَهُ إِلَيْهِ ، فَقِيلَ : الْحَضْرَى (٢) ،  
وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْأَسْوَدَ أَحْضَرَ .

شاعر فصيح من مخضرمي الدّولتين (٣) الأموية والعباسية ، وقد كان يعرّض (٤)  
لابن ميادة لما انتقض ما بينه وبين الحكم الحضريّ من المهاجرة ، ورام أن يهاجبه  
فترفع (٥) ابن ميادة عنه .

وكان صخر مغرماً بكأس بنت بُجَيْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ جُنْدَبِ ، يشبب بها  
فلقيها أخوها وقاص - وكان شجاعاً - فقال له : يا صخر ، إنك تشبب بابنة عمك  
ولعمري ما بها عنك مذهب ، ولا لنا عنك مرغب ، فإن كانت لك بابنة عمك حاجة  
فهلّم أزوجكها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلم ما عرضت [ بذكر ] (٦) لها ، ولا  
أسمعه منك ؛ فوالله (٧) إن فعلت ذلك ليخالطنك السيف .

\* ترجمته في الأغاني ١٩ : ٦٥ - ٦٩ (ساسى).

(١) الأغاني : « والحضري ولد مالك بن طريف » .

(٢) الأغاني : « فقيل لهم الحضري » .

(٣) ب ، ج : « الدولة » ؛ وما أثبتته من الأغاني .

(٤) الأغاني : « يعرض » .

(٥) في ب ، ج : « رفع » ؛ وما أثبتته من الأغاني .

(٦) من الأغاني .

(٧) الأغاني : « فأقسم بالله » .

فقال له صخر : لا ، بل والله إن بي لأشدّ الحاجة إليها ، فوعده موعداً ، فخرج صخر لموعده حتى نزل يازاء<sup>(١)</sup> القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقاص فذبح ، وجمع أصحابه وأبطأ صخر عليهم ، فلما رأى ذلك بمث إليه : أن هلمّ لحاجتك ، فأبطأ ورجع الرسول ، فقال : [ ما ]<sup>(٢)</sup> رأيته إلا بطيئاً ، واستأناه<sup>(٣)</sup> وقاص فأبطأ ، فلما رأى فعله غضب وقاص ، وعمد إلى رجلٍ من الحى ليس يُمدل بصخر ، يقال له : حصن<sup>(٤)</sup> [ وهو مغضب لما صنع ]<sup>(٥)</sup> ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وزوجه أخته<sup>(٦)</sup> ، وافترق من القوم ، فرّوا بصخر فأعلموه تزويج كأس حصناً ، فرحل عنهم تحت الليل ، واندفع بهجوها بالأبيات التي منها :

وأنا كحها حصناً ليطمس حملها وقد حملت من قبل حصنٍ وجرت<sup>(٧)</sup>  
وترافع القوم إلى والى المدينة طارق مولى عثمان ، فأقاموا عليه البيّنة بقذف كأس ، فضرب وعاد إلى قومه ، وأسف على ما فاته من تزويج كأس ، وطفق يقول فيها الشعر ، فما قاله :

تذكرت كأساً أن سمعتُ حمامةً	بكت في ذراً نخلٍ طوالٍ جريدها
دعت ساق حُرٍّ فاستجبتُ لصوتها	مولهةً لم يسبقَ إلا شريدها
فيا نفسُ صبراً كلُّ أسبابِ واصلٍ	ستَمَلِي لها أسبابُ صرَمِ تبيدها
وليلٍ بدت للعين نارٌ كأنها	سنا كوكبٍ لا يستبينُ خمودها

(١) الأغاني : « بأبيات القوم » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ؛ وفي الأغاني : « فقال مثل قوله فأبطأ » .

(٣) استأناه : ترقبه .

(٤) كذا في الأغاني ، وهو الصواب ، وفي ب ، ج ، « حصين »

(٥) تكملة من الأغاني .

(٦) الأغاني : « كأس » .

(٧) بعده في الأغاني : « أي زادت على تسعة أشهر » .

فقلت عساها نار كأسٍ وعلها      تشكى فأمضي نحوها فأعودها  
فتسمع قولي قبل حتفٍ يصيدني<sup>(١)</sup>      تسرُّ به أو قبل حتفٍ يصيدها  
كأن لم يكن ما كان إلفي مودّة<sup>(٢)</sup>      إذ الناس والأيام ترعى عهدها

وكان صخر بن جمد خذناً لعوام بن عتبة ، وكان عوام يهوى امرأة من قومه ،  
يقال لها : سوداء ، فمات فرثاها ، فلما سمع صخر المرثية قال : وددت أن أعيش حتى  
تموت كأس وأرثها ، فمات كأس ورثاها ، فقال :

عَلَى أُمَّ دَاوُدَ السَّلَامُ وَرَحْمَةٌ      مِنْ اللَّهِ يَجْرِي كُلُّ يَوْمٍ كَثِيرَهَا<sup>(٣)</sup>

وكان الجعد المحاربي ، أبو صخر [ قد عمّر ]<sup>(٤)</sup> حتى خرف ، وكان يكنى  
أبا الصموت ، وكانت له وليدة يقال لها : سمحاء<sup>(٥)</sup> فقالت له يوما : يا أبا الصموت ،  
زعم بنوك أنك<sup>(٦)</sup> إن مت قتلوني . قال : ولم ؟ قالت : مالي غير حق<sup>(٧)</sup> حبي لك ؛  
فأعتقها على أن تكون معه ، فأقامت يسيرا ثم قالت : يا أبا الصموت ، هذا عرابة  
من أهل المدن يخطبني ، فقال : أين هذا مما قلت ؟ قالت : [ إنه ذو مال ]<sup>(٨)</sup> وإنما  
أردت ماله لك ، قال : فأتني به ، فأتته به ، فزوجها إياه فولدت له أولادا وقوته  
بما كانت تصيبه من الجعد ، وكانت تأتي الجعد في الأيام [ فتخضب رأسه ]<sup>(٩)</sup> ثم  
قطمته ، فأنشأ يقول :

(١) في الأغاني : « يصيدني » .

(٢) الأغاني :

\* كأن لم نكن يا كأس إلفي مودّة \*

(٣) الأغاني : « بشيرها » .

(٤) من الأغاني .

(٥) الأغاني : « سمحاء » .

(٦) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « إنه » .

(٧) الأغاني : « ذنب غير حبي » .



أَمْسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَدٍ      مِنْ مَالٍ جَعَدٍ وَجَعَدٌ غَيْرُ مُحَمَّدٍ  
تَظَلُّ تُنَشِّقُهُ الْكَافُورُ مُتَّكِنًا      عَلَى السَّرِيرِ وَتَمْطِينِي عَلَى الْعُودِ

ولمَّا كَبُرَ حَمْلُهُ بَنُوهُ وَأَتَوْا بِهِ مَكَّةَ ، وَقَالُوا لَهُ : تَعْبِدُهَا هُنَا ، وَاقْتَسَمُوا الْمَالَ الَّذِي  
كَانَ لَهُ ، وَتَرَكَوْا لَهُ مِنْهُ مَا يَصْلَحُهُ فَقَالَ :

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي سَوْدَاءَ عَنِّي (١)  
فَلَمْ أَرَ مَعْشَرًا تَرَكَوْا أَبَاهُمْ  
فَأَتَى وَالرَّوَافِضَ حَوْلَ جَمْعٍ  
لَوْ أَنِّي ذُو مُدَافِعَةٍ وَحَوْلِي  
وَإِنْ حَلَّتْ جِبَالُ الْقَوْرِ دُونِي  
مِنَ الْآفَاقِ حَيْثُ تَرَكَتُمُونِي  
وَمَحْطَمُهُنَّ مِنْ حَصَبِ الْحِجُونَ  
كَمَا قَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا أَوْ كُونُ (٢)

(١) من الأغاني .

(٢) في البيت لإقواء .

## عرف الطاء

### طُويس\*

طويس لقب ، واسمه طاوس ، مولى بنى مخزوم ، وهو أول من غنّى الغناء المتقن من المُخنّنين .

(١) وفد على عبد الملك أبان<sup>(١)</sup> ، فأمره على الحجاز ، فأقبل حتى دنا من المدينة تلقاه أهلها ، وخرج إليه أشرفها ، فخرج معهم طويس ، فلما رآه سلم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ، إني كنت أعطيتُ الله عهداً لئن رأيتك أميراً لأخضبتَ يدي إلى المرِّفَقَيْنِ ، ثم أدق<sup>(٢)</sup> بالدفِّ بين يديك ؛ ثم أبدى عن دُفِّه ، وتغنّى بِشِعْرِ ذِي يَرَنِ الحِمَيْرِيّ :

ما بالُ أهلكِ ياربابُ خُزراً كأنَّهُمُ غضابُ  
إن زُرْتُ أهلكِ أو عدوا وتَهَرَّ دُونَهُمُ الكِلابُ

فطرب أبان حتى كاد يطير ، ثم جملَ يقول : حَسْبُكَ يا طاوس ولم يقل له « طويس » لئبَّله في عَمِينه ، ثم قال له : اجلسْ ، فجلس ، ثم قال له أبان : قد زَعَمُوا أَنَّكَ كافرٌ ، فقال له : جُمِلْتُ فذاك ! والله إني أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصلى الخمس وأصوم شهرَ رمضان ، وأحجُّ البيت .

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ٢٧ ، ٤ : ٢٢٠ ( طبع دار الكتب ) .

(١ - ١) الأغاني : « أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان » .

(٢) الأغاني : « أزدو ، وأزدو : أضرب .

قال : أفانت أكبر أم عمرو بن عثمان ؟ - وكان عمرو أخا أبانٍ لأبيه وأمه - فقال له طويس : أنا والله [ جعلت فداءك ] <sup>(١)</sup> مع جلائل نساء قومي ، أمسكُ بذيولهنّ يوم زُفّت أمك المباركة إلى أهلك الطيب ، فاستحيا أبان ، ورمى بظرفه إلى الأرض .

وقيل : إنه قال له : يقولون : إنك مشثوم . قال : وفوق ذلك ! قال : وما بلغ من شؤمك ؟ قال : وُلِدْتُ لَيْلَةَ قُبَيْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقُطِمْتُ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، واحتملتُ لَيْلَةَ قَتْلِ عَمْرِ ، وَزُفِّتُ لَيْلَةَ قَتْلِ عُمَانَ .  
قال : فاخرج عني ، عليك الدمار <sup>(٢)</sup> .

قال نوفل بن عُمارة : خرج يحيى بن الحكم أمير المدينة ، فبصرُ بشخصٍ في السَّبْحَةِ ، مِمَّا يَلِي الْأَحْزَابَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ جَلَسَ فَاسْتَرَابَ بِهِ ، فَوَجَّهَ أَعْوَانَهُ فِي طَلْبِهِ ، فَأَتَى بِهِ كَأَنَّهُ امْرَأَةٌ فِي ثِيَابٍ مَصْبُغَةٌ مَصْفُوقَةٌ ، وَهُوَ مُمْتَسِّطٌ مُخْتَضِبٌ . فَقَالَ لَهُ أَعْوَانُهُ : هَذَا ابْنُ نَعْمَانَ <sup>(٣)</sup> الْخَنْثِ . قَالَ : مَا أَحْسَبُكَ تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْئًا ؟ أَقْرَأُ أُمَّ الْكِتَابِ ! فَقَالَ لَهُ : لَوْ <sup>(٤)</sup> عَرَفْتَ الْأُمَّ عَرَفْتَ الْبَنَاتِ . قَالَ : أَنْهَرَا بِالْقُرْآنِ لَا أُمَّ لَكَ ! فَأَمَرَ بِهِ فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَصَاحَ فِي الْخَنْثَيْنِ ؛ مَنْ جَاءَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمُ فَلَهُ ثَلَاثُمِائَةِ دِرْهَمٍ .

قال زرجون <sup>(٥)</sup> الْخَنْثِ : نَفَرَجْتُ [ ابعِدْ ذَلِكَ ] <sup>(٦)</sup> أُرِيدُ الْعَالِيَةَ ، فَإِذَا بِصَوْتِ

(١) تكملة من الأغاني .

(٢) الأغاني : « الدبار » ؛ وهما بمعنى .

(٣) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « نفاش » .

(٤) كلمة « لو » ساقطة من ج ؛ وهي في ب ، وفي الأغاني : « لو عرفت أمهن عرفت

البنات »

(٥) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « زربوح » .

(٦) من الأغاني .

دَفَّ عَجَبِي ، فدخلت من الباب حتى فهمت نعمات قومِ أنسُ بهم ، فدخلت فإذا بطويس قائم وفي يده الدفُّ يُغَنِّي ، فلما رآني قال : إيه يا زرجون ! قتل يحيى ابن الحكم ابن نُمَاش ؟ قلت : نعم ، قال : <sup>(١)</sup> وجعل في المخنثين بأسمائهم ؟ ! قلت : نعم ثم قال له : ويحك ! أما جعل في زيادة ، ولا فضلتى عليهم في الجمل بفضل ! <sup>(٢)</sup> قال الحسين بن الأشقر : كنت بالمدينة نخلًا لي الطريق في نصف النهار ، فغنيت :

\* ما بال أهلك يا رباب \*

فإذا حَوَّخَةٌ <sup>(٣)</sup> قد فتحت ، ووجه قد بدا تتبعمه لحية حمراء ، فقال : يافاسق ، أسأت التأدية ، ومنعت القائلة ، وأدعت الفاحشة ! ثم اندفع بمنيه ، فظننت أن طويسا قد نُشِرَ [بمينه] <sup>(٤)</sup> ، فقلت له : من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأت وأنا غلام أتبع المغنين وأخذ عنهم ، فقالت لي أمي : يا بُنَيَّ ؛ إنَّ المَنِّي إذا كان قبيح الوجه [لم يلتفتْ إلى غنائه ، فدع الغناء ، واطلب الفقه ، فإنه لا يضرّ مع قبح الوجه] <sup>(٥)</sup> ، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بي ما ترى ، فقلت له : أعد ، جعلت فداك ! فقال : لا ، ولا كرامة ، أريد أن تقول : أخذته من <sup>(٥)</sup> مالك بن أنس ! وإذا هو مالك ولم أعلم .

(١ - ١) العبارة في الأغاني : « أو جعل في المخنثين ثلاثمائة درهم؟ : قلت : نعم؛ فاندفع يفي :

ما بالُ أهلكِ يا ربابُ خزرًا كأنهمُ غضابُ

إن زرتُ أهلكِ أوعدوا وتهرّ دونهمُ كلاب

ثم قال لي : « ويحك ! أفأجعل في زيادة ، ولا فضلتى عليهم في الجمل بفضل شيئًا ! » .

(٢) الحوَّخَة : البويب ، أو الباب الصغير في الباب الكبير .

(٣) من الأغاني .

(٤) نكلمة من الأغاني ؛ وبها يتم المعنى .

(٥) الأغاني : « عن مالك » .

## ذِكْرُ طُرَيْحٍ\*

هو طُرَيْحُ بنِ إِسْمَاعِيلِ بنِ عُبَيْدِ بنِ أُسَيْدِ بنِ عِلَاجِ بنِ إِسْمَاعِيلِ بنِ أَبِي سَلَمَةَ<sup>(١)</sup>  
ابن عبد العزّزي بن عَزْرَةَ بنِ عَوْفِ بنِ قَسِيٍّ - وهو ثَقِيفٌ - بنِ مَنبَهٍ بنِ بَكْرِ بنِ  
هَوَازِنِ بنِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرَمَةَ بنِ خِصْفَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلَانَ بنِ مُضَرَ .

وقيل : إنَّ ثَقِيفًا كانَ عبدُ الأبي رِغَالِ ، وكانَ أصلُهُ من قومِ نَجْدًا من ثَمُودَ ،  
فاتمى بعد ذلك إلى قَيْسِ .

روى عن عليّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ مرَّ بِثَقِيفٍ فتغامزوا ، فرجع  
إليهم فقال لهم : يا عبِيدُ أبي رِغَالِ ، إِنَّمَا كانَ أبوكم عَبْدًا لَهُ فهِرَبَ مِنْهُ ، فَتَقِفَهُ<sup>(٢)</sup>  
بعد ذلك ، ثم اتمى إلى قَيْسِ .

وقال الحِجَاجُ في خطبةٍ لَهُ بالكوفةِ : بلغني أنكم تقولون : إنَّ ثَقِيفًا من بَقِيَّةِ  
ثَمُودَ ، ويلكم ! هل نجا من ثَمُودَ إلا خيارُهُم وَمَنْ آمَنَ بِصالحِ فَبَقِيَ مَعَهُ ! ثم قال :  
الله عز وجل : ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ .

فبلغ ذلك الحسنَ البصرى ، فتضاحك وقال : حِكْمُ الألكعِ<sup>(٣)</sup> لِنَفْسِهِ ! إِنَّمَا قال :  
﴿ فَمَا أَبْقَى ﴾ ، أَى لَمْ يُبْقِهِمْ إِنَّمَا أَهْلَكَهُمْ ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إلى الحِجَاجِ فطلبهُ ،  
فتوارى حتى هلك الحِجَاجُ ، وهذا سببُ تواريه مِنْهُ .

وكان حمادُ الراوية يذكر أن أبا رِغَالِ أبو ثَقِيفٍ كَلَّمَا ، وَأَنَّهُ من بَقِيَّةِ ثَمُودَ ،

\* ترجمته في الأغاني ٤ : ٣٠٢ - ٣٢٩ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كذا في الأغاني واللآلى ٧٠٥ ومعجم الأديباء ١٢ : ٢٢ ، وفي ب ، ج : « شكر » .

(٢) ثقفه : أدركه وظفر به .

(٣) الأغاني : « لكع » .

وأنه كان ملكا بالطائف ، وكان يظلم رعيتته ، فرمى بامرأة تُرضع صبيًا يتيمًا بلبن عَنزٍ لها ، فأخذها منها ، فبقي الصبي بلا مرضعة فمات ، وكانت سنة مجديده ، فرماه الله بقارعةٍ أهلكته ، فرجعت العربُ قبره ، وهو بين مكة والطائف .

وقيل : بل كان قائد الفيل ، ودليل الحبشة ؛ لما غزوا الكعبة ، فهلك فيمن هلك منهم ، فدُفِن بين مكة والطائف . فرمى النبي صلى الله عليه وسلم بقبره ، فأمر برجمه ، فصار ذلك سنة .

وروى عن ابن عباس ، قال : كان تقيف والنخع من إباد ، فتقيف : قسي بن منبه بن النبيت بن أفصى بن دُعْمَى بن إباد . والنخع بن عمرو بن الظمنان بن عبد مناف بن يقْدُم بن أفصى ؛ فخرجا ومعهما عَنزٌ لهما يشربان لبنها ، فعرض لها مُصَدِّق<sup>(١)</sup> ملك اليمَن ، فأراد أخذها فقال له : إننا نعيش بدرّها ، فأبى أن يدعها ، فرماه أحدهما فقتله ، ثم قال لصاحبه : إنه لا يحملني وإياك أرض .

فأما النخع فضي إلى بيشة<sup>(٢)</sup> فنزل بها ، وأقام فيها ؛ وأما قسي فنزل قريبا من الطائف ، فرأى جارية ترعى غنما لعامر بن الظرب المدوّاني ، فطمع فيها ، وقال : أقتل الجارية ، وأحوى الغنم ، فأنكرت الجارية منظره ، وقالت له : إني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم ؛ وهذا شيء إن فعلته قُتِلت ، وأخذت الغنم منك ، وأظنك غريبا جائعا ؛ فدلته على مولاها فأتاه ، فاستجاره<sup>(٣)</sup> فزوجه بنته ، وأقام بالطائف ، فقيل : لله درّه ! ما أنفقه حين ثقفَ عامراً فأجاره !

(١) المصدق : عامل الزكاة الذي يأخذها من أربابها .

(٢) بيشة : أرض باليمن .

(٣) الأغاني : « استجاره » .

وقد كان مرّ يهوديّة بوادي القرى<sup>(١)</sup> حين قتل المُصدّق ، فأعطته قُضبان كَرَم ،  
ففرسها بالطائف ، فأطعمته ونفتمته .

قال : ويُعير الظرب بزويجه قسيّاً ؛ وقيل : زوّجت عبداً ، فصار<sup>(٢)</sup> إلى الكهان  
يسألهم ، فانتهى إلى شقّ ؛ وكان أمرهم منه ، فلما انتهى إليه قال : إنا قد جنناك  
في شيء ما هو<sup>(٣)</sup> ؟ قال : جنّم في قسيّ ، وقسيّ عبد إباد ، أبق ليلة الواد ، في وجّه<sup>(٤)</sup>  
ذات أباد ، فوالى سعداً ليفاد<sup>(٥)</sup> ، ثم لوى بغير معاد يعني سعد بن قيس بن  
عَمِلان بن مُضَر . ثم توجه إلى سطيح ، فقال : إنا جنناك في أمر ، ما هو ؟ قال :  
جنّم في قسيّ ، وقسيّ من ثمود القديم ، ولدته أمه بصحراء تريم<sup>(٦)</sup> فالتقطه إباد  
وهو عديم ، فاستعبده وهو مُلم<sup>(٧)</sup> . فرجع الظرب وهو لا يدري ما يأتي<sup>(٨)</sup>  
في أمره ، وقد وكّد عليه في الحلف والتزويج ، وكانوا على كفرهم يقولون فيوفون  
بالتقول ؛ فلهذا يقول من قال : إن ثقيفا من ثمود ؛ لأن إباداً من ثمود .  
وقيل : إن حرباً كانت بين إبادٍ وقيس ، وكان رئيسهم عامر بن الظرب ، فظفرت  
بهم قيس فنفتهم إلى ثمود ، وأنكروا أن يكونوا من نزار .

- 
- (١) وادي القرى : واد بين المدينة والشام كثير القرى ، فتحه النبي صلى الله عليه وسلم عنوة  
سنة سبع من الهجرة ، ثم صالح أهله على الجزية .  
(٢) الأغاني : « فسار » .  
(٣) الأغاني . « إنا جنناك في أمر ما هو ؟ » .  
(٤) وج : اسم واد بالطائف .  
(٥) ليفاد : ليطلق .  
(٦) تريم إحدى مدينتي حضرموت والمدينة الأخرى شبام .  
(٧) ألام الرجل : فعل ما يلام .  
(٨) الأغاني : « ما يصنع » .

وقال عامر بن الظرب في ذلك :

قالت إيادُ قد رأينا نَسَبًا      في ابْنِي زَارٍ ورأينا غَلْبًا  
سِيرِي إِيَادُ قَدْ رَأَيْتَ عَجَبًا      لَا أَصْلُكُمْ مِنَّا فَسَامِي الطَّلِبَا  
\* دَارَ ثَمُودَ إِذْ رَأَيْتِ النَّسَبَا \*

ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه كان على المنبر بالكوفة ،  
وذكر تَقِيْفًا ، فقال : لقد هممت أن أضع الجزية على تَقِيْفٍ لأن تَقِيْفًا كان عبداً لصالح  
النبي عليه السلام ، وأنه سَرَّحَه إلى عامل له على الصدقة ، فبعث العامل بها معه ،  
فهرب واستوطن الحَرَمَ ، وإن أَوْلَى الناس بصالح محمد صلى الله عليه وسلم ، وإني  
أشهدكم أني قد رددتهم إلى الرِّقِّ .

وقال ابن عباس - وقد ذكر عنده تَقِيْفٍ فقال : هو قَسِي بن مُنْبَه ، وكان عبداً  
لامرأة صالح عليه السلام ، ولما مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رِغَال ، قال :  
« فيه عمودٌ من ذهب » ، فابتدره المسلمون فأخرجوه .

قال الحسن - وذكرت القبائل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « قبائل تنتمي  
إلى العرب ، وليسوا من العرب ؛ حمير من بُسْع ، وجُرْهم من عادٍ ، وتَقِيْفٍ من ثَمُود » .  
روى الزهري أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بنو هاشم والأنصار  
حِلْفَان ، وبنو أمية وتَقِيْفٍ حِلْفَان » .

ورُوِيَ عن قتادة ، قال : جاء رجلان إلى عمران بن حُصَيْنٍ فقال : مِمَّنْ أنتم ؟  
قالا : من تَقِيْفٍ ، قال لهما : أتزعمان أنَّ تَقِيْفًا من إِيَادٍ ؟ قالا : نعم ؛ قال : فإن إِيَادًا  
من ثَمُودَ . فسقَّ ذلك عليهما . قال : أساء كما قولي ؟ قالا : نعم والله ، قال : فإنَّ الله  
تعالى أنجى من ثَمُودَ صالحاً والذين آمنوا معه ، فأنتم إن شاء الله من ذرِيَّةِ مَنْ آمَنَ ؛  
وإن كان أبو رِغَالٍ قد أتى ما بَلَّغَكُمَا ، فقالا له : ما اسم أبي رِغَالٍ ، فإنَّ الناس قد  
اختلفوا علينا في اسمه ؟ فقال : قَسِي بن مُنْبَه .



وروى الزهرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر [ فلا يحب ثقيفاً ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ]<sup>(١)</sup> فلا يُبغض الأنصار » .

وأم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد المزمى بن نضلة بن عبسان من خزاعة ، وهم حلفاء لبني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وسباع بن عبد المزمى هو الذى قتله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه يوم أحد لما برز إليه ، وقال له حمزة : هلمَّ يا بن مقطمة البظور - وكانت أمه تفعل ذلك ، وتقبَّل<sup>(٢)</sup> نساء قريش بمكة - فخمى وحشى لقومه ، وغضب لسباع فرمى حمزة بحرقته فقتله .

يكنى طريح بأبي الصلت ، كنى بذلك ابن كان له اسمه الصلت ، وله يقول طريح :

يَا صَلْتُ إِنَّ أَبَاكَ رَهْنٌ مَنِيَّةٍ      مكتوبة لا بد أن يلقاها  
سبقت سوابقها بأنفس من مضى<sup>(٣)</sup>      وكذلك يتبع باقياً أخراها

وقال أبو الحسن الكاتب : ماتت أم الصلت بن طريح وهو صغير ، فطرحة

طريح إلى أخواله بعد موته ، وفيه يقول :

بَاتَ الْخِيَالُ مِنَ الصُّلَيْتِ مَوْرَقِي      يَفْرِى السَّرَاةَ مَعَ الرَّبَابِ الْمَلْتِقِ<sup>(٤)</sup>  
مَا رَاعَنِى إِلَّا بِيَاضُ حَيْبِنِهِ<sup>(٥)</sup>      تَحْتَ الدُّجْنَةِ كَالسَّرَاجِ الْمَشْرِقِ

ونشأ طريح في دولة بنى أمية ، فاستفرغ شعره فيهم ، وخاصة في الوايد بن يزيد ، وأدرك دولة بنى العباس ، ومات في أيام الهادى .

(١) من الأغاني .

(٢) تقبل نساء قريش : تتلقى أولادهن عند الولادة .

(٣) في الأغاني : « سلفت سواقها » .

(٤) الملتق : البال ؛ يقال : لثق الطائر إذا ابتل ريشه ، وألثقه غيره إذا بله .

(٥) الأغاني . « وجهه » .

وكان الوليد مكرماً له لخلوته في تقيف .

قال طرّيج: خُصِصْتُ من (١) الوليد بن يزيد بقُرب ؛ حتى كنتُ أخلُو معه ، فقلت له ذات يوم ، وأنا معه في مشرقة (٢) : يا أمير المؤمنين ، خالكُ يجبُ أن تعلم شيئاً من خلُقهِ ، قال : وما هو ؟ قلت : لم أشرب شراباً ممزوجاً (٣) إلا من لبنٍ وعسل . قال : قد عرفتُ ذلك ، ولم يباعدك من قلبي .

فدخلت عليه يوماً وعنده الأُمويُّون ، فقال : إلىّ يا خالي ، فأقمَدني إلى جانبه ، ثم أتى بِشرابٍ فشرِب ، وناولني القَدَحَ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد أعلمتُك رأيتُ في الشَّرَابِ ، قال : ليس لذلك أعطيْتُك ، إنّما رفعتُهُ إليك لتناولهُ للغلام ، وغضب ؛ ورفع القوم أيديهم كأنَّ صاعقةً وقعت على الحِوانِ ، فذهبتُ أقوم ، فقال : اقمُد ! فلما خلا البيتُ عليّ قال لي : يا عاضُ كذا وكذا من أمه ، أردت أن تفضحني ! لو لا أنّك خالي لضربتُك ألف سوط ، ثم نهى عن إدخالِي ، وقطع عني أرزاقِي ، فكثرت ما شاء الله ، ثم دخلتُ عليه يوماً متنكراً ، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه ، وأنا أقول :

يا بنَ الخِلافِ مالي بعد تقَرِّبَةٍ  
إليك أفضي وفي حالِك لي عَجَبُ !  
كأنَّني لم يكن بيني وبينكم  
إلّا ولا خِلة تُرعى ولا نَسَبُ (٤)  
لو كان بالودِّ يدني منك أزلفني  
بقرُّ بك الودِّ والإسفاقُ والحَدَبُ  
وكنْتُ دونَ رجالٍ قد جعلتهم  
دوني إذا ما رأوني مُقبِلاً قَطَبُوا (٥)

(١) الأغاني : « بالوليد بن يزيد » .

(٢) المشرقة : موضع القعود في الشمس بالشتاء . وفي الأغاني : « للمشرقة » ؛ وهي الغرفة .

(٣) الأغاني : « شراباً قط » .

(٤) الإل : العهد .

(٥) قطب الرجل : زوى ما بين عينيه وكلح .

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا      سُوءَ الْأَذْعَاءِ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا (١)  
 رَأَوْا صِدْقًا وَعَنَى فِي الْإِقْدَانِ فَقَدْ      تَحَدَّثُوا أَنْ حَبْلِي مِنْكَ مُنْقَضٌ  
 فَتَبَسَّمْ ، وَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ ، وَرَجَعَ إِلَيَّ وَقَالَ : إِيَّاكَ أَنْ تَعَاوِدَ ! وَبَقِيَّةُ الْقَصِيدَةِ :  
 قَدْ وَالسَّمَاءَ تَمَّ مَسْرُورٌ بِقَصِيدَتِنَا (٢)      وَذُو النَّصِيحَةِ وَالْإِشْفَاقِ مَكْتُبٌ  
 أَيْنَ الذَّمَّامَةُ وَالْحَقُّ الَّذِي نَزَلَتْ      بِحِفْظِهِ وَبِتَعْظِيمِهِ لَهُ الْكُتُبُ  
 وَحَوَاكِي الشَّعْرِ أَصْفِيهِ وَأَنْظِمَهُ      نَظْمَ الْقَلَانِدِ فِيهَا الدَّرُّ وَالذَّهَبُ  
 وَإِنْ سَخُطَكَ شَيْءٌ لَمْ أَنْجِ بِهِ      نَفْسِي ، وَلَمْ أَكُ مِمَّا كُنْتَ أَكْتَسِبُ  
 لَكِنْ أَتَاكَ بِقَوْلٍ كَاذِبٍ أَسْمٍ      قَوْمٌ بَعَوْنِي فَنَالُوا فِيهِ مَا طَلَبُوا  
 وَقِيلَ : إِنْ الْوَلِيدُ كَانَ يَكْرَهُ طَرْيِحًا وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ ، وَأَنَّهُ جَعَلَهُ أَوَّلَ دَاخِلٍ  
 عَلَيْهِ وَآخَرَ خَارِجٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يُصَدِّرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ، فَخَسَدَهُ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ  
 الْوَلِيدِ .

وَقَدِمَ حَمَادُ الرَّأبِيَةَ إِلَى الشَّامِ ، فَسَأَلُوا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَقَدْ ذَهَبَ طَرْيِحُ  
 بِالْأَمِيرِ ، فَمَا لَنَا مِنْهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ !

فَقَالَ حَمَادُ : أَبْعُونِي مَنْ يَنْشُدُ الْأَمِيرَ بَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ ، فَاسْقَطَ مَنْزِلَتَهُ ؛ فَطَلَبُوا  
 إِلَى الْخَلِصِيِّ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَى رَأْسِ الْوَلِيدِ ، وَجَمَعُوا لَهُ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ أَنْ يُنْشِدَ  
 الْأَمِيرَ الْبَيْتَيْنِ فِي خَلْوَةٍ ، فِإِذَا سَأَلَهُ : قَوْلٌ (٣) مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ قَوْلِ طَرْيِحٍ . فَأَجَابَهُمْ  
 إِلَى ذَلِكَ وَعَلَّمَهُ الْبَيْتَيْنِ .

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ طَرْيِحٌ مَعَ الْوَلِيدِ ، فَدَعَا بَعْدَانَهُ فَتَعَدَّيَا جَمِيعًا ، وَخَرَجَ  
 طَرْيِحٌ فَاسْتَلَقَى الْوَلِيدَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَاعْتَمَمَ الْخَلِصِيُّ خَلْوَتَهُ ، فَانْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ وَهَذَا :

(١) الْأَغَانِي : « وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا » .

(٢) الْأَغْنَى : « بِهِضْتَنَا » .

(٣) الْأَغَانِي : « مِنْ قَوْلٍ مِنْ هَذَا » .

سِيرِي رَكَابِي إِلَى مَنْ تَسْعَدِينَ بِهِ      فَقَدِ أَقْبَتِ بَدَارَ الْهُونِ مَا صَلَحَا  
سِيرِي إِلَى سَيِّدِ سَمَّحٍ خَلَاتُكُهُ      ضَخِمَ الدَّسِيمَةَ قَرَمَ يَحْمَلُ المِدْحَا (١)

وأعادها مرارا ، والوليد مصغرا إليها ، فقال : ويحك يا غلام ! من قول من هذا ؟  
قال : من قول طريح ، فغضب الوليد حتى امتلأ غضبا . ثم قال له : والهفاه على أمّ  
لم تلدني ! جعلته أول داخل وآخر خارج ، يزعم أن هشاما يحمل المدح ولا أحملها !  
ثم قال : على بالحاجب ، فأتاه فقال : لا أعلم ما أذنت لطريح ولا رأيت في الأرض ،  
فإن جاء لك فاخطفه بالسيف ، فلما كان العشي جاء طريح في الساعة التي كان يؤذن  
له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : ورائك ! فقال : ما لك ؟ هل  
دخل على وليّ المهدي أحد غيري (٢) ؟ قال : لا ، ولكن ساعة ولّيت من عنده ،  
فدعاني وأمرني ألا آذن لك ، وإن حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف .

فقال : لك عشرة آلاف درهم ، وأذن لي في الدخول .

فقال له الحاجب : والله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنت لك ؛ وما لك  
في الدخول عليه من خير ، فارجع . قال : ويحك ! هل تعلم من دهاني عنده ؟ قال  
الحاجب : لا والله ، لكن الله يحدث ما يشاء في الليل والنهار سبحانه وتعالى .

فرجع طريح ، وأقام في بابه سنة لا يخلص إليه ، وأراد الرجوع إلى بلده ، فقال :  
والله إن هذا لعجز بي أن أرجع عنه ، ولم ألقه ؛ فأعلم من دهاني عنده .

ورأى أناسا كانوا له أعداء قد فرحوا (٣) ، فلم يزل يلدطف بالحاجب حتى قال له :  
إن الأمير يوم كذا وكذا يدخل الحمام ، ثم يأمر بسريره فليبرز وليس عليه حجاب ،

(١) الدسيمة هنا : العطية الجزيلة .

(٢) الأغاني : « بعدى » .

(٣) الأغاني : « فرحوا بما كان من أمره » .

فإذا يومئذ كان ذلك اليوم أعلمتُك ، فتكون قد دخلتَ عليه ، وظفرت بحاجتك ، فلما كان ذلك اليوم دخل الحمام ، وأمر بسريره فأبرز ، وجلس عليه ، وأذن للنَّاس فدخلوا ، والوليد ينظر إلى مَنْ أقبل ، وبث الحاجب إلى طريح فأقبل ، وقد تقام النَّاسُ ، فلما نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرف عنه وجهه ، واستحيا أن يردّه من بين

النَّاس ، فدنا فسلم ، فلم يرد عليه السلام ، فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه :

بات الخلى من الموم وبات لى (١)  
وسهرت لأكرى ولا فى لذة (٢)  
أبني وجوه مخارجى من تهمه  
جزعاً لمعتبة الوليد ولم أكن  
يابن الخلائف إن سخطك لامرى  
فلا نزعن عن الذى لم تهوه  
فاعطف فذاك أبى على توسعاً  
فلقد كفالك وزاد ما قد نالنى  
سمة لذك على جسم شاحب  
إن كنت فى ذنب عتبت فإننى  
ويئست منك فكل عسر باسط  
من بعد أخذى من حبالك بالذى

أيل أكابده وهم مضلع  
أرقى وأغل ما لقيت الهجع  
أزمت على وسد منها المطلع  
من قبل ذاك من الحوادث أجزع  
أمسيت عصمته بلا مفظع  
إن كان لى ورأيت ذلك منزع  
وفضيلة فعلى الفضيلة تتبع  
إن كنت لى ببلاء ضر تقنع  
باد تحسره ولون أسفع (٣)  
عما كرهت لنزع متضرع (٤)  
كفماً إليك وكل يسر أقطع (٥)  
قد كنت أحسب أنه لا يقطع

(١) الأغاني : « بانا الخلى » .

(٢) أكرى : أنام ، وى الأغاني : « لا أسرى » .

(٣) أسفع شاحب متغير » .

(٤) : « متودع » .

(٥) أقطع : مقطوع اليد .

فأرْبُ صَنِيمِكَ بِي فَإِنَّ بَاعِينَ  
أَفْهَاضُمْ مَا قَدَّ بَنِيَتْ وَخَافِضُ  
أَفْلا خَشِيَتْ شَمَاتِ قَوْمِ فَتَهُمْ  
وَفَضَلَتْ فِي الْحَسْبِ الْأَدِيمِ عَلَيْهِمْ  
فَكَانَ أَنْفُسَهُمْ بِكُلِّ صَنِيعَةٍ  
وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ يُنَالُ أَكْفَهُمْ  
أَوْ تَسْتَلِيمُ فَيَجْمَلُونَكَ أُسْوَةً (٢)  
للكاشحين وسمهم ما يُصْنَعُ  
شرفي وأنت لي بغير ذلك أوسعُ  
سبًا وأنفسهم عليك تَقَطَّعُ  
وصنعت في الأفرام ما لا يُصْنَعُ  
أسستها وجميل فعلك تُجْدَعُ (١)  
شَلَّ وَأَنْتَ عَنْ صَنِيمِكَ تَنْزِعُ  
وَأَبِي الْمَلَامِ لَكَ النَّدَى وَالْمَوْضِعُ  
فأدناه وقرَّبه إليه ؛ وضحك ، وعاد له ما كان عليه .

قيل : إن طرِيحاً دخل على أبي جعفر المنصور في الشعراء ، فقال له : لا حيَّاك الله ، ولا بيَّاك ! ما أنقيت الله عزَّ وجلَّ حيث تقول للوليد بن يزيد :  
لَوْ قَلْتَ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وَاللَّوَجُ عَلَيْهِ كَالهَضْبِ يَمْتَلِجُ  
لِسَاحَ وَارْتَدَّ أَوْ لَكَانَ لَهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ عَنْكَ مُنْعَرَجُ  
فقال طرِيح : قد علم الله أنَّي قلت ذلك ، ويدي ممدودة إليه عزَّ وجلَّ ، وإياه تبارك وتعالى عنيت .

فقال المنصور : ياربييع ، أما ترى هذا التخلص !

روى المدائني أن الوليد جلس يوماً في مجلس عام ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه ، والشعراء وأصحاب الحوایج فقضاها ، وكان أشرف يوم رُئي له ، فقام بعض الشعراء وأنشده ، ثم وثب طرِيح وهو عن يسار الوليد بين أهله وذويه ، فأنشده هذين البيتين في أبيات :

\* لَوْ قَلْتَ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ \*

(١) الأغاني : « أسديتها » .

(٢) تستليم : تفعل ما تستحق عليه اللوم .

فطرب الوليد حتى زُني الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم وقال :  
ما أرى فيكم أحداً يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي ، ولا ينشدني أحد شيئاً بعده ،  
وأمر للشعراء بصِلَاتٍ وانصرفوا ، وأول هذا الشعر :

أنت ابنُ مسلنطحِ البطاحِ ولمْ      تُطَرِّقْ عَلَيَّكَ الحِنيُّ والوُلُجُ  
طوبى لِفِرْعَ عَيْكَ مِنْ هُنَا وَهُنَا      طوبى لِأَعْرَاقِكَ الَّتِي تَشِجُ

المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها ، وتطرق عليك : تطبق  
عليك وتغطيك وتضيق مكانك ، والحنيّ : ما انخفض . والوُلُجُ : ما اتسع  
من الوادي . والوشيج : أصل النَّبْت . يقول : أعراقك واشجة في الكرم ، أى نابتة فيه ،  
لكن أنت كريم الأبوين في قريش وثقيف ، ؛ ولست في موضع خفي من الحسب ،  
فكأنه يقول : أنت مالك هذا الأبطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك ؛ حتى  
لو أمرت السيل بالانصراف لفاعل ، لنفوذ أمرك ؛ وإنما ضرب هذا مثلاً ؛ لأنه لاشيء  
أشدّ تعذراً منه ، فإذا صرفه كان على ما سواه أقدر .

قال أبو عبيدة : سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه :  
أنا ابن مسلنطح البطاح ، وأنت كذا وكذا .

فقال عمر : إن كان لك عقل فلك أصل ، وإن كان لك خلق فلك كرم ؛ وإلا  
فذاك الحمار خير منك .

روى إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث ، قال : إني لقاعد عند مسلمة  
ابن محمد بن هشام ؛ إذ مرّ به ابن جُوان بن عمر بن أبي ربيعة وكان يفتني ، فقال : اجلس  
يا أخي غننا ، فجلس وغنى :

أنت ابنُ مُسَلَّنَطِخِ البَطَاحِ ولمْ      تُطَرِّقْ عَلَيَّكَ الحِنيُّ والوُلُجُ

فقال: يا بن أخى ، ما أنت وهذا حتى تتغناه ولا حظَّ لك فيه ! هذا قاله طريحُ فينا :

\* إذ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانٌ \*

وَمِنْ حِسانِ قِصائِدِ طَريحٍ ، يمدَحُ الوليدَ :

\* أَقفرَ مَمَّنْ يُحِلِّه السَّنْدُ \*

يقول فيها :

أنت إمام الهدى الذى أصلح الـ	هـُ به الناسَ بعد ما فسدوا
لما أتى الناسَ أن مَلِكهمُ	إليك قد صارَ أمرُهُ سَجَدُوا
وأستبشروا بالرِّضا تباشِرهمُ	بالخُلدِ لو قيلَ إنهم خَلدُوا
وعجَّ بالحمدِ أهلُ أرضِكَ حـ	ى كادَ يهترُ فرَحَةً أُحْدُ
واستقبلَ النَّاسُ عيشَةً أنفًا	إن تَبَقَ فيها لهمُ فقد سَعِدُوا
رُزِقَت من وُدِّهمُ وطاعتِهمُ	ما لم يَجِدُهُ لوالِدِ وُلْدُ
أنلجهمُ منك أنهم عَلِمُوا	أنك فيما وُلِّيتَ مجتهدُ
وأنَّ ما قد صنعتَ مِن حَسَنٍ	مِصداقُ ما كنتَ مرَّةً تَعْدُ
ألفتَ أهواءهمُ فأصبحتَ أَلـ	أضغانُ سِلْمًا وماتتَ الحَقْدُ
كنتَ أرى أن ما وُجدتُ من الـ	فَرَحَةٍ لَم يَلقَ مِثْلَهُ أَحَدُ
حتى رأيتُ العِبادَ كُلبهمُ	قد وُجدوا مِن هَواك ما أَجَدُ
قد طلبَ النَّاسُ ما كَلِفتُ فما	نالوا ولا قاربوا ولا وَجَدُوا
يرفَعُكَ اللهُ بالتكريمِ والتَّـ	قوى فتملُّو وأنتَ مُقتَصِدُ
حَسْبُ أمرىءٍ من غِنى تَقَرُّبُهُ	مِنكَ وإن لم يكنْ له سَنَدُ



## ذكر الطرمّاح \*

هو الطرمّاح بن حكيم بن الحكم بن نفر<sup>(١)</sup> بن قيس بن جحد<sup>(٢)</sup> بن ثعلبة ابن عبد رضا بن مالك بن أنمار<sup>(٣)</sup> بن عمرو بن ربيعة بن جرويل<sup>(٤)</sup> بن نعل بن عمرو ابن القوث بن طي ، ويكنى أبا نفر ، وأبا ضيبنة ، والطرمّاح الطويل .  
وقيل : إنّه كان لقبه ؛ لقب به لقوله :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا ارْتَحَ<sup>(٥)</sup> بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بَارُوحِ  
بَلَىٰ إِنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةٌ بِطَرَحِهَا طَرَفِيهِمَا كُلَّ مَطْرَحِ  
وهو من غول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم ، نشأ بالشّام وانتقل إلى الكوفة ، ونزل في تيمّ اللات بن ثعلبة ، واعتقد مذهب الشّراة الأزارقة<sup>(٦)</sup> حتى مات ، وفيهم يقول :

لله دَرُّ الشُّرَاةِ إِنَّهُمْ إِذَا الْكَرَىٰ مَالٍ بِالطَّلَىٰ أَرْقُوا<sup>(٧)</sup>  
يَرْجِعُونَ الْحَيْنِ آوِنَةٌ وَإِنْ عِلَا سَاعَةً بِهِمْ شَهَقُوا  
خَوْفًا تَبَيْتِ الْقُلُوبُ وَأَجْفَسَتْ يَكَادُ عَنْهَا الصُّدُورُ تَنْفَلِقُ

\* ترجمته في الأغاني ١٢ : ٣٥ - ٤٥ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كذا في الأغاني والمؤتلف والمختلف ١٤٨ ، وفي كلمة مطموسة ، وفي ج : « معسر » تحريف

(٢) في الأصول : « جحد » ، والتصويب من الأغاني والمؤتلف والمختلف ١٤٨ .

(٣) في الأغاني : « أمان » .

(٤) ب ، ج : « جرو » ، والتصويب من الأغاني والمؤتلف والمختلف ١٤٨ .

(٥) في الأصول : « أرح » ، والتصويب من الأغاني .

(٦) الشعراء : الحوارج ؛ والأزارقة : طائفة منهم .

(٧) الطي : جمع طلبة ؛ وهو العنق .

كيف أَرَجِيَّ الحَيَاةَ بَعْدَهُمْ      وقد مضى مُؤنِسِيَّ فأنظلقوا  
قومٌ شِحَاحٌ على اعتقادهمُ      بالفوزِ مِمَّا يُخَافُ قَدَّ وَتَقُوا  
قال رؤبة : كان الطَّرِمَاحُ والكَمَيْتُ يصيرانِ إلى ، فيسألاني عن الغريب  
فأخبرها به ، وأراه بَعْدُ في أشعارهما .

وقال محمد بن حبيب : سألتُ ابنَ الأَعرابيِّ عن ثَمَانِي عَشْرَةَ مَسْأَلَةً كُلُّهَا من غريب  
شعر الطَّرِمَاحِ ، فلم يعرف منها واحدة ، وقال في جميعها : لا أدري <sup>(١)</sup> .  
وكان الطَّرِمَاحُ صديقاً للكميت بن زيد لا يكادان يفترقان في حال [من أحوالهما] <sup>(٢)</sup> ،  
فقليل للكميت : لا شيء أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطَّرِمَاحِ على تباعد ما يجمعكما  
من النسب والمذهب والبلد . وهو شاميٌّ فحطاني شاريٌّ ، وأنت كوفيٌّ زارِيٌّ شيميٌّ ،  
وكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ قال : اتفقتنا على بغض العامة .

وأنشد الكميت قول الطرماح :

إِذَا قَبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أَخْلَقَتْ      عُرَى المَجْدِ واسترخت عِنانَ العَقَائِدِ

فقال : إِي والله ! وعِنانُ الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة .

وفد الطَّرِمَاحِ بن حَكِيمٍ والكَمَيْتِ بن زيد على مَخْلَدِ بن يزيد المهلبيِّ فجلس  
لهما [ ودعاهما ] <sup>(٣)</sup> ، فتقدم الطَّرِمَاحُ لينشد ، فقليل له : أنشد قائماً ، فقال : كلاً ،  
والله ! ما قَدَّرُ الشُّعْرَ أن أقومَ له فيحطُّ في مقامِي <sup>(٤)</sup> ، وأحطُّ منه بضراعتي ، وهو  
عمود الفخر ، وبيت الذِّكْرِ لمَّا أثر العرب . قيل له : ففتح . ودُعِيَ بالكميت  
فأنشده قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما خرج الكميت شاطر الطَّرِمَاحِ ،  
وقال : أنت أبعد <sup>(٥)</sup> همة ، وأنا ألطف منك حيلة .

(١) في الأغاني : « لا أدري ، لا أدري » .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « فيحط مني بقيامي » .

(٤) الأغاني : « وقال له : أنت أبا ضبينة أبعد همة » .

قال خالد بن كُلتُوم : بينا أنا في مسجد الكوفة ، وإذا الطَّرمَّاح والكميت ؛  
وهما جالسان بقرب باب القبلة ، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يسحب أهداماً<sup>(١)</sup> له ؛  
حتى إذا توسط المسجد خرَّ ساجداً ، ثم رمى بصره ، فإذا الكميت والطَّرمَّاح  
فقصدتهما ، فقلت : مَنْ هذا الحائن<sup>(٢)</sup> الذي وقع بين هذين الأسدين ! وعجبت  
من سجدة في غير موضع سُجودٍ وغير وقت صلاة ، فقصدته ، ثم سلمت عليهم وجلست  
أمامهم ، فالتفت إلى الكميت ، فقال : أسمعني شيئاً يا أبا المستهل ، فأنشده :

\* أبت هذه النفس إلا أذكَّرا \*

حتى أتى على آخرها ، فقال له : أحسنت يا أبا المستهل في رقيص هذه القوافي ،  
ونظم عقدها .

ثم التفت إلى الطَّرمَّاح وقال : أسمعني شيئاً يا أبا ضبيمة ! فأشده كلمته التي  
يقول فيها :

أساءك تقويضُ الخليطِ المبَّينِ      نعمَ والنوى قطاعةً للقرائن<sup>(٣)</sup>

فقال : لله درَّ هذا الكلام ! ما أحسن إجابته لريتك !<sup>(٤)</sup> إن كدت لأطيل  
إليك حسداً<sup>(٥)</sup> . ثم قال الأعرابي : والله لقد قلت بعدك ثلاثة أشعار : أحدهما كدت  
أطير به في السماء فرحاً ، وأما الثاني فكدت أدعي به الخِلافة ، وأما الثالث :  
فلقد رأيت من فصاحته<sup>(٥)</sup> ما استغفرتني به الجندل [ حتى أتيت عليه ]<sup>(٦)</sup> .

(١) الأهدام : جمع هدم ؛ وهو الثوب البالي المرقع .

(٢) الحائن : الهالك ؛ وكل مالم يوفق للرشاد فهو حائن .

(٣) التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنايبها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد

(٤-٤) وردت العبارة في ب ، ج هكذا : « إن كنت لأطيل إلى أحد » ؛ وأثبت ما في

الأغاني .

(٥) الأغاني : « فرأيت رقصانا استغفرتني » .

(٦) من الأغاني .

قالوا : فهاهنا ؛ فأنشدهم :

أَتَوْهَمْتَ مِنْ خَرْفَاءِ مَنْزِلَةٍ مَاءَ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ (١)

حتى بلغ إلى قوله :

تَنْجُو إِذَا جَمَّتْ تَدْوَى أَخَشَّتْهَا وَابْتَلَّ بِالزَّبْدِ الْجَعْدَ الْخِرَاطِيمُ (٢)

قال : أعلمت أني في طلب هذا البيت منذ سنة ، وما ظفرتُ به إلا آتفا ! وأحسبكم

قد رأيتم السجدة له . ثم أسمهم قوله :

\* مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ (٣) \*

ثم أنشدهم كلمته التي يقول فيها :

إِذَا اللَّيْلُ عَنْ نَشْرِ تَجَلَّى رَمِينَهُ بِأَمْثَالِ أَبْصَارِ النَّسَاءِ الْفَوَارِكِ (٤)

فضرب الكُميت بيده على صدر الطرماح ، ثم قال : هذا والله الدِّيَّاجُ

لا نسيجي ونسجك الكرايس (٥) . فقال الطرماح : إني لا أقول ذلك ، وإن

أقررت بجودته .

فقطب الأعرابي وقال : أنت تحسن أن تقول :

وَكَأَنَّ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةِ إِلَيْكَ وَمِنْ أَحْوَاضِ مَاءِ مُسَدِّمٍ (٦)

(١) مسجوم : مصبوب .

(٢) تنجو : تسرع . وأخشتها : جمع خشاش ؛ وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليحذب

بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ . وفي الأغاني والديوان ٤٧٥ : « تدمى أخشتها » ، وما

أثبتته من ب ، ج .

(٣) بقيته كما في الديوان .

\* كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرِبُ \*

(٤) النشز : ما ارتفع من الأرض . تجلَّى : انكشف . الفارِك : المرأة التي تبيضت زوجها

وئنت طرفها عنه ونظرت إلى كل شيء دونه (من شرح الديوان ٤٢٧) .

(٥) الكرايس : جمع كرابس ؛ وهو ثوب غليظ من القطن .

(٦) ديوانه ٦٣٠ ، المسدم : المتغير لطول العهد .

بأعقاره القردان هزلى كأنها نواذر صيصاء الهبيد المحطم<sup>(١)</sup>  
فأصغى الطرمّاح إلى الكميت ، وقال له : فانظر ما أخذ من ثواب هذا الشعر !  
وهذه القصيدة امتدح بها ذو الرمة عبد الملك ، فلم يدحها فيها إلا بهذين البيتين ،  
وسأرها في ناقته ، فلما أنشده إياها قال له : ما مدحت بهذه القصيدة إلا ناقتك ،  
نخذ منها الثواب ، وكان ذو الرمة غير محظوظ من المدح ، فلم يفهم ذو الرمة قول  
الطرمّاح للكميت . فقال الكميت : إنه ذو الرمة ، وله فضله ، فأعتبه<sup>(٢)</sup> .  
فقال الطرمّاح : معذرة إليك ، إن عنان الشعراء<sup>(٣)</sup> في كففك ، فارجع مُعتباً ،  
وأقولُ فيك كما قال أبو المستهلّ .

قال أبو تمام الطائيّ : مرّ الطرمّاح بن حكيم في مسجد البصرة يخضر في  
مِشيتِهِ ، فقال رجلٌ : من هذا الخطّار ؟ فسمعه فقال : أنا الذي أقول :

لقد زادني حُباً لنفسي أني      بفيضٍ إلى كلِّ امرئٍ غير طائلٍ<sup>(٤)</sup>  
وأنى شقٌّ باللثام ولا ترى      شقيّاً بهم إلا كريم الشائلِ  
إذا ما رأني قطع اللحظَ بينه      وبينى فعلَ المعارف المتجاهلِ  
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها      من الضيق في عينيه كفةُ حابلٍ<sup>(٥)</sup>

(١) الأعقار : جمع عقر ، وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت . وفي الديوان  
« بأعطائه » . والهبيد : حب الخنظل . والصيصاء : الضاوي الهزبل منه .

(٢) أعتبه : أراضه .

(٣) في الأغاني : « الشعر » .

(٤) رجل غير طائل ، أي دون خسيس .

(٥) كفه الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

## حرف الظاء

### أبو الأسود الدؤلي\*

هو ظالم بن<sup>(١)</sup> عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن ثفانة بن عدى ابن الدليل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار، وهم إخوة قريش؛ لأن قريشا مختلف في الموضع الذي افتقرت فيه مع بني أبيها، مُخَصَّت بهذا الاسم دونهم. وأبعد من قال في ذلك مدعى من زعم أن النضر ابن كنانة منتهى نسب قريش.

ومن الناس من يقول: إن من لم يلده فهدى بن مالك بن النضر فليس قرشياً. وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين ومحدثيهم وفقهائهم.

قال الجاحظ: أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس، مقدم في كلهما: في<sup>(٢)</sup> التابعين والفقهاء، والمحدثين والشمراء والأشراف، والأمراء والفرسان، والدعاة والنحويين، والحاضري الجواب، والشيمة والبخلاء، والصُّلح الأشراف، والبُخْر والأشراف.

وروى عن عمرَ وعثمانَ وعليّ، رضوان الله عليهم. وكان من وجوه شيمة عليّ عليه السلام.

وقيل: إنه أدرك الإسلام، وشهد بدرأ مع المسلمين، واستعمله عليّ عليه السلام على البصرة بعد ابن عباس.

\* ترجمته في الأغاني ١٢ : ٢٩٧ - ٣٣٤ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) ب ، ج : « أبو » ، والتصويب من الأغاني .

(٢) الأغاني : « كان معدودا في التابعين » .

وهو الأصل في بناء النَّحو وَعَقْد أصوله ؛ فإنه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت :  
يا أبتِ . « ما أشدُّ الحرَّ » ! فرفعت « أشدَّ » ، وظنَّها تستفهم منه أيّ زمان الحرِّ  
أشدُّ؟ فقال لها : شهرِ ناجر<sup>(١)</sup> . فقالت : يا أبتِ ، إنَّما أخبرتك ولم أسألك ، فأنى  
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغةُ  
العرب لما خالطت العجم ، ويوشك<sup>(٢)</sup> إذا تطاول عليها الزَّمان أن تضمحلَّ ، فقال  
له : وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صُحُفًا بدرهم ، وأملى<sup>(٣)</sup> عليه :  
الكلام كلُّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . وهذا القول أول كتاب  
سبويه ، ثم رسم أصول النَّحو كلها ، فتقبلها<sup>(٤)</sup> النحويون وفرَّغوها .

وأمر زيادُ أبا الأسود الدؤليّ أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النَّحو  
رُسومًا ، ثم جاء بـمده ميمونُ الأقرن ، فزاد عليه في حُدود العربية ، ثم زاد بـمده فيها  
عَنْبَسَةُ بن مَعْدان المَهْرِيّ ثم جاء عبدُ الله بن أبي إسحاق الحضرميّ وأبو عمرو بن  
الملاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديّ ، وكان صليبيّة<sup>(٥)</sup> فلحبه<sup>(٦)</sup> ، ونجم  
عليّ بن حمزة الكِسائيّ مولى بني كاهلٍ ، من أسدٍ ، فرسم للكوفيين رسومًا هم  
الآن يميلون عليها .

جاء أبو الأسود إلى زياد بالبصرة فقال : أصلح الله الأمير ! إنى أرى العرب قد  
خالطت هذه الأعاجم ، وتغيّرت ألسنتهم ، أفتأذن لى أن أضع لهم علمًا يقيمون به

(١) في الأغاني : « يريد شهر صفر » .

(٢) الأغاني : « وأوشك »

(٣) الأغاني : « أمل » ، وهما سواء .

(٤) الأغاني : « فنقلها » .

(٥) يريد ذاتسبة صليبية ، والصليب : العربي الخالص النسب .

(٦) في الأغاني ، « فلحج الطريق » ؛ أى بينه .

كلامهم؟ قال: لا، ثم جاء رجل زيادا فقال: « مات أبانا وخلف بنون » فقال زياد: « مات أبانا وخلف بنون! » ردوا على أبا الأسود، فرد إليه. فقال: ضع للناس ما نهيتك عنه؛ فوضع النحو لهم.

وقيل: إن أول باب وضع في النحو باب التمجيب، وكان أبو الأسود كاتباً لابن عباس على البصرة، وهو الذي يقول:

وإذا طلبت من الحوامج حاجةً      فادعُ الإله وأحسنِ الأعمالاً  
فليمطينك ما أراد بقدره      فهو اللطيف لما أراد فعلاً  
إن العباد وشأنهم وأمورهم      بيد الإله يقبُّ الأحوالاً  
فدع العباد ولا تكن لطلابهم      لهجاً تَضْمَعُ لِلْعِبَادِ سؤالا

كان أبو الأسود الدؤلي قد كبر وأسَنَّ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق، ويزور أصدقاءه، فقال له رجل: يا أبا الأسود، أراك تكثر الرّكوب وقد ضَعُفَتْ وكَبِرَتْ! فلوزمت منزلك، كان أودع لك، فقال له: صدقت؛ ولكن الرّكوب يشدّ أعضائي، وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمع في بيتي، وأستنشق<sup>(١)</sup> الريح، وألقى إخواني، وإن جلست في بيتي لاغمّ بي أهلي، وأنس بي الصبي، واجترأ على الخادم، وكلمني من أهلي من يهابني ويهاب كلامي لأنفهم إبتأى، وجلوسهم عندي؛ حتى لعل العنز أن تبول على، فلا يقول لها أحد هس<sup>(٢)</sup>.

كانت بين بني الدليل وبني ليث منازعة، فقتل بنو الدليل منهم رجلاً، واصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا دينه، فاجتمعوا إلى أبي الأسود، فسألوه المعاونة على أدائها، وألح عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة، فقال له: يا أبا الأسود، أنت شميخ

(١) الأغاني: « وأستنشى ».

(٢) الأغاني: « هس » زجر للقنم.



العشيرة وسيدهم ، وما يمنعك من معاوتهم قلّة ذات يدٍ ، ولا سوؤد ولا جود . فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، وقال : لقد أكثرت يا بن أخي فاسمع مني ؛ إن الرّجل لا يعطى ماله إلا لإحدى ثلاث خلال : إمّا رجلٌ أعطى ماله رجلاً مكافأة ممن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقها بماله ! أو رجلٌ أراد وجه الله تعالى وما عنده في الآخرة ، أو رجلٌ أحقّ خُدع عن ماله ، والله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء منها ، ولا عمّك الرّجل العاجز الأحمق فينخدع لهؤلاء ، ولما أفدتك إياه في عقلك خيرٌ لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الدليل . قوموا إن شئتم ، فقاموا يتبادرون<sup>(١)</sup> الباب .

قال أبو عبيدة : كانت طريق أبي الأسود إلى المسجد والشوق على بني تيم الله ابن ثعلبة ، وكان فيهم رجلٌ متفحّش يكثر الاستهزاء بمن يمرُّ به ، فرّبه أبو الأسود الدليل يوماً فقال لقومه : كأنّ وجه أبي الأسود وجهٌ عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود .

ثم مرّ به مرة أخرى فقال : كأنّ غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح<sup>(٢)</sup> ، فأقبل عليه أبو الأسود ، فقال : هل تعرف فقحة أمك فيهنّ ! فأخمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود ، فاعتذروا منه ممّا كان ، ولم يعاوده الرّجل بعد ذلك .

كان أبو الأسود جالساً في دهليزٍ وبين يديه رطبٌ ، فجاز به رجلٌ من الأعراب ، يقال له : ابن الحمامة ، فسلم عليه ، فقال : السّلامُ عليك ، فقال له أبو الأسود : كلمة مقسولة ، فقال : أَدْخُلْ ؟ فقال : وراءك أوْسَعُ [ لك ]<sup>(٣)</sup> ،

(١) الأغاني : « يبادرون » .

(٢) الفقاح : جمع فقحة ؛ وهي حلقة الدبر .

(٣) من الأغاني .

قال : إن الرَّمضاء أحرقت رَجُلِيَّ . قال : بُلِّ عليهما ، أو ائمت الجبل بقاء عليك .  
 قال : هل عندك شيء تطعمني <sup>(١)</sup> ؟ قال : نأكل ونطعم العيال ؛ فإن فضل شيء ،  
 فأنت أحقُّ به من الكلب . قال الأعرابي : ما رأيت أُمًّا [قطَّ] <sup>(٢)</sup> منك ! قال  
 أبو الأسود : بلى قد رأيت ؛ ولكنك أنسيت . قال : أنا ابن الحمامة ، قال : كن  
 ابن أوى طائر <sup>(٣)</sup> شئت ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلا ما أطعمتني مما تأكل !  
 فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطبات ، فوقعت إحداهن في التراب ، فأخذها يمسحها  
 في ثوبه ، فقال له أبو الأسود : دَعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها  
 به ، فقال : إنما كرهت أن أدعها للشيطان ، فقال : لا والله ، ولا لجبريل ،  
 ولا لميكائيل تدعها !

خطب أبو الأسود الدبلي امرأة من عبد القيس ، يقال لها : أسماء بنت زياد بن  
 غنم <sup>(٤)</sup> ، فأسرت أمرها إلى صديق له من الأزدي ، يقال له : الهيثم بن زياد ، فحدث  
 ابن عم لها كان يخطبها - وكان لها مال عند أهلها - فشى إليهم ابن عمها الخاطب  
 لها ، فأخبرهم خبر أبي الأسود ، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن ماله الذي في  
 أيديهم ففعلوا ، حتى تزوجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود في ذلك من أبيات :

لعمري لقد أفشيت يوماً فخانني  
 إلى بعض من لم أخش سراً ممثماً  
 فرزقه مرق العمى وهو غافل  
 ونادى بما أخفيت منه فأسمماً  
 فقلت ولم أفحش لعلك عاتراً <sup>(٥)</sup>  
 وقد يعثر الساعي إذا كان مسرماً

(١) الأغاني : « تطعمنيه » .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « كن ابن طاوسة » .

(٤) الأغاني : « ابن غنيم » .

(٥) لعلك : كلمة يدعى بها للعائر أن يبتعث .

ولست بجازيك الملامة إنني  
ولكن تعلم أنه عهد بيننا  
أرى العفو أدنى للرشاد وأوسما  
فكن غير مذموم ولكن مودعا<sup>(١)</sup>  
وأت نجي آخر الدهر أجمعا<sup>(٢)</sup>  
سواك له إلا أشت وأضيما  
وَمَا قَالَ فِيهِ :

أمنتُ امرأً في السرِّ لم يكُ حازماً  
أذاعَ به في الناسِ حتَّى كأنه  
ولكنه في النصيح غير مُريب  
تصلى بنارٍ أوقدت بثقوب<sup>(٣)</sup>  
قوارعه من مخطئ ومصيب  
ولا كلُّ مؤتٍ نصحه بليب  
فحق له من طاعة بنصيب  
وَكُنْتُ مَتَى لَمْ تَرَ عِ سِرِّكَ تَنْشُرُ<sup>(٤)</sup>  
فَمَا كُلَّ ذِي لَبٍّ بِمَوْتِكَ نُصِّحُهُ  
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ

كان لأبي الأسود الدبلي صديق من بني تميم ، ثم من بني سمد ، يقال له : مالك  
ابن الأصرم ، وكان بينه وبين ابن وعله<sup>(٥)</sup> خصومة في دار لهم ، فاجتمعا عند  
أبي الأسود فحكماهما بينهما ، فقال له خصم صديقه مالك : إنني بالذي بينك وبين هذا  
عارف ، فلا يحملنك ذلك على أن تحيف علي في الحكم - وكان صديقه مالك ظالما ،  
فقضى أبو الأسود على صديقه بالحق لحصمه .

فقال له صديقه مالك : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا تفعمي بعلمك  
وفقهك ، ولقد قضيت علي بغير الحق . فقال أبو الأسود :

- (١) الأغاني : « فبن غير مذموم » .  
(٢) النجى : المسار ، وفي الأغاني : « وأنت نجيا » .  
(٣) الثقوب : ما أنقبت به النار ؛ أي وقدتها ، أوق الأغاني : « بعلياء نار أوقدت بثقوب » .  
(٤) الأغاني : « تلبس » .  
(٥) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « ابن عم له » .

إذا كنتَ مظلوماً ولمْ تُنْفِ راجياً عن القوم حتى تأخذ النصفَ فأغضبِ (١)  
وإن كنتَ أنتَ الظالمُ القومَ فأطرحْ

مقاتلتهمُ وأشعبَ بهم كلاً مَشعَبِ

وقاربُ بذى جهلٍ ، وباعدُ بعالمٍ جلوبٌ عليك الحقَّ من كلِّ مجلبِ

وإن حذبوا فاقمسْ وإن همْ تقاعسوا (٢)

ليستمكنوا مما وراءك فأحذبِ

وَلَا تَدْعُنِي لِلْجَوْرِ وَأَصْبِرْ عَلَى الَّتِي

بِهَا كُنْتُ أَقْضِي لِلْبُعِيدِ عَلَى أَبِي

فإني امرؤٌ أخشى إلهي وأتقى معادي ، وقد جرَّبتُ ما لم تجرِّبِ

تقدّم رجل إلى عبّيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الحرّ ، قاضي البصرة مع

خَصْمٍ لَهُ ، فَخَلَطَ فِي قَوْلِهِ : فَتَمَثَّلَ عَبِيدُ اللَّهِ بِقَوْلِ أَبِي الْأَسْوَدِ :

يُصِيبُ وَمَا يَذْرَى وَيُخْطِي وَمَادَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكَ!

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يدينني إليه لأقول له شيئاً فعل ؛ فقال :

أذنُ . فقال له : إن أحقَّ الناسِ بِسِتْرِ هذا الشعر أنت ، وقد علمت فيمن قيل !

فتبسم عبّيد الله ، وقال : إني أرى فيك مُصْطَنَعاً ، فقمُ إلى منزلك ، وغرم لخصمه

ما كان يطالبه به .

وهذا البيت من أبيات قالها أبو الأسود في الحُصَيْنِ ابن أبي الحرّ ، وقد كتب

إليه كتاباً فنبذَه وراء ظهره ، وكتب إلى نُعَيْمِ بن مسعود كتاباً فقرأه ، وانتهى إلى

آخره ، فأخبره رسوله بذلك ، فقال :

(١) النصف : الاتصاف .

(٢) حذب : خرج ظهره ودخل بطنه ، وقمس : قبيضه .

حَسِبْتُ كِتَابِي إِذْ أَنَاكَ تَعْرِضًا      لَسَيْبِكَ لَمْ يَذْهَبْ رَجَائِي هُنَالِكَ<sup>(١)</sup>  
وَحَبْرِي مَنْ كُنْتَ أَرْسَلْتُ أَنَّمَا      أَخَذْتَ كِتَابِي مُعْرِضًا بِشَمَالِكَ  
نَظَرْتَ إِلَى عَنَوَانِهِ فَنَبَذْتَهُ      كَنَبْدِكَ تَعْلَامًا أَخْلَعْتَ مِنْ نَعَالِكََا  
نُفَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ أَحَقَّ بِمَا أُنِّي      وَأَنْتَ بِمَا تَأْتِي حَقِيقٌ بِذَلِكََا  
يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُحِطِي وَمَا دَرَى      وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكََا !

فبلغت الأبيات حُصينا فغضب ، وقال : ما ظفنت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطى من مساءتنا ، وتوعدنا وتوبيخنا ! فبلغ ذلك أبا الأسود فقال من أبيات :

أَبْلِغْ حُصَيْنًا إِذَا جِئْتَهُ      نَصِيحَةَ ذِي الرَّأْيِ لِلْمُجْتَنِيهَا  
وَلَا تَكُ مِثْلَ الَّتِي اسْتَخْرَجَتْ      بِأَظْلَافِهَا مُدِيَةَ أَوْ بِفِيهَا  
فَقَامَ إِلَيْهَا رِبَهَا ذَابِحٌ      وَمَنْ تَدَعُ يَوْمَا سَعُوبٌ يَجِيهَا

قال أبو بكر الهذلي : كان أبو الأسود يوما يحدث معاوية ، فضرط فقال لمعاوية : استترها علي . فقال : نعم ، فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم . فلما غدا إليه أبو الأسود قال له عمرو : ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ فقال : ذهبت كما تذهب الريح [ مقبلة مدبرة ]<sup>(٢)</sup> ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ؛ وكل أجوف ضرط . ثم أقبل على معاوية فقال له : إن أمرأ ضعفت أمانتة ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق ألا يؤتمن على أمر المؤمنين !

كان أبو الأسود الدبليّ يجلس إلى قبة امرأة بالبصرة ، فيتحدث إليها ، وكانت رزة جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوجك ؟ فأتى صناع الكف ،

(١) السيب : العطاء .

(٢) من الأغاني .

حسنة التدبير ، قائمة بالميسور . قال : نعم ، نجمت أهلها ، ثم تزوجته فوجد عندها خلاف ما قدره ، وأسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى جانبه ، وأفشت سرّه ؛ فعدا على من كان حضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتموا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم :

أَرَيْتَ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ      أَنَا نِي فَقَالَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا  
فَخَالَتْهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ      فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدَيْهِ فَتَيْلًا  
وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتُهُ      كَذُوبَ الْحَدِيثِ سِرْوَقًا بَحِيلًا  
فَذَكَرْتُهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ      عَتَابًا رَقِيقًا وَقَوْلًا جَمِيلًا  
وَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَمْتَبٍ      وَلَا ذَاكِرِ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup>  
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ      وَاتِّبَاعِ ذَلِكَ صَرْمًا طَوِيلًا!

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ؛ فقال : تلك صاحبتيكم وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فطلقها وانصرفت معهم .

كان أبو الأسود أبجر ، فساراً معاوية يوماً بشيء ، فأصغى إليه ممسكاً بكمه على أنفه ، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله [ لا تسود ]<sup>(٢)</sup> حتى تصبر على إسرار<sup>(٣)</sup> الشموخ البخر .

كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب استعمل أبا الأسود على البصرة ، واستكتب زياد بن أبيه على ديوان الخراج ، فحمل زياد يقع في أبي الأسود عند على ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود قال [ فيه ]<sup>(٢)</sup> :

رَأَيْتُ زِيَادًا يَنْتَحِينِي بِشَرِّهِ      وَأَعْرِضُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَعَايِلُهُ  
وَكَانَ امْرَأً وَاللَّهِ بِالنَّاسِ عَالِمٌ      لَهُ عَادَةٌ قَامَتْ عَلَيْهَا شَمَائِلُهُ

(١) استغفبه : استرضاه .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « سرار » .

تَعَوَّدَهَا فِيمَا مَضَى مِنْ شَبَابِهِ      كَذَلِكَ يَدْعُو كُلَّ أَمْرٍ أَوَائِلُهُ  
وَيُتَجَبُّهُ صَفْحِي لَهُ وَتَحْمَلِي (١)  
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَشَأْنِي إِنَّا  
فَلَوْلَا الَّذِي قَدْ يُرْتَجَى مِنْ رَجَائِهِ  
لَجُرِّبَتْ أُنِّي أَمْنَحُ النَّحْيَ مِنْ غَوَى  
عَلَى وَأَجْزِي مَا جَزَى وَأَطَاوِلُهُ  
فَلَمَا ادَّعَى مَعَاوِيَةَ زِيَادًا وَوَلَاءَهُ الْعِرَاقَ ، كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَأْتِيهِ فَيَسْأَلُهُ حَوَائِجَهُ ؛  
فَرَبَّمَا قَضَاهَا ؛ وَرَبَّمَا مَنَعَهَا ؛ لَمَّا يَعْلَمُهُ مِنْ رَأْيِهِ وَهُوَ فِي عَلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَمِمَّا كَانَ  
بَيْنَهُمَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَهِيَ عَامِلَانِ ، وَكَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يُدَارِيهِ مَا اسْتَطَاعَ ، وَيَقُولُ  
فِي ذَلِكَ :

رَأَيْتُ زِيَادًا صَدَّ عَنِّي بِوَجْهِهِ      وَلَمْ يَكْ مُرْدُودًا عَنِ الْخَيْرِ سَائِلُهُ  
يُنْفَذُ حَاجَاتِ الرِّجَالِ وَحَاجَتِي  
وَلَا أَنَا نَاسٍ مَا نَسِيتُ فَايْسُ  
كِدَاءِ الْجَوَى فِي جَوْفِهِ لَا يَزِيلُهُ  
وَفِي النَّاسِ حَزْمٌ لِلْبَيْبِ وَرَاحَةٌ  
وَلَا أَنَا رَأَى مَا رَأَيْتُ ففَاعِلُهُ  
مِنَ الْأَمْرِ لَا يُنْسَى وَلَا الْمَرْءُ نَائِلُهُ

كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَدْخُلُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَشْكُو إِلَيْهِ دَيْنًا ، لَا يَجِدُ إِلَى قَضَائِهِ  
سَبِيلًا ، فَيَقُولُ لَهُ : إِذَا كَانَ غَدًا فَارْجِعْ إِلَى حَاجَتِكَ فَإِنِّي أَحَبُّ قَضَائِهَا ، فَيَدْخُلُ إِلَيْهِ  
فِي غَدٍ فَيَذْكُرُ لَهُ أَمْرَهُ وَوَعْدَهُ فَيَتَمَافَلُ عَنْهُ ، ثُمَّ يَعَاوِدُهُ وَلَا يَصْنَعُ شَيْئًا فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ  
أَبُو الْأَسْوَدِ :

دَعَانِي أَمِيرِي كِي أَفْوَةَ بِحَاجَتِي      فَقُلْتُ فَا رَدَّ الْجَوَابَ وَلَا اسْتَمَعْتُ  
فَقَمْتُ وَلَمْ أَحْسُسْ بِشَيْءٍ وَلَمْ أَصْنُ  
وَأَجَمْتُ يَا سَأَا لَا لِبَانَةَ بَعْدَهُ  
وَلِلْيَاسِ أَدْنَى لِلْعَفَافِ مِنَ الطَّمَعِ

(١) الأغاني : « وتحملي » .

(٢) يحدو : يعطى .

سأل رجلُ أبا الأسود شيئاً ، فنعمه ، فقال له : يا أبا الأسود لقد أصبحت حاتماً  
يهزأ به - فقال : نعم ، أصبحت حاتماً من حيث لا تدري أنت ، أليس حاتمُ الذي يقول :  
أماوىَ إما مانعٌ فبينَ وإمّا عطاءٌ لا ينهنهُ الزَّجرُ !<sup>(١)</sup>

دخل أبو الأسود على معاويةَ ، فقال له : لقد أصبحتَ جميلاً يا أبا الأسود  
فلو تعلقت تميميةً تدفع<sup>(٢)</sup> العين ! فقال :

أفتى الشبابَ الذي فارقت جدتهُ كثرُ الجديدين من آتٍ ومنطلقٍ  
لم يتركالى في طول اختلافهما شيئاً يُخافُ عليه لدعةُ الحدقِ

كان لأبي الأسود جارٌ فأولعَ جارهُ برميهِ بالحجارة كما أمسى وآذاه ، فشكا  
أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلموه ولاموه .

فقال : لستُ أرميه وإنما يرميه الله ؛ لقطعه للرحم ، وسرعته إلى الظلم في بخله  
بما له ، فقال أبو الأسود : لا أجاورُ رجلاً يقطع رحمى ، ويكذب على ربى فباع داره  
في بنى الدُّئل ، واشترى داراً في هذيل فقيّل له : يا أبا الأسود ، بعت دارك . فقال :  
لم أبع دارى ولكننى بعتُ جارى فأرسلها مثلاً ، وقال في ذلك :

رمانى جارى ظالماً لى رميةً<sup>(٣)</sup> فقلت له مهلاً فأنكر ما أتى  
وقال الذى يرمىك ربك جازياً بذنبك والحوبات تُعقب ما ترى  
فقلت له لو أن ربى برمىةٍ رمانى لما أخطأ إلهى ما رمى  
جزى الله شرّاً كلَّ من قال سوءةً وينحلُّ فيها ربهُ الشرُّ والأذى<sup>(٤)</sup>

(١) نهيه : كفه .

(٢) الأغانى : « تنفى » .

(٣) الأغانى : « ظالماً برمىة »

(٤) نحله : نسبة إليه .



وقال فيه :

وَأِنِّي لَتَتَّئِبِيَنِ عَنِ الشَّتْمِ وَالْحِنَا  
حِيَالًا وَإِسْلَامًا وَتَقْوَى وَأَنِّي  
فَإِن أَعْفَ يَوْمًا عَن ذُنُوبِ أَيْتِهَآ  
وَشَتَّانِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، إِنِّي  
عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَتَظَلَعُ<sup>(١)</sup>

وقال في غيره :

بُلَيْتُ بِصَاحِبِ إِنْ أَدْنُ شَبْرًا  
وَإِنْ أَمْدُدُّ لَهُ فِي الْأَصْلِ ذَرْعِي  
أَبَتْ نَفْسِي لَهُ إِلَّا اتَّبَاعَا  
كَلَانَا جَاهِدُ أَدْنُو وَيُنَآئِي  
فَذَلِكُ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا اسْتَطَاعَا

وقال فيه :

أَعَصَيْتَ أَمْرَ ذَوِي النَّهْيِ  
أَخْطَأْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي  
وَالْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا  
وَأَطَعْتَ أَمْرَ ذَوِي الْجَهَالَةِ  
وَالرَّمِي يَمِجُّزُ لَا سَحَالَةَ  
وَالْحَرُّ تَكْفِيهِ الْمَقَالَةَ

وقال :

أَحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مَقَارِبًا  
وَأُبْغِضُ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مَقَارِبًا  
وَكَنْ مَعْدِنًا لِلْحَلْمِ وَأَصْفَحْ عَنِ الْخِنَا  
وَأَبُو الْأَسْوَدِ هُوَ الْقَائِلُ : لَيْسَ لِلسَّائِلِ الْمَلْحَفِ مِثْلَ الرَّدِّ الْجَامِسِ<sup>(٤)</sup> .

(١) ظلم : غمز في مشيه .

(٢) الأغاني : « مباعدة ذراعا » .

(٣) قيس : قدر .

(٤) في الأغاني : « يعني بالجامس الجامد » .

كان أبو الأسود نازلاً في بني قُشير [وكانت بنو قُشير<sup>(١)</sup> عمانية ، وكانت امرأته أم عوف منهم ، وكانوا يؤذونه ويسبونه ، وينالون من علي عليه السلام بحضرتة ؛ لينفيظوه به ويرمونه بالليل ، وإذا أصبح قال لهم : يا بني قُشير ، أي جوار هذا ! فيقولون له : لم نَرَمِكَ إنما رماك الله لسوء مَذْهَبِكَ ، وقُبِحَ دينك ، فقال في ذلك :

يقول الأردزون بنو قُشيرِ	طَوَّالَ الدَّهْرِ ما تنسى علياً !
فقلت لهم وكيف يكون ترَكي	من الأعمال مفروضا عليّاً !
أحبُّ محمداً حبّاً شديداً	وعباساً وحزرةً والوصياً <sup>(٢)</sup>
بنو عمِّ النبي وأقربوه	أحبُّ النَّاسِ كُلَّهُمُ إِلَيَّا
فإن يك جبههم رُشداً أصبت <sup>(٣)</sup>	ولست بمخطئٍ إن كان غيماً
هُمُ أهل النصيحة غير شكِّ	وأهلُ مودتي ما دُمْتُ حَيًّا
هُوَى أعطيتُهُ لَمَّا استدارتُ	رَحًا الإسلامَ لم تعدلُ سَوِيًّا <sup>(٤)</sup>
أحبُّهُمُ كَبُّ الله حَتَّى	أجىء إذا بُمِئتُ على هَوِيًّا <sup>(٥)</sup>
رأيتُ الله خالقَ كلِّ شىءٍ	هداهُمُ واجتبي منهم نبياً
ولم يَخْصِصْ به أحداً سواهم	هنيئاً ما اصطفاه لهم مريباً
فقال له بنو قُشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك بقولك :	
فإن يك جُبههم رُشداً أصبت	ولسْتُ بمخطئٍ إن كان غيماً

(١) من الأغاني .

(٢) الوصي : علي بن أبي طالب .

(٣) في الأغاني : « أصبه » .

(٤) السوى : الطريق المستقيم .

(٥) على هويها ، على هواي .

فقال له : أما سمعتم قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . أفترون الله عز وجل شكَّ في نبيِّه صلى الله عليه وسلم !

كان لأبي الأسود على باب داره دُكَّانٌ يجلس عليه ، مرتفع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل ، وكان يوضع بين يديه خِوانٌ على قدر الدكان ، فإذا مرَّ به مارٌّ دعاه إلى الأكل لم يجد موضعا يجلس فيه ، فرَّ به ذات يوم فتَّى ، فدعاه إلى الغداء ، فأقبل عليه ، فتناول الخِوان فوضعه أسفل ، ثم قال : يا أبا الأسود ، إن عزَّمت على الغداء فانزِلْ ، وجعل الفتى يأكل ، وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظا ، حتى أتى على الطعام . فقال أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ فقال : لقمان الحكيم ، فقال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك !

كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقا لأبي الأسود يهاديه الشعر ، ويجب كلُّ منهما صاحبه ، ويتعاشران ويتراوران ، فوُلِّي أبو الجارود ولاية ، فحفا أبا الأسود وقطعه ، ولم يبدأ بالمكاتبة ولا أجابه ، فقال أبو الأسود فيه :

أَبْلِغْ أبا الجارودِ عَنِّي رِسَالَةَ	يَرُوحُ بِهَا الغادى لِرَبْعِكَ أَوْ يَغْدُو
أَنَّ نلتَ خيراً سَرَّتْني أَنْ تَفَالَهُ	تَفَسَّكَرْتَ حَتَّى قَلتَ ذُو إِبْدَةِ وَرَدُ <sup>(١)</sup>
فَمِينَاكَ عِيناهُ ، وَصوتِكَ صوتُهُ	تُمَثِّلُهُ لى غَيرِ أَنَّكَ لا تَعْدُو
فَإِن كَنتَ أزمَعْتَ بِالصَرَمِ بَيننا	لَقَد جَعَلتَ أَشْراطَ أَوَّلِهِ تَبْدُو
فَإِنى إِذا ما صاحِبُهُ رَثَّ وَصَلُّهُ	فَأَعْرَضَ عَنى قَلَّ مِني لَهُ الوَجْدُ

كان لأبي الأسود صديق . يقال له : الحارث بن خالد<sup>(٢)</sup> ، وكان في شرف من العطاء ، فقال لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان فإن فيه غناءً وجزاءً<sup>(٣)</sup> .

(١) ب ، ج : « ذوكيد » ، تصحيف ، صوابه من الأغاني . واللبدة : الشعر المترام بين كفتي الأسد . والورد : الأسد .

(٢) الأغاني : « خليل » .

(٣) الأغاني : « غنى وأخيرا » .

فقال أبو الأسود : قد أغناني اللهُ عنه بالقناعة والتجمل ، فقال : كلاً ، ولكنك ببركة إقامة على محبة عليّ بن أبي طالب وبنفض هؤلاء القوم ، وزاد السلام بينهما حتى أغلظ له الحارث بن خالد ، فهجره أبو الأسود ، وندم الحارث على ما فرط منه ، فسأل عشيرته أن يصلحوا بينهما .

فأتوا أبا الأسود ، وقالوا له : قد اعتذر مما فرط منه ، وهو رجل حديد<sup>(١)</sup> ، فقال أبو الأسود :

لنصاحبٍ لا كليلُ اللسانِ      فيصمتُ عتاً ولا صارمُ  
وشرُّ الرّجالِ على أهله      وأصحابه الحِمقُ العارمُ

ولما أتى أبا الأسود نعيُّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه الحسن عليه السلام ، قام على المنبر فخطب الناس ، ونعى لهم عليّاً عليه السلام فقال في خطبته : وإن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه ، اغتال أمير المؤمنين كرم الله وجهه ومثواه في مسجده ، وهو خارج لتهجده في ليلة يُرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيالله هو من قتيل ! وأكرم به وبمقتله ؛ وروحه من روح عرّجت إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والتقى ، والإيمان والإحسان ! لقد أطفأ منه نور الله في أرضه ؛ لا يتبين بعده ، وهدم ركناً من أركان الله عزّ وجلّ ، لا يشادُ مثله ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ! وعند الله نحسب مصيبتنا بأمر المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم وُلد ويوم قُتل ويوم يبعث حيا !

ثم بيكى حتى اختلفت أضلّاعه ، ثم قال :

وقد وصّى بعمده بالإمامة إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه وسليبه ، وشبيهه في خلقه وهديه . وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وهى ، ويسد ما انشلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ؛ فبايموه ترشدوا .

(١) حديد : حاد اللسان .

فبايعت الشيعة [ كلها ] <sup>(١)</sup> وتوقف من يرى رأى العنابية ، ولم يظهروا أنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية .

فكتب إليه معاوية مع رسول دسه إليه ، يعلمه أن الحسن راسله في الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويمدّه ، ويمنّيه ، فقال أبو الأسود :

أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ      فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامِيِّينَا  
أَفِي شَهْرِ الصِّيَامِ جَمَعْتُمُونَا      بِخَيْرِ النَّاسِ طُرّاً أَجْمَعِينَا  
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا      وَخَيْسَهَا وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا <sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ لَبَسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَدَاهَا <sup>(٣)</sup>      وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمَثِينَا  
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ وَجْهَ أَبِي حَسِينٍ      رَأَيْتَ الْبَدْرَ رَاقٍ لِنَظَرِينَا  
لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ حَيْثُ حَلَّتْ      بِأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسَبًا وَدِينًا

كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة ، لا ينتجع أرضا ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه ؛ فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتيني ؛ فقال أبوه أبو الأسود :

وَمَا طَلَبُ الْمَمِيشَةِ بِالْتَمَنِي      وَلَكِنْ أَلِقِ دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ  
تَجْمُوكَ بِمِلْهَا يَوْمًا وَيَوْمًا      تَجْمُوكَ بِجَمَاءَةٍ وَقَلِيلِ مَاءٍ <sup>(٤)</sup>

اشترى أبو الأسود جارية للخدمة ، فجعلت تتمرّض منه للنكاح ، وتنطيب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود وقال لها : إنّما اشتريتك للخدمة لا للنكاح ، فأقبل على خدمتك ، وقال :

(١) من الأغاني .

(٢) خيسها : ذلها .

(٣) حداه نعلا : أعطاه إياها .

(٤) الجمأة : الطين الأسود اللين .

اصلاح إني لا أريدك للصبا فدعي التشمّل حولنا وتبدلي<sup>(١)</sup>  
إني أريدك للمجيب وللرحا ولحمل قربتنا وغلى المرجل  
وإذا تروّح ضيف أهلك أوعدا فغذى لآخر أهبة المستقبل

كان المنذر بن الجارود العبدى صديقا لأبي الأسود ، يعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه ، وكانت لأبي الأسود مقطعة من برود يكثر لبسها ؛ فقال له المنذر : لقد أذمت لبس هذه المقطعة ! فقال له أبو الأسود : ربّ ملول لا يستطاع فراقه !

فلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى إليه ثيابا ، فقال أبو الأسود يمدحُه :  
كسّاك ولم تستكسه فشكرته أخ لك يمطيك الجزيل وناصر  
وإن أحق الناس إن كنت حازما<sup>(٢)</sup> بجمدك من أعطاك والعرض وافر  
وقال أبو الأسود يوصى ابنه :

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع إذا مضت - إدراكها  
أكرم صديق أيبك حيث لقيته واحب الكرامة من بدا فحبا كما  
لا تبدين نعمة حدثتها وتحفظن من الذى أنبا كما  
توقى أبو الأسود فى طاعون الجارف ، سنة تسع وستين ، وله خمس وثمانون سنة ، وقيل غير ذلك .

وله - وكتب بها إلى زياد ابن أبيه :  
إبنى مجرم وأنت أحقّ النّا س إن تقبل الغدأة اعتذارى  
فاعف عني فقد سفهت وأنت ال مرء تغفؤ عن الهنات الكبار

(١) تبدل : لبس ثوب البذلة ، وهو ثوب الخدمة والاعتمال . تشتمل بالشملة : تغطى بها ؛ وهى كساء دون القطيفة يلتحف به .  
(٢) الأغاني : « حامدا » .

## حرف العين

### عبيد بن سريج\*

[ كتب الوليدُ بن عبد الملك إلى عامل مكة : أن أشخصُ إلى ابنِ سُرَيْجِ ، فأشخصه ، فلما قدم مكث أياماً لا يدعُو به ، ولا يلتفت إليه . قال : ثم إنه ذكره ، فقال : ويلكم ! أين ابنُ سُرَيْجِ ؟ قالوا : هو حاضر ، قال : علىَّ به ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فتهياً ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلم ، فأشار إليه : أن اجلسْ ، فجلس بميداً ، فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : ويحك يا عبيد ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بك من كثرة أدبك ، وجودة اختيارك ؛ مع ظرف لسانك ، وحلاوة مجلسك ، فقال : جعلت فداك يا أمير المؤمنين ! « تسمع بالعميدى خير من أن تراه » .

قال الوليد : إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك ، ثم قال : هات ما عندك ، فاندفع

ابن سُرَيْجِ ، ففصنى بشعر الأحوص :

أَمْزَلَتِي سَلَمَى عَلَى الْقَدَمِ اسَلَمَا      فَعَدَّ هَجْتُمَا لِلشُّوقِ قَلْبًا مُتَمِيمًا  
وَذَكَرْتُمَا عَضْرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى      وَجِدَّةً وَصَلَ حَبْلُهُ قَدْ تَجَدَّمَا<sup>(١)</sup>

\* ترجمته في الأغاني ١ : ٢٤٨ - ٣٢٣ (طبع دار الكتب) ؛ وهو عبيد بن سريج ؛ ويكنى أبا يحيى ، مولى لبي نوفل بن عبد مناف ، وذكر ابن الكلبي أنه مولى لبي الحارث بن عبد المطلب . وقيل : هو مولى لبي ليث . وقد سقط صدر ترجمته من الأصلين ب ، ج ؛ وما بين العلامتين من الأغاني . وانظر ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(١) تجدم : تقطر .

وَإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بَيْشٍ مُّثَمِّمَةً      وَحَلَّ بُوَجٍّ جَالِسًا أَوْ تَتَمِّمًا<sup>(١)</sup>  
يَمَانِيَةً شَطَّتْ فَأَصْبَحَ نَفْعَهَا      رَجَاءً وَظَنًّا بِالْمَغِيبِ مُرْجَمًا  
أَحِبُّ دُنُوَّ الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَنَى      بِهَا صَدْعُ شَمْبِ الدَّارِ إِلَّا تَتَلَمَّا<sup>(٢)</sup>  
بَكَاهَا وَمَا يَدْرِي سِوَى الظَّنِّ مَنْ بَكَى

أَحْيَا      يُبَكِّي أُمَّ تَرَابًا وَأَعْظَا  
فَدَعَهَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً      تَزِلُّ عَنْكَ بُؤْسِي أَوْ تَفِيدُكَ أَنْعَمَا  
فَإِن بَكَفَيْهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ      وَغَيْثَ حَيَا يَحْيِيَا بِهِ النَّاسُ مُرْهِمًا<sup>(٣)</sup>  
إِمَامٌ أَنَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُثَبِّ      عَلَى مُلْكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دَمًا  
تَخَيَّرَهُ رَبُّ الْعِبَادِ لِخَلْقِهِ      وَرِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمَا  
فَلَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَدْعُ مُسْلِمًا      لِبَيْمَتِهِ إِلَّا أَجَابَ وَسَلَّمَ  
يُنَالُ الْعِزِّيَّ وَالْعَزَّ مَنْ نَالَ وَدَّهُ      وَيَرْهَبُ مَوْنًا عَاجِلًا مَنْ تَشَأَمَا<sup>(٤)</sup>

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص ! على بالأحوص ، ثم قال :

يا عبيد هيه ؛ ففناه شعر عدي بن الرقاع العاملي ، يمدح الوليد :

طَارَ السُّكْرَى وَالْمَهِمُّ فَآكُنْمَا      وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَاكُنْمَا<sup>(٥)</sup>  
كَانَ الشَّبَابُ قِنَاعًا اسْتَكْرَنُ بِهِ      وَأَسْتَظَلَّ زَمَانًا نُمَّتْ أَنْفُسَعَا  
فَاسْتَبَدَّلَ الرَّأْسَ شَيْبًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ      فَيَنَانَةٍ مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا نَزَعًا<sup>(٦)</sup>

(١) بيش : أحد مخاليف العين . وج : اسم واد بالطائف . جالسا : آتيا المجلس ، وهو نجد .

وتتهم : آتى تهامة .

(٢) يطلق، الشعب على التفرق وعلى الاجتماع ؛ وهو المراد هنا .

(٣) يقال : أرهمت السماء : أنت بالرهام ؛ جمع رحمة ، وهى المطر الضعيف الدائم .

(٤) تشأم بمعنى تشاءم .

(٥) ألم : نزل ، واكتنع : دنا وحضر .

(٦) فينانة : حسنة الشعر طويته ، النزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة .



فَإِنْ تَكُنْ مَيْعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ  
فَقَدْ آيَتْ أُرَاعِي الْخُودَ رَاقِدَةً  
بَرَّاقَةَ الشَّعْرِ تَشْفِي الْقَلْبَ لَدَّتْهَا  
كَالْأُفْحُونَ بِضَاحِي الرَّوْضِ صَبَّحَهُ  
صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ  
عَلَى الَّذِي سَبَقَ الْأَنْوَامَ ضَاحِيَةً  
هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحْمَنُ أُمَّتَهُ  
عُدْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْمِيَا وَنَقْدَهُ  
إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ  
لَا يَمْنَعُ النَّاسَ مَا أُعْطِيَ الَّذِينَ هُمْ

وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبُورَةِ الْوَرَعَا (١)  
عَلَى الْوَسَائِدِ مَسْرُورًا بِهَا وَلِعَا (٢)  
إِذَا مَقْبَلُهَا فِي رَيْقِهَا كَرَعَا  
غَيْثُ أُرْشٍ بِنْتِضَاحٍ وَمَا نَقَعَا (٣)  
وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجَمْعَا  
بِالْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَتَّى صَاحِبَاهُ مَعَا  
عَلَى يَدَيْهِ ، وَكَانُوا قَبْلَهُ شَيْعَا  
وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بِمَدِّهِ تَبْعَا  
مُلْكٌ عَلَيْهِ أَعَانَ اللَّهُ فَارْتَقَعَا  
لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُعْطُونَ مَا مَنَعَا

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : صَدَقْتَ يَا غَيْبِيدُ ، أَسَّ لَكَ هَذَا ؟ قَالَ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،  
قَالَ الْوَلِيدُ : لَوْ غَيْرَ هَذَا قُلْتَ لِأَحْسَنْتَ أَدَبُكَ ! قَالَ ابْنُ سَرِيحٍ : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ  
مَنْ يَشَاءُ ! قَالَ الْوَلِيدُ : يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ، قَالَ ابْنُ سَرِيحٍ : هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ؛  
لِيَلُونِي أَشْكُرُ أُمَّ أَوْ كُفْرُ !

قَالَ الْوَلِيدُ : لَعَلِمْتُكَ وَاللَّهِ أَكْبَرُ وَأَعْجَبُ إِلَى مَنْ غَنَاؤُكَ ! غَنَّنِي ، فَغَنَّاهُ بِشِعْرِ  
عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِيِّ ، يَمْدَحُ الْوَلِيدَ :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاغْتَادَهَا  
مَنْ بَعْدَ مَا شَمَلَ الْبَيْلَى أَبْلَادَهَا (٤)

(١) ميعة كل شيء : حديثه .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ؛ ما لم تصر نصفًا .

(٣) التنضاح ، من النضح والرش .

(٤) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . أبلاها : آتارها ؛

جمع بلد وهو الأثر .

وَرُبُّبٌ وَاضِحَةُ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ  
 إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصِلْنِي خُلَّتِي  
 صَلَّى إِلَاهُهُ عَلَيَّ أَمْرِيَّ وَدَعْتُهُ  
 وَإِذَا الرَّيْبُ تَتَابَعْتُ أَنْوَاءَهُ  
 نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا  
 أَوْلَا تَرَى أَنْ الْبَرِّيَّةَ كُفَّهَا  
 وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَا كَهَا  
 أَعْمَرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلَتْ  
 وَأَصَبَتْ فِي أَرْضِ الْمَدُونِ مَصِيبَةً  
 ظَفَرًا وَتَصْرًا مَا تَنَالُ مِثْلَهُ  
 فَإِذَا نَشَرْتُ لَهُ الثَّنَاءَ وَجَدْتُهُ  
 كَالرَّيْمِ قَدْ ضَرَبَتْ بِهَا أَوْلَادَهَا (١)  
 وَتَبَاعَدَتْ مِنِّي اغْتَفَرْتُ بِمَادَهَا (٢)  
 وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا  
 فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الْأَحْصَى جَادَهَا (٣)  
 غَيْثًا أَغَاثَ أَنْسَبَهَا وَبِلَادَهَا  
 أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا !  
 مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا  
 وَكَفَفَتْ عَنْهَا مَنْ يَرُومُ فِسَادَهَا  
 عَمَّتْ أَقَاصِي عَوْرَهَا وَبِحَادَهَا  
 أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا  
 جَمَعَ الْمَكَارِمَ طَرْفَهَا وَتِلَادَهَا

فأشار الوليد إلى بعض الخدم، ففظوهُ بِالْخَلْعِ، ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير  
 وِبدراً من الدراهم، ثم قال الوليد بن عبد الملك: يا مولاي بنى نوفل بن الحارث! لقد  
 أوتيت أمراً جليلاً، فقال ابنُ سُريج: يا أمير المؤمنين! لقد أتاك الله مُلكاً عظيماً  
 وشرفاً عالياً وعِزًّا بَسَطَ يَدَكَ فِيهِ فَلَمْ يَقْبِضْهُ عَنْكَ—ولا يفعل إن شاء الله—فأدام اللهُ لك  
 ما ولّاك وحفظك فيما استرعَاكَ، فإنّك أهلٌ لما أعطاك، ولا تزعه منك إذا رآك  
 له موضعا، قال: يا نوفلي، وخطيب أيضاً! قال ابنُ سُريج: عنك نطق، ولسانك  
 تعلّم، وبرزك بيّنت. وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري، وعديّ

(١) العوارض: الثنايا؛ سميت بذلك لأنها في عرض القم. والطفلة: الرخصة الناعمة.

(٢) خلتي: صديقتي.

(٣) أنواء: جمع نوء؛ وهو النجم إذا مال للمغيب. خناصرة: بليدة من أعمال حلب تحاذي

قنسرين من ناحية البادية.

ابن الرِّقَاع العامليّ ، فلَمَّا قدما عليه أمر بإزالتها حيث ابنُ سُريج ، فأنزلا منزلاً إلى جنب ابن سريج ، فقالا : والله لَقُرْبُ أمير المؤمنين كان أحبَّ إلينا من قربك يا مولى بنى نوفل ، وإن في قربك لما يلدُّنا ويشغلنا عن كثير مما نريد ، فقال لهما ابن سريج : أو قلة شكر ! فقال له عدى : كأنك يا ابن اللخفاء تمنّ علينا ! على وعلى<sup>(١)</sup> لا يجمعني وإياك صحن دار ، أو سقف دار إلا عند أمير المؤمنين ! وأما الأحوص فقال : أو لا يحتمل لأبي يحيى الزلة والهفوة ! كفارة يمين خير من عدم المحبة ، وإعطاء النفس سؤالها خير من نجاح من غير منفعة . فتحول عدى وبقي الأحوص . وبلغ الوليد ما جرى بينهم فدعا ابن سُريج فأدخله بيتاً ، وأرخى دونه ستراً ، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدى من كلمتهما أن يُغنى . فلَمَّا دخلا وأنشدها مدائح له ، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرويه ، وضرب بعوده فقال عدى : أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أتكلّم ؟ قال : قل يا عامليّ ، قال : مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبعث إلى ابن سريج يتخطى به رقاب قريش ، والعرب من تهامة إلى الشام ، ترفعه أرض وتخفضه أخرى . فيقال : من هذا ؟ فيقال : عميد بن سُريج مولى بنى نوفل ، بعث إليه أمير المؤمنين ليسمع غناؤه ! قال : ويحك يا عدى ! أو تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قط ، ولا سمعت مثله حسّاً ، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفة من الجن يُغنون<sup>(٢)</sup> .

فقال : أخرج عليهم ، فخرج ؛ فإذا ابن سُريج . فقال عدى : حقّ لهذا أن يُحتمل<sup>(٣)</sup> ! ثم أمر لهما بمثل ما أمر [ به ]<sup>(٤)</sup> لابن سريج ، وارتحل القوم ، وكان الذى غناه ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة :

(١) من أول هذا الخبر إلى هنا تكلمة من الأغاني .

(٢) الأغاني : « يتغنون » .

(٣) الأغاني بعدها : « ثلاثا » .

(٤) من الأغاني .

بِاللَّهِ يَا ظَبْيَ بِنِي الْحَارِثِ هَلْ مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّارِ كَثِ !  
لَا تَحْدَعْنِي بِالْمُنَى عَنُوتٌ (١) وَأَنْتِ بِي تَلْعَبُ كَالْعَابِثِ  
حَتَّى تَرَأْتِ لَنَا هَكَذَا (٢) نَفْسِي فِدَاءً لَكَ يَا حَارِثِي !  
يَا مَنْتَهَى هَمِّي وَيَا مُنْسِي وَيَا هُوَى نَفْسِي وَيَا وَارِثِي

[ عن مالك بن أبي السمح ، قال : سألت ابن سريج عن قول الناس : فلان يخطئ ويصيب ، وفلان يحسن ، وفلان يسيء ، فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألبان ، ويملاً الأنفاس ، ويمدّل الأوزان ، ويفخّم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعراب ] (٣) ، ويستوفي النغم (٤) [ الطوال ] (٥) ، يحسن مقاطع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواضع الثبرات ، ويستوفي ما يشاكلها من الضرب من النقرات ، فعرضت (٥) ما قال علي مَعْبُد ، فقال : لو جاء في الفناء قرآن ما جاء إلا هكذا !

وروي أنّ ابن سريج كان جالساً ، فمر به عطاء وابن جريج ، فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما على أنهما إن تهياه عن الفناء بعد أن يسمعا منه تركه ، فوقفا له وغناهما :

إخوتي لا تبعدوا أبداً وبلي والله قد بعدوا (٦)

فغشى عليّ ابن جريج ، وقام عطاء فرقص .

(١) الأغاني : « باطلا » .

(٢) الأغاني : « حتى متى أنت لنا هكذا » .

(٣) من الأغاني .

(٤) ب ، ج : « الضم » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٥) ب ، ج : « فوصفت » ، والصواب ما أثبتته من الأغاني .

(٦) في الأغاني : « وابلي » .

وروى إسحاقُ أن ابنَ سُرَيْجٍ كان عند بستان ابن عامر فغنى .

لن نارٌ على الخبِّ ت (١) دُونَ البِئْرِ مَا تَخْبُو

أرقت لذكْر مُوقدها (٢) خَنِّ (٣) لَذِكْرِهَا الْقَلْبُ

فجعل الحاجُّ يركبُ بعضهم بعضاً حتّى جاء إنسانٌ من آخر القطرات (٤) ،

فقال : يا هَذَا ، قد قطعت على الحاجِّ وحبستهم ، والوقت قد ضاق فأتق الله وقم

عنهم ! فقام وقام الناس .

وروى إسحاق الموصلي أن سليمان بن عبد الملك لما حجَّ ، فرّق بين المغنين

بَدْرَةَ ، فجاء ابنُ سُرَيْجٍ وقد أغلق الباب فلم يأذن له الحاجب ، فأمسك حتى سكنوا ،

ثم غنى :

سَرَى هَمَّى وَهَمُّ الرِّئِّ يَسْرِي وَغَابَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فِئْتَرِ

أَرَأَيْتَ فِي الْمَجْرَةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ لِلْمَجْرَةِ كَيْفَ يَجْرِي !

لَهُمْ مَا أزالُ لَهُ مَدِيَا (٥) كَأَنَّ الْقَلْبَ أَسْعَرَ حَرَّ حَجْرِ

عَلَى بَكْرٍ أُخِي وَلِيَّ حَمِيداً وَأَيَّ الدِّيشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرِ

فقال سليمان : ينبئني أن يكون هذا ابن سُرَيْجٍ . قالوا : هو هو ! قال : أدخلوه

فَأَدْخِلْ ، فأمره (٦) بإعادة الصوت فأعاده فقال : خُذِ الْبَدْرَةَ ، وأمرَ المغنين بأخرى .

(١) الأغاني : « الخيف » ؛ وكلاهما موضع .

(٢) الأغاني : « موقها » .

(٣) ب ، ج : « خنى » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٤) القطرات : جمع قطر ؛ وهو جمع القطار .

(٥) الأغاني : « لا أزال » .

(٦) ج : « فاه » تصحيف ؛ وصوابه من ب .

وقال ابن منغمة<sup>(١)</sup> : دخلت على ابن سريج في مرضه الذى مات فيه ، فقلت :

كيف أصبحت يا أبا يحيى ؟ قال : أصبحت والله كما قال الشاعر :

كأنى من تدكر ما الاقِ إذا ما أظلم الليلُ البهيمُ  
سقيمٌ ملّ منه أقرّبوه وأسلمه المداوى والحكيمُ  
ثم مات .

ولما احتضر نظر إلى ابنته تبكى ، فبكى وقال : إن من أكبر همى أنت !  
وأخشى أن تضيعى بمدى ! فقالت : لا تحفّ فما غنيت شيئاً إلا وأنا أغنيه ، فقال :  
ها تى ، فاندفعت تغنى أصواتاً وهو مُصنّع إليها ، فقال : قد أصبت ما فى نفسى ،  
وهوتت على أمرك !

ثم دعا سعيد بن مسعود الهدلى ، فزوجه إياها ، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها  
واتحلّه ، فهو الآن يُنسب إليه .

وقال كثير بن كثير السهمى يرثيه :

ما للهو بعد عبيد حين يخبره من كان يلهو به منه بمطلب  
لله قبر عبيد ما تضمن من لذاة العيش والإحسان والطرب  
لولا العريض ففيه من شمائله مشابه لم أكن فيه بذى أرب

ومات بعلة الجذام بمكة ، فى خلافة سليمان بن عبد الملك أو فى خلافة الوليد ،  
ودفن فى موضع هناك ، يقال له دسم<sup>(٢)</sup> .

وحدث إسحاق بن يعقوب العثماني ، مولى آل عثمان ، عن أبيه قال :

إننا ليفناء دار عمر<sup>(٣)</sup> بن عثمان بالأبطح فى صبح خمسة من الثمان - يعنى أيام الحج -

(١) الأغاني : « مقمة » .

(٢) دسم : موضع قرب مكة ؟ ذكره ياقوت .

(٣) الأغاني : « عمرو » .

إذا برجلٍ على راحلةٍ ، عليها رَحْلٌ جميل ، وأداةٌ حسنة ، معه صاحب له على راحلةٍ ،  
 قد جَنَبَ إليها فرساً وبملا ، فوقفاً على ، وسألاني ، فانتسبتُ لهما عثمانياً فنزلا ، وقالوا :  
 رجلان من أهلك قد طلبا حاجة ، تحبُّ (١) أن تقضيها قبل أن تبدأ (٢) بأمر الحج .  
 قلت : حاجتكما ؟ قالوا : نريد إنساناً يوقفنا على قبر ابن سُرَيْجٍ ، قال : فمضت  
 معهما [حتى بلغت معهما] (٣) حِلَّةَ أَبِي قَارَةَ ، من خُرَاعَةَ ، وهم موالى عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ ،  
 فالتست لهما إنساناً يصحبهما حتى يُوقِفهما على قبره [ بدسم ، فوجدت ابن أبي دباكل ،  
 فأهضته معهما ، فأخبرني بعد أنه لما وقف على قبره ] (٤) نزل أحدهما فحسّر عمامته  
 عن وجهه ، وإذا هو عبد الله بن سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرَّوَانَ ، فمقر ناقته ،  
 وأندفع يندبه بصوتٍ شجٍ حسن ، ويقول :

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدْسَمٍ فَهَاجَنَا      وَذَكَرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْحَبٌ (٤)  
 فَجَالَتْ بِأَرْجَاءِ الْجُفُونِ سَوَافِحٌ      مِنْ الدَّمْعِ تَسْتَبْكِي الَّذِي يَتَعَقَّبُ  
 إِذَا أَبْطَأَتْ عَنْ سَاحَةِ الْخَدِّ سَاقَهَا      دَمٌ إِثْرَ دَمْعٍ بَعْدَهُ يَتَصَبَّبُ (٥)  
 فَإِنْ تَسَمِعَا نَنْدُبَ عُبَيْدًا بِمَوْلَةٍ      وَقُلَّ لَهُ مِنَّْا الْبُكَاءُ وَالتَّحُوبُ (٦)

ثم نزل صاحبه فمقر ناقته ، وقال له القرشي : خذ في صوت أبي يحيى ، فاندفع

يعنى :

- 
- (١) الأغاني : « ونحب » .  
 (٢) الأغاني : « قبل أن نشده » أى نشغل .  
 (٣) تكملة من ب والأغاني .  
 (٤) المصحب : الدليل المتقاد بعد صعوبة .  
 (٥) الأغاني : « دم بعد دم » .  
 (٦) المولة : رفع الصوت بالبكاء . والتحوب : التوجع . وفي ب ، ج : « وقل له » ،  
 والصواب ما أثبتته من الأغاني .

أَسْعِدَانِي بِعَبْرَةِ أُرَابِي (١)  
 مِنْ دَمُوعِ كَثِيرَةِ التَّسْكَابِ  
 إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكُونِي  
 مَوْلَهَا مَوْلِعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ  
 أَهْلَ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَايَا (٢)  
 مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ  
 فَارَقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا  
 مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ  
 كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُونَ مِنْ حَيِّ صَدَقِ (٣)  
 وَكَهُولِ أَعْقَابِ وَشَبَابِ  
 سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعَ بَيْتِ أَبِي مَوْ  
 سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُنِيِّ السَّبَابِ (٤)  
 فَلِي الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ  
 صَرْتُ فَرْدًا وَمَلَدَنِي أَحْبَابِي

قال ابن أبي دُبَاكُل : فوالله ما تمَّ صاحبه منها ثالثًا (٥) حتى عُشِيََ على صاحبه ،  
 وأقبل يُصَلِّحُ السَّرَجَ على بَعْلَتِهِ ، وهو غير معرَّجٍ عليه ، فسألته : من هو ؟ فقال :  
 رجلٌ من جُدَامِ ، قلت : بمن تُعرِّفُ ؟ قال : بعبد الله بن المنشَر ، قال : ولم يزل  
 القرشيَّ على حاله ساعة ، ثم أفاق . فجعل الجذامى ينضح الماء على وجهه ويقول  
 كالمعائب له : أنت أبدأ مصبوبٌ (٦) على نفسك ! مَنْ كَلَّفَكَ ما ترى ؟ ثم قَرَّبَ إليه  
 الفرس ، فلمَّا علاه استخرج [ الجذامى ] (٧) من خُرْجٍ على البغلٍ قدحًا وإداوة ماء ،  
 فجعل في القدحِ تُرابًا من ترابِ قبرِ ابنِ سريج ، وصب عليه من ماء الإداوة ،  
 ثم قال : هاك فاشرب ، هذه السلوة (٨) ، فشرِب ، ثم فعل هو مثل ذلك .

(١) أى يا أترابى ، وفي الأغاني : « أسراب » .

(٢) في الأغاني : « تتابعوا » ، والتتابع : الوقوع في الشر خاصة .

(٣) الحجون . جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

(٤) صنئ السباب : موضع بمكة ؛ ذكره ياقوت .

(٥) الأغاني : « ثلاثا » .

(٦) مصبوب ، أى ممتوث على اتباعها تستفويك فتلبس لها القياد .

(٧) من الأغاني .

(٨) السلوة : خرزة شفاة إذا دفنتها في الرمل ثم بحمت عنها رأيتها سوداء يسقاها الإنسان



وركب على البغل وأردفني، فخرجنا ، فلا والله ما يمرّضانِ بذكر شيء مما كانا فيه ،  
ولا أرى في وجوههما شيئاً مما كنت أرى قبل ذلك .

فلما اشتمل علينا أبطح مكة ، قالوا : انزل يا خزاعيّ ، فنزلت وأوماً الخزاعيّ  
إلى الفتى بكلام ، فمدّ يده إلى وفيها شيء فأخذه ، وإذا هو عشرون ديناراً ومضيئاً .  
وانصرفت إلى قبره ببعيرين ، فاحتملت عليهما إداوة الراحلتين اللتين عقراهما ،  
فبعتهما بثلاثين ديناراً .

## ذِكْرُ الْعَرَجِيِّ\*

هو عبدُ الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس .  
 وأمّ عفان وجميع بني أبي العاصي أمّنة بنت عبد العزّي (١) بن حُرثان (٢)  
 ابن عَوْف بن عُبيد بن عُوَيْح بن عدّي بن كعب .

وأمّ عثمان أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن عبد شمس ، وأمّها البيضاء أمّ حكيم  
 بنت عبد المطلب بن هاشم ، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله  
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّهِ ، ولدا في بطن واحد . وأمّ عمرو بن عثمان أمّ أبان بنت  
 جُنْدَب الدَّوْسِيَّة .

ولما قدم جُنْدَب بن عمرو بن مُحَمَّم الدَّوْسِيّ المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن  
 الخطاب رضي الله عنه ، خلف ابنته أمّ أبان عند عمر ، ثم مضى إلى الشام ، وقال :  
 يا أمير المؤمنين ، إن وجدت لها كفوّاً فزوِّجها بها ولو يَشْرَاكَ نَعَلَهُ (٣) ،  
 وإلّا فأَمْسِكْهَا حَتَّى نَلْحِقَهَا بِدَارِ قَوْمِهَا بِالسَّرَاةِ (٤) . فكانت عند عمر ، ثم مضى  
 إلى الشام ، واستشهد أبوها ، فكانت تدهو عمرَ أباهَا ، ويدعوها ابنته .

قال : فإنَّ عمرَ يوماً على المنبر يكلمُ الناس في بعض الأمور ، إذ خطرت على قلبه  
 فقال : مَنْ لَهُ فِي الْجَمِيلَةِ الْحَسِيْبِيَّةِ ، بنت جندب بن عمرو بن حَمَمَةَ !

\* ترجمته في الأغاني ١ : ٣٨٣ - ٤١٧ ( طبع دار الكتب ) .

(١) ورد الاسم في ب ، وج مصحفاً ، وأثبت ما في الأغاني .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « حرباس » .

(٣) شراك النعل : سيرها الذي على ظهر القدم ؛ وهو مثل في القلة .

(٤) السراة : أعلى كل شيء ؛ وهي مضافة إلى عدة قبائل ومواضع .

فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين ، فقال : أنت لعمرك الله ! كم سقت إليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : وقد زوجتكها ، فمجلّهُ فإنها مُعدّة .

ونزل على المنبر ، فجاءه عثمان بمهرها ، فأخذ عمر في رُدْته فدخل به عليها ، فقال : يا بنية ، مُدّي حجرك ، ففتحت حججها فألقى فيه المال ، ثم قال لها : قولي : اللهم بارك لي فيه ! فقالت : اللهم بارك لي فيه ! وما هذا يا أبتاه ؟ فقال : مهرُك ؛ فنفتحت <sup>(١)</sup> به وقالت : واسوءتاه ! فقال : احتبسي منه لنفسك ، [ ووسعي منه لأهلك ] <sup>(٢)</sup> . ثم قال لحفصة : يا بنتاه ، أصلي من شأنها ، وغيّري بدنّها <sup>(٣)</sup> ، واصبغي ثوبها . ففعلت ، ثم أرسلت بها مع نسوة إلى عثمان .

فقال عمر لما فارقتّه : إنها أمانة في عنقي ، أخشى أن تضيع بيني وبين عثمان ، فلحقهم ، فضرب على عثمان بابه ، ثم قال : خذ أهلك ، بارك الله لك فيهم .

فدخلت على عثمان ، فأقام عندها مقاما طويلا ، لا يخرج إلى حاجة ، فدخل عليه سعيد بن العاص ، فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أقت عند هذه الدوسية مقاما ما كنت تقيمه عند النساء ، فقال : أما إنه ما بقيت خصلة أحب أن تكون في امرأة إلا صادفتها فيها ، ما خلا خصلة واحدة ، قال : وما هي ؟ قال : إنني قد دخلت في السن ، وحاجتي في النساء الولد ، وأحسبها حديثة لا ولد فيها اليوم .

قال : فتبسّمت ، فلما خرج سعيد من عنده ، قال لها عثمان : ما أضحكك ؟ قالت : قد سمعت قولك في الولد ، وإنني لمن نسوة ما دخلت امرأة منهن على سيد قطّ فترأت الدّم حتى تلد سيد من هو منه ؛ فما رأيت الحمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان ، وأم العرجي آمنه بنت عمر بن عثمان .

(١) نفتحت به : رتمته وردته .

(٢) من الأغاني .

(٣) البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط ، قصير الكمين .

وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان هي أم ولد .

وإنما لقب بالعرّجى لأنه كان يسكن عرّج الطائف (١) .

وقيل : بل سمي بذلك لما كان له ، ومال عليه بالعرّج . وكان من شعراء قريش ، ومن شهر بالفزل منها ، ونحو نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك ، وتشبه به ، وكان مشغوفاً باللهو والصيد ، حريصاً عليهما ، قليل المحاشاة (٢) فيهما ، فلم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق ، جميل الوجه ، كوسجاً (٣) ، نائ الحنجرة . وجيّداء التي شتّب بها بقوله :

إلى جيّداء قد بعثوا رسولاً      ليحزنها فلا ضجّ الرسول  
كانّ العام ليس بمأم حجّ      تغيّرت المواسم والشكول (٤)

وهي أم محمد بن هشام بن إسماعيل الخزومي ، وكان يشبّب (٥) بها ليفضح أباه (٦) لا أبناً لمحبة كانت بينهما ، فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضر به له ؛ حتى مات في السجن .

وكان العرّجى من الفرسان المدودين مع سلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وله معه بلاء حسن ، وباع أموالاً عظيماً كانت له ، وأطمع ثمنها في سبيل الله حتى نفذ ذلك كله وأخذ غلامين إذا كان الليل نصباً قدوره (٧) ، وقام الغلامان بالتوبة

(١) عرج الطائف : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف ؛ وهي أول تهامة .

(٢) أي قليل المبالاة والاكثرات .

(٣) الكوسج : الأنط ؛ وهو الخفيف شعر اللحية أو الخفيف شعر العارضين .

(٤) الشكول : جمع شكل .

(٥) كذا في ب ، ج ؛ وفي الأغاني : « ينسب » .

(٦) في الأغاني : « ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما » .

(٧) في الأغاني : « قدره » .

يُوقِدَان ، إِذَا نَامَ أَحَدُهُمَا قَامَ الْآخَرُ ، فَلَا يَزَالَانِ كَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَا ، يَقُولُ : لَعَلَّ طَارِقًا يَطْرُقُ !

وقال مصعب : كانت حبشيةً من مولدات الكوفة<sup>(١)</sup> ، ظريفة ، صارت إلى المدينة ، فلما أتاهم موتُ عمرَ بنِ أبي ربيعة أشدَّ جَزَعُهَا ، وجعلتُ تبكى وتقول :  
مَنْ لِمَكَّةَ وَشِمَا بِهَا ، وَأَبَاطِحِهَا وَنُزْهِهَا ، وَوَصَفِ نِسَائِهَا وَحَسَنِيَّهَا وَجَمَالِيَّهَا ،  
وَوَصَفِ مَا فِيهَا !

فقيل لها : خَفَضِي عَلَيْكَ ، فَقَدْ نَشَأَ فَتَى مِنْ وَلَدِ عُمَانَ بِأَخْذِ مَا خَذَهُ ، وَيَسَلُّكَ  
مَسَلَّكَ ، فَقَالَتْ : أَنْشِدُونِي مِنْ شِعْرِهِ ، فَأَنْشَدُوهَا ، فَسَحَتْ عَيْنَيْهَا وَضَحَكَتْ ،  
وقالت : الحمد لله الذي لم يضيعْ حرمة .

وكانت لثقيفٍ مولاةً يُقال لها : كلابية ، كانت عند عبدِ الله بنِ القاسمِ الأمويِّ ،  
وكان يبُلِّغها تشبيبُ العرجيِّ بالنساء ، وذَكَرَهُ لَهْنٌ فِي شِعْرِهِ ، فَكَانَتْ كَلَابِيَةً تَقُولُ :  
مَا أَشَدَّ مَا أَجْتَرَأُ الْعَرَجِيَّ عَلَى نِسَاءِ قَرِيشٍ ، حَتَّى يَذْكَرَهُنَّ فِي شِعْرِهِ ! وَالْعَمْرِي  
مَالِيَّ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ ، وَلَنْ لَقِيْتَهُ لِأَسْوَدَنْ وَجْهَهُ ، فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ عِنْدَهَا .

قال إسحاق : وكان نازلاً على ماءِ لبني نصر بنِ معاوية ، يقال له : الفُتُقُ<sup>(٢)</sup> ،  
على ثلاثِ<sup>(٣)</sup> ليالٍ من مَكَّةَ ، على طريقِ مَنْ جَاءَ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى مَكَّةَ وَالْعَرَجِ  
أَعْلَاهَا قَلِيلًا مِمَّا يَلِي الطائف .

فبلغ العرجيُّ أن الأمويِّ خرج إلى مَكَّةَ ، فَأَتَى قَصْرَهُ فَطَافَ بِهِ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ  
كَلَابِيَةٌ ، وَكَانَ الْأُمَوِيُّ حَلَفَهَا فِي أَهْلِهَا ، فَصَاحَتْ بِهِ : إِلَيْكَ وَبَيْتِكَ ! وَجَعَلَتْ

(١) الأغاني : « مكة » .

(٢) الفتق : قرية بالطائف .

(٣) في الأغاني : « على ثلاثة أميال » .

ترميه بالحجارة ، وتمذمه أن يدنوا من القصر ! فأستسقاها ماءً ، فأبت أن تسقيه ،  
وقالت : لا يوجد والله أترك عندي ، فيلصق بي منك شيء ، فانصرف ، وقال :  
ستعلمين ، وقال :

حورٌ بَعَثَنَ رَسُولًا فِي مِلاطِفَةٍ      تَقَفًا إِذَا غَفَلَ النِّسَاءُ الْوَهْمُ<sup>(١)</sup>

منها :

أنا الذي أنت من أعدائه زعموا      قالت كلابة من هذا فقلت لها  
حتى بليت وحتي شفىني السقم      أنا امرؤ ليج بي حب فأحرصني  
فطالما مسني من أهلك النعم      فأعبي نعمة تجزى بأحسنها  
فارضى بها ولأف الكاشح الرعم<sup>(٢)</sup>      هذى يميني رهن بالوفاء لكم  
هلا تلبت حتى تدخل الظلم      قالت رضيت ولكن جئت في قر  
من بارد طاب منه الطعم والشيم<sup>(٣)</sup>      فبت أسقى بكاسات أعل بها  
سنأ حريق بليل حين يضطرم      حتى بدا ساطع للفجر تحسبه  
إلا البنان وإلا العين السجم<sup>(٤)</sup>      ودعتهن ولا شيء يراجعي  
من دونه عبرات وأثنى الكلم      إذا أردن كلامي عنده أعترضت  
عجازهن من الأنصاف تنفصم      تكاد إذ رمنهضاً للقيام معي

فسمع ابن القاسم بالشعر يُفنى به ، وكان العرجى قد أعطاه جماعة من المغنين ،  
وسألهم أن يُغنوا فيه ، فصنموا فيه عدة ألحان ، وقال : ما أجد لهذه الأمة شيئاً  
أبلغ من إيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ؛ ليقطع ما كلفتها من ماله .

(١) يقال : رجل ثقف ؛ إذا كان حاذقاً فهما ، والنساء : صيغة مبالغة في الناسي ، والوهم :

الكثير الوهم ؛ وهو السهو والغلط . والبيت ورد محرفاً في الأصول ؛ وأثبت ما في الأغاني .

(٢) الرغم : الذل والصغار ، وسكون العين ضرورة .

(٣) الشيم والبارد بمعنى ، وفي الأغاني : « النسم » .

(٤) السجم : جمع سجوم : يقال : عين سجوم ؛ أي تسيل بالدمع .

فلما سمع ابن القاسم بذلك أخرج كلابه وأتھمها ، ثم أرسل بها بعد زمان على بدير ، فأخلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجي كذب فيما قاله ، خلقت سبعين يمينا ، فرضي عنها وردھا . وكان بعد ذلك إذا سمع قول العرجي :  
\* فطالما مسنا من أهلك النعم \*  
يقول : كذب والله ما مسه ذلك منّا قط .

وقيل : إن صاحب هذه القصيدة أبو جراب العميلي<sup>(١)</sup> ، وإن كلابه كانت أمة لسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان العرجي قد خطبها ، وسميت به ، ثم خطبها يزيد بن عبد الملك ، أو الوليد بن يزيد ، فزوجته .  
فقال العرجي ذلك فيها .

وأبو جراب هو محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس .

[ كان العرجي غازيا ، فأصاب الناس مجاعة ، فقال للتجار : أعطوا الناس وعلى<sup>(٢)</sup> ما تعطون ، فلم يزل يطمئهم ويطمئ الناس حتى أخصبوا ، فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز ، فقال : بيت المال أحق بهذا ، فقضى التجار ذلك من بيت المال .

وروي أن العرجي خرج إلى الطائف متزها ، فرأى ببطن النقيع<sup>(٣)</sup> ، فنظر إلى أم الأوقص - وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي ، وكان يمرض لها - فلما رأته رمت بنفسها وتستر منه ، وهي امرأة من بني تميم ، فبصر بها في نسوة جالسة ، وهن يتحدثن ، فعرفها ، وأحب أن يتأملها من قرب ، فمدل عنها .

(١) في الأغاني : « العيلي » .

(٢) من الأغاني .

(٣) النقيع : موضع بجنابت الطائف .

ولقي أعرابياً من مُضَرٍّ (١) على بَكَدٍ له ، ومعه وطباً (٢) لَبَنٍ ، فدفَع إليه دَابَّتَه  
وثِيَابَه ، ثم أَقْبَلَ على النَّسوة ، فَصَحَنَ به : يا أعرابي ، أَمَعَكَ لَبَنٌ ؟ قال : نعم .  
ومالَ إليهنَّ ، وجلس يتأملُ أمَّ الأَوْقَصِ ، وتَوَأَّبَ مَنْ معها إلى الوَطْبَيْنِ ، وجلس  
العَرَجِيُّ يُبَاحِظُهَا ، وَيَنْظُرُ أحياناً إلى الأَرْضِ كأنه يَطْلُبُ شيئاً ، وهنَّ يَشْرَبْنَ  
من اللَّبَنِ .

فَقَالَتْ له أَمْرَأَةٌ مِنْهنَّ : أَي شَيْءٍ تَطْلُبُ في الأَرْضِ ؟ أَضَاعَ مِنْكَ شَيْءٌ ؟ قال :  
نعم ، قلبي .

فَلَمَّا سَمِعَتْ التَّمِيمِيَّةُ كَلَامَه نظرتُ إليه - وكان أزرَقَ - فقَالَتْ : ابْنُ عُمَرَ  
وَرَبُّ الكَمْبَةِ ! ووُثِبَتْ وَسَتَرَهَا نِسَاؤُهَا ، وقلن : انصِرِفْ عَنَّا ، لا حَاجَةَ بِنَا إِلَيْكَ ،  
ولا لِلْبَنِّكَ ، فمَضَى مُنصِرِفاً ، وقال في ذلك :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَمِثْلُ مَا بِي	شَكَاهُ المرءُ ذُو الوَجْدِ الأَلِيمِ
إِلَى الأَخَوَيْنِ مِثْلَهُمَا إِذَا مَا	تَأَوَّبَهُ مَوْرَقَةَ الهُمومِ (٣)
لِحَيْنِي وَالبِلاءُ لَقِيتُ ظُهْرًا	بِأَعْلَى النَّقْعِ أُخْتِ بِنِي تَمِيمِ
فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ عَيْنَايَ مِنْهَا	أَسِيلَ الخَدِّ فِي خَلْقِ عَمِيمِ (٤)
وَعَيْنِي جُوذِرِ خَرَقٍ وَثَغْرًا	كَلَوْنَ الأَفْحُونَ وَجِيدَ رِيمِ (٥)
حَنَّا أَتْرَابُهَا دُونِي عَلَيْهَا	حُنُوءَ المَائِدَاتِ عَلَى السَّقِيمِ

(١) كَذَا فِي ب ، ج ، وَفِي الأَغَانِي : « مِنْ بَنِي نَصْر » .

(٢) الوَطْبُ : سَقَاءُ اللَّبَنِ .

(٣) كَذَا فِي الأَغَانِي ، وَفِي ب ، ج : « مِنْ الأَخَوَيْنِ » .

(٤) العَمِيمُ : التَّامُ .

(٥) يُقَالُ : خَرَقَ الطَّيِّبُ فَهُوَ خَرَقٌ ، إِذَا دَهَشَ مِنْ فَرَعٍ .



وقال رجل من بني جُمَح يقال له : عامر<sup>(١)</sup> الأوقص ، وقضى عليه بقضية ، فتظلم منه ، وقال له : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بنِ عمرَ العرجي ، لكنت قد أسرفت على ، فصر به الأوقص سبعين سوطاً .

وحدث مصعبُ بنُ عبدِ الله ، عن أبيه ، قال : أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعد ما رقد السامر ، فأشرفتُ عليه ، فقال : سهرتُ ، وذكرتُ أخاً لي أستمتع به ، فلم أجد سواك ، فلو مضينا إلى العميق فتناشدنا وتحدنا ! فمضينا ، فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي :

باتاً بأنعم عيشة حتى بدا صبوحُ يلوخ كالأغر الأشقر<sup>(٢)</sup>  
فتلازماً عند الصباح صبايةً أخذَ الغريم بفضلِ ثوبِ المعسر<sup>(٣)</sup>

فقال : أعدّه ، فأعدته ، فقال : أحسنَ والله ! امرأته طالق إن نطق بحرفٍ غيره حتى يرجع إلى بيته ؛ فلقينا عبدَ الله بنَ حسن بنِ حسن ، فلما صرنا إليه وقف بنا ، وهو مُنصرفٍ من ماله يريد المدينة ، فسلم ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :

فتلازماً عند الصباح صبايةً أخذَ الغريم بفضلِ ثوبِ المعسر  
فالتفت إلي فقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة . فقال : إنا لله ، أي كهل أصيبت به<sup>(٤)</sup> قریش ؟ ثم مضينا فلقينا محمد بنَ عمران التيمي قاضي المدينة ، يريد مالاً له على بَغلة له ، ومعه غلامٌ على عنقه مخلّاة فيها قيدٌ للبغلة ، فسلم ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :

(١) الأغاني : « ابن عامر » .

(٢) في الأغاني : « بأنعم ليلة » .

(٣) الأغاني : « فتلازما عند الفراق » .

(٤) الأغاني : « منه » .

فَتَلَا زَمًا عِنْدَ الصَّبَاحِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمَعْسِرِ  
فَالْتَفَتَ إِلَى وَقَالَ : مَتَى أَنْكَرْتَ صَاحِبِكَ ؟ قُلْتُ : آتِنَا ، فَلَمَّا أَرَادَ الْمُضِيَّ قُلْتُ :  
أَفْتَدَعُهُ هَكَذَا ؟ وَاللَّهِ مَا آمَنُ أَنْ يَهْوَرَ <sup>(١)</sup> فِي بَعْضِ آبَارِ الْعَمِيقِ . قَالَ : صَدَقْتَ . يَا غَلَامُ !  
قَيْدَ الْبَغْلَةِ ، فَوَضَعَهُ فِي رِجْلِهِ وَهُوَ يُنْشِدُ الْبَيْتَ ، وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيْهِ يُرِي أَنَّهُ يَفْهَمُ  
عَنْهُ قَصَّتَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ الشَّيْخُ وَقَالَ لِفِغْلَامِهِ : اِحْمِلْهُ عَلَى بَعْلَتِي وَالْحَقُّهُ بِأَهْلِهِ ، فَلَمَّا كَانَ  
بِحَيْثُ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ أَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِهِ .

فَقَالَ : قَبَّحَكَ اللَّهُ مَا جِئْنَا ! ، فَضَحَّتْ شَيْخًا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَرَّرَتْ نِيَّي !

وَأَشْدُ ابْنِ جُنْدَبِ الْهَدَلِيِّ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلَ الرَّجِيِّ :

وَمَا أُنْسَ مِلاَ شَيْءٍ لَّا أُنْسَ قَوْلَهَا لَخَادِمِهَا قَوْمِي أَسْأَلِي لِي عَنِ الْوَتْرِ  
فَقَالَتْ : يَقُولُ النَّاسُ فِي سِتِّ عَشْرَةَ فَلَا تَعَجَلِي فِيهِ فَإِنَّكَ فِي أَجْرِ  
فَمَا لَيْلَةٌ عِنْدِي وَإِنْ قِيلَ جَمْعُهُ وَلَا لَيْلَةٌ الْأَضْحَى وَلَا لَيْلَةُ الْفِطْرِ  
بِعَادِلَةِ الْإِثْنَيْنِ عِنْدِي وَبِالْحَرَى تَكُونُ سِوَاءٍ مِنْهُمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ  
فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : أَشْهَدُكُمْ أَنَّهَا حُرَّةٌ فِي <sup>(٢)</sup> مَالِي ، إِنْ أَجَازَ ذَلِكَ أَهْلُهَا ،  
هَذِهِ ، وَاللَّهُ أَفْقَهُ مِنْ ابْنِ شِهَابٍ .

وَتَزَوَّجَ الرَّجِيُّ أُمَّ عُمَانَ بِنْتَ بُكَيْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَأُمُّهَا  
سُكَيْمَةُ بِنْتُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ :  
إِنَّ عُمَانَ وَالزُّبَيْرَ أَحْلَاءَ دَارَهَا بِالْبَيْعِ إِذْ وُلِدَا <sup>(٣)</sup>  
إِنَّهَا بِنْتُ كُلِّ أَبِيضٍ قَرْمٍ نَالَ فِي الْمَجْدِ مِنْ قُصَيِّ ذُرَاهَا <sup>(٤)</sup>  
سَكَنَ النَّاسُ بِالظُّوْأِ هَرْمَانَهَا وَتَبَوَّأَ لِنَفْسِهِ بَطْحَاهَا

(١) يهْوَر : يسقط .

(٢) الأغاني : « من مالى » .

(٣) الأغاني : « فى البقاع » .

(٤) القرم : السيد العظيم .

ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية ، أعجب بها ، فكان يتمثل بهذه الأبيات :  
وقال عبد الله بن عمر العمرى : خرجتُ حاجًا فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلم بكلام  
أرقتُ فيه ، فأذنبتُ ناقيتي منها ، وقلتُ لها : يا أمةَ الله ، ألسنتُ حاجَةٌ ! أما تخافين  
اللهَ تعالى ! فسفرتُ عن وجهِ يَبهرَ الشمسَ حُسْنًا ثم قالت : تأملِ يا عمُّ ؟ فإننى  
ممنَ عناءِ العرجى بقوله :

أماطتُ كِسَاءَ الخُرِّ عن حُرِّ وجهِها      وأدنتُ على الخدينِ بُرداً مُهلَلاً  
من اللآءِ لم يَحجُجُنَّ يَبغينِ حِسبَةً      ولكن ليقتلن البرىء المَغفلاً  
قال : فقلتُ لها : فإنى أسألُ اللهَ تعالى ألا يُعذِّبَ هذا الوجَّهَ بالنار .

قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : أما والله لو كان من بعض بُغضاء (١)  
العراق لقال لها : أغزُبى قَبِيحِكِ اللهُ ! ولكنه ظرفُ عبَادِ الحِجَازِ .  
وكان العرجى يشبُّ بجِداءِ أمِّ محمد بنِ هشام بنِ إسماعيلِ الخزومى ، ويهجو  
أبنها محمداً ؛ لأنه كان تياهاً جباراً كثيرَ الكِبَرِ ، فلم يزل يتطلَّب عليه العِللَ حتى  
حبَّسه وقيده وضرَّبه .

ولما ولى خاله هشام بن عبد الملك الخلافة ، كتب إليه أن يحجَّ بالناس ، فهجَّاه  
العرجى بأشعار كثيرة . منها قوله :

كأنَّ العامَ ليسَ بِمامِ حجِّ      تغيَّرتِ المَوايِمُ والشُّكُوكُ  
إلى جِداءِ قد بَعثوا رسولاً      ليحزُنَها فلا صُحِبَ الرسولُ  
ومن الهجاء أيضاً قوله :

الأقلُّ لمنَ أمسى بِمَكَّةَ قاطِناً      ومنَ جاءَ منَ عمقٍ ونَقَبِ المِشَلِّ (٢)

(١) يريد المترجمين المغالين في الورع .

(٢) عمق : واد من أودية الطائف . والمشلل : جبل يهبط منه إلى فديد من ناحية البحر :

والنقب : الطريق في الجبل .

دَعُوا الْحَجَّ لَا تَسْتَهْلِكُوا نَفَقَاتِكُمْ

فَمَا حَجَّ هَذَا الْعَامِ بِالْمَقْبَلِ

وكيف يُزَكِّي حَجَّ مَنْ لم يكن له  
يَظَلُّ يُرَائِي بِالصِّيَامِ نَهَارَهُ  
إِمَامٌ لَدَى تَجْهِيزِهِ غَيْرُ دُلْدُلٍ !  
وَيَلِيسُ فِي الظَّلْمَاءِ سَمِطِي قَرَّ نَفْلِ (١)

فلم يزلُ مُحَمَّدٌ يَطْلُبُ عَلَيْهِ الْعِلَلُ ؛ حَتَّى وَجَدَهَا ، حَبَسَهُ .

وقال العرجيُّ يَشُبُّ بِأُمَّ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ ، وَهِيَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ،

وهي الجليداء :

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودِجِ  
إِنَّكَ إِنِّ لَا تَفْعَلِي تَحْرَجِي

إِنِّي أُتَيْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ  
إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَدْحَجِ

نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ  
لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجِ

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ ، وَمَاذَا مَنِي  
وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجِ !

فَلَمَّا سَمِعَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَوْلَهُ :

[فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ] (٢) وَمَاذَا مَنِي  
وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجِ

فَقَالَ الْخَيْرُ وَاللَّهُ فِي مَنِي وَأَهْلِهِ حَجَّتْ أُمَّ لَمْ تَحْجُجِ .

وقال في زوجته جَبْرَةَ الْخَزْزَمِيَّةِ ، يَعْنِي زَوْجَةَ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ :

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرُ  
فِيمَ الْوُقُوفِ وَأَنْتُمْ سَفَرُ (٣)

مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مَنِي  
حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا الْفَقْرُ (٤)

(١) السمط : الحيط ما دام فيه الخرز ؛ وإلا فهو سلك .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « فيم الصدور » .

(٤) بعده في الأغاني :

الْحَوْلُ بَعْدَ الْحَوْلِ يَجْمَعُنَا  
مَا الدَّهْرُ إِلَّا الْحَوْلُ وَالشَّهْرُ

فقال له ابن جريج : أحسنتَ والله ، ثلاثَ مرّات ، وَيَحْك ! أَعِدْهُ قال : منِ  
الثلاثةِ فَإِنِّي قد حلفتُ . قال : أَعِدْهُ ، فأعاده . قال : أحسنتَ . فأَعِدْهُ منِ الثلاثةِ ،  
فأعاده وقام .

قال إسحاق : وبلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جِيْداء : أنتِ غَضَضْتِ  
مَتِي بِأَنكِ أُمِّي ، وَأَهْلَكْتِي وَقَتَلْتِي ، فنقول له : وَيَحْك ! وكيف ذلك ؟ قال :  
لو كانت أُمِّي من قُرَيْش ما وَلِي الخِلافةَ غَيْرِي . ولم يَزَلْ مُحَمَّدٌ مُضْطَفِنًا على العَرَجِيِّ  
بما يقوله من الأشعار ، متطلبًا سبيلًا حتّى وَجَدَهُ ، كَحَبَسَهُ وَضَرَبَهُ .

إن العَرَجِيَّ كان له مَوْلى ، فأَمَضَهُ <sup>(١)</sup> العَرَجِيَّ ، فأجابه المَوْلى بِمِثْلِ ما قال له ،  
فَأَمَهَلَهُ ؛ حتّى إذا كان الليلُ أتاه مع جماعة من موالِيهِ وعبيدِهِ ، فهَجَمَ عليه في  
منزله ، فأخَذَهُ وَأوثَقَهُ كِتافا ، ثم أمر عبيدَهُ أن يَنكِحُوا أمْرأتَهُ بين يَدَيْهِ ، ففَعَلُوا ،  
ثم قَتَلَهُ وأحرقَهُ بالنار فأستمدت امرأته إلى محمد بن هشام فحَبَسَهُ .

وقيل : إنه كان وَكَلَّ بِحُرْمِهِ <sup>(٢)</sup> مَوْلى له يقوم بأموْرهنّ ، فبَلَّغَهُ أَنَّهُ يَخالفُ  
إليهنّ ، فلم يَزَلْ يَرُصُدُهُ حتّى وَجَدَهُ يحدّثُ بعضهنّ ، فأوَقَعَ بِهِ .

وقيل : إنَّ أشعْبَ كان حاضرا للعَرَجِيَّ ، وهو يَشْتُمُ مَوْلَاهُ ، فلَمَّا أُكْثِرَ ردَّ  
المَوْلى عليه فأغتاظ العَرَجِيَّ من ذلك ، وقال لأشعْبَ : اشْهَدْ على ذلك ، فقال أشعْبُ :  
وعلامَ أشهد وقد شتمته ألفاً وشتمك واحدة ! والله لو أن أمَّ الكِتابِ ،  
وأُمَّ حَمالةِ الحَطَبِ ما زاد على هذا .

(١) أمضه : آله .

(٢) حرمة : نسأوه .

وقال حمزة بن عتبة اللّهي : لما أخذ محمد بن هشام الخزومي العرجي وأعتقله ، أخذ معه الحصين بن محمد بن غرير الحميري ، فجأدها وصب على رأسيهما الزيت ، وأقامهما على البلس في الحناطين بمسكة ، فجعل العرجي ينفس :

سَيَنْصُرُنِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَبِّي وَيَفْضَبُ حِينَ يُخْبِرُ مَا آلَا قِي

عَلَى عِبَاءَةٍ بَلَقَاءُ لَيْسَتْ مَعَ الْبَلَوَى تُغَيِّبُ نِصْفَ سَاقِي

وَتَغْضَبُ لِي بِأَجْمَمِهَا قُرَيْشُ فَطَيْنُ الْبَيْتِ وَالْدُمُثِ الرَّقَاقِ (١)

ثم يصيح : يا غرير أجياد (٢) ، يعني بني مخزوم ، كانت منازلهم في أجياد ، فميرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح .

وذكر أن رجلاً مرّ بالعرجي ، وهو واقف على البلس ومعه ابن غرير وقد جُلدا وحلقاً ، وصبّ الزيت على رأسيهما ، وألبسا عباءتين ، وأجتمع الناس ينظرون إليهما ، وكان الرجل صديقاً للعرجي ، وكان فأفاء ، فوقف عليه فأراد أن يتوجع لهما (٣) به ، فدلجج لهما كان في لسانه كما يفعل الفأفاء .

فقال له العرجي : لا خرجت من فيك أبدا ؛ فقال له الرجل : مكانك إذا لا برحت منه أبدا .

وقال العرجي في حبسه :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد نغري (٤)

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

(١) الدمث : جمع دمثاء ؛ وهى الأرض اللينة السهلة .

(٢) أجياد : موضع بمسكة بلى الصفا .

(٣) الأغاني : « لما نابه » .

(٤) سداد الثغر : ما يسد به الثغر من خيل ورجال وغير ذلك من عدد الحرب .

أَجْرَزُّ فِي الْجَوَامِعِ كُلِّ يَوْمٍ      فَيَا لَلَّهِ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي! (١)  
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا      وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرٍو

قال الأصمعيّ: كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة يُعْنَى ، فكان إذا أنصرف وقد سكر يُعْنَى في عُرفته ، فيسمع أبو حنيفة غناءه فيُعجبه ، وكان يُكثر أن يُعْنَى :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا      ليوم كرهته وسداد نَفَرِ  
فلقيه العسس (٢) ليلةً فأخذ وحُبِسَ ، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غَدٍ ، فأخبر ، فدعا بسواده (٣) وطويلته (٤) فلبسهما ، وركب إلى عيسى بن موسى ، فقال له : إن لي جاراً أخذَه عَسْسُكَ البارحة فحُبِسَ ، وما علمتُ منه إلا خيراً .

فقال عيسى : سلّموا إلى أبي حنيفة كلٌّ من أخذَه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً ، فلما خرج الفتى ، دعا به أبو حنيفة ثم قال له سراً : ألسْتَ كُنْتَ تُعْنَى يافتي كلَّ ليلةٍ :

\* أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا \*

فهل أضعناك ؟ قال : لا والله أيها القاضي ، ولكن أحسنت وتكرّمت ، أحسن الله جزاءك . قال : فعدّ إلى ما كنت تُعْنَى به ؛ فإنّي آنسُ به ، ولم أرَ به بأساً . قال : أفعل .

(١) الجوامع : جمع جامعة ؛ وهي القل .

(٢) العسس : جمع عاس ؛ وهو الذي يطوف بالليل يجرس الناس .

(٣) السواد ؛ شعار بني العباس ؛ وكان أشياعهم يرتدونه ؛ ولذلك سموا بالسودة ، بكسر

الواو المشددة .

(٤) الطويلة : القلتسوة العالية المدعمة بميدات ؛ وكان القضاة يلبسونها .

قال إسحاق : لما حبس المنصورُ عبدَ الله بنَ عليّ كان يُكثرُ التمثيلُ بقول  
العرجيّ :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليومَ كريمةٍ وسدادِ ثغرِ  
فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاع نفسه بسوءِ فعلِهِ ، وكانت أنفسنا آثرَ عندنا  
من نفسه .

قال الأصمعيّ : مررتُ بكنّاسٍ بالبصرةَ يكنّسُ كنيهاً وهو يغنيّ :  
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليومَ كريمةٍ وسدادِ ثغرِ  
فقلت له : أمّا سدادِ الكنيفِ فأنتَ مليٌّ به ، وأمّا الثغرُ فلا علمَ لنا بك  
كيف أنتَ فيه . وكنتُ حديثِ السنِّ ، وأردتُ العبثَ به ، فأعرضَ عنيّ مليّاً ،  
ثم أقبلَ عليّ وأنشدَ متمثلاً :

وأكرمَ نفسي إن أهنئها      وحقّك لم تكرمُ على أحدٍ بعدي

فقلت : لا والله ما يكون من الهوانِ شيءٌ أكثرَ مما بدلتها به ، فبأى شيءٍ  
أكرمتهَا ، فقال : بلى ، والله إن من الهوانِ لشيئاً أكثرَ مما أنا فيه قلت : وما هو ؟  
قال : الحاجةُ إليك وإلى أمثالك ، فأصرفُ عنه أخزى الناس !

قال : واختصرَ الأصمعيّ الجوابَ ، وسرَّ أقبحه على نفسه ؛ وإلا فكّنّاس  
كنيفٍ قائمٌ يكنّسه ويعبثُ به هذا العبثُ ، فيرضى بهذا الجوابِ الذي لا يُجيب  
بمثله الأحنفُ بنُ قيسٍ ، لو كانتِ مخاطبةُ أه !

وكان الوليدُ بنُ يزيدٍ مضطجعاً على محمد بنِ هشامٍ لأشياءٍ كانت تبخله عنه في  
حياة هشام ، فلما ولى الخلافةَ قبضَ عليه ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، وأشخصاً  
إلى الشام ، ثم دعا لها بالسّيّاط .

فقال له محمد : أسألك بالقرابة ! قال : وأيّ قرابةِ بيني وبينك ، وهل أنتَ إلّا من



أَشْجَعُ ! قَالَ : فَأَسْأَلُكَ بِبَصِيرَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : لَمْ تَحْفَظْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُضْرَبَ قُرْشِيُّ بِالسَّيَاطِ فِي غَيْرِ حَدِّ . قَالَ : فِي حَدِّ أَضْرِبُكَ وَقَوْدٌ ؛ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ ذَلِكَ عَلَى الْعَرَجِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَبْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ، فَسَارَعَيْتَ حَقَّ جَدِّهِ وَلَا نَسَبَهُ بِهَشَامٍ ، وَلَا ذَكَرْتَ حَيْثُ نَزَلَ هَذَا الْخَبْرَ ، وَأَنَا وَلِيُّ نَأْرِهِ ! اضْرِبْ يَا غُلَامُ ؛ فَضَرَبَهُمَا ضَرْبًا مُبْرِحًا ، وَأُتِقِلًا بِالْحَدِيدِ ، وَوَجَّهَهُمَا إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عَمْرٍو بِالْكُوفَةِ ، وَأَمَرَهُ بِاسْتِصْفَائِهِمَا <sup>(١)</sup> وَتَعْذِيبِهِمَا حَتَّى يَتَلَفَأَ .

وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية - يعني خالد القسري - ونفسك نفسك إن عاش أحدٌ منهم ، فعذبهما عذاباً شديداً ، وأخذ منهما ما لا عظيماً ؛ حتى لم يبق فيهم موضع للضرب .

وكان محمد بن هشام مطروحا ، فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحمته فجدبوه بها ، ولما أشتدت عليهما الحال ، تحامل <sup>(٢)</sup> إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه فاناً جميعاً ، ومات خالد القسري متهما في يوم واحد .

وقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر من أبيات :

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ بَعْدَ غَلْبَتِكُمْ      لَنَا عَلَيْكُمْ تَدَارُكَ الْغَلْبَةِ <sup>(٣)</sup>  
لَسْتَ إِلَى هَاشِمٍ وَلَا أَسَدٍ      وَلَا إِلَى نَوْفَلٍ وَلَا الْحَجَبَةِ <sup>(٤)</sup>  
لَكِنَّمَا أَشْجَعُ أَبُوكَ سَلِّ أَلْ      كَلْبِي لَأَمَّا يُزَوِّقُ الْكَذْبَةَ <sup>(٥)</sup>

(١) باستصفاؤهما : بأخذ أموالهما .

(٢) تحامل : أي تكاف التحرك بعض الشيء ليرى حالة أخيه .

(٣) كذا في ب ، ج ؛ وفي الأغاني : « لنا عليكم يا دلدل الغلبة » .

(٤) يريد حجة الكعبة ؛ وكانت الحجابة في بني قصى .

(٥) يريد بالكلي محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلي ؛ النسابة المعروف .

قال إسحاق : غنيت الرشيدي يوماً في عرض غناء قول العرجي :  
أضاعوني وأيّ فتنّ أضاعوا ليوم كريمةٍ وسدادٍ نغري !  
فقال : ما كان سبب حبس العرجي ؟ فأخبرته أخباره حتى مات ، فرأيتُه  
يتعيط كلما مرّ به شيء ، فأتبعته بحديث مقلّ أبي هشام ، فجعل وجهه يسفر ،  
وغيظه يسكن ، فلما انقضى الحديث قال لي : يا إسحاق ، والله لولا ما حدثتني به  
من فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أمثال بني مخزوم إلا قتلتُه بالعرجي .

## ذِكْرُ أَخْبَارِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ وَمَقْتَلِهِ\*

هُوَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مَخْرُوفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُصَيَّةِ  
ابْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ أَدِّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ  
ابْنِ زَارِ .

وَكَانَ أَيُّوبُ هَذَا - فِيمَا يَزْعُمُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ - أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ مِنَ الْعَرَبِ أَيُّوبَ .  
شَاعِرٌ فَصِيحٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ نَضْرَانِيًّا ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُوهُ وَأَهْلُهُ ،  
وَلَيْسَ مِمَّنْ يُعَدُّ مِنَ الْفَحُولِ هُوَ فَيُرَوَى شِعْرُهُ ، وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ أَشْيَاءٌ أُعْيِبَ بِهَا .

وَكَانَ الْأَصْحَمِيُّ وَأَبُو عُيَيْدَةَ يَقُولَانِ : عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي الشُّعْرَاءِ كَسَهَيْلٍ  
فِي النَّجْمِ ، يُمَارِضُهَا وَلَا يَجْرِي سَجْرَاهَا .

وَمِثْلُهُ كَانَ عِنْدَهُمْ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، وَمِثْلُهُمَا عِنْدَهُمْ فِي الْإِسْلَامِيِّينَ :  
الْكُمَيْتِ وَالطَّرِمَاحِ .

قَالَ الْعَجَّاجُ : كَانَا يَسْأَلَانِي عَنِ الْغَرِيبِ فَأُخْبِرُهُمَا بِهِ ، ثُمَّ أَرَاهُ فِي أَشْعَارِهَا ،  
وَقَدْ وَضَعَاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

فَقِيلَ لَهُ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمَا قَرَوِيَانِ يَصِفَانِ مَا لَمْ يَرِيَا ، فَيَضْمَانَهُ فِي غَيْرِ  
مَوْضِعِهِ ، وَأَنَا بَدَوِيٌّ أَصِفُ مَا رَأَيْتُ فَأَضْمُهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَكَذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَدِيُّ  
وَأُمَيَّةُ .

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : كَانَ سَبَبُ نَزُولِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدِ الْحَيْرَةِ ، أَنَّ جَدَّهُ أَيُّوبَ  
ابْنَ مَخْرُوفٍ ، كَانَ مَنْزَلُهُ الْيَمَامَةَ ، فِي بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ ، فَأَصَابَ دَمًا  
فِي قَوْمِهِ ، فَهَرَبَ ، فَلَحِقَ بِأَوْسِ بْنِ قَلَّامٍ أَحَدِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِالْحَيْرَةِ .

\* ترجمته في الأغاني ٢ : ٩٧ - ١٥٦ ( طبعة دار الكتب ) .

وكان بين أيوب بن محزوف وبين أوس بن قلام نسب من قبل النساء ، فلما قدم عليه أيوب أكرمه ، وأزله في داره ، فمكث معه مدة ، ثم إن أوسا قال له : يا بُنَّ خالٍ ، أتريد المقام عندي ، وفي داري ؟ قال له أيوب : نعم ، فقد علمتُ أنّي أتيتُ قومي ، وقد أصبتُ فيهم دماً ، وما لي دارٌ إلا دارك آخِرَ الدهر .

قال أوس : فإني قد كبرتُ ، وإني خائف أن أموتَ ولم يعرف وادى لك من الحقِّ مثلاً أعرف ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرِّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة إليك فأعلمني به لأقطعكهُ أو أبتاعهُ لك .

وكان لأيوبَ صديقٌ في الجانب الشرقي من الحيرة ، وكان منزلُ أوس في الجانب الغربي ، فقال له : أحببتُ أن يكون المنزل الذي تسكننيه عند منزل عصام ابن عبدة ، أحد بني الحارث بن كعب ، فأبتاع له موضع داره بثلاثمائة أوقية من الذهب ، وأنفق عليها مائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليها مائتين من الإبل برُعائها<sup>(١)</sup> ، وفرساً وقيئة . فمكث في منزل أوس حتى هلك ، ثم تحول إلى داره التي في شرق الحيرة فهلك بها .

وقد كان اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة ، وعرفوا حقه ، وحقُّ ابنه زيد بن أيوب ، فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولود أيوب منه جوائزٌ ومُحَلان<sup>(٢)</sup> .

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلام ، فولدت له حمادا ، نَحْرَج زيد بن أيوب يوماً إلى الصيِّد في ناسٍ من أهل الحيرة ، يتصيدون<sup>(٣)</sup> بحفير ، المكان

(١) الأغاني : « برعائها » .

(٢) الحملات ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

(٣) كذا في ب ، ج ؛ وفي الأغاني : « متدون » ، وفي الحاشية : « اتدى القوم : اجتمعوا

وحفير : موضع بالحيرة .

الَّذِي يَذْكُرُهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ<sup>(١)</sup> فِي شِعْرِهِ ، فَانْفَرَدَ فِي الصَّيْدِ ؛ فَتَبَاعَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عِنْدَ أَبِيهِ ثَأْرٌ ، فَقَالَ لَهُ — وَقَدْ عَرَفَ فِيهِ شَبَهَ أَيُّوبَ — مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . قَالَ : مِنْ أَيِّهِمْ قَبِيلَةٌ ؟ قَالَ : مَرَّتِي<sup>(٢)</sup> ، قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : وَأَيْنَ مَنْزِلُكَ ؟ قَالَ الْحَيْرَةَ ، قَالَ : أَمِنْ بَنِي أَيُّوبَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ وَمَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ بَنِي أَيُّوبَ ؟ وَأَسْتَوْحَشَ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ ، وَذَكَرَ النَّارَ الَّذِي هَرَبَ مِنْهُ أَبُوهُ .

فَقَالَ لَهُ : سَمِعْتُ بِهِمْ ، وَلَمْ يُعْلِمَهُ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَيُّوبَ : فَمِنْ أَيِّ الْعَرَبِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ طَيْبِيٍّ . فَأَمِنَهُ زَيْدٌ ، وَسَكَتَ عَنْهُ .  
ثُمَّ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ أُغْتَفَلَ ابْنُ أَيُّوبَ ؛ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَخَلَقَ قَلْبَهُ ، فَلَمْ يَرَمْ<sup>(٣)</sup> حَافِرَ دَائِبَتِهِ حَتَّى مَاتَ .

فَلَبِثَ أَصْحَابُ زَيْدٍ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ طَلَبُوهُ ، وَقَدْ أَفْتَقَدُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أَمِنَ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، فَبَاتُوا يَطْلُبُونَهُ حَتَّى يَبْسُوا مِنْهُ ، ثُمَّ غَدَوْا فِي طَلَبِهِ فَاقْتَصَوْا<sup>(٤)</sup> أَثَرَهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ، وَرَأَوْا مَعَهُ أَثَرَ رَاكِبٍ آخَرَ يُسَافِرُهُ ، فَاتَّبَعُوا الْأَثَرَ حَتَّى وَجَدُوهُ فَتَيَّلًا ، فَمَرَفُوا أَنَّ صَاحِبَ الرَّاحِلَةِ قَتَلَهُ ، فَاتَّبَعُوهُ ، وَجَدُّوا<sup>(٥)</sup> فِي السَّيْرِ فَأَدْرَكَوهُ فِي مُسَى<sup>(٦)</sup> اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ ، فَصَاحُوا بِهِ — وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ — فَأُمتنعَ مِنْهُمْ بِالنَّبِيلِ حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقَدْ أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ فِي مَرَجٍ<sup>(٧)</sup> كَتَفَيْهِ بِسَهْمٍ ،

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي ؛ وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَفِي ب ، ج : « زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ » .

(٢) مَرَّتِي : مَنْسُوبٌ إِلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ .

(٣) لَمْ يَرَمْ : لَمْ يَبْرَحْ .

(٤) كَذَا فِي ب ، ج وَفِي الْأَغَانِي : « فَاقْتَفَوْا » .

(٥) الْأَغَانِي : « وَأَغْدُوا السَّيْرَ » .

(٦) الْمَسَى وَالْمَسَاءُ بِمَعْنَى .

(٧) مَرَجٍ كَتَفَيْهِ : أَسْفَلُهُمَا .

فلَمَّا جَنَّهُ مَاتَ وَأَفْلَتَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَرَجَعُوا ، وَقَدْ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ أَيُّوبَ وَرَجُلٌ آخَرٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فَسَكَتَ حَمَّادٌ فِي أَخْوَالِهِ حَتَّى أَيْفَعَ ، وَلَحِقَ بِالْوُصْفَاءِ <sup>(١)</sup> ، فَخَرَجَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ يَلْمَعُ مَعَ غِلْمَانِ بَنِي لِحْيَانَ ، فَلَطَمَ اللَّحْيَانِيُّ عَيْنَ حَمَّادٍ فَسَجَّهَ حَمَّادٌ . فَخَرَجَ أَبُو اللَّحْيَانِيِّ فَضْرَبَ حَمَّادًا ، فَأَتَى حَمَّادٌ أُمَّهُ يَبْكِي ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ : ضَرَبَ بَنِي فُلَانٍ ؛ لِأَنَّ ابْنَهُ لَطَمَنِي فَسَجَّجْتُهُ ، <sup>(٢)</sup> فَخَرَجْتُ مِنْ ذَلِكَ أُمَّهُ وَإِخْوَتُهُ إِلَى دَارِ زَيْدِ بْنِ أَيُّوبَ <sup>(٣)</sup> ، وَعَلَّمْتَهُ الْكِتَابَةَ فِي دَارِ أَبِيهِ . فَكَانَ حَمَّادٌ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ مِنْ بَنِي أَيُّوبَ ، فَخَرَجَ مِنْ أَكْتَابِ النَّاسِ ، وَطُلِبَ حَتَّى صَارَ كَاتِبَ الْمَلِكِ النَّعْمَانَ الْأَكْبَرَ ، فَلَبِثَ كَاتِبًا حَتَّى وُلِدَ لَهُ ابْنٌ مِنْ أَمْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا مِنْ طَيْيٍّ ، فَسَمَّاهُ زَيْدًا بِأَسْمِ أَبِيهِ .

وَكَانَ لِحَمَّادٍ صَدِيقٌ مِنَ الدَّهَاقِينِ <sup>(٤)</sup> الْعِظَاءِ ، يُقَالُ لَهُ فَرَوَخٌ مَا هَانَ ، وَكَانَ مُحْسِنًا إِلَى حَمَّادٍ ، فَلَمَّا حَضَرَتْ حَمَّادًا الْوَفَاةُ ، أَوْصَى بِأَبْنِهِ زَيْدٍ إِلَى الدَّهْقَانَ وَكَانَ مِنَ الْمَرَّازِبَةِ <sup>(٥)</sup> ، فَأَخَذَهُ الدَّهْقَانُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ عِنْدَهُ مَعَ وَلَدِهِ ، وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ حَدَقَ الْكِتَابَةَ بِالْعَرَبِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهُ الدَّهْقَانُ ، فَعَلَّمَهُ لَمَّا أَخَذَهُ الْفَارَسِيَّةَ ، وَكَانَ لِمِيبَا ، فَأَشَارَ الدَّهْقَانُ عَلَى كَسْرَى أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى الْبَرِيدِ فِي حَوَائِجِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ كَسْرَى يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَوْلَادِ الْمَرَّازِبَةِ ؛ فَمَكَتْ يَقُولِي ذَلِكَ لِكَسْرَى زَمَانًا . ثُمَّ إِنَّ النَّعْمَانَ اللَّخْمِيَّ هَلَكَ ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْحِيرَةِ فِيمَنْ يُمْلِكُونَهُ ؛ إِلَى أَنْ يَعْقِدَ كَسْرَى الْأَمْرَ لِرَجُلٍ يَنْصَبُهُ . فَأَشَارَ عَلَيْهِمُ الْمَرَّازِبَانُ بِزَيْدِ بْنِ حَمَّادٍ ، فَكَانَ عَلَى الْحِيرَةِ إِلَى أَنْ مَلَكَ كَسْرَى الْمَنْدَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ .

(١) الوصفاء : جمع وصيف ؛ وهو الغلام .

(٢-٢) الأغاني : « فجزعت من ذلك وحولته إلى دار زيد بن أيوب » .

(٣) الدهاقين : جمع دهقان ؛ وهو التاجر ؛ فارسي معرب .

(٤) المرزابية : جمع مرزبان ؛ وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك عند الفرس .

وَنَكَّحَ زَيْدُ بْنُ حَمَّادٍ نَعْمَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ الْعَدَوِيَّةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَدِيًّا ؛ وَمَلَكَ الْمَنْدَرُ فَكَانَ لَا يَعْصِيهِ فِي شَيْءٍ ، وَوُلِدَ لِلْمَرْزُبَانَ بْنِ فِسْمَاهَ « شَاهَانَ مَرْدَ » . فَلَمَّا تَحَرَّكَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَأَيَّقَعَ ، طَرَحَهُ أَبُوهُ فِي الْكُتَّابِ حَتَّى إِذَا حَدَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ « شَاهَانَ مَرْدَ » ، إِلَى كُتَّابِ الْفَارَسِيَّةِ ، فَتَعَلَّمَ الْكُتَابَةَ وَالْكَلامَ بِالْفَارَسِيَّةِ ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ وَأَفْصَحِهِمْ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشُّعْرُ ، وَتَعَلَّمَ الرَّمَى بِالنُّشَابِ ، فَجَرَجَ بِالْأَسَاوِرَةِ <sup>(١)</sup> الرَّمَاةَ ، وَتَعَلَّمَ لِعَبِّ الْعَجَمِ عَلَى الْخَيْلِ بِالصَّوَالِجَةِ <sup>(٢)</sup> وَغَيْرِهَا .

ثُمَّ إِنَّ الْمَرْزُبَانَ وَقَدَّ عَلَى كَسْرَى وَمَعَهُ ابْنُهُ « شَاهَانَ مَرْدَ » ، فَبَيْنَمَا هُمَا وَاقِفَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِذْ سَقَطَ طَائِرَانِ عَلَى الشُّورِ ، فَتَطَاعَمَا كَمَا يَتَطَعَمُ الذِّكْرُ وَالْأُنْثَى ، فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِيقَارَهُ فِي مِيقَارِ الْآخَرِ . فَغَضِبَ كَسْرَى مِنْ ذَلِكَ وَلِحِقَّتْهُ غَيْرَةٌ . فَقَالَ لِلْمَرْزُبَانَ وَابْنِهِ : لِيَرَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا وَاحِدًا مِنْ هَذَيْنِ الطَّائِرَيْنِ ؛ فَإِنْ قَتَلْتُمَاهُمَا أَدْخَلْتُكُمَا بَيْتَ الْمَالِ ، وَمَلَأْتُ أَفْوَاهَكُمَا بِالْجَوْهَرِ ، وَمَنْ أَخْطَأَ مِنْكُمَا عَاقَبْتُهُ . فَاعْتَمَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَائِرًا مِنْهُمَا ، وَرَمَيَا فِقْتَلَاهُمَا جَمِيعًا ، فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، فَلَيْتَ أَفْوَاهُمَا جَوْهَرًا وَأَنْبَتَ « شَاهَانَ مَرْدَ » وَسَائِرَ أَوْلَادِ الْمَرَازِبَةِ فِي صَحَابَتِهِ .

فَقَالَ فَرَوُخُ مَا هَانَ عِنْدَ ذَلِكَ لِلْمَلِكِ : إِنَّ عِنْدِي غَلَامًا مِنَ الْعَرَبِ مَاتَ أَبُوهُ وَخَلَّفَهُ فِي حِجْرِي ، فَرَبَّيْتُهُ ، وَهُوَ أَفْصَحُ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، وَأَكْتَبَهُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارَسِيَّةِ ، وَالْمَلِكُ مَحْتَاجٌ إِلَى مِثْلِهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُثْبِتَهُ فِي وِلْدِي فَعَلَّ .

فَقَالَ : أَدْعُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، وَكَانَ جَمِيلَ الْوَجْهِ ، فَاتَّقَى الْحُسْنَ . وَكَانَتِ الْفُرْسُ تُتَبَرِّكُ بِالْجَمِيلِ الْوَجْهِ . فَلَمَّا كَلَّمَهُ وَجَدَهُ أَظْرَفَ النَّاسِ وَأَحْضَرَهُمْ جَوَابًا ، فَرَغِبَ فِيهِ فَأَثْبَتَهُ مَعَ وِلْدِ الْمَرْزُبَانَ .

(١) الأساوره : جمع أسوار ؛ وهو الجيد الرمي بالسهم .

(٢) الصوالجه : جمع صولجان ؛ وهو عصا يعطف طرفها ؛ يضرب بها الكرة .

فكان عدىُّ أوَّلَ مَنْ كَتَبَ بالعربيَّةِ في ديوانِ كسرى ، فرَغِبَ أهلُ الحيرةِ في عدىٍّ ورَهيبوه ، فلم يَزَلْ بالمدائنِ في ديوانِ كسرى يؤذَنُ له عليه في الخاصَّةِ ، وهو معجَبٌ به ، قريبٌ منه .

وأبوه زيدُ بنُ حمَّادٍ يومئذٍ حيٌّ ، إلَّا أنْ ذَكَرَ عدىٌّ قد أرتَفَعَ ، وحَمَلَ ذِكْرُ أبيه ، فكان عدىُّ إذا دَخَلَ على المُنذِرِ قامَ جميعٌ مِنْ عِنْدِهِ حتَّى يَقْعُدَ عدىٌّ . فمَلَأَ له بذلك صِيتٌ عَظِيمٌ . فكان إذا أَرَادَ المُقَامَ بِالْحِيرَةِ في مَنْزِلِهِ مع أبيه وأهله ، أَسْتَأذَنَ كَسْرَى ، وأقَامَ فِيهِمُ الشَّمْرَ والشَّمْرَيْنِ وَأَكْثَرَ وَأَقَلَّ .

ثم إنَّ كَسْرَى أَرْسَلَ عدىَّ بنَ زَيْدٍ إلى مَلِكِ الرُّومِ بِهَدِيَّةٍ مِنْ طَرْفِ مَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا أتاه عدىُّ بِهَا أَكْرَمَهُ وَحَمَلَهُ على البَرِيدِ إلى عُمَّالِهِ لِيُرِيَهُ سَعَةَ أَرْضِهِ ، وَعَظِيمَ مُلْكِهِ ، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَصْنَعُونَ ، فَمِنْ ثَمَّ وَقَعَ عدىُّ بِدِمَشْقَ ، وَقَالَ فِيهَا الشَّمْرُ ، وَكَانَ مِمَّا قَالَه فِي الشَّامِ ، وَهُوَ أَوَّلُ شِعْرِ قَالَهُ :

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزَعِ مِنْ دُو      مَةَ أَشْمَى إِلَى مَنْ جَيَّرُونَ<sup>(١)</sup>  
وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَانَا      لُوا وَلَا يَتَّقُونَ صَوْلَ الْمُنُونِ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ سَقِمْتُ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشْرٍ      قَهْوَةً مُزَّةً بِمَاءِ سَخِينِ

قال : وَفَسَدَ أَمْرُ الحيرةِ وعدىٍّ بِدِمَشْقَ حتَّى أَصْلَحَ أبوهُ بَيْنَهُمْ ؛ وَكَذَلِكَ لِأَنَّ [أَهْلَ] <sup>(٣)</sup> الحيرةِ حينَ كانَ عليهم المُنذِرُ أَرَادُوا قَتْلَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَعِدُّ فِيهِمْ ، وَكَانَ يَأْخُذُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يُعْجِبُهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الحيرةِ قَدْ أَجْمَعُوا على قَتْلِهِ ، بَعَثَ إلى زَيْدِ بنِ حَمَّادِ بنِ زَيْدِ بنِ يُوْبَ ، وَكَانَ قَبْلَهُ على الحيرةِ . فَقَالَ لَهُ : يَا زَيْدُ ،

(١) جيرون : بناء عند باب دمشق ، وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة

تطيف بها . معجم البلدان .

(٢) الأغاني : « ولا يرهبون صرف المنون » .

(٣) من الأغاني .



أنت خليفة أبي ، وقد بلغني : ما اجتمع عليه أهل الحيرة ، فلا حاجة لي في مُدِّكم  
دُونَكُمْوه ، فلكوه من شئتم .

فقال زيد : إن الأمر ليس إلي ، ولكنني أسبُرُ لك هذا الأمر ، ولا آلوك  
نُصْحًا ، فلما أصبح غدًا إليه الناس ، فخيَّوه تحية الملوك ، وقالوا له : ألا تبعثُ  
إلى الظالم عَبْدِكَ - يعنون المُنذر - فتريحَ منه رعيَّتِكَ !

قال : أو لا خيرٌ من ذلك ! قالوا له : أشِرْ علينا ، قال : تدعونه على حاله ، فإنه  
من أهل بيتِ مُلْك ، وأنا آتيه فأخبرُهُ أن أهل الحيرة قد اختاروا رجُلًا يكون  
أمرُ الحيرة إليه ، إلا أن يكون غزوًا أو قتال . فلكَ أَسْمُ المُلْك ، وليس إليك  
سوى ذلك من الأمور . قالوا : رأيك أفضل .

فأتى المُنذر فأخبره بما قالوا ، فقبِل ذلك وفرِح وقال : يا زيد ، علىَّ نعمة  
لا أكفرُها ما عرفتُ حقَّ سيِّد - وسيِّد صنم كان لأهل الحيرة - فولّى أهل الحيرة  
زيدًا على كلِّ شيء سوى أَسْمِ المُلْك ، فإنهم أقرّوه للمُنذر وفي ذلك يقول عدِيّ :  
نحنُ كُنّا قد عَلِمْتُم قَبْلَكُمْ عَمَدًا البَيْتِ وَأَوْتَادَ الإِصَارِ (١)

ثم هَلَكَ زيدٌ وابنه عدِيّ يومئذٍ بالشَّام ، وكان لزيد ألف ناقةٍ للحِمالات (٢)  
كان أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولّوه ما ولّوه ، فلما هَلَكَ أرادوا أخذها ، فبلغ  
ذلك المُنذر فقال : لا ، واللّات والعُزّى لا يُؤخذ مما كان في يد زيد نفروق (٣) ، وأنا  
أسمع الصوت . ففي ذلك يقول عدِيّ بنُ زيد لأبنيه النعمان بن المُنذر :

وَأَبُوكَ الرَّءِءُ لَمْ يَشُقَّ لَهُ يَوْمَ سَيِّمَ الخَسْفَ قَمْنَا بِخَسَارِ (٤)

(١) الإصار : الطنب ؛ وهو جبل الجباء والسرادق ونحوها .

(٢) الحِمالات : جمع حمالة بالفتح ، وهي الدية والفرامة التي يحملها قوم عن قوم .

(٣) النفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من التمرة .

(٤) كذا في ب ، ج ، ورواية البيت في الأغاني :

وَأَبُوكَ الرَّءِءُ لَمْ يَشُنَّا لَهُ يَوْمَ سَيِّمَ الخَسْفَ قَمْنَا بِخَسَارِ

قال: ثم إن عدياً قدِم المدائنَ على كسرى بهديّة قيصر، فصادف أباه والرّزبان الذي ربّاه قد هلكا جميعاً، فأستأذن على كسرى في الإلمام بالحيرة، فأذن له، فتوجه إليها، وبلغ المنذر خبره، فخرج فتلقاه في الناس ورجع معه؛ وعدى أنبلُ أهل الحيرة في أنفسهم، ولو أراد أن يملِكوه لملِكوه؛ ولكنه كان يؤثر الصيّد واللّهو واللعب على الملك، فكث سنين يبدو<sup>(١)</sup> في فصلَي السنّة، فيصيف<sup>(٢)</sup> بالبرّ ويشتو بالحيرة، ويأتي المدائنَ في خلال ذلك فيخدم كسرى.

وكان لا يؤثر على بلاد بني يرُوع شيئاً<sup>(٣)</sup> من بوادي العرب؛ ولا ينزل في حيٍّ من أحياء بني تميم غيرهم. وكان أخلاًؤه من العرب كلهم بني جعفر، وكانت إبّله في بني ضبّة، وبلاد بني سعد، وكذلك كان أبوه يفعل، لا يجاوز هذين الحيين بإبّله، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر، وهي يومئذ جارية حين بلغت أو كادت.

وخبِرُ تزويجها يُذكر فيما بعد.

وكان لمدى بن زيد أخوان: أحدهما اسمه عمار، ولقبه [أبي]، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمي، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدى بن حنظلة، وكان أبي يكون عند<sup>(٤)</sup> كسرى، وكانوا أهل بيت نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أكل<sup>(٥)</sup> وناحية، يُقَطِّعونهم القطائع، ويُجمِلون<sup>(٦)</sup> صلاتهم.

(١) يبدو، أي يخرج إلى البادية.

(٢) الأغاني: « فيقيم في جفير ».

(٣) الأغاني: « مبدى من مبادى العرب ».

(٤) تكملة من الأغاني.

(٥) الأكل، بالضم: الرزق.

(٦) الأغاني: « ويجزلون ».

وكان المُنذرُ لما مَلَكَ جَمَلَ ابْنَةِ النَّمْعَانِ فِي حَجْرٍ عَدِيٍّ بِنِ زَيْدٍ، فَهَمَّ الَّذِينَ أَرْضَعُوهُ  
وَرَبَّوهُ .

وكان للمُنذرِ أبْنٌ آخَرَ يُقَالُ لَهُ : الأَسْوَدُ بْنُ مَارِيَةَ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ جُلْهُمٍ  
مِنْ تَيْمِ الرِّبَابِ ، فَأَرْضَعَهُ وَرَبَّاهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الحَيْرَةِ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو مَرِينَا <sup>(١)</sup> ،  
يُنْسَبُونَ إِلَى لَحْمٍ ، وَكَانُوا أَشْرَافًا .

وكان للمُنذرِ سِوَى هَذَيْنِ مِنَ الوَالِدِ عَشْرَةٌ ، وَكَانَ وَلَدُهُ يُقَالُ لَهُمْ : الأَشَاهِبُ <sup>(٢)</sup>  
مِنْ جَمَاهِمٍ ، فَذَلِكَ قَوْلُ أَعْشَى بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

وَبَنُو المُنْذِرِ الأَشَاهِبُ بِالحِيَةِ — رِةٍ يَمْشُونَ غُدُوَّةً كَالسِّيُوفِ <sup>(٣)</sup>

وَكَانَ النَّمْعَانُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحْمَرَ أَرْشٍ <sup>(٤)</sup> . وَكَانَ قَصِيرًا ، وَأُمُّهُ سَلَمَى بِنْتُ وائِلٍ  
ابْنِ عَطِيَّةٍ مِنْ أَهْلِ فَدَكٍ <sup>(٥)</sup> .

فَلَمَّا أَحْتَضِرَ المُنْذِرُ وَخَلَّفَ وَلَدَهُ هَؤُلَاءِ العَشْرَةَ — وَقِيلَ بَلْ كَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ —  
أَوْصَى بِهِمْ إِلَى إِيسَى بْنِ قَبِيصَةَ الطَّائِيِّ وَمَلَكَ عَلَى الحَيْرَةِ إِلَى أَنْ يَرَى كَسْرَى رَأْيَهُ ،  
فَنَكثَ مُمْلَكًا عَلَيْهَا شَهْرًا ، وَكَسْرَى فِي طَلَبِ رَجُلٍ يَمْلِكُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ كَسْرَى  
ابْنُ هُرْمَزٍ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَرْضَاهُ ، فَضَجَرَ وَقَالَ : لِأُبْعَثَنَّ إِلَى الحَيْرَةِ اثْنَيْ عَشَرَ ألفًا

(١) بنو مرينا قوم من أهل الحيرة من قبائل العبادة ؛ ذكرهم امرؤ القيس في شعره فقال :

فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

(٢) الشبهة في الأصل : بياض يخالطه السواد ؛ وقد يطلق على مطلق البياض ؛ كما قالوا : سنة  
شهباء لكثرة الثلج ؛ وفي القاموس ؛ « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » ، وفي تاج العروس :  
« سمو بذلك لبياض وجوههم » .

(٣) الأغاني : « في الحيرة » .

(٤) الأبرش : « الأرقط ؛ وهو الذي يكون فيه بقعة بياض وأخرى أى لون كان » .

(٥) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان .

من الأساورة ، ولأمكن عليهم رجلا من الفرس ، ولأمرتهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم .

وكان عدى بن زيد واقفا بين يديه ، فأقبل عليه وقال : وبحك يا عدى ! من بقي من آل المنذر ! وهل فيهم أحدٌ فيه خير ؟ قال : نعم أيها الملك السعيد ! إن في ولد المنذر لبقيةً ، وفيهم كلٌ خير .

قال : ابث إليهم . فبعث عدى إليهم فأحضرهم ، وأنزلهم جميعا عنده . ويقال : بل شخص عدى بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أرادوا<sup>(١)</sup> ، وأوصاهم ، ثم قدم بهم على كسرى .

قال : فلما نزلوا على عدى بن زيد أرسل إلى النعمان : لست أملك غيرك ، فلا يوحشتك ما أفضل به إخوتك عليك من الكرامة ، فإني إنما أغترتهم بذلك . ثم كان بفضل إخوته جميعا عليه في النزول والإكرام والملازمة ، ويريهن تنقضا للنعمان ، وأنه غير طامع في تمام أمرٍ على يده . وجعل يخلو بهم رجلا رجلا ، فيقول : إذا دخلتم على الملك فالبسوا أنحر ثيابكم وأجملها ، وإذا دعاكم إلى الطعام لتأكلوا فتباطؤوا في الأكل ، وصنّروا اللقم ، ونزروا مائتا كلون . فإذا قال لكم : أتكفونني أمر العرب ؟ فقولوا : نعم . فإذا قال لكم : فإن شد أحدكم عن الطاعة ، أو أفسد ، أتكفونيه ؟ فقولوا : لا ؛ لأن بعضنا لا يقدر على بعض ، ليها بسكم ، ولا يطمع في تفرقكم ، ويعلم أن للعرب منعةً وبأسا . فقبلوا منه .

وخلأ بالنعمان فقال له : البس ثياب السفر وأدخل مقلدا سيفك ، وإذا جلست للأكل فمظم اللقم ، وأسرع المضغ والبلع ، وزد في الأكل وتجوّع قبل ذلك ؛ فإن كسرى يُعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة ويرى أنه لا خير في العربي

(١) الأغاني : « بما أراد » .

إذا لم يكن أكلًا شَرِّها؛ ولا سَمِيمًا إذا رأى [غير<sup>(١)</sup>] طعامه وما لا عهد له بمثله؛ فإذا سألك: هل تكفيني العَرَب؟ فقل: نعم، وإذا قال لك: فسِن لي ياخوتك؟ فقل له: فإن عجزتُ عنهم؛ فإني عن غيرهم أعجز.

قال: وخلا ابنُ مَرِينَا بالأَسود، فسأله عما أوصاه به عدى، فأخبره فقال: غَشَك والصليبِ والعمودِيَّة، وما نَصَحَكَ؛ ولئن أطمتني لتخالفن كلَّ ما أمرك به، ولتلكن، ولئن عصيتني ليمكَّن النعمان، فلا يغرُّنك ما أولاه<sup>(٢)</sup> من الإكرام والتفضُّل على النعمان؛ فإنَّ ذلك دَهاةٌ ومَكْر، وإن هذه المَعَدِّيَّة لا تحلو من مكر وحيلة.

فقال له: إنَّ عَدِيًّا لم يألني نُصْحًا، وهو أعلم بكسرى منك، وإن خالفتُه أوحشتُه، فأفسدَ على، وهو جاء بنا ووَصَفنا، وإلى قوله يرجع كسرى. فلما يس ابنُ مَرِينَا من قبوله منه، قال له: ستعلم.

ودعا بهم كسرى، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالهم وكألهم، ورأى رجالا قلَّ ما رأى مثَلهم، فدعا لهم بالطعام، ففعلوا ما أمرهم عدى، فجعل ينظرُ إلى النعمان من بينهم ويتأمل أكله.

فقال لعدى بالفارسيَّة: إن يكن في أحدهم [خير<sup>(٣)</sup>] ففِي هذا. فمَسَلوا أيديهم وجعل يدعو بهم رَجُلًا رجلا، فيقول: أتكفيني العَرَب؟ فيقول: نعم أ كفيكها كلها إلا إخواني، حتى أنتهي إلى النعمان آخرهم.

قال: أتكفيني أمرَ العَرَب؟ قال: نعم، قال: فكيف لي ياخوتك؟ قال:

(١) تكملة من الأغاني.

(٢) الأغاني: « ما أراكه ».

(٣) من الأغاني.

إن عجزت عنهم فأننا عن غيرهم أعجز . فملكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والجواهر ، والياقوت والزبرجد .

فلما خرج - وقد ملكك - قال ابن مريناً للأسود : دونك عفتي خلافاً لي ! ثم إن عدياً صنع طعاماً في بيعة ، وأرسل إلى ابن مريناً أن أئتني فيمن أحببت ، فإن لي حاجة ، فأناه في ناس ، فتعدوا في البيعة فقال عدى بن زيد لابن مريناً : إن أحق من عرف الحق ولم يلم عليه [ من كان ]<sup>(١)</sup> مثلك ، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تتحقد على شيئاً لو قدرت عليه ركبته ، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ، فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك .

وقام إلى البيعة ، فحلف ألا يهجوهم أبداً ، ولا يبغيه غائلة ، ولا يرؤى عنه خيراً أبداً .

فلما فرغ عدى بن زيد ، قام ابن مريناً فحلف مثل يمينه ألا يزال يهجوهم أبداً ، ويبغيه الغوائل ما بقي .

وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة ، فقال عدى بن مريناً لعدى ابن زيد :

ألا أبلغ عدياً عن عدى ولا تجزع وإن رئت قواك<sup>(٢)</sup>

هيا كلنا تبر لغير فقر لتحمد أو يم به غناك<sup>(٣)</sup>

(١) من الأغاني .

(٢) رئت : ضعفت .

(٣) ب ، ج : « عناكا » ، والصواب ما في الأغاني .

فَإِنْ تَظْفَرُ فَلَمْ تَظْفَرْ حَمِيدًا وَإِنْ تَعَطَّبَ فَلَا يَبْعُدُ سِوَاكَ

نَدِمْتَ نَدَامَةَ الْكُسْمِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعْتَ يَدَاكَ (١)

ثم قال عدى بن مريبا للأسود : إذا لم تظفر فلا تمجزن أن تطلب بشارك من هذا الممدى الذى فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرتك أن معدا لا ينام كيدها ، وأمرتك أن تعصيه فخالفتنى .

قال : فما تريد؟ قال : أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على ، ففعل .

وكان ابن مريبا كثير المال والضيعة ، فلم يكن فى الدهر يوم يأتي إلا وعلى باب النعمان هدية من ابن مريبا ، فصار من أكرم الناس عليه ؛ حتى كان لا يقضى فى ملكه شيئا إلا بأمر ابن مريبا .

وكان إذا ذكر عدى بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه ، وشيخ (٢) ذلك بأن يقول : عدى بن زيد فيه مكر وخديعة ، والممدى لا يصلح إلا هكذا . فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مريبا عنده أكرموه وبايعوه ، فجعل يقول لمن يشق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عديا عند الملك بخير فقولوا : إنه كذلك ؛ ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النعمان - عامله ، وإنه هو ولأه ، فلم يزالوا كذلك حتى اضطغنوه (٣) عليه ، وكتبوا كتابا على لسانه إلى قهرمان (٤) له . ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه ، وأتوا به النعمان ، فقرأه

(١) الكسعى : رجل من كسع ؛ حى فى قيس ، رمى فى الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، فلما أصبح وجد العير مقتولا وسهمه فيه ، فندم وكسر قوسه ؛ ف ضرب المثل به فى الندم ، فى خبر مشهور فى كتب الأمثال .

(٢) شيخ ذلك : أتبع .

(٣) الأغاني : « أضغنوه » .

(٤) القهرمان : أمين الملك .

فَأَشْتَدَّ غَضَبُهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا زُرْتَنِي ؛ فَإِنِّي قَدْ  
أَشْتَمْتُ إِلَى رُوَيْتِكَ ، وَعَدِيٌّ يَوْمئِذٍ عِنْدَ كِسْرَى .

فَاسْتَأْذَنَ كِسْرَى ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا أَنَاهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ حَتَّى حُبِسَ فِي مَحْبَسٍ  
لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ ، فَجَعَلَ عَدِيٌّ يَقُولُ الشُّعْرَ فِي السِّجْنِ ، فَأَوَّلُ قَوْلِهِ :

كَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْهُمَامِ وَيَأْتِي	كَيْتَ بِخُبْرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّؤَالِ (١)
أَيْنَ عَمَّا إِخْطَارُنَا الْمَالَ وَالْأَنْزُ	مُسَّ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ الْحَالِ (٢)
وَنِضَالِي فِي جَنِيكَ النَّاسَ يَرْمُو	نَ وَأَرْمِي وَكَلْنَا غَيْرُ آلِ (٣)
فَأُصِيبُ الَّذِي تُرِيدُ بِلَاغِ شَيْءٍ	وَأُرْبِي عَلَيْهِمْ وَأُوَالِي (٤)
لَيْتَ إِنِّي أَخَذْتُ حَتْفِي بِكَفِّ	يَّ وَلَمْ أَلْتَقِ مَيْتَةَ الْأَفْتَالِ (٥)
مَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ لَصَرَعَتْنَا الْعَا	مَ فَقَدْ أَوْقَعُوا الرَّحَى بِالثَّقَالِ (٦)

وقال من قصيدة :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النُّعْمَانِ عَنِّي	وقد تُهْدَى النَّصِيحَةُ بِالْمَغِيبِ
أَحْظَى كَانَ سِلْسَلَةً وَعُغْلًا	وَقِيمِدًا وَالْبِيَانُ لَدَى الطَّبِيبِ
أَتَاكَ بَانْتِنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي	فَلَا تَسَامُ لِحَزُونِ حَرِيبِ (٧)
وَبَيْتِي مُقْفَرٌ إِلَّا نِسَاءً	أَرَامِلَ قَدْ هَلَكَنَ مِنَ النَّحِيبِ

(١) ب ، ج : « بعطف الأنباء » ، والصواب ما أثبتته من الأغاني .

(٢) لإخطار المال والأنفس : بذلها وجعلها خطرا .

(٣) غير آلي : غير مقصر .

(٤) أربي : أزيد .

(٥) الأفتال : جمع قتل ، وهو العدو .

(٦) يقال : محل فلان بصاحبه ، إذا سمى به إلى السلطان . والثقال : الجلد الذي يسقط تحت رحا

اليد ليقط الطحين من التراب .

(٧) الأغاني : « ولم تسام بمسجون حريب » ، والحريب : الذي سلب ماله وعقاره .



يُبَادِرُنَ الدُّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ      كَشَنَ خَانَهُ خَرَزُ الرِّيبِ<sup>(١)</sup>  
يَحَازِرُنَ الوُشَاةَ عَلَى عَدِيٍّ      وَمَا أَفْتَرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ  
فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمْرًا      فَقَدْ يَهْمُ المُصَافِي بِالْحَبِيبِ  
وَإِنْ أَظْلِمُ فَقَدْ عَاقَبْتُمُونِي      وَإِنْ أَظْلَمَ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي  
وَإِنْ أَهْلِكُ تَجِدُ فَقَدِي وَتُخْذَلُ      إِذَا التَقَّتِ العَوَالِي فِي الحُرُوبِ  
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا      وَلَا تُغْلَبَ عَلَى الرَأْيِ المُصِيبِ  
فَإِنِّي قَدِ وَكَلْتُ اليَوْمَ أَمْرِي      إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ، ويكتبُ بها إليه ، فلا تُغْنِي عنه عنده شيئاً .  
خرج النعمانُ إلى البحرين ، فأقبل رجلٌ من غَسَّانَ ، فأصابَ في الحيرة  
ما أَحَبَّ - ويقال : إنه جَفَنَةُ بن النعمان الجَفْنِي - فقال عَدِيٌّ في ذلك من أبيات :

سَمَا صَقَرٌ فَأَشْمَلُ جَانِبَيْهَا      وَأَهْلَاكَ المَرْوَحُ وَالعَزِيبُ<sup>(٢)</sup>

فلما طال سجنُ عَدِيٍّ بن زَيْدٍ ، كَتَبَ إلى أخيه ، أَبِي ، وهو مع كسرى بهذا

الشعر :

أَبْلَغُ أُبَيَّا عَلَى نَأْبِهِ      فَقَدْ يَنْفَعُ المَرءَ مَا قَدَّ عَليمُ<sup>(٣)</sup>  
بَانَ أَحَاكَ شَقِيقَ الفُؤَا      دِ كَفْتُ بِهِ وَالِهَامَا سَلِمُ<sup>(٤)</sup>  
لَدَى مَلِكٍ مَوْتَقٌ بِالْحَدِيدِ      دِ إِمَّا بِحَقِّ وَإِمَّا ظَلِمُ  
فَلَا أَعْرِفَنَّكَ كذَاتِ الغُلا      مِ مَا تَجِدُ عَارِمًا تَعْتَرِمُ<sup>(٥)</sup>  
فَأَرْضُكَ أَرْضُكَ إِنْ تَأْتِنَا      تَنَمَّ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حَلْمُ

(١) الشن : الآنية تصنع من الجلد ، والريب ، من رب الأمر إذا أصلحه .

(٢) المروح : الإبل الذاهبة إلى أعطانها . والعزيب : ما ترك مراعيه .

(٣) الأغاني : « وهل ينفع » .

(٤) الأغاني : « واتقا » .

(٥) ذات الغلام : الأم المرضع . والعارم : الراضع ، يقال : عرم الصبي أمه عرماً : رضعها

وكتب إلى أخيه أبا أيوب أيضاً ، فلما قرأ أبي أيوب عديّ قام إلى كسرى فكلّمه في أمره ، وعرفه خبره ، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث بالكتاب . وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كتب إليك في أمره ، فأتاه أعداء عديّ من بني بَقِيلَة ، وهم من غَسَّان ، فقالوا له : اقتله الساعة فأبى عليهم ، وجاء الرسول ، وقد كان أخو عديّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ ، فيدخل عليه وهو محبوس بالصنّين<sup>(١)</sup> ، وقال له : ادخلُ عليه فأنظر ما يأمرُك به فأمثله ، فدخل الرسول على عديّ ، فقال له : إني قد جئتُك بإرسالِك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحبُّ ؛ ووعده عِدَّةً سنّيةً ، وقال له : لا تخرجن من عندي وأعطي الكتاب حتى أرسل به ؛ فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن .

فقال : لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب ، فأوصله إليه ، فأطلق مَنْ كان هناك من أعدائه ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عديّ ، وهو ذاهبٌ به ، وإن فعلَ والله لم يستبق منّا أحداً ، أنت ولا غيرك .

فبعث النعمان إليه أعداءه ، فغمّوه<sup>(٢)</sup> حتى مات ثم دفنوه ، ودخل الرسول فأوصل الكتاب إليه ، فقال : نعم وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف مثقالٍ من الذهب ، وجارية حسناء ، وقال له : إذا أصبحت فأدخل أنت بنفسك فأخرجه . فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأعلمه الجرس أنه قد مات منذ أيام ، ولم نجبرئ على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته .

فرجع إلى النعمان فقال : إني كنتُ أمسٍ دخلتُ على عديّ وهو حيّ ، وجئت اليوم بفتحدي السجن وبهتني<sup>(٣)</sup> ، وذَكَر أنه قد مات منذ أيام .

(١) الصنّين : بلد كان بظاهر الكوفة ، كان من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع ( مرصّد

الاطلاع ) .

(٢) غمّوه : غطوا وجهه بشيء ليختنق .

(٣) بهتني : قال الكذب في وجهه .

فقال له النعمان: أبيعك بك المَلِكُ إلى فتدخل عليه قَبيلُ! كذبت؛ ولا كنتك أردت الرِّشوةَ وألحبت، وتهدده، ثم زاده جائزةً وأكرمه، وتوثق منه ألا يُخبر كسرى، إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه.

فرجع الرسولُ إلى كسرى فقال: إني قد وجدتُ عدِيًّا قد مات قبل أن أدخل عليه، وندم النعمان على قتلِ عديّ، وعلم أنه قد احتيل عليه، وأجترأ أعداؤه عليه، وهابهم هيبةً شديدة. ثم إنه خرج إلى صَيِّده ذات يوم، فلقى ابنًا لعديّ يقال له: زيد، فلما رآه عرفَ شبَّهه، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: أنا زيدُ بنُ عديّ بنِ زيد. فسكَّمه، فإذا غلامٌ ظريف، ففرح به فرحًا شديدًا، وقرَّبَه، وأعطاه ووصَّله، وأعتدَّ رِإِيه من قتلِ أبيه، وجَهَّزه<sup>(١)</sup>.

ثم كتب إلى كسرى: إن عديًّا كان ممن أعين به المَلِكُ في نُصْحِه ولُبِّه، فأصابه مالا بدَّ منه، وأنقضت مدَّته، وأنقطع<sup>(٢)</sup> أكلُه، ولم يُصب به أحدٌ أشدَّ من مُصِيبتي.

وأما المَلِكُ فلم يكن ليَقْفِدَ رَجُلًا إلا جعلَ اللهُ منه خَلْفًا لِمَا عَظَّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ في مُلْكِه وشأنِه، وقد بلغ ابنُ له ليس بدونه رأيتُه يَصْلُحُ لخدمَةِ المَلِكِ، فسَيَّرْتُهُ<sup>(٣)</sup> إليه، فإن رأى المَلِكُ أن يجعله مكانَ أبيه فمَلَّ، وليصرف عَمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر.

وكان هو الذي بلى المسكاتبة عن المَلِكِ إلى مُلوكِ العَرَبِ، وفي أمورِها، وفي خواصِّ المَلِكِ، وكانت له من العَرَبِ وظيفةٌ موظَّفةٌ في كلِّ سَنَةٍ؛ مُهْرانُ أشقران يُجَمِّلان له هَلَامًا<sup>(٤)</sup>، والكَمَّاءُ والأَقْطُ والأُدْمُ، وسائرُ تجاراتِ العَرَبِ.

(١) جهزه: أعد له معدات السفر.

(٢) الأغانى: «انقضى أجله».

(٣) الأغانى: «فسرحته».

(٤) الهلام: مرق السكبايج المصفى من الدهن، والسكبايج: لحم يطبخ بجل.

وكان زيدُ بنُ عدي يلبى ذلك له ، وكان هذا عمل عدي ، فلما وقع زيدُ بنُ عدي عند الملك هذا الموضع ، سأله كسرى عن النعمان ، فأحسن الثناء عليه ، ومكث على ذلك سنوات ، على الأمر الذي كان أبوه عليه ، وأعجب به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه ، والخدمة له ، وكان ملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة ، فإذا وجدت حملت إلى الملك ؛ غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ، ولا يظنونها عندهم ، ثم إنه بدأ للملك في طلب تلك الصفة ، فأمر ، فكتب بها إلى النواحي .

ودخل عليه زيدُ بنُ عدي وهو في ذلك القول ، فخطبته فيما دخل فيه ، ثم قال : رأيت الملك كتب في نسوة يطلبن له ، وقرأت الصفة ، وقد كنت بال المنذر عارفا ، وعند عبدك من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة .

قال : فأكتب فيهن ، قال : أيها الملك ، إن شيئا في العرب <sup>(١)</sup> وفي النعمان خاصة أنهم يتكبرون <sup>(٢)</sup> في أنفسهم على العجم ، فأنا أكره أن يُغيبهن عن تبعث إليه ، أو يعرض عليه غيرهن ؛ وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فأبعثنى وأبعث معي رجلا من ثقاتك يعرف <sup>(٣)</sup> العربية حتى أبلغ ما تحبه ، فبعث معه رجلا جليدا فهِمَا .

فخرج به زيد ، فجعل يسكرمه ويلطفه حتى بلغ الحيرة ، فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد أحتاج الملك إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره .

(١) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « إن شر شيء في العرب » .

(٢) في الأغاني : « يتكرمون زعموا في أنفسهم » .

(٣) في الأغاني : « يفهم » .

فبعث إليك ، فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفاتهنّ قد جئنا بها ، وكانت الصفة أن المُنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الفسائي .

فكتب إلى أنوشروان يصفها له ، وقال : إني قد وجهتُ إلى الملك جارية معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ، بيضاء قمراء ، وطفاء <sup>(١)</sup> كحلاء <sup>(٢)</sup> دَعَجاء <sup>(٣)</sup> حوراء ، عَيْناء قنواء <sup>(٤)</sup> ، شَمَاء <sup>(٥)</sup> ، بَرُجاء <sup>(٦)</sup> ، زَجاء <sup>(٧)</sup> ، أَسِيْلَة أَخْدَة شَهِيْمَة المَقْبَل ، جَثَلَة <sup>(٨)</sup> الشَّعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عَيْطاء <sup>(٩)</sup> عريضة الصُّدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مُشاش المنكب والعَضد ، حسنة المِعصم ، لطيفة الكف ، سَبْطَة البنان ، ضامرة البطن خميصة الخصر ، غرثي <sup>(١٠)</sup> الوشاح ، رَداح <sup>(١١)</sup> الأقبال ، رايبة الكفل ، لَفَاء <sup>(١٢)</sup> الفخزين رِيًّا الرَّوادِف ، ضخمة المَأْكَمَتَيْن <sup>(١٣)</sup> ، مفعمة الساقين <sup>(١٤)</sup> ، مُشْبَعَة الخنخال ، لطيفة الكعب والقدم ،

(١) الوظفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .

(٣) قنواء ، وهو ارتفاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه .

(٤) الشمم في الأنف : ارتفاع القصبه وحسنها .

(٥) البرجاء : الجميلة الحسنه الوجه .

(٦) الزجاء : الدقيقه الحاجبين في طول .

(٧) الجثلة : كثيفه الشعر سوداؤه .

(٨) العيطاء : الطويلة العنق .

(٩) غرثي الوشاح : دقيقه الخصر .

(١٠) الرداح : العجاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال : ما استقبلك من مشرف

والواحد قبل .

(١١) لفاء : ضخمة الفخذ مكنزته .

(١٢) المَأْكَمَتَيْن : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين ، الواحدة مأكمة .

(١٣) مفعمة الساقين : ممتلئتهما .

(١٤) مشبعة الخنخال ، كناية عن السمن ؛ وفي اللسان : امرأة شبعي الخنخال : ملاسى سمن .

قَطُوفٌ (١) المَشَى ، مِكَسَالٌ (٢) الصَّحَى ، بَضَّةٌ (٣) المتجَرَّد ، سَمُوعًا لِلسَّيِّد ، لَيْسَتْ بِمُخْنَسَاءٍ (٤) وَلَا سَفْمَاءٍ (٥) ، دَقِيقَةٌ (٦) الأَنْف ، عَزِيزَةٌ النَّفْس ، لَمْ تُغَدِّ فِي بُؤْسٍ ، حَيَمِيَّةٌ رَزِينَةٌ ، حَكِيمَةٌ ، رَكِينَةٌ ، كَرِيمَةٌ الخِلال ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتَسْتَعْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاعِ قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمْتَهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ، صَنَاعَ الْكَفَّيْنِ ، قَطِيعَةٌ (٧) اللِّسَانِ ، رَهْوَةٌ (٨) الصَّوْتِ سَاكِفَتُهُ تَزِينُ الْبَيْتِ ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ إِنْ أَرَدْتَهَا اشْتَبَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكَتَهَا أَنْتَهَتْ ، تُحْمَلِقُ (٩) عَيْنَاهَا ، وَيَحْمُرُّ خَدَّاهَا ، وَتَدْبُدُّ شَفَاتِهَا ، وَتُبَادِرُكَ الْوَيْبَةَ إِذَا قَتَ ، وَلَا تَجْلِسُ إِلَّا بِأَمْرِكَ إِذَا جَلَسْتَ .

قال : فقبَلها أنو شروان ، وأمرَ بإثبات هذه الصِّفة في دواوينه ، فلم يزلوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز .

فقرأ زيدُ هذه الصِّفة على النعمان ، فشقَّ عليه ، فقال لزيد والرسولُ يسمع :  
أما في مَهَا السَّوَادِ وَعَيْنِ فَارِسٍ مَا يَبْلُغُ بِهِ كَسْرِي حَاجَتَهُ !  
فقال الرسولُ لزيد : ما المَهَا والعَيْنُ ؟ فقال له بالفارسيَّة : « كلوان » أي البقر ، فأمسك الرسولُ .

(١) القَطُوف : وصف من القَطَاف ؛ وهو تقارب الخطو .

(٢) المِكَسَال : المرأة التي لا تكاد تبحر مجلسها ؛ وهو مدح لها مثل نثوم الضحى .

(٣) البَضَّة : الناعمة .

(٤) المُخْنَسَاءُ ، من الخنس ، بالتحريك ، وهو تأخر الرأس وارتفاعه عن الشفة .

(٥) السَفْمَاءُ ، من السفع ، وهو السواد .

(٦) في الأغاني : « رقيقة » .

(٧) كذا في ب ، ج ، والأغاني . وفي القاموس : امرأة تطيع الكلام بغير هاء ، إذا لم

تكن سليطة .

(٨) رهوة الصوت : سهلة .

(٩) المحمليق من الأعين : ما حول مقلتيها يبيض لم يخالطه سواد .

وقال زيدٌ للنعمان : إنما أراد الملكُ كرامتك ، ولو علم أن هذا يشقُّ عليك لما كتب إليك .

فأثرَ لهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذي طلبَ الملكُ ليس عندي . وقال زيد : اعذرني .

فلمَّا رجعا إلى كسرى قال زيدٌ للرسول الذي قدِم معه : أصدُقِ الملكَ عما سمعتَ ، فإنِّي سأحدثُه بمثل حديثك ، ولا أخالفك فيه .

فلمَّا دخلا على كسرى قال زيدٌ : هذا كتابُه ، فقرأه عليه . فقال كسرى : وأين الذي أخبرتني به ؟ قال : كنت أخبرتك بِضَنْتِهِمْ بنسائِهِمْ على غيرِهِمْ ؛ وإن ذلك من شقاءِهِمْ ، واختيارِهِمْ الجوعَ والعُرَى على الشَّبَعِ والرياشِ وإيثارِهِم السمومَ والرياحَ على طيبِ أرضِكَ هذه ؛ حتى إنهم ليسمونها السَّجْنِ ؛ فأَسألُ الرسولَ الذي كان معي عما قال ؛ فإنِّي أكرِّمُ الملكَ عن مُشافهته بما قال وأجاب به .

فقال للرسول : وما قال ؟ فقال : قال : أيها الملكُ ، أما كان في بقر السَّوادِ وفارسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا !

فعرِفَ الغضبُ في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع ؛ لكنَّهُ لم يزدْ على أن قال : رَبِّ عبيدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ؛ ثم صار أمرُه إلى التَّبابِ (١) ، وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النُّعمان .

وسكتَ كسرى شهراً على ذلك ، وجعل النعمانُ يستعمدُ ويتوقَّعُ ، حتى أتاه كتابُه ؛ أن أقبِلْ ، فإن للملكِ إليك حاجةٌ فأنطلقَ حين أتاه كتابُه ؛ فحمل سلاحه ، وما قوَى عليه ، ثم لحقَ بِجَبَلِ طَبِيِّ .

وكانت فرعة بنتُ سعد بنِ حارثةَ عنده ، وقد ولدت له رجلاً وأمراًة ، وكانت

(١) التَّباب : الحسران .

أيضا عنده زينب بنت أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيئرا على أن يدخلوه الجبلين ويمنموه ، فأبوا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهرك لقتلناك ؛ فإنه لا حاجة لنا في مُعادة كسرى ، ولا طاقة لنا به .

فأقبل يطوف على قبائل العرب ، ليس أحد منهم يقبله ، غير أن بنى راحة ابن ربيعة [ بن قطيمة ]<sup>(١)</sup> بن عبس قالوا : إن شئت فاتلنا معك ، لمتة كانت له عندهم في أمر مروان<sup>(٢)</sup> القرظ .

فقال : ما أحب أن أهلكم ؛ فإنه لا طاقة لكم بكسرى ، فأقبل حتى نزل بنى قار<sup>(٣)</sup> في بنى شيبان سرا ، فاقمى هاني بن قبيصة .

وقيل : بل هاني بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعة من ذهل بن شيبان ، وكان سيذا منيما ، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذي الجدين لقيس بن مسعود بن قيس ابن خالد ذي الجدين .

وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبله<sup>(٤)</sup> ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانئا يمنع مما يمنع نفسه .

وقال حماد الراوية في خبره : إنه لما أستجار بهاني كما أستجار بغيره فأجاره ، وقال له : لقد لزمى ذمامك ، وإني ما نمت مما أمنع منه نفسي وأهلي وولدي ما بقي من عشرين الأذنين رجل ! وإن ذلك غير نافعك ، لأنه مهلكي

(١) من الأغاني .

(٢) هو مروان بن زنباع العبسي ، أضيف إلى القرظ ؛ لأنه كان يغزو اليمن ، وبها منبته ، أو لأنه كان يحمي القرظ لعزته ؛ ويضرب به المثل في العزة فيقال : أعز من مروان القرظ .

(٣) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة ؛ فيه الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل

والفرس .

(٤) الأبله : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل منه إلى البصرة .



ومَهْلِكُكَ ، وعندى رأى لستُ أشيرُ به لأدْفَعَكَ عما تريدُه من مجاورتى ولكنّه الصّواب .

فقال هاتِه ، [ فقال : إن ] <sup>(١)</sup> كل أمرٍ يَجْمَلُ بالرجل أن يكون عليه إلا الملك ، وأن يكون بَعْدَ الملكِ سُوقَةٌ ، والموتُ نازلٌ بكلِّ أحد ، فلأن تموت كريماً خيراً من أن تتجرّع الدلّ أو تبق [سُوقَةٌ] <sup>(١)</sup> بعد الملك ، هذا إن بقيت . فأمض إلى صاحبك ، وأحبل إليه هدايا ومالا ، وأتقِ نفسك بين يديه ؛ فإمّا أن يصفح عنك فعدت مَلِكاً عزيزاً ، وأمّا إن أصابك فاموت خيراً من أن تتلاعب بك صماليك العرب ، وتتخطفك ذئابها ، وتأكل مالك ، وتعيش فقيراً ، أو تقتل مَقهوراً .

قال : وكيف بجرى ؟ قال : هنّ فى ذمتى لا يُخلص إليهن حتى يُخلص إلى بناتى ، قال : هذا وأبيك الرأى الصّحيح ، ولن أتجاوزَه . ثم اختار خيلاً وحللاً من عصب <sup>(٢)</sup> اليمّن ، وجوّهرًا وطرفًا كانت عنده ، ووجه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يمتدّر ويعلمه أنّه صائرٌ إليه ، ووجه بها مع رسول . فقبلها كسرى ، وأمره بالقدوم عليه .

فعاد الرسول إليه ، وأخبره بذلك ، وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءاً . فضى إليه حتى إذا وصل إلى الملك <sup>(٣)</sup> لقيمه زيد بن عدنّ على فئطرة سابط <sup>(٤)</sup> ، فقال : انجُ نعيمٍ إن وجدت <sup>(٥)</sup> النجاء ! فقال له : أفعلمتها يا زيد ! أما والله لئن عشت لك لأقتلنك قتلةً لم يُقتلها عربى قطّ قبلك ، ولأُحِقَّتْك بأبيك !

(١) من الأغاني .

(٢) العصب : ضرب من برود اليمين يعصب غزله ؛ أى يجمع ويشد ثم يصنع وينسج فيأتى موسى لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صنع .

(٣) الأغاني : « المدائن » ؛ وهى مدينة فارس كانت مسكن الملوك من الأكرسة .

(٤) سابط : موضع قريب من المدائن .

(٥) الأغاني : « إن استطعت » .

فقال له زيد : امضِ لِسَانِكَ نَعِيمٌ ، فَقَدَ وَاللَّهِ أَخِيَّتُ لِكَ أَخِيَّةٍ<sup>(١)</sup> لَا يَقْطَعُهَا  
الْمُهْرُ الْأَرْنِ<sup>(٢)</sup> .

فولمَّا بَلَغَ كَسْرَى أَنَّهُ بِالْبَابِ ، بَمَثَ إِلَيْهِ فَقَيْدَهُ ، وَبَمَثَ بِهِ إِلَى سِجْنٍ كَانَ لَهُ  
بِحَاثِقِينَ<sup>(٣)</sup> ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى وَقَعَ الطَّاعُونَ هُنَاكَ ، فَمَاتَ فِيهِ .  
وَقَالَ حَمَّادٌ وَغَيْرُهُ : بَلِ مَاتَ بِسَابَاطٍ فِي حَبْسِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : رَمَاهُ<sup>(٤)</sup> تَحْتَ أَرْجُلِ الْفَيْلَةِ فَوَطِئْتُهُ حَتَّى مَاتَ ، وَاحْتَجَّجُوا  
بِقَوْلِ الْأَعْشَى :

فَذَاكَ وَمَا أَجَى مِنَ الْمَوْتِ رَبِّهِ      بِسَابَاطٍ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُحْزَرَقٌ  
الْمُحْزَرَقُ : الْمَضِيقُ عَلَيْهِ . وَكَانَ قَتَلَهُ سَبِيًّا لِنُغْضِ الْعَرَبِ ، وَوَقَعَهُ ذِي قَارِ قَبْلِ  
الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدِ يَهُوَى هِنْدًا بِنْتَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ  
أَبْنِ أَمْرِى الْقَيْسِ ، وَفِيهَا يَقُولُ :

عَلِقَ الْأَحْشَاءُ مِنْ هِنْدٍ عَلَقٌ      مُسْتَمْسِرٌ فِيهِ نَصَبٌ وَأَرْقٌ<sup>(٥)</sup>  
فِي أَشْمَارٍ كَثِيرَةٍ ، وَكَانَ سَبَبُ عِشْقِهِ إِيَّاهَا ، أَنَّ هِنْدًا كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ  
أَهْلِهَا وَزَمَانِهَا ، وَأُمُّهَا مَارِيَةُ الْكِنْدِيَّةُ ، فَخَرَجَتْ فِي خَمِيسِ الْفِصْحِ تَقَرَّبَ فِي الْبَيْعَةِ ،  
وَلَهَا حِينَئِذٍ أَحَدَى عَشْرَةَ سَنَةً ؛ وَذَلِكَ فِي مُلْكِ الْمُنْدِرِ وَقَدْ قَدَّمَ عَدِيَّ حِينَئِذٍ هِدْيَةً مِنْ كَسْرَى  
إِلَى الْمُنْدِرِ ، وَالنُّعْمَانُ يَوْمَئِذٍ فَتَى شَابٌّ ، فَأَنْكَرَ دَخُولَهَا الْبَيْعَةَ ، وَقَدْ دَخَلَهَا عَدِيٌّ  
لِيَقْتَرِبَ .

(١) الأُخِيَّةُ : عَوْدُ يَعْزُضُ فِي الْحَائِطِ وَيُدْفِنُ طَرْفَاهُ فِيهِ ، وَيَصِيرُ وَسْطَهُ كَالْعُرْوَةِ تُشَدُّ لِإِيهِ الدَّابَّةِ .

(٢) الأَرْنُ : النُّشِيطُ .

(٣) حَاثِقِينَ : بَلَدٌ بِسَوَادِ بَغْدَادِ كَانَ النُّعْمَانُ خَنَقَ بِهِ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ حَتَّى قَتَلَهُ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « أَلْقَاهُ » .

(٥) الْعَلَقُ ، بِالطَّحْرِيكِ : الْعِشْقُ وَالْهَوَى . وَالنَّصَبُ : الْبِلَاءُ .

وكانت مديدة القامة ، عَبَلَةٌ<sup>(١)</sup> الجِسم ، فرآها عَدِيٌّ وهى غافلة ، فلم تَنْتَبِهْ له حتى تأملها ، وقد كانت جوارِها رأينَ عَدِيًّا وهو مُقْبِلٌ ، فلم يقلن لها ذلك ، لئلا يراها عدى ؛ وإنما فملن هذا من أجل أمة هُند ، يقال لها : مارية . وقد كانت أَحَبَّتْ عَدِيًّا ، فلم تَدْرِ كيف تَقَاتِي<sup>(٢)</sup> له . فلما رأت هُندُ عَدِيًّا يَنْظُرُ إليها ، شَقَّ ذلك عليها ، وسبَّتْ جَوَارِيها ، ونالتَ بَعْضُهُنَّ بِضْرَبٍ ، ووقعتْ هُندُ في نَفْسِ عَدِيٍّ . فلبثَ بذلك حَوْلًا لا يُخْبِرُ أحدا ، فلما كان بعد حَوْلٍ ، وظنَّتْ ماريةُ أن هُندًا قد أضربتَ عما جرى ، وصفتَ لها بِيعةَ دُومةَ ، وقيل : بِيعةَ توما<sup>(٣)</sup> وهو الصحيح ، ووصفتَ لها من فيها من الرّواهب ، ومن يأتيها من جوارى الحيرة ، وحسنَ بناؤها وسرُجها ، وقالت لها : سَلِي أُمَّكِ الإذْنَ لِكِ في إتيانها ، فسألتهَا ذلك ، فأذنتَ لها ، وبادرتْ ماريةُ إلى عَدِيٍّ فأخبرتهُ ، فبادرَ إلى لبسِ حُلَّةٍ مُذهَبةٍ لم يرَ مثَها حُسنًا .

وكان عَدِيٌّ حَسَنَ الشَّعْرِ ، مَدِيدَ القامةِ ، حلوَ العَيْنَيْنِ ، حَسَنَ المبتَسَمِ ، نَقِيَّ النَّعْرِ . وأخذ معه جماعةً من فتيانِ الحيرة ، فدخلَ البيعةَ ، فلما رآته ماريةُ ، قالت لهُند : أنظري إلى هذا الفتى ، فهو أحسنُ والله من كلِّ ما ترين ، قالت : ومن هو ؟ قالت : عَدِيٌّ بنُ زَيْدٍ ، قالت : أنتخافين أن يعرفني إن دَنَوْتُ منه لأراه من قُرْبٍ ؟ قالت : ومن أين يعرفك ، وما رآك قطُّ ! فدنتَ منه وهو يُمازح الفِتيانَ الذين معه ، وقد برعَ عليهم بِجَمالِهِ ، وحُسنِ كلامِهِ وفصاحتِهِ ، وما عليه من الثيابِ ، فدَهَلَتْ لَمَّا رآتهُ ، وبُهتتْ<sup>(٤)</sup> تَنظُرُ إليه ، وعرفتْ ماريةُ ما بها ،

(١) عبلة الجسم : ضخمته .

(٢) الأغاني : « تأتي له » .

(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان « دير توما » ؛ ولم يحدد موقعه .

(٤) بهتت : انبهرت .

وتبينتته في وجهها ، فقالت لها : كلميه ، فكلمته وأنصرفت ، وقد تتبعته نفسها وهويته .

وأنصرف عدىٌ بمثل حالها ، فلما كان الغدُ تعرضت له مارية ، فلما رآها هسَّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلمها ، وقال لها : ما غدا بك ؟ قالت : حاجةٌ إليك . قال : أذكرها ، فوالله لا تسألين شيئاً إلا أعطيتك إياه ، فعرفته أنها تهواه ، وأن حاجتها الخلوُّ به ؛ على أن تحتال في هند ، وعاهدته على ذلك ، فأدخلها حانوتِ خمارٍ بالحيرة ، ووقع عليها ، ثم خرجت وأتت هنداً ، فقالت : أما تشتهين أن ترمى عدياً ؟ قالت : وكيف لي به ؟ تهلل : أعدده مكان كذا وكذا في ظاهر القصر ، وتشرفين عليه ، قالت : أفعل . فواعدته ، فأناه وأشرقت هندٌ عليه ، فسكادت أن تموت ، وقالت : إن لم تدخليه علي هلكت .

فبادرت الأمةُ إلى النعمان فأخبرته خبرها ، وصدقته ، وذكرت أنها قد شغفت به ، وأن سبب ذلك رؤيتها له في يوم الفصح ، وأنه إن لم يزوجها به أفضحت في أمره .

فقال لها : وكيف أبدوه بذلك ؟ فقالت : هو أرعبُ في ذلك من أن تبدأ أنت ، وأنا أحتالُ في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره .

فأتت عدياً فأخبرته الخبر ، وقالت : أدعه ، فإذا أخذ الشرابُ فيه<sup>(١)</sup> فأخطبُ إليه ؛ فإنه غيرُ رادك .

قال : أخشى أن يفضيه ذلك ، فيكون سببَ المداوة بيننا . قالت : ما قلت لك هذا حتى فرغت منه ، فصنع عدىٌ طعاماً ، واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام ، وذلك في يوم الاثنين ، فسأله أن يتعدى هو وأصحابه عنده ، ففعل ،

(١) الأغاني : « منه » .

فَلَمَّا أَخَذَ فِيهِمُ الشَّرَابَ ، خَطَبَهَا إِلَى النُّعْمَانِ ، فَأَجَابَهُ وَرَوَّجَهُ ، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثِ (١) ، فَكَتَبَتْ (٢) عِنْدَهُ حَتَّى قَتَلَهُ النُّعْمَانُ .

فَتَرَهَّبَتْ وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا فِي الدَّيْرِ الْمَعْرُوفِ بِدَيْرِ هِنْدٍ فِي ظَاهِرِ الْحَيْرَةِ ، وَقِيلَ : بَلْ تَرَهَّبَتْ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَمَنَعَتْ نَفْسَهَا ، وَأَحْتَبَسَتْ فِي الدَّيْرِ حَتَّى مَاتَتْ فِيهِ ، وَكَانَتْ وَقَاتُهَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِزَمَانٍ طَوِيلٍ ، فِي وِلَايَةِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ الْكُوفِيِّ ، وَخَطَبَهَا الْمُنِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَرَدَّتَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا فَأَذِنَتْ لَهُ ، وَبَسَطَتْ لَهُ مِسْحًا (٣) ، فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ خَاطِبًا . قَالَتْ : وَالصَّلِيبِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ فِيَّ خِصْلَةً مِنْ جَمَالٍ أَوْ شَبَابٍ رَغَبْتُكَ فِي لَأَجِيبُكَ ؛ وَلَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ فِي الْمَوَاسِمِ : مَلَكْتُ مَمْلَكَةَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ ، وَنَكَحْتُ أَبْنَتَهُ ، فَبِحَقِّ مَعْبُودِكَ هَذَا أَرَدْتُ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ . قَالَتْ : فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، فَهَقَامِ الْمُغِيرَةَ ، فَأَنْصَرَفَ وَقَالَ :

أَدْرَكْتُ مَا مَنَيْتُ نَفْسِي خَالِيًا      اللَّهُ دَرَكِي يَا بِنْتَ النُّعْمَانِ !  
وَلَقَدْ رَدَدْتِ عَلَى الْمُغِيرَةِ ذَهْنَهُ      إِنَّ الْمَلُوكَ نَقِيَّةُ الْأَذْهَانِ  
يَاهِنْدُ حَسْبُكَ قَدْ صَدَقْتَ فَأَمْسِكِي      وَالصَّدَقُ خَيْرُ مَقَالَةِ الْإِنْسَانِ

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ أَنَّ هِنْدًا كَانَتْ تَهْوَى الزَّرْقَاءَ ، زَرْقَاءَ الْبَيْمَامَةِ ، وَأَنَّهَا أُولَى امْرَأَةٍ أَحَبَّتْ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَنَّ الزَّرْقَاءَ كَانَتْ تَرَى الْخَيْلَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثِينَ مِيلاً ، فَغَزَا قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ الْبَيْمَامَةَ ، فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَسَافَةِ نَظَرَهَا ،

(١) الأغانى : « بعد ثلاثة أيام » .

(٢) الأغانى : « فكتبت عنده » .

(٣) المسح : كساء من شعر .

قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزَّرْقَاءِ ؟ فأجمعوا رأيهم على أن يَقْتَلِعُوا شَجَرًا تَسْتُرُ كُلَّ شَجَرَةٍ مِنْهَا الْفَارِسَ إِذَا حَمَلَهَا ، فَقَطَّعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِقْدَارِ طَائِفَتِهِ وَسَارُوا ، فَأَشْرَفَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ ، فَقَالَ لَهَا قَوْمُهَا : مَا تَرَيْنِ يَا زَرْقَاءُ ؟ وَذَلِكَ فِي آخِرِ النَّهَارِ ، قَالَتْ : أَرَى شَجَرًا يَسِيرُ . فَقَالُوا لَهَا : كَذَبْتَ ، أَوْ كَذَبْتَ عَيْنُكَ ، وَأَسْتَهَانُوا بِقَوْلِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَبَحَهُمْ <sup>(١)</sup> الْقَوْمُ ، فَاسْتَسْحَوْا <sup>(٢)</sup> أَمْوَالَهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَخَذُوا الزَّرْقَاءَ ، فَقَامُوا عَيْنَهَا فوجدوا فيها عُرُوقًا سَوْدَاءَ ، فَسَأَلَتْ عَنْهَا ، فَقَالَتْ : إِنِّي كُنْتُ أُدِيمُ الْاِكْتِحَالَ بِالْإِثْمِ ، فَلَعَلَّ هَذَا مِنْهُ ، وَمَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، وَبَلَغَ هِنْدًا خَبْرُهَا ، فَتَرَهَّبَتْ ، وَلَيْسَتْ الْمُسُوحُ ، وَبَدَتْ دَيْرًا يُعْرَفُ بِدَيْرِ هِنْدٍ إِلَى الْآنِ وَأَقَامَتْ فِيهِ حَتَّى مَاتَتْ .

وقال ابن الأعرابي : إن النعمان بن المنذر الأكبر ، خرج [ يفتنمه ] <sup>(٣)</sup> بظَهْرِ الْحَيْرَةِ ، وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ الْعِبَادِيِّ ، فَمَرَّ عَلَى الْمَقَابِرِ مِنْ ظَهْرِ الْحَيْرَةِ وَنَهْرِهَا . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيْتَ اللَّعْنِ ! أَنْدَرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقَابِرِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : تَقُولُ :

كُنَّا كَمَا كُنْتُمْ حِينَمَا فَعِيرْنَا دَهْرٌ فَسَوْفَ كَمَا صِرْنَا تَصِيرُونَا  
قال : فَأَنْصَرَفَ وَقَدْ دَخَلَتْهُ رِقَّةٌ ، فَكَثَرَ بَعْدَ ذَلِكَ يَسِيرًا ، ثُمَّ خَرَجَ خَرَجَةً أُخْرَى فَمَرَّ عَلَى الْمَقَابِرِ ، وَمَعَهُ عَدِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْتَ اللَّعْنِ ! أَنْدَرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقَابِرِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَى فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قَرْنٍ زَوَالٍ <sup>(٤)</sup>

(١) صبح القوم : أتاها صباحا .

(٢) استسحوا أموالهم : أخذوها عن آخرها .

(٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « من رأنا » .

وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا      وَلِمَا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ  
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا      يَشْرَبُونَ الخمرَ بِالماءِ الرَّؤَالِ (١)  
وَأَبَارِيقُهَا عَلَيْهَا قُدُمٌ      وَجِيَادُ الخَيْلِ تَرْدِي فِي الجِلَالِ (٢)  
عَمَرُوا دَهْرًا بِعَيْشٍ حَسَنٍ      آمِنِي دَهْرَهُمْ غَيْرَ عِجَالِ  
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ      وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالِ (٣)

فرجع النعمانُ مِنْ وَجْهِهِ ، وقال لعدى : أُنْتِنِي اللَّيْلَةَ إِذَا هَدَّاتِ الرَّجُلَ  
لَتَعْرِفَ (٤) حَالِي ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ قَدْ لَبَسَ المِسْوَحَ وَتَنَصَّرَ وَتَرَهَّبَ ، وَخَرَجَ سَائِحًا  
عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَا يُدْرِي مَا كَانَتْ حَالُهُ ، فَتَنَصَّرَ وَلَدُهُ بَعْدَهُ ، وَبَنَوْا البَيْعَ وَالصَّوَامِعَ ،  
وَبَنَتْ هِنْدُ بِنْتُ النُّعْمَانَ بْنِ المُنْذِرِ بْنِ النُّعْمَانَ الدَّيْرَ الَّذِي بَطَّهَرَ الكُوفَةَ ، وَيُقَالُ لَهُ :  
دَيْرُ هِنْدَ .

فَلَمَّا حَبَسَ كَسْرَى النُّعْمَانَ الأَصْفَرَ أَبَاهَا ، وَمَاتَ فِي حَبْسِهِ ، تَرَهَّبَتْ هِنْدُ ،  
وَلَبِسَتْ المِسْوَحَ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ مَتْرَهَبَةً حَتَّى مَاتَتْ وَدُفِنَتْ فِيهِ .

قال أبو الفَرَجِ : وَعَدَى بْنُ زَيْدٍ إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ النُّعْمَانَ الَّذِي صَحَبَهُ عَدَى .  
رَوَى خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ الأَهْتَمِ ، قال : أَوْفَدَنِي يَوْسُفُ بْنُ عُمَرَ إِلَى هِشَامِ  
ابْنِ عَبْدِ المَلِكِ فِي وَفْدِ أَهْلِ العِرَاقِ ، قال : فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَقَدْ خَرَجَ بِقَرَابَتِهِ وَحَشَمِهِ

(١) فِي الأَغَانِي : قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا .

(٢) قُدُمٌ : جَمْعُ قُدَامٍ ، بِفَتْحِ الأَلفِ وَكَسْرِهَا ؛ وَهُوَ مَا يَوْضَعُ فِي فَمِ الإِبْرِيْقِ لِتَصْفِيَةِ مَا فِيهِ مِنْ  
شَرَابٍ . وَتَرْدَى : تَعَدَوُ وَتَرَجَمَ الأَرْضَ بِجَوَافِرِهَا .

(٣) فِي الأَغَانِي :

ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ      وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُوْدِي بِالرِّجَالِ  
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يَرْمِي بِالفِتَى      فِي طَلَابِ العَيْشِ حَالًا بَعْدَ حَالِ

(٤) فِي الأَغَانِي : « لَتَعْلَمَ » .

وحاشيته وجلسائه ، فنزل في أرضٍ قاعٍ صحصح<sup>(١)</sup> مُنيفٍ أفيح<sup>(٢)</sup> في عامٍ  
قد بكرٍ وسَمِيه<sup>(٣)</sup> ، وتتابع ولِيه<sup>(٣)</sup> ، وأخذت الأرضُ زُخرفها من نورِ ربيعٍ  
مُورِقٍ ، فهو في أحسن منظرٍ ، وأحسن تخبرٍ ، وأحسن مُستَمطرٍ ؛ بصعيدٍ كأن ترابه  
قَطَعُ الكافور .

قال : وقد ضرب له سُرادقٌ من حَبَرَةٍ كان يوسفُ بنُ عمرٍ قد أصطنعه له  
باليَمَنَ ، فيه فُسْطاطٌ فيه أربعةُ أفرشةٍ من خَزٍّ أحمرٍ مثلها مرافقها ، وعليه دُرَاعَةٌ  
من خَزٍّ أحمرٍ مثلها عمامتها ، وقد أخذ الناسُ مجالسهم .

قال : فأخرجتُ رأسي من ناحية السَّمَطِ<sup>(٤)</sup> ، فنظر إلى شبهة المُستَنطِقِ لي ،  
فقلت : أتمَّ اللهُ تعالى عليك أميرَ المؤمنينِ نِعَمَه ، وجعل ما قلدك من هذا الأسر  
رُشداً ، وعاقبةً ما يؤول إليه حمداً ، وأخلصه لك بالتقى وأكثره لك بالنماء ،  
ولا كدرٍ عليك منه ما صفاً ، ولا خالطٍ سرورةً بالردي ، فلقد أصبحت للمؤمنين  
ثقةً وملجأً ، إليك يقصدون في مظالمهم ، ويفزعون في أمورهم ، وما أجد شيئاً  
يا أميرَ المؤمنين هو أبلغُ في قضاءِ حقِّك ، وتوقيرِ مجلسك ، وما منَّ اللهُ عزَّ وجلَّ  
به من مجالستك من أن أذكركَ نِعَمَ اللهُ عليك ، وأنبهك لشكرها ، وما أجد  
في ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديثٍ من سلفٍ قبلك من الملوك ، فإن أذن أميرُ المؤمنين  
أخبرته به .

قال : فأستوى جالساً - وكان متكئاً - ثم قال : هاتِ ، يا ابن الأهمم . قال :  
قلت : يا أميرَ المؤمنين ، إن مَلِكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا

(١) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ؛ ذات حصى صغار .

(٢) الأفيح : الواسع .

(٣) الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : مطر الربيع الذى يلي الوسمى .

(٤) السباط : جمع سمط ؛ وهو الصف من الناس وغيرهم .



إلى الخوزنق والسدير في عامٍ قد بَكَرَ وَسَمِيَهُ ، وتتابعَ وليَّه ، وقد أُعْطِيَ فِتَاءَ  
السِّنِّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظَرَ فأبْغَدَ النَّظَرَ ، ثم قال لجلسائه : هل رأيتم  
مِثْلَ ما أنا فيه ، أم هل أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُعْطِيتُ ؟ قال : وعندَه رجلٌ من بقايا  
حَمَلَةِ الحِجَّةِ - ولم تَخُلِ الأَرْضُ من قائمٍ لله عزَّ وجلَّ بِحِجَّتِهِ في عبادِهِ :

فقال : أَيُّهَا المَلِكُ ، إنَّكَ قد سألتَ عن أمرٍ ، أفْتَأذَنُ في الجوابِ عنه ؟ قال :  
نعم . قال : أرايتَ هذا الذي أنتَ فيه ؛ أشيءٌ لم تَزَلْ فيه ، أم شيءٌ صارَ إليك  
مِيرانًا ، وهو زائلٌ عنك ، وصائرٌ إلى غيرِكَ كما صارَ إليك ؟

قال : كذلك هو . قال : فلا أراك إلاَّ عجبتَ بشيءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلاً ،  
ويغيبُ عنك<sup>(١)</sup> طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مرتَهناً !

قال : وَيَحْك ! وأين المَهْرَبُ ؟ وأين المَطْلَبُ ؟ قال : إما أن تقيم في مُلْكِكَ  
فتعملَ بطاعةِ رَبِّكَ على ما ساءَكَ وأَمْضَكَ ، وإما أن تَضَعَ تاجَكَ وأَطمارَكَ ،  
وتلبسَ أُمساحَكَ ، وتعبُدَ رَبَّكَ حتى يَأْتِيكَ أَجْلُكَ . قال : فإذا كان السَّحَرُ فَأَقْرَعُ  
على بابي ، فإنِّي مختارٌ أَحَدَ الرَّأْيَيْنِ ، فإن أَخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعْصَى ،  
وإن أَخترتُ فَلَوَاتِ الأَرْضِ ، وقَفَرَ البلادَ كنتَ رقيقاً لا يخالِفُ ، فقَرَعَ عليه  
البابَ عند السَّحَرِ ، فإذا هو قد وَضَعَ تاجَه وأَطمارَه ، ولبسَ أُمساحَه ، وتهيَّأَ  
للسَّيَاحَةِ ، فلزِمَا الجَبيلَ حتَّى أتاها أَجْلُهُما ، وهو حيثُ يقولُ عدى بن زَيْدٍ أخو  
بني تميم :

أَيُّهَا الشَّامِتُ المَعِيرُ بالدهـ	رِ أَنْتَ المَبْرَأُ المَوْفُورُ !
أَمْ لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَيِّـ	سَمِ أَمْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ المَنُونِ خَلَدْنَ أَمْ مَنْـ	ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ !

(١) الأغانى : « وتغيب عنه طويلاً » .

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ  
 وَأَخُو الْحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ  
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّهَ كِلْدَ  
 لَمْ يَهْبَهُ رَبُّ الزَّمَانِ فَبَادَأَ  
 وَتَذَكَّرَ رَبَّ الْخَوَرَنْقِ إِذْ أَشَّ  
 سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُدُّ  
 فَارَعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ : وَمَا غَيْبُ  
 ثُمَّ بَعَدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَّةِ  
 ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌّ جَا  
 فَبَكَى هِشَامٌ حَتَّى أُخْضِلَتْ لِحْيَتُهُ ، وَبَلَّتْ عِمَامَتُهُ ، وَأَمَرَ بِنَزْعِ أُبْنَيْتِهِ ، وَبِنَقْلِ  
 قَرَابَتِهِ وَأَهْلِهِ وَحَشَمِهِ ، وَغَاسِيَتِهِ مِنْ جُلْسَائِهِ ، وَلَزِمَ قَصْرَهُ ، فَأَقْبَلَتْ الْمَوَالِي وَالْخُدَمَ  
 عَلَى خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ، فَقَالُوا : مَا أَرَدْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أُنْصَدْتَ عَلَيْهِ لَذَّتَهُ ،  
 وَنَعَضْتَ عَلَيْهِ فَائِدَتَهُ .

فَقَالَ : إِلَيْكُمْ عَنِّي ، فَإِنِّي عَاهَدْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا ؛ لَا أُخْلُو بِمَلِكٍ إِلَّا ذَكَرْتُهُ  
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَسَنَدُ كَرِخْرِ الْحَضْرِ وَصَاحِبِهِ ، وَالْخَوَرَنْقِ وَصَاحِبِهِ ، هَا هُنَا .  
 الْحَضْرُ : حَصْنٌ بِجِيَالِ تَكْرِيثٍ ، بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ ، وَصَاحِبُهُ الَّذِي عَنَاهُ  
 عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ هُوَ الضَّيْرَانُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْعَبِيدِ بْنِ الْأَجْرَامِ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّخَعِ

(١) الكلس : الصاروج ، وهو النورة .

(٢) الأغاني : « ريب المنون » .

(٣) معرصا : متسعا .

(٤) الإمة : النعمة .

ابن سَلِيح بن حُلوان بن عُمَران بن أَلحاف بن قُضاعة . وأُمّه جَبَهَلَةُ امرأةٌ من  
 بنى تَزِيد بن حُلوان أخى سَلِيح بن حُلوان ، وكان لا يُعرَف إلا بأُمّه هذه ، وكان  
 مَلِكَ تلك الناحية ، وسائرِ أرضِ الجزيرة . وكان معه من بنى الأجرام من بنى العَبِيد  
 ابن الأجرام وسائرِ قبائلِ قُضاعة ما لا يُحصَى . وكان مُلكُه بلغ الشام ، فأغارَ  
 الضَّيْرانُ ، فأصابَ أختاً لسابورَ ذى الأكتاف ، وفتحَ مدينةَ شَهْرَزُور<sup>(١)</sup> ، وقتلَ  
 فيهم ، فقال في ذلك عمرو بنُ السَّلِيح بن جُدَى بن الدَّهّا بن غنم بن حُلوان بن عمران  
 ابن أَلحاف بن قُضاعة :

لَقِيناهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ      وَبِأَنْحِيلِ الصَّلادِمَةِ الدُّكُورِ<sup>(٢)</sup>  
 فَلَاقَتْ فَارِسٌ مَنَا نَكالاً      وَقَتَلْنَا هَرابِدَ شَهْرَزُورِ<sup>(٣)</sup>  
 دَلَفْنَا لِلْأَعاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ      بِجَمْعٍ مِنْ جَزِيرَةِ كَالسَّمِيرِ<sup>(٤)</sup>

ثم إن سابورَ ذا الأكتافِ جَمَعَ لهم ، وسارَ إليهم ، فأقامَ على الحَضْر أربعِ  
 سِنين لا يَسْتغَلِ منهم شيئاً . ثم إن النَضِيرَةَ بنتَ الضَّيْرانِ عَرَكَتْ - أى حاضَتْ -  
 فَأُخْرِجَتْ إلى الرَبَضِ<sup>(٥)</sup> ، وكانت من أَجْمَلِ أَهْلِ دَهْرِها ، وكانوا يفعلونَ بنسائهم  
 كذلك إذا حَضْنَ .

وكان سابورُ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، فَرَأَاهَا ورأَتْه ، وعشِقَها وعشِقَتَه ،  
 فأرسلَتْ إليه : ما تَجْمَلُ لى إن دَلَلْتُكَ على ما تَهْدِمُ به هذه المدينة وتقتلُ أبى ؟  
 قال : أَحْكَمُكَ ، وأرْفَعُكَ على نَسائى ، وأخْصُكِ بِنَفْسى دونهنَّ .

(١) شهرزور : كورة واسعة بين إربل وهمدان .

(٢) الصلادمة : القوية الشديدة .

(٣) الهرابد : خدم نار الجوس ، واحده هرابد .

(٤) دلفنا : قربنا .

(٥) الربض : ما حول المدينة من خارج .

قالت : عليكَ بحمامةٍ مطوّقةٍ ورّقاء ، فأُكْتُبُ في رِجْلِها بِحَيْضٍ جارِيَةٍ تَكُونُ زَرِّقَاءَ ، وَأُرْسِلُها فَإِنها تَقَعُ على حائِطِ المَدِينَةِ ، فَتَقْدَعُ المَدِينَةَ ، وَكانَ ذلِكَ طَلَسَمَها<sup>(١)</sup> لا يَهْدِمُها إِلا هُوَ . ففعل ، وتَأَهَّبَ لَهُم ، وَقالت لَهُ : أَنا أُسْقِي الحَرَسَ الحَمْرَ ، فَإِذا صُرِعوا فَأَقْتُلُهُم وَأَدْخُلِ المَدِينَةَ . ففعل ، فَتَدَاعَتِ المَدِينَةَ ، وَفَتَحَها سابورُ عَنوَةً ، وَقَتَلَ الصَّيْزَانَ يَوْمَئِذٍ ، وَأَبادَ بَنِي العَمَيْدِ ، وَأَفْنَى قُضاعَةَ الَّذِينَ كانوا مَعَ الصَّيْزَانَ ، فلم يَبْقَ مِنْهُم باقٍ يُعْرَفُ إِلى اليَوْمِ ، وَأُصِيبَتْ قَبائِلُ حُلوانَ وَأَنْقَرَ ضوا ودرَجوا .

فقال في ذلك عمرو بن آله<sup>(٢)</sup> ، وكان مع الصَّيْزَانَ :

أَلَمْ يَحْزُنْكَ وَالْأَنْبِيَاءُ تَنْمِي      بِما لاقَتْ سَراةُ بَنِي العَمَيْدِ<sup>(٣)</sup>  
وَمَصْرَعُ صَيْزَانَ وَبَنِي أَبِيهِ      وَأَحْلاصِ الكَتائِبِ مِنْ تَزِيدِ<sup>(٤)</sup>  
أَتاهُمْ بِالْفَيْوُولِ مُجَلَّاتٍ      وَبِالأَبْطالِ سابورُ الجُنودِ  
فَهَدَمَ مِنْ أَواسِي الحَضْرَ صَخْرًا      كانَ نِقالَهُ زُبْرُ الحَدِيدِ<sup>(٥)</sup>

فأَحْرَبَ سابورُ المَدِينَةَ ، وَأَحْتَمَلَ النَضِيرَةَ بِنْتَ الصَّيْزَانَ ، فَأَعْرَسَ بِها بِعَيْنِ التَّمْرِ<sup>(٦)</sup> ، فلم تَزَلْ ليلَها مَتَضَجِّرةً مِنْ خُسُونَةٍ فُرِثَها ، وَهِيَ مِنْ حَرِيرِ مُحْشُوَّةٍ بِالقَرزِ ، فَالْتُمِسَ ما كانَ يُؤْذِيها ، فَإِذا هُوَ ورقةُ آسٍ مِلْتَصِقَةٌ بِمُكِنَّةٍ مِنْ عَكانِها قَدِ انْتَرَتْ فِيها ، وَكانَ يُنْظَرُ إِلى مُخَّها مِنْ لِينِ بَشَرَتِها .

(١) الطلسم : السر المكتوم .

(٢) في تاريخ الطبري ١ : ١٨٢٨ (طبع أوزبا) : « عمر بن إله » .

(٣) تنمى : تشيع . والباء في قوله : « بما لقت » زائدة وما لقت : فاعل لقوله : « يحزنك »

(٤) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .

(٥) الأواسى : جمع آسية ؛ وهى ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية وغيرها .

(٦) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .

فقال لها سابور : وَيْحَكَ ! بَأَى شَيْءٍ كَانَ أَبُوكَ يَمْدُوكِ ؟ قالت : بِالزُّبْدِ وَالْمُخِّ  
 وَشُهْدِ الْأَبْكَارِ مِنَ النَّحْلِ ، وَصَقْمَةِ الْخَمْرِ . قال : وَأَيْكِ لِأَنَا أَحَدْتُ عَهْدًا  
 بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَثَرُ لَكَ مِنْ أَيْكِ الَّذِي غَدَاكَ بِمَا تَذْكُرِينَ . ثم أمر رجلاً فركب  
 فرساً بجوحاً ، وضمّر غداً رها بذنبه ، ثم استتر كضها فقطعها قطعاً ، فذلك قولُ  
 الشاعر :

أَفْقَرَ الْحَضْرُ مِنْ نَضِيرَةَ فَالِمِرِّ بَاعُ مِنْهَا فِجَانِبُ الثَّرَائِرِ (١)  
 وَكَانَ الضَّيْرُنُ صَاحِبُ الْقَصْرِ يُكَلِّبُ : السَّاطِرُونَ .

وأما صاحبُ الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة - والشقيقة أمه - أو هو الذي  
 سآح على وجهه فلم يعلم له خبر ، والشقيقة أمه بنتُ أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ،  
 وهو النعمان بن أمري القيس بن عمرو بن أمري القيس بن عمرو بن عدي بن نصر  
 ابن ربيعة بن الضخم اللخمي ، وهو صاحب الخورنق .

وكان سببُ بنائه أن يزِدَ جرَدَ بنَ سابور كان لا يبسقى له ولد ، فسأل عن منزلٍ  
 صحيحٍ من الأدواء والأسقام ، فدلَّ على ظهر الحيرة فدفَعُ ابنه بهرام إلى النعمان  
 ابن الشقيقة - وكان عامله على أرض العرب - وأمره أن يبني الخورنق مسكناً له  
 ولأبنه ، ويُنزله إياه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب .

وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له : سِنِّمَار ، فلما فرغ من بنائه عجبوا  
 من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنكم توفونني أجرني وتضمنون بي  
 ما استحقته لبنيته بئاء يدور مع الشمس حيثما دارت .

فقالوا : وإنا لك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنيه ! فأمر به فطرح من رأس  
 الخورنق (٢) .

(١) الثرائر : واد بين سنجار وتكريت .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « الجوسق » ، والجوسق : القصر .

وقيل : إنه قال : إني لأعرف في هذا القصر موضع عيب إذا هُدِمَ تداعى القصرُ  
أجمع ، فقال له : أما والله لا تدلّ عليه أحدا ، ثم رُميَ به من أعلى القصر .  
فقال الشعراء تذكُّر ذلك في أشعارهم ، منها قولُ أبي الطَّمَحانِ القَيْمِيِّ :

جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاها وَرَبَّها      وَبِاللَّاتِ وَالْمَرْيِ جَزَاءَ الْمَكْفَرِ<sup>(١)</sup>

وكان عبدُ المَرْيِ بنُ أمْرِئِ القَيْسِ الكَلْبِيِّ قد أهدى إلى الحارثِ بنِ ماريةَ  
النَّسَّانِي أفراسا ووَفَدَ إليه ، فأعجبه وأختصه .

وكان للملكِ أبنٌ مسترضعٌ في عبيدِ<sup>(٢)</sup> وَدٍ مِنْ كَلْبٍ ، فنهشته حيةٌ ، فظنَّ  
الملكُ أنهم قد أعتالوه ، فقال لعبدِ المَرْيِ : جئني بهؤلاء القوم . فقال : هم قومُ أحرارٍ ،  
ليس لي عليهم فضلٌ في نَسَبٍ ولا فِعلٍ . فقال : لَتَأْتِيَنِي بِهِمْ أو لَأَفْعَلَنَّ وَأَفْعَلَنَّ .  
فقال له : رَجَوْنَا مِنْ حِبَائِكَ<sup>(٣)</sup> أَمْرًا حالَ دونه عِقَابُكَ ، ودعا أبنَيْهِ شَرِاحِيلَ  
وعبدَ الحارثِ ، وكتبَ معهم إلى قومه بهذين البيتين :

جَزَانَا جَزَاهُ اللهُ شَرًّا جَزَائِهِ      جَزَاءَ سِنِمَارٍ وما كان ذا ذَنْبٍ

سَوَى وَضَعَهُ الْبُنْيَانَ عِشْرِينَ حِجَّةً      يُعَلِّي عَلَيْهَا بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكْبِ<sup>(٤)</sup>

ولما نعى النعمانُ بنُ المنذرِ إلى النابغةِ الدُّبَيَّانِي ، وحدثَ بما فعله كِسْرَى معه ،

قال : طلبه من الدهرِ طالبُ الملوكِ ، ثم تمثَّل :

مَنْ يَطْلُبُ الدَّهْرُ تُدْرِكُهُ مَخَالِبُهُ      والدَّهْرُ بِالْوَتْرِ نَاجٍ غَيْرُ مَطْلُوبِ<sup>(٥)</sup>

(١) المكفر : المحسن المجهود لإحسانه .

(٢) الأغاني : « في بني عبد ود » .

(٣) الحباء : العطاء .

(٤) القراميد : مفردة قرمد ؛ وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص . وفي الحيوان

١ : ٢٣ : « سبعين حجة » .

(٥) الوتر : الذحل والتأثر .

مَامِنْ أَناسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ  
إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شِدَّةَ الدَّيْبِ  
حَتَّى يُبِيدَ عَلَى عَمْدٍ سَرَانَهُمْ  
بِالنَّافِذَاتِ مِنَ النَّبْلِ الْمَصَابِيحِ  
إِنِّي وَجَدْتُ سِهَامَ الْمَوْتِ مُعْرِضَةً (١)

قال يونس النحوي: مات رجلٌ من جُنْدِ الشَّامِ ، عَظِيمُ القَدْرِ فِيمِهِمْ ، لَهُ عِزٌّ ، فَحَضَرَ الحِجَّاجُ جَنَازَتَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَجَلَسَ عَلَى قَبْرِهِ ، وَقَالَ : لِيُنزَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : رَحِمَكَ اللهُ أبا فلان (٢) ! إِنَّكَ كُنْتَ لَتُجِيدُ العِنَاءَ ، وَتُسْرِعُ رَدَّ الكَأْسِ ، وَلَقَدْ وَقَعْتَ فِي مَوْضِعٍ سَوْءٍ لَا تَخْرُجُ وَاللَّهِ مِنْهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَالدَّكَّةِ .

فَمَا تَمَّاكَ الحِجَّاجُ أَنْ ضَحِكَ - وَكَانَ لَا يُكْثِرُ الضَّحِكَ فِي جِدِّ وَلَا هَزَلٍ -  
وَقَالَ لَهُ : أَهَذَا مَوْضِعٌ هَذَا ! لَا أُمَّ لَكَ ! فَقَالَ : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، فَرَسُهُ حَيْسٌ  
فِي سَبِيلِ اللهِ ؛ لَوْ سَمِعَهُ الأَمِيرُ يَتَغَنَّى فِي شِعْرِ عَدِي :

يَا لُبَيْنِي أَوْقِدِي النَّارَا      إِنَّ مَنْ سَهَوَيْنَ قَدْ حَارَا  
رُبَّ نَارٍ بَتُّ أَرْقُمُهَا      تَقْضِمُ الهِنْدِيَّ وَالنَّارَا  
عِنْدَهَا ظَنِّي يُوْرُثُهَا      عَاقِدٌ فِي الجِيدِ تَقْصَارَا

لَأَتْنِي الأَمِيرُ عَلَى سَعْنَةٍ - وَكَانَ المَيْتَ يَلْقَبُ : سَعْنَةً - فَقَالَ : إِنَّا اللهُ ! أَخْرَجُوهُ مِنَ القَبْرِ !  
مَا أَيْبَنَ حُجَّةً أَهْلَ العِرَاقِ فِي جَهْلِكُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ . وَكَانَ سَعْنَةُ هَذَا المَيْتِ  
مِنْ أَوْحَشِ خَلْقِ اللهِ كَلَّهِمْ صُورَةً ، وَأَذَمَّهُمْ قَامَةً ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ حَضَرَ القَبْرَ  
حَتَّى (٣) أُسْتَفْرَغَ ضَحْكَهَا .

(١) مغرصة : تصيب الغرض .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « أبا قنان » .

(٣) في الأغاني : « إلا » .

## ذِكْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَرْطَاةٍ\*

هو عبد الرحمن بن أَرْطَاةٍ - وقيل: عبد الرحمن بن سَيْحَانَ بنِ أَرْطَاةٍ - بنِ سَيْحَانَ  
ابنِ عَمْرٍو بنِ نَجِيدِ بنِ سَعْدِ بنِ لَاحِبِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ شُكْمِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَوْفِ  
ابنِ زَيْدِ بنِ بَكْرِ بنِ عُمَيْرِ بنِ عَلِيِّ بنِ جَسْرِ بنِ مُحَارِبِ بنِ خَصَفَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلَانَ  
ابنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ .

وَأُمُّ جَسْرِ بنِ مُحَارِبِ كَأْسُ بنتِ بَكْرِ بنِ وائِلِ . وشُكْمُ أَوَّلُ مُحَارِبِ بنِ سَادِ  
قَوْمِهِ ، وَأَجُودُهُم<sup>(١)</sup> رَأْيًا لِنَفْسِهِ .

وكانوا جيراناً لهوازن ، وآلُ سَيْحَانَ حُلَفَاءُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ  
ابنِ عَبْدِ مَنْفٍ ، و [ بمنزلة ]<sup>(٢)</sup> بعضهم عندهم خاصة ، وعند سائر بني أمية عامة .  
وقال عبد العزيز بنُ عُمَرَان : بنو سَيْحَانَ من بني جَسْرِ بنِ مُحَارِبِ ،  
وبنو عبدِ مَنْفٍ أدَّعَوْا حِلْفَهُمْ ، وهم ليسوا بأحلافهم .

وقال أبو غسان محمد بنُ يحيى : لما قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر ؛ بعثت  
قريشُ أَرْطَاةَ بنِ سَيْحَانَ حليفَ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةِ إلى الشراة<sup>(٣)</sup> ، يحذّر من بها من  
تجار قريش . وخرج حاجزُ الأزدِ ليُخْبِرَ قَوْمَهُ ، فسبَّقه أَرْطَاةُ ، وقال في ذلك  
- وقد حذّرهم فَنَجَّوْا:

\* ترجمته في الأغاني ٢ : ٢٤٢ - ٢٦٠ ( طبع دار الكتب ) .

(١) الأغاني : « وأبذهم رأساً بنفسه » .

(٢) من الأغاني .

(٣) الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .



مثل الحليف يَشُدُّ عُرْوَتَهُ      يَثْنِي العِنَاجُ لَهُ مَعَ الكَرَبِ (١)  
 زَلَمْتُ إِذَا يَسَّرُوا بِهِ يُسْرَهُ      وَمُنَاضِلٌ يَجْمَعِي عَنِ الحَسَبِ (٢)  
 هَلْ تَشْكُرُنْ فِهْرٌ وَتَاجِرُهَا      ذَاتَ السَّرَى بِاللَّيْلِ وَالْحَبَبِ (٣)  
 حَتَّى جَلَوْتُ لَهُمْ يَقِينَهُمْ      بَنِيانَ لَا لَبْسَ وَلَا كَذِبِ (٤)

وكان عبدُ الرحمن شاعراً مُقَلِّلاً إسلامياً ، ليس من الفحول المشهورين ، ولكنه كان يقول في الشراب والغزل والفخر. ومدح أخلافه من بني أمية كواحد منهم ؛ إلا أن اختصاصه بآل أبي سفيان وآلِ عثمان خاصة كان أكثر ، وخصوصه بالوليد بن عثمان ، ومؤانسته له أزيد من خصوصه بسائرهم ؛ لأنهما كانا يتنادمان على الشراب .

وكان حليفاً لقريش ، ينزل المدينة ، وأصابه ذات يوم خُمَارٌ (٥) ، فذهب لسانه ، وسكنت أطرافه ، وصرخت أهله عليه ، فأقبل الوليدُ إليه جزعاً ، فلما رآه قال : أخي مخمورٌ وربُّ الكعبة ! ثم أمر غلاماً له ، فأتاه بشرابٍ من منزله في إداوة ، فأمر به فأسخن ، ثم سقاه إياه وقِيَاءً ، وصنع له حساءً (٦) ، وجعل على رأسه دهنًا ، وجعل رجله في ماءٍ سُخْنٍ فما لبث أن أنطلق (٧) وتكلم ، وذهب ما كان به .

(١) العنّاج ، قال في اللسان : عنّاج الدلو عروة في أسفل الغرب من باطن ، تشد بوثاق إلى أعلى الكرب ؛ فإذا انقطع الحبل أمسك العنّاج الدلو أن يقع في البئر . والكرب : الحبل الذي يشد على الدلو .

(٢) الزلم : أصل القدح الذي لا ريش فيه . ويسروا : لعبوا الميسر .

(٣) السرى : السير بالليل عامة . والحبيب : ضرب من السير .

(٤) في الأغاني : « بنيان لا ألس » ، والألس : الحياة .

(٥) الحمار : ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها .

(٦) الحساء : طبخ يتخذ من دقيق وماء ودهن ، وقد يحلى ويكون رقيقاً يحسى .

(٧) أى مشى بطنه .

ومات الوليدُ بعد ذلك ؛ فبينما ابن سَيِّحَانَ جالسٌ ، وبمضٍ مَتَاعِهِ يُنْقَلُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ ؛ إِذْ مَرَّ الخَادِمُ بِإِدَاوَةِ الوليدِ الَّتِي دَاوَاهُ بِمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الشَّرَابِ ، وَقَدْ يَلَيْسَتْ وَتَقَبَّضَتْ ، فَاتَّحَبَّ وَقَالَ :

لَا تَبْعَدَنَّ إِدَاوَةُ مَطْرُوحَةٍ  
 إِنْ تُصْبِحِي لِأَشْيَاءِ فِيكَ فَرُبَّمَا  
 بِأَبِي الْوَلِيدِ وَأُمِّ نَفْسِي كَلَّمَا  
 أَنْوَى فَأَكْرَمَ فِي الثَّوَاءِ وَقُضِّيتُ  
 كَمَا عِنْدَهُ مِنْ نَائِلٍ وَسَمَّاحَةٍ  
 وَكَرَامَةٍ لِلْمُعْتَفِينَ إِذَا أَعْتَفَوْا  
 لَمَّا أَتَيْنَاهُ أَتَيْنَا مَا جَدَّ أَلْ  
 قَالَ الْوَلِيدُ بِيَدِي لَكُمْ رَهْنٌ بِمَا  
 فَإِلَى الْوَلِيدِ الْيَوْمَ حَنْتَ نَاقَتِي  
 حَنْتَ إِلَى بَرَقٍ فَقَلْتُ لَهَا قِرَى  
 كَانَتْ قَدِيمًا لِلشَّرَابِ الْعَاتِقِ <sup>(١)</sup>  
 أُتْرِعَتْ مِنْ كَأْسٍ تَلْدُ لِدَائِقِ  
 بَدَتْ النُّجُومُ وَذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ  
 حَاجِنًا مِنْ عِنْدِ أَرْوَعٍ بَاسِقِ  
 وَشَمَائِلٍ مِيمُونَةٍ وَخِلَاقِ <sup>(٢)</sup>  
 فِي مَالِهِ حَقًّا وَقَوْلٍ صَادِقِ <sup>(٣)</sup>  
 أَخْلَاقِ سَبَاقًا لِقَرْمٍ سَابِقِ <sup>(٤)</sup>  
 حَاوَلْتُمْكُمْ مِنْ صَامِتٍ أَوْ نَاطِقِ <sup>(٥)</sup>  
 تَهَوَّى بِمُغَبَّرِ الْمُتُونِ سَمَالِقِ <sup>(٦)</sup>  
 بَعْضَ الْحَنِينِ فَإِنْ شَجَّوْكَ شَائِقِي

وقيل : كان الوليدُ بن عُثْمَانَ ذَا غَلَّةٍ بِالْحِجَازِ ، فَكَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي زَمَنِ التَّمَرِ بَقَرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، يَجْنُونَ لَهُ وَيُعَاوِنُونَهُ ، فَكَانَ إِذَا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ خَرَجَ بِهِمْ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ نَفَقَاتَ أَهْلِهِمْ إِلَى رَجْعَتِهِ .

(١) الأغانى : « كانت حديثا » .

(٢) فى الأغانى : « وفضائل معدودة » .

(٣) المعتفون : جمع معترف ؛ وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق . وفى الأغانى : « وسماحة »

موضع : « وكرامة » .

(٤) القرم : السيد الكريم .

(٥) الأغانى : « حاولتم » .

(٦) ب ، ج : « فإلى الوليد لىه » ، وما أثبتته من الأغانى .

فخرج بهم مرةً وفيهم ابن سيحان ، فقال ابن سيحان : زودوني من شرابكم هذا ، فزودوه إداوةً ، فملئوها له ، فكان يسعى بها في طريقه حتى قدم على أهله ، فالتقاها في جانب بيته فارغةً .

فكثرت زماناً لا يذكرونها ، ثم كنسوا البيت فأروها مُلقاةً ، فقال الأبيات :

\* لا تبعدن إداوةً مطروحةً \*

وكان عبد الرحمن بن سيحان المحاربي شاعراً حلو الأحاديث ، عنده أحاديث حسنة غريبة من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ؛ وكان على ذلك يُصيب من الشراب ، فكان كل من قدم من ولاة بني أمية وأحاديثهم يدعوه ويناديه . فلما ولي الوليد بن عقبة بن أبي سفيان ، وعزل مروان ، وجد مروان في نفسه - وكان قد سبَّه (١) - فحقد عليه واضطغنه .

وكان الوليد يُصيب من الشراب ، ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه ، وابن سيحان لا يظن أن مروان يفعل به الذي فعله بمد أن مدحه ووصله ؛ ولكن مروان أراد فضيحة الوليد ، فرصده ليلة في المسجد .

وكان ابن سيحان يخرج في السحر من عند الوليد ثملاً ، فيمر في المقصورة من المسجد حتى يخرج على زقاق عاصم . وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلّي ، وكان كذلك عبد الله بن حنظلة وغيرها من القراء ، فلما خرج ابن سيحان ثملاً من دار الوليد ، وأخذ مروان وأعوانه ، ثم دعا له محمد بن عمرو ، وعبد الله بن حنظلة ، وأشهدهما على سُكره ، وسأله أن يقرأ أم الكتاب ، فلم يقرأها ، فدفعه إلى صاحب شُرطته فحبسه .

(١) سبّه : شتمه .

فلما أصبح الوليدُ بلغه خبرُهُ ، وشاعَ في المدينة ، وعَلِمَ أن مروانَ إنما أراد أن يفضَّحه ، وأنه لو لقيَ ابنَ سَيِّحَانَ تَمَلًّا خارجًا من عند غيره لم يَمْرُضَ له . فقال الوليدُ : لا يُبرئني عند أهل المدينة إلا ضَرْبُ ابنِ سَيِّحَانَ ، فأمرَ صاحبَ شُرطَتِهِ ، فضربَهُ الحَدَّ ثمانينَ سَوْطًا ، ثم أرسلَهُ ، فجلسَ ابنُ سَيِّحَانَ في بيته لا يَخْرُجُ حياءَ من الناس .

فجاءَ عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ بنِ هشامِ في ولده - وكان له جَلِيسًا - فقال له : ما يَجِلسُكَ<sup>(١)</sup> في بيتك ؟ قال : الأستحياءُ من الناس . قال : أخرجَ أيُّها الرَّجُلُ - وكان عبدُ الرحمنِ قد سَهِلَ له معه كَسْوَةٌ - فقال له : ألبسْها وأخرج<sup>(٢)</sup> معنا إلى المسجدِ ، فهذا أحرَى أن يُكذَّبَ به مكذِّبٌ ، ثم ترَحَّلْ إلى أميرِ المؤمنينِ فتنخِّره بما صنعَ بك الوليدُ ؛ فإنه يَصِلُكَ ويُبِطِّلُ عنك الحدَّ .

فراحَ مع عبدِ الرحمنِ في جماعةٍ ولدهِ متوسِّطًا لهم حتى دخلَ المسجدَ ، فصلى ركعتينِ ، ثم تسانَدَ مع عبدِ الرحمنِ إلى الأُسْطُوَانَةِ ، فقائل يقول : لم يُضْرَبْ . وقائل يقول : أنا رأيتُهُ يُضْرَبُ . وقائل يقول : عَزَّرَ أسواطا .

فكثَ أيا ما ثم رحَلَ إلى معاويةَ ، فدخلَ على يزيدَ فشرِبَ معه ، وكلمَ يزيدُ أباه معاويةَ في أمرِهِ ، فدعا به ، فأخبرَهُ بقصَّتِهِ ، وما صنَعَ به مروانُ . فقال : قَبِحَ اللهُ الوليدُ ! ما أضعَفَ عقلَهُ ! أما أستَحْيَا من ضَرْبِكَ فيما شَرِبَ ! وأما مروانُ فإنِّي ما كنتُ أحسبُهُ يبلُغُ هذا منك مع رأيكَ فيه ، ومودَّتِكَ له ؛ ولكنَّهُ أراد أن يضعَ الوليدَ عندِي ، ولم يُصِبْ ، وقد صَيَّرَ نفسه في حدِّ كُنَّا ننزِّههُ عنه ، صارَ شُرْطِيًّا . ثم قال لكَاتبِهِ : اكتبْ : « بسمِ اللهُ الرحمنِ الرحيمِ ، من معاويةَ إلى الوليدِ بنِ عُقْبَةَ :

(١) الأغاني : « ما يجلسك » .

(٢) الأغاني : « ورح » .

أما بعد ؛ فالمعجب لضربك ابن سيجان فيما تشرب منه ، وإنك ضربته في نبذ أهل الشام الذي يستعملونه وليس بحرام ؛ وإنما ضربته حيث كان حليفاً إلى أبي سفيان بن حرب ! وأيم الله ! لو كان حليفاً للحكم ما ضربته ، فأبطل عنه الحد ، أو لأقيدته منك قبل أن أضرب من أخذ معه ، وهو أخوك عبد الرحمن ابن الحكم ؛ فطف به في حلق المسجد ، وأخبرهم أن صاحب شرتك تعدى عليه وظلمه ، وأن أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه .

ليس ابن سيجان الذي يقول :

وإني أمرؤ أنمى إلى فضل الربا<sup>(١)</sup>  
 إلى نضدٍ من عبد شمس كأنهم  
 ميامين يرضون الكفاية إن كفوا  
 غطارفة سادوا البلاد فأحسنوا  
 فمن يك منهم مؤسراً يفش فضله  
 وإن تبسط النعمى لهم بسطوا بها  
 إذا انصرفوا للحق يوماً تصرفوا  
 سموأ فعلوا فوق البرية كلها

عديداً إذا أرفضت عصا المتحلف  
 هضاب أجا أركانها لم تقصف<sup>(٢)</sup>  
 ويكفون ما واثوا بغير تكلف  
 سياستها حتى أقرت المردي<sup>(٣)</sup>  
 ومن يك منهم معسراً يتعفف  
 أكفا سباطا نفعها غير مقرف<sup>(٤)</sup>  
 إذا الجاهل الحيران لم يتصرف  
 ببنيان عالٍ من منيف ومُشرف

(١) الأغاني : « الورى » .

(٢) النضد ، بالتجريك : الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف ، وأجا ، مخفف « أجا »

أحد جبلى طي .

(٣) الغطارفة : السادة الأشراف والمردي : اسم فاعل من « أردف » ، بمعنى تبع .

(٤) سباط : جمع سبط ؛ وهو السمع الكريم . وغير مقرف غير متهم بما يشينه .

وكتب إليه أن يُعطى مائة شاة<sup>(١)</sup> وثلاثين لِقْحَةً مما يُوطِن السَّيَالَةَ<sup>(٢)</sup> ،  
وأعطاء هو خمسمائة دينار ، وأعطاء يزيد مائتي دينار .

فلما ورد الكتابُ على مروانَ عَظُمَ ذلكَ عليه ، ودعا بأبنة عبدِ الملكِ ،  
فقرأه عليه ، وشاوره فيه ، فقال له عبدُ الملكِ : راجِعْه فيه ولا تكذِّبْ نفسَكَ ،  
ولا تُبْطِلْ حُكْمَكَ .

فقال مروانُ : أنا أعلمُ بِحَمَاقَاتِ<sup>(٣)</sup> معاويةَ منك ، فلما كان يومَ الجمعةِ فرغَ  
من الخطبةِ ، فقال : وابنِ سَيْحَانَ ! فَإِنَّا كَشَفْنَا أمرَهُ ، فإذا هو لم يَشْرَبْ مُسْكِرًا ،  
وإذا نحن قد أَعْجَلْنَا عليه ، وقد أَبْطَلْتُ عنه الحَدَّ .  
ثم نزل ، فأرسلَ إليه بالْفَى درهم .

ودعا الوليدُ عبدَ الرحمنِ بنِ سَيْحَانَ أن يعودَ للشَّرَابِ معه ، فقال : واللهِ  
لا أذوقُ شَرَابًا أبدا .

ولما قَدِمَ سعيدُ بنُ عُثْمَانَ المدينةَ قَتَلَهُ غِلْمَانٌ جاءَ بِهِمْ مِنَ الصُّغْدِ<sup>(٤)</sup> ، وكان معه  
عبدُ الرحمنِ بنُ أَرْطَاةَ بنِ سَيْحَانَ ، حليفُ بنِي الحَارِثِ بنِ أُمَيَّةَ ، فهِرَبَ عنه  
لَمَّا قَتَلُوهُ .

فقال خالدُ بنُ عُمَيْدَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، يَرِثِي سَعِيدَ بنِ عُثْمَانَ - وَعُثْمَانُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ - :  
يَا عَيْنُ جُودِي بدمعِ منكِ تَهْتَانَا      وَأَبِي سَعِيدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ عَقَانَا  
إِنَّ ابْنَ زَيْنَةَ لَمْ تَصْدُقْ مَوَدَّتَهُ      وَفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أَرْطَاةَ بنِ سَيْحَانَا

(١) في الأغاني « أربعمائة شاة » .

(٢) السَّيَالَةُ : أولُ مرحلةٍ لأهلِ المدينةِ إذا أرادوا مكة .

(٣) الأغاني : « بزمات » .

(٤) الصغد : موضعٌ بسمرقند .

وقال ابن سيحان [يَعْتَدِرُ مِنْ ذَلِكَ] (١) :

يقول رجالٌ قد دَعَاكَ فَلَمْ تَجِبْ  
فإن كان نادى دَهْوَةً فَسَمِعْتَهَا  
وإلَّا فَكَانَتْ بِالَّذِي قَالَ بَاطِلًا  
يَلُومُونَنِي أَنْ كُنْتُ فِي الدَّارِ حَاسِرًا  
فقال بعضُ الشعراءِ يُجِيبُهُ :

فإنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَكِنْ رَأَيْتَهُ  
وَأَسَامَتَهُ لِلصُّغْدِ تَدْمَى كَلُومُهُ  
وما كان فيها خالدٌ بِمَعْدَرٍ  
فلا زِلْتُمَا فِي غُلٍّ سَوْءٍ لِعِبْرَةٍ

وقال العُتْبِيُّ : لَمَّا قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَتْ أُمُّهُ : أَشْتَهَى أَنْ يَرْتِيَهُ

شاعراً كما في نَفْسِي حَتَّى أُعْطِيَهُ مَا يَحْتَكِمُ ، فقال فيه ابن سيحان :

إن كنتِ باكِيةً فَتِي  
فَارَقْتَ أَهْلَكَ بَغْتَةً  
أَذْرِي دُمُوعَكَ وَالِدِّمَا  
فَأَبْسِكِي هُبَيْلَتِ عَلِيٍّ سَعِيدِ (٥)  
وَجَلَبَتِ حَتْفَكَ مِنْ بَعِيدِ  
عَلَى الشَّهِيدِ ابْنِ الشَّهِيدِ

فَقَالَتْ : هَكَذَا كُنْتُ أَشْتَهَى أَنْ يَقَالَ فِيهِ ؛ وَوَصَلَتْ ابْنَ سَيْحَانَ ، وَكَانَتْ

تَنْدُبُهُ بِهَذَا الشُّعْرِ .

(١) نسكلمة من الأغاني .

(٢) استنك مني المسامع ، أي صممت .

(٣) الدارع : لابس الدرع .

(٤) العنذر : الذي لم يثبت له عنذر .

(٥) ب ، ج ، « باكية دما » ، والأجود ما أثبتته من الأغاني .

وكان ابن سَيِّحَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ ، فدخل على ابنِ عَمِّ له يقال له : الحارث ابن سَرِيحٍ ، فوجده يَشْرَبُ نَبِيذَ الزَّيْبِ ، فجعل يَمِطُهُ ويأمره بِشُرْبِ الخمر ، وقال له : يَا ابنَ سَرِيحٍ ، إن كنتَ تشربُهَا حَلَالًا إِذْ نَبِيذُ الزَّيْبِ حَلَالٌ لَكَ ؛ فَإِنَّكَ أَحَقُّ ، وَإِنْ كُنْتَ تشربُهُ على أَنَّهُ حَرَامٌ تَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وتَتُوبُ فَأَشْرَبُ أَجُودَهُ ؛ فَإِنَّ الْوِزَرَ وَاحِدٌ ، ثم قال :

وَحَدُّهَا سُلَافًا حَيَّةٌ مُرَّةٌ الطَّعْمِ	دَعِ ابْنَ سَرِيحٍ شُرْبَ مَا كَانَ (١) مُرَّةً
إِذَا حَرَّمْتَ قُرَاؤَنَا حَلَبَ الْكِرْمِ	تَدْعُكَ عَلَى مُلْكِ ابْنِ سَاسَانَ قَادِرًا
زِيَادٌ عَلَى صَهْبَاءَ رَاوَوْقَهَا يَهْمِي (٢)	فَشْتَانٌ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيْتِ فَأَهْتَرُمُ
بَنِيهِ وَعَمِّي جَاوَزَ اللَّهُ عَنْ عَمِّي	فَإِنَّ سَرِيماً كَانَ أَوْصَى بِحُبِّهَا
عَلَيْهَا إِلَى أَنْ غَابَ تَالِيَةُ النَّجْمِ (٣)	وَيَارُبُّ يَوْمٍ قَدْ شَهِدْتُ بَنِي أَبِي
تُدَارُ عَلَيْهِمُ بِالصَّنْفِيرِ وَالصَّخْمِ	حَسَوُهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَالشَّمْسِ حَيَّةٌ
مُشَعَّشَةٌ كَالنَّجْمِ تُوصَفُ بِالْوَهْمِ (٤)	فَمَاتُوا وَعَاشُوا وَالْمُدَامَةُ بَيْنَهُمْ

وكان ابن سَيِّحَانَ ضَرَبَ رجلاً من أحواله بِالسَّيْفِ ، فَقَطَعَ يَدَهُ ، ولم تَقَمْ عليه بَيِّنَةٌ ، فَقَامَرَ بهِ القَوْمُ ، ومنع منه ابنُ خَالٍ له ، وخاف الوليدُ بنُ عُقْبَةَ أَنْ يرجع إلى المدينة هَارِباً منهم ؛ خوفاً مِنْ جِنَايَتِهِ عَلَيْهِمْ ، فيفارقَهُ وينقطعَ عنه ، فدعاهم فَأَرْضَاهُمْ وَأَعْطَاهُمْ دِيَةَ صَاحِبِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ عندَ الوليدِ حتَّى عُزِلَ ، وهو يُدْنِيهِ وَيُصْفِيهِ (٥) ، وهو القائلُ في الوليد :

(١) في الأغاني : « مامات » .

(٢) رواية الأغاني :

\* على مِزَّةٍ صَفراءَ رَاوَوْقَهَا يَهْمِي \*

(٣) في اللسان : « وتوَالَى كلُّ شَيْءٍ آخِرُهُ ، وتَالِيَاتُ النُّجُومِ أَخْرَاهَا » .

(٤) مشعشة : ممزوجة .

(٥) في الأغاني : « وهو ندبته وصفيه » .



إِنَّا لَنَشْرِبُهَا حَتَّى نَمِيلَ بِنَا كَمَا تَمِيلَ وَسَنَانٌ بَوْسَنَانٍ  
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مِمَّاذَا اللَّهُ أَنْ أُشْرِبَهَا وَأَنْعَمَتَهَا ، وَلَكِنْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ :  
سَمَوْتُ بِحَلِيفِي لِلطَّوَالِ مِنَ الرَّبَا وَلَمْ تَلْقَى كَالنَّسْرِ فِي مُلْتَقَى جَدَبٍ  
وَقَامَ يَجْرُ مِطْرَفَهُ <sup>(١)</sup> بَيْنَ الصَّفَيْنِ حَتَّى خَرَجَ ، فَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَلَى أَبِيهِ ،  
فَقَالَ : لَوْ أَمَرْتَ بِهَذَا الْكَلْبِ فَضُرِبَ مَائَتِينَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ ؛ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ،  
أَضْرِبُهُ وَهُوَ حَلِيفُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَمَعَاوِيَةُ خَائِفَةٌ بِالشَّامِ ! إِذَنْ لَا يَرْضَى .  
فَلَمَّا حَجَّ مَعَاوِيَةُ لِقِيَاهُ بِمَنَى ، فَقَالَ لَهُ : يَا سَعِيدُ ، أَمَرَكَ أَحْمَقُكَ أَنْ تَضْرِبَ  
حَلِيفِي مَائَتِي سَوْطَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ جَلَدْتَهُ سَوْطًا لَجَلَدْتُكَ سَوْطَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ :  
وَلَمْ ذَاكَ ؟ أَوْ لَمْ تَجْلِدْ أَنْتَ حَلِيفَكَ عَمْرُو <sup>(٢)</sup> بِنِ جَبَلَةَ ! فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : هُوَ لَحْمِي  
آكَلُهُ وَلَمْ أُوْكَلُهُ .

(١) المطرف . رداء من خز مربع ، فيه أعلام .

(٢) الأغاني : « عمر » .

## ذِكْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْغَرِيضِ

الغَرِيضُ لَقَبٌ لُقِّبَ بِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ طَرِيًّا لِوَجْهِ نَضْرًا ، غَضَّ الشَّبَابَ ، حَسَنَ الْمَنْظَرِ . وَالغَرِيضُ : الطَّرِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

قال السكّلي (١) : شُبِّهَ بِالْإِغْرِيزِ - وَهُوَ الْجَمَّارُ - فَسُمِّيَ بِذَلِكَ ، وَثُقِّلَ عَلَى الْأَلْسُنِ ، مُخَذَفَتِ الْأَلْفُ مِنْهُ ، فَقِيلَ الْغَرِيضُ ، وَأَسْمُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو زَيْدٍ .

وقال جماعةٌ مِنَ الْمَسْكِيِّينَ : كَانَ يُكْنَى أَبُو مَرْوَانَ ، وَهُوَ مَوْلَى الْعَبَلَاتِ ، وَكَانَ مَوْلَدًا مِنْ مَوْلَدِي الْبَرْبَرِ ، وَوَلَاؤُهُ ، وَوَلَاءُ بَيْحِي . قِيلَ ، وَسُمِّيَةَ لِلثَّرِيَا صَاحِبَةَ عَمْرِ ابْنِ أَبِي رَيْبِعَةَ ، وَأَخْوَاتِهَا : الرُّضَيَا وَقُرَيْبَةَ ، وَأُمُّ عَمَّانَ ، بِنَاتِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمِّيَةِ الْأَصْفَرِ . وَقَدْ مَضَتْ أَخْبَارُهُنَّ .

وَكَانَ الْغَرِيضُ يَضْرِبُ بِالْعُودِ ، وَيَنْقَرُ بِالذَّفِّ ، وَيُوقِعُ بِالْقَضِيبِ ، وَكَانَ جَمِيلًا وَضِيئًا ، وَكَانَ يَصْنَعُ نَفْسَهُ (٢) وَيُبْرِقُهَا (٣) ، وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَفْتِنِيَ خَيَاطًا ، وَأَخَذَ الْغِنَاءَ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ عَنْ ابْنِ سُرَيْجٍ ، وَكَانَ يَخْدُمُهُ .

فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سُرَيْجٍ طَبْعَهُ وَظَرْفَهُ ، وَحِلَاوَةَ مَنْطِقِهِ ، خَشِيَ أَنْ يَأْخُذَ غِنَاءَهُ ، وَيَنْغَلِبَهُ عِنْدَ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَيَفُوقَهُ بِحُسْنِ وَجْهِهِ وَجَسَدِهِ ، فَأَعْتَلَّ عَلَيْهِ ، وَشَكَاهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَهَنَّ كَنَّ دَفَعْتَهُ إِلَيْهِ لِيَعْلَمَهُ الْغِنَاءَ ، وَجَعَلَ يَتَجَسَّئِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ طَرَدَهُ ،

\* ترجمته في الأغاني ٢ : ٣٥٩ - ٤٠٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) الأغاني : « ابن السكّلي » .

(٢) يصنع نفسه : يقوم على تزيينها وتحسينها .

(٣) يبرقها ؛ أي يزوقها ويزينها .

فشكا ذلك إلى موليآته ، وعرفهن غرضَ ابنِ سُريجٍ في تجنيبه إياه عن نفسه ،  
وأنه حسده على تقدّمه ؛ فقلن له : هل لك أن تسمع نوحنا على قتلتنا ، فتأخذَه ،  
فتغنّي عليه ؟ قال : نعم ، فأفعلن .

فأسمّنه المرآئي ، فأحتذاها ، وخرَجَ غناؤد عليها كالمراثي ، وكان ينوح مع ذلك  
فيدخل المآتم ، وضربتُ دونَه الحُجُب ، فينوح فيمفّن كلٌّ من سَمِعَه ؛ لما كان  
فيه من الشجْو (١) .

وكان ابنُ سُريجٍ لا يغنّي صوتاً إلا عارضه فيه فعنّي فيه لحناً آخر ؛ فلما رأى  
ابنُ سُريجٍ موقعَ الغريضِ أشقّدَ عليه وحسده ، فعنّي الأرمال والأهزاج  
وأشتهاها الناسُ .

فقال له الغريضُ : يا أبا يحيى ، قصرت الغناء وحذفتَه ، قال : نعم ، يا مخنث ،  
حين جعلت نوح على أبيك وأمك !

ولما غضب ابنُ سُريجٍ على الغريضِ وأقصاه وهجره لحق بجوراء وبنوم ،  
نأحتين كانتا بشعب ابنِ عامرٍ بمكة ، ولم يكن قبلهما ولا بعدها مثلهما ، فرأياه  
يوماً يعصر عينيهِ ويبكي ، فقلنا له : مالك تبكي ؟ فذكر لهما ما صنع به ابنُ  
سُريجٍ ، فقلنا له : لا أرقأ اللهُ دمعك ، الرزُّ (٢) رأسك بين ما أخذته عنه ، وبين  
ما تأخذه عنا ، فإن ضمت [ بعدها ] (٣) فأبعدك الله !

وحدث أبو عبد الله الزُّبَيْرِيُّ ، قال : رأيتُ جريراً في مجلسٍ من مجالسِ  
قريشٍ ، فسمعتُه يقول : كان المغنون بمكة اثنين ، فسيّد مبرز ، وتابع مسدد .

فسألناه عن ذلك ، فقال : السيّد أبو يحيى بن سُريجٍ ، والتابع أبو يزيد الغريض .

(١) الأغاني : « الشجا » .

(٢) أي اجعل رأسك بينهما .

(٣) من الأغاني .

وكان هناك رجلٌ عالمٌ بالصناعة ، فقال : كان الفريضُ أحدقَ أهلِ مكةَ بالغناء بعد ابنِ سُرَيْجٍ ، وما زال أصحابنا لا يُفرِّقون بينهما لمقاربتيهما في الغناء .

وقال بعضهم : لو حُكِّمْتُ بين أبي يحيى وأبي يزيدَ لما فرقتُ بينهما ، وإنما تفضيلي لأبي يحيى بالسَّبق ، فأما غيرُ ذلك فلا ؛ لأنَّ أبا يزيدَ من عنده أخذ ، ومن بحره أغترف ، وفي مَيدانه جَرَى ، وكان كأنه هو ؛ ولذلك قالت سُكَيْنَةُ بنتُ الحُسَيْنِ رضَى اللهُ عنه ، لَمَّا غَنَّى ابنُ سُرَيْجٍ والغريضُ :

\* عُوَجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودِجِ \*

والله ما أفرَّق بينكما ، وما مثلكما إلا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجوارى الحسنان ، لا يُدرى أى ذلك أحسن !

وقال عبدُ الرحمن بنُ محمد السَّعْدِيُّ : حضرتُ شطباءَ المغنِّية ، جاريةَ علي بن جعفر ذات يومٍ تُغَنِّي :

ليس بين الحياة والموتِ إلا أن يرُدُّوا جمالَهُمْ فترَمًا (١)  
فطربَ عليُّ بنُ جَعْفَرٍ ، وصاح : سبحانَ اللهُ العظيم ! ألا يُؤكُون (٢) قربةً ،  
ألا يشدُّونَ محملاً ، ألا يملقونَ سفرةً (٣) ، ألا يسلِّمونَ على جار ! هذه والله العجلة .  
قال إسحاق : ولي قضاء مكةَ الأوقص المخزومي ، فسا رأى الناسُ مثله في عفافه ونبله ؛ فإنه لنائمٌ ليلةً إذ مرَّ به سكرانٌ يتغنى :

\* عُوَجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودِجِ \*

فأشرفَ عليه ، وقال : يا هذا ، شربتَ حراماً ، وأيقظتَ نياماً ، وغنيتَ خطأً ، خذْهُ عني فأصاحه له وأنصرف .

(١) الأغاني : « ليس بين الرحيل والبين » .

(٢) أوكى القرية : شدتها بالوكاء ؛ وهو رباطها .

(٣) السفرة هنا : ما يبسط ليؤكل عليه .

حدّث بعضُ المدَنِيِّينَ قال : خرج ابنُ أبي عَتِيقٍ على نَجِيبٍ له من المدينة ، قد أَوْقَرَهُ (١) من طُرُقِ المدينة ، فَلَقِيَ فَتَى من بني مَخْزُومٍ مُقْبِلًا من بعضِ ضِياعِهِ ، فقال له : يا ابنَ أَخِي ، أَتَصَحَّبُنَا ؟ قال : نعم . فلَمَّا كانا قَرِيبًا من مَكَّةَ ، صارا إلى قَصْرِ ، فَاسْتَأْذَنَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فإذا رَجُلٌ جالسٌ كأنَّهُ عَجُوزٌ بَرَبْرِيَّةٌ مَخْتَضِبَةٌ ، وإذا هو الغَرِيضُ وقد كَبِرَ ، فقال له ابنُ أبي عَتِيقٍ : تشوقنا إليك ! وأهدى إليه ما كان معه ، ثم قال : نُحِبُّ أَنْ نَسْمَعَ ، قال : ادعُوا فلانةَ - جاريةً له - ، فجاءت ففنت ، فقال : ما صنعتِ شيئًا ، ثم حلَّ خِصَابَهُ وَغَتَى :

\* عَوْجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهَوْدَجِ \*

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فأقاما عنده ، وَحَبَّازَهُ قائمًا ، وطعامُهُ كثيرٌ . ثم قال ابنُ أبي عَتِيقٍ لأبي يزيد : أريدُ الشُّخُوصَ . فلم يَبِيقَ بِمَكَّةَ تَحْفَةً إِلَّا أَوْقَرَهَا راحِلَتَهُ . فلَمَّا أرتَحَلَا وبرزا صاحَ الغَرِيضِ ، فرَجَعَا إليه ، فقال : ألم تَرَوْا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قال : « يُحْمَشَرُ من بَقِيعِنَا هذا سَبِعمونَ ألفًا على صورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ » ؟ فقال له ابنُ أبي عَتِيقٍ : بلى . قال : هذه سِنٌّ لِي أَنْتَرَعَتْ ، فَأُحِبُّ أَنْ تَدْفِنَهَا في البَقِيعِ .

قال : فخرَجْنَا واللهِ أَخْسَرَ أُنْدَيْنِ ، لم نَعْتَمِرِ ، ولم نَدْخُلْ مَكَّةَ حامِلينَ سِنِّ الغَرِيضِ حتَّى دَفَنَّاها بالبَقِيعِ .

رَوَى بعضُ أهلِ المدينة قال : خرج الغَرِيضُ مع قومٍ ففنتاهم هذا الصوت :

جَرَى ناصحٌ بالوَدِّ بيني وبينها	فقرَّ بنِي يومَ الحِصَابِ إلى قَتَلِي
فقال وأرختُ جانبَ السُّتْرِ إنمَّا	معي ؛ فتكلَّم غير ذِي رِقْبَةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بي لهم من رِقْبٍ	ولسكنِ سرِّي ليس يحمله مِنِّي

فاشقتد سرورُ القومِ ، وكان معهم غلامٌ أعجبهُ ، فطلب إليهم أن يكلموا الغلامَ في الخلوةِ معه ساعةً ، ففعلوا ، فأطلق مع الغلامِ حتى توارى بصخرةٍ ، فلما قضى حاجته أقبل الغلامُ إلى القومِ ، وأقبل الغريصُ يتناولُ حجراً حجراً ويرعها الصخرةُ ، ففعل ذلك مراراً . فقالوا له : ما هذا يا غريص ؟ قال : كأنى بها وقد جاءت يوم القيامة رافعةً ذيلها تشهد على بما كان مِنّا إلى جانبها ، فأردت أن أُجرحَ شهادتها على ذلك اليوم .

ولما أعرضُ ابنُ سُرَيْجٍ عن الغريصِ ، تعلمَ النوحَ وبرز فيه ، فجاء يوماً إحدى مولاته ، وقال : نهتني الجنُّ أن أنوحَ ، وأسمعتني صوتاً عجبياً ، وقد بنيتُ عليه لحنًا ، فأسمعه منى ، وأندفع ، فغنتي بصوتٍ عجيبٍ في شعر المرار الأسدي :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا بَيْنَ ذِي الْعَضَا وَهَضْبِ الْقَتَانِ مِنْ عَوَانٍ وَلَا بَكْرٍ<sup>(١)</sup>  
 أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلًّا وَمَا نَرَى بِهِ عِنْدَ لَيْلَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أُجْرٍ  
 فَكَدِّبْنَاهُ ، وَقَلْنَا : شَيْءٌ فَكَّرَ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ عَلَى هَذَا الْجِنْسِ<sup>(٢)</sup> ، فَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِينَا فَيَقُولُ : سَمِعْتُ الْبَارِحَةَ صَوْتًا مِنَ الْجِنِّ ، بِتَرْجِيمٍ وَتَقْطِيعٍ ، وَقَدْ بَنَيْتُ عَلَيْهِ صَوْتَ كَذَا وَكَذَا ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ وَنَحْنُ نُنْكَرُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّا لَكَذَلِكَ لَيْلَةٌ وَقَدْ أُجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي جَمْعٍ لَنَا ، سَهَرْنَا فِيهِ لَيْلَتَنَا ، وَالْغَرِيصُ يَغْنَمُنَا بِشِعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدِّ الْبُكُورُ نَعَمْ فِلَائِيَّ هَوَاهَا تَصِيرُ  
 أبا النورِ أم أنجدت دارها وكانت حديثاً بمهدى تغورُ  
 نظرتُ بخيفٍ مِنِّي نظرةً إليها فكاد فؤادي يطيرُ

(١) القتان : جبل لبني أسد .

(٢) كذا في ب ، ج : وفي الأغاني : « اللحن » .

إذ سمعنا في بعض الليال عريفاً عجيباً ، وأصواتاً مختلفةً ذعرتنا وأفرعتنا ، فقال لنا الغريص : إن في هذه الأصوات صوتاً عجيباً ، إذا نمتُ سمعتهُ ، فأصبح فأبني عليه غناءً ، فأصغيناً إليه فإذا نعمتهُ نعمةُ الغريص بعينها ، فصدقناه تلك الليلة .

وروى محمد بن سلام قال : حجّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء مكة من القرشيات وغيرهن ، وكان الغريص فيمن جاء ، فدخل النسوة فأمرت لهن بكسوة وألطف<sup>(١)</sup> كانت قد أعدتها لمن جاءها ، فجملتُ تخرج كل واحدة ومعهما جاريتهما حاملةً ما أمرت لها به عائشة ، والغريص بالباب ، حتى خرجت مولاته مع جواريهن الخلع والألطف .

فقال الغريص : أين نصيبي من عائشة ؟ فقلنا : أعفلناك وذهبت عن قلوبنا ، فقال : ما أنا بيارح من بابها ، أو آخذ حظي منها ، فإنها كريمة بنت كرام . ثم أندفع يغني بشعر جميل :

تذكرت ليلى والفؤاد عميدُ وشطت نواها والمزارُ بعيدُ

فقال : ويحكم ! هذا مولى العبلات بالباب ، يذكر بنفسه ، هاتوه فدخل ، فلما رآته ضحكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دعت بأشياء أمرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غديتني صوتاً في نفسي فلك كذا كذا - بشيء سمته له - فغناها في شعر كثير :

وما زلت من ليلى لذن طر شاربي إلى اليوم أخفى حبها وأداجني<sup>(٢)</sup>

وأحمل في ليلى لقوم ضعيفة وتحمل في ليلى على الضغان

فقال : ما عدوت ما في نفسي ، ووصلته ، وأجزلت له .

(١) الألفاظ : جمع لطف ؛ وهو من طرف التحف ما أطفك به أخوك لبره بك .

(٢) طر شاربه : ظلم ونبت .

قال إسحاق : قلت لأبي عبد الله : وهل علمتَ حديثَ هذين البيتين ؟ ولم سألتَ  
العريضَ عن ذلك ؟ قال : نعم .

قال الشعبي : دخلتُ المسجدَ ، فإذا بمُصعبِ بنِ الزُّبيرِ على سريرِ جالسٍ ، والناسُ  
عنده ، فسألتُ ثم ذهبتُ لأنصرفَ ، قال : اذنُ ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على  
مِرافقه<sup>(١)</sup> ، ثم قال : إذا قُمتُ فاتبعيني ، فجلس قليلاً ثم قال : أدخل ، فدخلتُ ،  
فإذا أنا بالحِجَلَة<sup>(٢)</sup> ، وإنها لأولُ حِجَلَة رأيتها لأمير ، فقام ودخلَ الحِجَلَة ، فسمعتُ  
الحركةَ وكرهتُ الجلوسَ ، ولم يأمرني بالانصرافِ .

فإذا جاريةٌ قد خرجتُ ، فقالت : يا شعبي ، الأميرُ يأمرُك بالجلوسِ ، فجلستُ  
على وسادة ، ورفعَ سَجْفَ الحِجَلَة ، وإذا بعائشة بنتِ طلحة ، فلم أرَ زوجين قطُّ كان  
أجلَ منهما ، مُصعبٌ وعائشة . فقال مصعب : يا شعبي ، هل تعرفُ هذه ؟ قلتُ : نعم ،  
أصلحَ الله الأميرَ ! قال : فعنِ هي ؟ قلتُ : سيِّدة نساء العالمين ، عائشة بنتِ طلحة .  
قال : لا ، ولكن هذه التي يقول فيها الشاعر :

\* وما زلتُ من ليلى لَدُن طَرِّ شاربي \*

وقال : إذا شئتُ فقمِ فقمْتِ ، فلما كان العشاء رُحْتُ إلى المسجدِ ، فإذا هو  
جالسٌ على سريرِهِ في المسجدِ ، فلما رأني قال : اذنُ ، فدنوتُ فأصغى إلي<sup>(٣)</sup> ، فقال :  
هل رأيتَ مثلَ ذلك لإنسانٍ قطُّ ؟ لم أدخُلناك ؟ هل تعرفُ ؟ قلتُ : لا ، قال : لتحدثَ  
بما رأيتَ ، ثم التفتَ إلى عبد [ الله<sup>(٤)</sup> بنِ قُرَوَةَ ] : أعطه عشرة آلافِ درهمٍ ،

(١) جمع مرفق أو مرفقة ؛ وهي الخدّة .

(٢) حجلة العروس : بيت يزین بالثياب والأسرة والستور .

(٣) أصغى إلي : أمال رأسه .

(٤) من الأغاني .



وثلاثين ثوباً ، فَأَنْصَرَفَتْ بِمِشْرَةِ آلاَفِ دَرْهَمٍ ، وَعِثْلُ كَارَةِ<sup>(١)</sup> الْقَصَارِ ثِيَاباً بِنَظَرَةٍ  
مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ .

قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَكَّةَ ، فَبِعَثَ إِلَى الْغَرِيضِ سِرّاً فَأَتَاهُ ، فَعَتَّاهُ بِشَعْرٍ كَثِيرٍ :  
وَإِنِّي لَأَرَعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلَالِهَا وَإِنْ أَظْهَرُوا غِشّاً نَصَحْتُ لَهُمْ جَهْدِي  
وَلَوْ حَارَبُوا قَوْمِي لَكُنْتُ لِقَوْمِهَا صَدِيقاً وَلَمْ أَحِجِلْ عَلَى قَوْمِهَا حِقْدِي  
فَأَشِيرُ إِلَى الْغَرِيضِ أَنْ أَسْكُتَ وَفَطِنَ يَزِيدٌ فَقَالَ : دَعُوا أَبَا يَزِيدَ حَتَّى يَغْنِيَنِي  
بِمَا يَرِيدُ . فَأَعَادَ عَلَيْهِ الصَّوْتَ مَراراً ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي مِمَّا عِنْدَكَ ، فَعَتَّاهُ بِشَعْرٍ عَمْرٍو  
ابْنَ شَأْسِ الْأَسَدِيِّ :

أَرَادَتْ عَرَاراً بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدُ عَرَاراً لِعَمْرٍو بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ  
وَإِنْ عَرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا النَّكَبِ الْعَمَمِ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ : فَطَرِبَ يَزِيدٌ وَأَمْرٌ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ .

قَالَ إِسْحَاقُ : وَكَانَ قُدُومُ يَزِيدَ إِلَى مَكَّةَ ، وَبِمَثْنَاهُ إِلَى الْغَرِيضِ سِرّاً قَبْلَ أَنْ  
يُسْتَخْلَفَ ، فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : لِمَ أَشِيرُ إِلَى الْغَرِيضِ بَأَنَّ يَسْكُتَ حِينَ غَنَّاهُ  
بِشَعْرٍ كَثِيرٍ :

\* وَإِنِّي لَأَرَعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلَالِهَا \*

وَمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ؟

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : أَنَا أَحَدُكُمْ<sup>(٣)</sup> ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ  
مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حُبّاً لِمَاتِكَهَ أَمْرَاتِهِ ، وَهِيَ أُمُّ ابْنَةِ يَزِيدَ ، وَهِيَ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ،

(١) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشد ، وكارة القصار سميت بذلك لأنه يكور ثيابه في

نوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

(٢) يقال : رجل عمم ، أى خير يعم خيره .

(٣) في الأغاني : « أحدهمك » .

وأُمُّهَا أُمُّ كَلْتُومِ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ - وَكَانَ بَيْنَهُمَا بَابٌ - فَحَجَبَتْهُ وَأَغْلَقَتْ ذَلِكَ الْبَابَ ، فَشَقَّ غَضَبُهَا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَشَكَاهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ خَاصَّتِهِ ، يَقَالُ لَهُ : عُمَرُ بْنُ بِلَالِ الْأَسَدِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا لِي عِنْدَكَ [ إِذَا رَضَيْتَ ؟ ] <sup>(١)</sup> قَالَ : حُكْمُكَ ، فَأَتَى عُمَرَ بِأَبَاهَا فَجَعَلَ يَتَبَاكَى ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ حَاضِنَتُهَا وَجَوَارِيهَا وَمَوَالِيهَا ، فَقُلْنَ : وَمَالِكُ ؟ قَالَ : لِي أَبْنَانٌ لَمْ يَكُنْ لِي غَيْرُهُمَا ، قَتَلْتُ أَحَدَهُمَا صَاحِبِيهِ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : أَنَا قَاتِلُ الْآخَرِ بِهِ ، فَقُلْتُ : أَنَا الْوَالِيُّ ، وَقَدْ عَفَوْتُ ، فَقَالَ : لَا أَعُوذُ النَّاسَ هَذِهِ الْعَادَةُ ، فَخَرَجْتُ أَنْ يُنْجِيَ اللَّهُ أَبْنِي هَذَا عَلَى يَدَيْهَا ، فَدَخَلْنَا إِلَيْهَا فَذَكَرْنَا لَهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : وَكَيْفَ أَصْنَعُ مَعَ غَضَبِي عَلَيْهِ ، وَمَا أَظْهَرْتُ لَهُ ؟ قُلْنَ : إِذَا وَاللَّهِ يُقْتَلُ ، فَلَمْ يَزَلْ نَبَاهَا حَتَّى دَعَتْ بَنِيهَا فَأَجْمَرَتْهَا <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ خَرَجَتْ نَحْوَ الْبَابِ .

وَأَقْبَلَ حَدِيثَ الْحَصِيِّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ عَاتِكُكَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، قَالَ : وَيَلَيْكَ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ طَلَعَتْ فَأَقْبَلَتْ ، وَسَلَّمَتْ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ ، فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا عُمَرُ مَا جِئْتُ ، إِنَّهُ تَمَدَّدَ أَحَدُ أَبْنِيهِ عَلَى الْآخَرِ فَفَقَتَلَهُ ، فَتَرِيدُ قَتْلَ الْآخَرِ ، وَهُوَ الْوَالِيُّ ، وَقَدْ عَفَا .

قَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَعُوذَ النَّاسَ هَذِهِ الْعَادَةُ . قَالَتْ : أَسْتَشْذِكُ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ عَرَفْتَ مَكَانَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ ، وَمِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ ؛ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخَذَتْ بَرَجْلَهُ فَقَبَّلَتْهَا .

فَقَالَ : هُوَ لَكَ ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى أَصْطَلَحَا ، ثُمَّ رَاحَ عُمَرُ بْنُ بِلَالٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ فَقَالَ : رَأَيْنَا أَثْرَكَ فَهَاتِ حَاجَتَكَ .

(١) تكملة من الأغاني .

(٢) أجمرتها : بخرتها .

قال : مَزْرَعَةٌ بِمَعْيَدِهَا وما فيها ، وألف دينار ، وفرائض لأهل بيتي ووَلَدِي وَعِيَالِي .  
قال : ذَلِكَ لَكَ ، ثم تَمَثَّلَ بِشِعْرٍ كَثِيرٍ :

\* وَإِنِّي لِأَرْعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلَالِهَا \*

فعلمتُ عاتِكَةَ ما أراد ، فلَمَّا غَنَى يَزِيدُ بهذا الشُّعْرِ كَرِهَتْهُ مَوَالِيهِ ، إذ كان  
عَبْدُ الْمَلِكِ تَمَثَّلَ بِهِ فِي أُمَّهُ ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ (١) يَزِيدُ .

ثم قال : لو قيل هذا الشُّعْرُ فِيهِمَا ثم غَنَى بِهِ لِمَا عَيْبَ (٢) فَكَيْفَ ،  
وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ تَمَثَّلَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَجْمَلِ الْعَالَمِينَ !

قال أبو عبد الله : وَأَمَّا خَبْرُهُ لَمَّا غَنَى بِشِعْرِ عَمْرُو بْنِ شَأْسَ ، فَإِنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ  
لَمَّا قُتِلَ بِمَثَلِ الْحَجَّاجِ بِرَأْسِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ عَرَارِ بْنِ عَمْرُو بْنِ شَأْسَ ،  
فَلَمَّا وَرَدَ بِهِ ، وَأَوْصَلَ كِتَابَ الْحَجَّاجِ ، جَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَقْرُؤُهُ ، فَكَلَّمَا شَكَ  
فِي شَيْءٍ يَسْأَلُ عَرَارًا عَنْهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِهِ ، فَمَجِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ بَيَانِهِ وَفَصَاحَتِهِ  
مَعَ سَوَادِهِ ، فَقَالَ مَتَمَثِّلًا :

وَإِنْ عَرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنَكِبِ الْعَمَمِ

فَضَحِكَ عَرَارٌ مِنْ قَوْلِهِ ضَحْكًا غَاظًا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : مِمَّ ضَحَيْتَ  
وَيُحْكُ ! قَالَ : أَتَعْرِفُ عَرَارًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : فَأَنَا عَرَارٌ (٣) ،  
فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ قَالَ : حَظُّهُ وَافِقَ كَلِمَةً ، ثُمَّ أَحْسَنَ جَائِزَتَهُ وَسَرَّحَهُ .

وَإِنَّمَا أَرَادَ الْفَرِيضُ أَنْ يَغْنَى يَزِيدَ بِمَتَمَثِّلَاتِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الْأُمُورِ الْعَظَامِ فَلَمَّا  
تَبَيَّنَ كِرَاهَةَ مَوَالِيهِ غِنَاءَهُ فِيمَا تَمَثَّلَ بِهِ فِي عَاتِكَةَ بِنْتِ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ أَرَادَ أَنْ  
يُعَقِّبَهُ بِمَا تَمَثَّلَ بِهِ فِي عَرَارِ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « وَلَمْ يَكْرَهُهُ » .

(٢) الْأَغَانِي : « لَمَّا كَانَ عِيَا » .

(٣) الْأَغَانِي : « فَأَنَا وَاللَّهِ هُوَ » .

وَحَدَّثَ يُونُسُ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَمْبَدٌ ، قَالَ : خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ فِي طَلَبِ لِقَاءِ الْغَرِيضِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي حُسْنُ غِنَاثِهِ فِي لَحْنِهِ :

وَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّسِ شَادِنًا بِمَكَّةَ مَكْحُولًا أَسِيلًا مَدَامِعُهُ

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَوَّلَ لَحْنٍ صَنَعَهُ ، وَأَنَّ الْجِنَّ نَهَتْهُ أَنْ يَغْنِيَهُ ، لِأَنَّهُ قَهَرَ<sup>(١)</sup> طَائِفَةً مِنْهُمْ ، فَانْتَقَلُوا عَنْ مَكَّةَ مِنْ أَجْلِ حُسْنِهِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ سَأَلْتُ عَنْهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَى مَنْزِلِهِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقَرَعْتُ الْبَابَ ، فَمَا كَلَّمَنِي أَحَدٌ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْجِيرَانِ ، فَقُلْتُ : هَلْ فِي الدَّارِ أَحَدٌ ؟ فَقَالَ لِي : نَعَمْ ، فِيهَا الْغَرِيضُ . فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ أَكْثَرْتُ دَقَّ الْبَابِ فَمَا أَجَابَنِي أَحَدٌ ، قَالُوا : إِنْ الْغَرِيضُ هُنَاكَ فَرَجَعْتُ فَدَقَقْتُ الْبَابَ ، فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدٌ . فَقُلْتُ : إِنْ نَفَعَنِي غِنَاثِي يَوْمًا مَا نَفَعَنِي الْيَوْمَ ، وَأَنْدَفَعْتُ فَنَفَيْتُ شِعْرِي وَلَحْنِي فِي شِعْرِ جَمِيلٍ :

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَوَلِيدًا وَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمُو حَبْثُهَا وَيَزِيدُ

فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ خُرْكَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : بَطْلَ سِحْرِي<sup>(٢)</sup> ، وَضَاعَ سَفْرِي حَيْثُ جِئْتُ أَطْلُبُ مَا هُوَ عَسِيرٌ عَلَيَّ ، وَأُحْتَقِرْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ : لَمْ يَتَوْهَمْنِي<sup>(٣)</sup> لَضَعْفِ غِنَاثِي عِنْدَهُ ، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا وَصَاحُ يَصِيحُ : يَا مَعْبَدَ الْمَغْنَى ، أَفْهَمَ وَتَلَقَّنَ<sup>(٤)</sup> غَنِّي شِعْرَ جَمِيلِ الَّذِي تَفَنَّنِي فِيهِ يَا شَقِيَّ الْبَحْتِ ، وَغَنَّنِي :

وَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّسِ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوَى أَمِصْرَ تَرْيُدُ<sup>(٥)</sup>

(١) الأغانى : « فتن » .

(٢) بطل سحري : ضاغت حيلتي .

(٣) لم يتوهمني : لم يتبينني ولم يعرفني .

(٤) الأغانى : « وتلقن » .

(٥) النضو : المهزول من الإبل .

ولا قولها لولا العميون التي (١) ترى لِرُؤُوكَ فَأَعْدِرُنِي فَدَتَكَ جُدُودُ  
 خَلِيلِي مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ بَاطِنٌ ودمعي فيما قلتُ فهو شهيد (٢)  
 لكل حديثٍ بينهما (٣) بشاشة وكل قتييلٍ بينهما شهيد  
 قال : لقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقصّر إلى نفسي ، وعلتُ فضيلته  
 عليّ ، وعلتُ أنه حريٌّ بالاستتار من الناس تنزيهاً لنفسه ، وتعظيماً لقدره ، وإن  
 مثله لا يستحقّ الأبدال ، ولا أن تتداوله الرجال . وأردتُ الأنصراف إلى المدينة ،  
 فلما كنتُ غير بعيد إذا بصأخ يصيح : يا معبد ، أنتظر أكلّمك ، فرجعتُ ، فقال  
 لي : الغريضُ يدعوك ، فأمرعتُ فرحاً ، فدنوتُ من الباب فقال : أتجبّ الدخول ؟  
 فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ ففرع الباب ، ففتّح ، وقال : ادخل ولا تطل  
 الجلوس ، فدخلتُ فإذا بشمسٍ طالعة في بيت ، فسلمتُ فردّ السلام ، ثم قال :  
 اجلس ؛ فجلستُ ؛ فإذا أنبلُ الناس وأحسنهم وجهاً وخلقاً وخلقاً ، فقال : يا معبد ،  
 كيف تطرّبت (٤) إلى مكّة ؟ فقلتُ : وكيف عرفتني ؟ قال : بصوتك ، فقلتُ :  
 وكيف وأنت لم تسمعه قطّ ؟ قال : لما غنيتَ عرفتُك ، وقلتُ : إن كان معبدٌ في  
 الدنيا فهذا ، فقلتُ : فكيف أجبتني بقولك :

وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ قولها وقد قرّبتُ نضوي أمصرَ تريدُ  
 قال : علمتُ أنك تريد أن أسمعك صوتي :  
 وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ شادياً بمكّة مكحولاً أسيراً مداًمه

(١) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « الذي »

(٢) الأغاني : « ودمعي بما قلت الغداة شهيد » .

(٣) الأغاني : « عندهن » .

(٤) الأغاني « طرأت » ، وطرّبت : اشتقت :

ولم يكُ إلى ذلك سبيلٌ؛ لأنَّه صوتُ نُهَيْتٍ عنه ، فغنَّيتُ هذا جواباً لك ، فقلتُ :  
والله ما عدوتَ ما في نفسي شيئاً ، فهل لك حاجةٌ ؟ فقال لي : يا أبا عباد ، لولا مِلاةُ  
الحديث ، ونَقْلُ الإطالة ، لأستكثرتُ منك فأعذِرُ .

فخرجتُ من عنده ، وإنَّه لأجلُ الناسِ عندي ، ورجعتُ إلى المدينة ، فحدثتُ  
بحدِيثِهِ ، وذكرتُ بهذا الشعرِ الجميلِ ، أمرَ جميلٍ وُبَيِّنَةٍ ، فقلتُ : ليتني وجدتُ  
إنساناً يحدثني بقصَّةِ جميلٍ في هذا الشعرِ ، فأكونَ قد أخذتُ بفضيلةِ الأمرِ كلِّه  
في الغناءِ والشعرِ ، فسألتُ عن ذلك ، فإذا الحديثُ مشهورٌ .

وقيل : إن أردتَ أن تُخَبِّرَ بمشاهدته ، فأتِ بني حَنْظَلَةَ ؛ فإنَّ فيهم شيخاً منهم  
يقال له : فلانٌ يُخَبِّرُكَ الخبرَ ، فأتيتُ الشيخَ فسألتُهُ ، فقال : بينا أنا في إِبِلِي في  
الرَّيْبِيعِ ؛ إذا أنا برجلٍ مُنطَوٍ على راحلتهِ كأنَّه جانٌّ ، فسَلَّمْ عليَّ وقال : مَنْ أنتَ  
يا عبدَ الله ؟ فقلتُ : أحدُ بني حَنْظَلَةَ . قال : فسألتني حتَّى بلغَ الفَخْدَ الَّتِي أَنَامنَهَا ،  
ثمَّ سألني عن بني عُذْرَةَ ، أين نَزَلُوا ؟ فقلتُ : هل تَرَى ذلكَ السَّفْحَ ؟ فإنَّهم نَزَلُوا  
مِنْ وَرَائِهِ ، قال : يا أبا بني حَنْظَلَةَ ، هل لك في معروفٍ تصَطِّعُهُ إلىَّ ، فوالله  
لو أعطيتني ما أصبحتَ تَسُوقُ من هذه الإِبِلِ ، ما كنتُ بأشكرَكَ لكِ مِنِّي عليه .

قلتُ : نعم . ومن أنتَ أولاً ؟ قال : لا تَسألني ولا أُخْبِرُكَ ؛ غيرَ أنَّي رجلٌ  
بيني وبين هؤلاءِ القومِ ما يكونُ بين بني العمِّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنَّكَ تَجِدُ  
القومَ في مجلسهم ، فتَنشُدُهُمْ بِكَرَّةٍ<sup>(١)</sup> أَدْمَاءُ تَجْرُ خَفِيهَا غُفْلًا<sup>(٢)</sup> مِنَ السَّمَةِ ، فإن  
ذَكَرُوا لك شيئاً فذاك ، وإلَّا فاستأذِنهم في البُيُوتِ ، فقلتُ : إنَّ الصَّبِيَّ والمِرْأَةَ  
قد يرَيانَ ما لا يرَى الرَّجَالُ فتَنشُدُهُمْ ، ولا تَدَعُ أحداً تُصِيبُهُ عَيْنُكَ ، ولا بيتاً من  
بيوتهم إلَّا نَشَدْتَهَا فِيهِ .

(١) البكرة : الفتية من الإبل ، والأدماء : وصف من الأدمة ، والأدمة في الإبل : السمرة .

(٢) غفلا من السمعة ، أي لا علامة بها .

فَأْتَيْتُ الْقَوْمَ ، وَإِذَا هُمْ عَلَى جَزُورٍ لَهُمْ يَتَقَاسَمُونَ بِهَا ، فَسَلَّمْتُ وَأَتَسَبَّتُ لَهُمْ ،  
وَنَشَدْتُهُمْ ضَالَّتِي ، فَلَمْ يَذْكُرُوا لِي شَيْئًا ، فَاسْتَأْذَنْتُهُمْ فِي الْبُيُوتِ ، فَأَذِنُوا لِي ،  
فَأْتَيْتُ أَقْصَاهُمْ ، ثُمَّ اسْتَقْصَيْتُهَا بَيْتًا بَيْتًا ، فَأَنْشَدَهُمْ فَلَا يَذْكُرُونَ شَيْئًا حَتَّى أُنْتَصِفَ  
النَّهَارُ وَأَذَانِي حَرُّ الشَّمْسِ ، وَعَطِشْتُ وَفَرَعْتُ مِنَ الْبُيُوتِ ، وَذَهَبْتُ لِأَنْصَرِفَ ،  
فَخَانَتْ مِنِّي الْتَفَاتَةُ فَإِذَا ثَلَاثَةُ آيَاتٍ ، فَقُلْتُ : مَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ ! ثُمَّ  
قُلْتُ فِي نَفْسِي : سَوْءَةٌ ! وَرَثِقَ بِي رَجُلٌ زَعَمَ أَنَّ حَاجَتَهُ تَعْدِيلَ مَالِي ، ثُمَّ آتَيْهِ  
فَأَقُولُ : عَجَزْتُ عَنْ ثَلَاثَةِ آيَاتٍ ، فَانصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد  
أرْحَى مَقْدَمُهُ وَمَوْخِرُهُ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، وَذَكَرْتُ ضَالَّتِي .

فَقَالَتْ جَارِيَةٌ لَهُمْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، قَدْ أَصَبْتَ ضَالَّتَكَ ، وَمَا أَظْنُكَ إِلَّا قَدْ أَشْتَدَّ  
الْحَرُّ عَلَيْكَ ، وَأَسْتَهَيْتَ الشَّرَابَ . فَقُلْتُ : أَجَلٌ ، قَالَتْ : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ ، فَأَتَنَنِي  
بِصَحْفَةٍ فِيهَا تَمْرٌ مِنْ تَمْرِ هَجَرَ ، وَقَدَحٍ فِيهِ لَبَنٌ ، وَالصَّحْفَةُ مَصْرِيَّةٌ مَفْضُضَةٌ ،  
وَالْقَدَحُ مَفْضُضٌ ، وَلَمْ أَرَ إِنْاءً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَقَالَتْ : دُونَكَ ، فَتَجَمَّعْتُ وَشَرِبْتُ  
مِنَ اللَّبَنِ حَتَّى رَوَيْتُ ، وَقُلْتُ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا آتَيْتُ الْيَوْمَ أَكْرَمَ مِنْكَ  
وَلَا أَحَقَّ بِالْفَضْلِ ، فَهَلْ ذَكَرْتِ مِنْ ضَالَّتِي ذِكْرًا (١) !

فَقَالَتْ لِي : هَلْ تَرَى هَذِهِ الشَّجْرَةَ فَوْقَ الشَّرَفِ (٢) ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ : إِنْ  
الشَّمْسُ غَرَبَتْ أَمْسِ وَهِيَ تُطِيفُ حَوْلَهَا ، ثُمَّ حَالَ اللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا . فَقَمْتُ  
فَجَزَيْتُهَا خَيْرًا ، وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَغَدَّيْتُ وَرَوَيْتُ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى آتَيْتُ الشَّجْرَةَ  
فَأَطَّقْتُ بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ أَثَرِهَا شَيْئًا ، فَانصرفتُ إلى صاحبي ، فإذا هو  
مُتَّسِحٌّ فِي الْإِبِلِ بِكِسَائِهِ ، وَهُوَ رَافِعٌ عَقِيرَتَهُ (٣) يَعْغِي ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ .

(١) الأغانى : « شيئا » .

(٢) الشرف : المكان العالي .

(٣) عقيرة الرجل : صوته .

قال : وعليكَ السَّلام . ما وراءك ؟ قلتُ : ما ورأى شىء . قال : لا عليك ، فأخبرتني بما فعلت .

فقصصتُ عليه القصَّة حتى أنهميتُ إلى ذكر المرأة ، وأخبرته الذى صنعتُ .

فقال : قد أصبتَ ضالَّتَكَ . قال : فمَجِبْتُ من قوله ، وأنا لم أجد شيئاً ، ثم سألتنى عن صفة الإِناءَيْنِ : الصَّحْفَةَ والقَدَحَ ، فوصفتُهُما له ، فتنفَّسَ الصَّعداءُ ، ثم قال : قد أصبتَ طَلِبَتَكَ ، وَيَحْك ! ذكرتُ لك الشجرةَ ، وأنها تُطِيفُ بها فقال : حَسْبِكَ ! فكنتُ حتَّى إذا أوتُ إِبلى إلى مَبَارِكها ، دعوتُهُ إلى العِشاءِ ، فلمَ يَدُنْ منه ، وجلسَ عني<sup>(١)</sup> بِمَزَجِرِ السَّكَبِ ، فلَمَّا ظَنَّ أنى قد نِمْتُ رَمَقَهُ فقام إلى عَيْبَةٍ<sup>(٢)</sup> له ، فأستخرجَ منها بُرْدَيْنِ ، فَأَتَزَرَ<sup>(٣)</sup> بأحدهما وأرَدَدَنِى بِالآخِرِ ، ثم أنطَلَقَ عامداً نحوَ الشجرةِ ، فأستبطنتُ الوادىَ ، فجعلتُ أُحْضِرُ حينَ خِفْتُ أن يرانى أنبطحُ ، فلمَ أزلْ كذلك حتى أتيتُ إلى شَجَرَاتٍ قَريبةٍ من تلك الشجرةِ حيثُ أسمعُ كلامها ، فأستقرتُ بهنَّ ، فأقبلَ حتَّى إذا كان منها غيرَ بعيدٍ ، قالت : اجلس ، فوالله لكانه لَصِقَ بالأرضِ ، فسلمَ عليها وسألها أكرمَ سؤالٍ سَمِعْتُ به قَطَّ ، وأبعده من كلِّ رِيبةٍ ، وسألته مِثْلَ مَسألته ، ثم أمرتِ الجاريةَ فقدمتْ له طعاماً ، فلَمَّا أَكَلَ وفَرَغَ قالت : أنشدنى ما قلتَ : فأَنشدَها قوله :

عَلِقْتُ الهَوَى منها وليداً فلمَ يزلُ إلى اليومِ يَنمى حُبُّها وَيَزِيدُ  
فلمَ يَزَالاً يَتحدَثان<sup>(٤)</sup> ، ما يقولان هُجْراً ولا فُحْشاً ؛ حتى أَلتَفَتَتِ التَفاتَةَ ،  
فنظرتُ إلى الصُّبْحِ ، فودَّعَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه أحسنَ وداعٍ ما سمعتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ ،

(١) الأغانى : « منى » :

(٢) العيبة : وعاء من آدم يكون فيه المتاع .

(٣) الأغانى : « فاتزر » .

(٤) الأغانى : « يتحدَثان » .



ثم أنصرفا ، وقت فمضيتُ إلى إيلي ، فأضطجعتُ ، وكلُّ واحدٍ منهما يمشى  
خطوةً ثم يلتفتُ إلى صاحبه ، فجاء بعد ما أصبحنا ورَفَع بُرْدِيهِ ، ثم قال : يا أبا  
بني تميم ، حتى متى تنام ؟ فقمتُ وتوضأتُ وصلَّيتُ وحلبتُ إيلي وأعاني عليها ،  
وهو أظهرُ الناسِ سرورا ، ثم دعوتهُ إلى الغداء فتغدَّيتُ ، ثم قام إلى عَيْبَتِهِ فافتتحها ؛  
وإذا فيها السِّلَاحُ وَبُرْدَانٍ مِمَّا كَسَتْهُ المَلُوكُ ، فأعطاني أحدها ، وقال : أما والله لو كان  
معي شيءٌ ما أدخرتهُ عليك<sup>(١)</sup> ، وحدَّثتني بحديثه ، وأتسبب لي ؛ فإذا هو جَمِيلٌ ،  
والمرأةُ بُشِينَةٌ ، فقال لي : قد قلتُ آياتًا في مُصْرَفِي مِنْ عِنْدِهَا ، فهل لك أن  
تأتيها<sup>(٢)</sup> فتُنشِدُهَا ؟ فقلتُ : نعم ، فأُنشِدني :

وما أنسَم الأشياءَ لا أنسَ قولها      وقد قرَّبتُ نِصْوِي أمِصْرَ تَريدُ!

ثم ودَّعني وأنصرف ، ومكثتُ حتى أخذتِ الإبلُ مَراعاتِهَا ، ثم عمَدتُ إلى  
دُهْنٍ كان معي ، فدهَّنتُ به رأسي ، ثم أرتديتُ بالبردين ، وأتيتُ المرأةَ فقلتُ :  
السلامُ عليكم ، إنِّي جئتُ أمسٍ طالبا ، واليومَ زائرا ، أفتأذنونُ ؟ قالت : نعم .  
فسمعتُ جَوَيرِيَةَ تقول : والله يا بُشِينَةُ عليه بُرْدُ جَمِيلٍ ، فجملتُ أُسْنِي على  
ضَمِيقي ، وأصِف<sup>(٣)</sup> فضله . وقلتُ : إنه ذَكَرَكَ<sup>(٤)</sup> ، فهل أنتِ بارِزَةٌ لي فأَنظِرَ  
إليك ؟ قالت : نعم .

فلبستُ ثيابها ، وبرزتُ ، ثم دعتُ لي بِمُطْرَف<sup>(٥)</sup> ، ثم قالت : يا أبا بني تميم ،

(١) الأغاني : « عنك » .

(٢) الأغاني « إن رأيتها » .

(٣) الأغاني : « وأذكر » .

(٤) زاد في الأغاني بعدها : « فأحسن الذكر » .

(٥) المطرف : رداء من خبز صريع ذو أعلام .

والله ما ثوبك هذان بمشيتيهين ، ودعت بعبيتها ، وأخرجت لي ملحفة<sup>(١)</sup> مروية مشبعة من العصفر .

ثم قالت : أقسمت عليك لتقومن إلى كسر البيت ، وتخلعن مدرعتك<sup>(٢)</sup> ، ثم لتبرزن<sup>(٣)</sup> بهذه الخلعة ، فهي ببرك أشبه .

ف فعلت ذلك ، وأخذت مدرعتي بيدي ، فوضعتها إلى جاني ، وأنشدتها الأبيات ، فدمعت عيناها ، وتحذنتنا طويلا من النهار .

ثم أنصرفت إلى إيل ملحفة بُثينة وبرد جميل ، ونظرة من بُثينة .

قال معبد : فجزيت الشيخ خيرا ، وانصرفت من عنده ، وأنا والله أحسن الناس حالا بنظرة من الغريض ، وأستماع لغنائه ، وعلم بحديث جميل وبُثينة ، فما سمعت<sup>(٤)</sup> قط زوجين أحسن من جميل وبُثينة ، ومن الغريض ومي .

وسمع الغريض أصوات رُهبان بالليل في دير لهم ، فأستحسنها ، فقال له بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ : يا أبا يزيد ، صُغ<sup>(٥)</sup> لنا في هذا الصوت لَحْنًا ، فصاغ مثله في لَحْنِهِ :

يَا أُمَّ بَكْرٍ حُبِّكَ الْبَادِي لَا تَصْرِمِينِي إِنْ نِي غَادِي  
جَدَّ الرَّحِيلُ وَحَثْنِي صَحْبِي وَأُرِيدُ إِمْتَاعًا مِنَ الزَّادِ

رَوَى عَمْرُو بْنُ عُقْبَةَ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الْمَاشِطَةِ ، قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي لِي مِنْهُمْ أَبُو أَبِي عُقْبَةَ<sup>(٦)</sup> هَيْثُمْ إِلَى الْعَمِيقِ ، وَمَعْنَى رَجُلٍ نَاسِكٌ كُنَّا نَحْتَشِمُ مِنْهُ ، وَكَانَ

(١) الملحفة : اللباس الذي فوق اللباس من دثار، البرد ونحوه ومروية : بسبة إلى مرو .

(٢) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا يكون إلا من صوف .

(٣) الأغاني : « ثم لتأتررن » .

(٤) الأغاني : « فما سمعت ولا نظرت » .

(٥) الأغاني : « صنع على مثل هذا الصوت لحنًا » .

(٦) الأغاني : « فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم » .

محموما نائما ، ونحن نهايه ونحتشم منه ، فقلت له : إن فينا رجلا يُنشد الشعرَ فيحسن ، ونحب أن نسمعه ؛ لكننا نهايه (١) .

قال : وما على منكم ! أنا محمومٌ نائمٌ ، فأصنعوا ما بدا لكم ، فأندفع إبراهيمُ يُغني :

يا أمَّ بَكْرٍ حُبِّكَ البَادِي لا تَصْرِمِينِي إِنِّي غَادِي  
فأجاده وحسنه ، فوثب الناسكُ وجعل يرقصُ ويصيحُ : أريدُ إمتاعاً من الزاد  
ثم كَشَفَ عن أَيْرِهِ ، وقال : أنا أُنِيكَ أمَّ الحَمِيِّ .

فكان يقولُ أبنُ الماشِطَةِ لى : أَعْتَقْتُ ما أملكُ إن كان ناكٌ أمَّ الحَمِيِّ أحدُ قبَلِهِ .  
وكانت وفاةُ الغَرِيضِ في أيامِ سليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ - أو عمرَ بنِ عبدِ العزِيزِ -  
لم يَجتازوها .

والأشبهه أنه مات في خلافة سليمان ؛ لأن الوليد كان ولي نافع بن علقمة  
مكة ، فهرب منه الغريض ، فأقام باليمن وأستوطنها مدة ، ثم مات بها .

قال أبو غسان : إن نافع بن علقمة لما ولي مكة خافه الغريض ، وكان كثيرا  
ما يطلبه فلا يجيبه ، فهرب منه ، وأستخفى في بعض منازل إخوانه ، فحدثني رجلٌ  
من أهل مكة كان يخدمه ، إنه دَفَعَ إليه يوماً رُبْعَةً (٢) ، وقال : صر بها إلى فلان  
القطار يملؤها طيبيا .

قال : فصرتُ بها إليه ، فلقيني نافع بن علقمة ، قال : هذه رُبْعَةُ الغريضِ والله ،  
فلم أقدر أن أكتمه ، فقلتُ : نعم ، فقال : وما قصته ؟ فأخبرته الخبر ، فضحك  
وقال : صرُ معي إلى المنزل ، ففعلتُ فملاًها طيبيا ، وأعطاني دنانير ، وقال : أعطه

(١) الأغاني : « نهايك » .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي ب ج : « رقعة » .

إيَّاهَا ، وَقَالَ لَهُ : يَظْهَرُ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ مَسْرُورًا ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ ، فَجَزِعَ وَقَالَ : الْآنَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُهْرَبَ ، إِنَّمَا هَذِهِ حِيلَةٌ أُحْتَالُهَا عَلَى لَأَقَعَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْيَمَنِ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْيَمَنِ أُجْتَازَ بِهِ بَعْضُ أَحْبَابِهِ فِي سَفَرِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمُ بَكَى فَقَالُوا لَهُ : مَا يُبْكِكَ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ يَطِيبُ لِي أَنْ أَعِيشَ بَيْنَ قَوْمٍ يَرَوْنِي أَحْمِلُ عُودِي فَيَقُولُونَ : يَا هُنَا (١) ، أَتَبِيعُ مَوْخِرَةَ (٢) الرَّحْلِ .

فَقَالُوا لَهُ : ارْجِعْ إِلَى مَكَّةَ فِيهَا أَهْلُكَ . فَقَالَ : إِنَّمَا كُنْتُ أَسْتَلِدُّ مَكَّةَ ، وَأَعِيشُ بِهَا مَعَ إِخْوَانِي ، وَقَدْ أُوْطِنْتُ (٣) هَذَا الْبَلَدَ ، فَلَسْتُ تَارِكَهُ مَا عَشْتُ .  
قَالُوا لَهُ : فَغَنِّنا بِشَيْءٍ مِنْ غِنَائِكَ ، فَتَأَبَّى ، فَأَقْسَمُوا عَلَيْهِ ، فَأَجَابَ ؛ وَعَمَدُوا إِلَى شَاةٍ فَذَبَّحُوهَا ، وَخَرَطُوا مِنْ مُصْرَانِهَا أوتَارًا ، فَشَدَّهَا عَلَى عُودِهِ ، وَأَنْدَفَعَ يَغْنَى فِي شِعْرِ زُهَيْرٍ :

جَرَى دَمِي فَمِيحَ لِي شُجُونَا	فَقَلْبِي يُسْتَجِنُ بِهِ جُنُونَا
أَبْكَى لِلْفِرَاقِ وَكُلُّهُ حَيَّ	سَبَبِي سَكِي حِينَ يَفْتَرِقُ الْقَرِينَا (٤)
فَإِنْ تَصْبِحَ طُلَيْحَةُ فَارْقَتْنِي	بِبَيْنٍ فَالزَّيَّةُ أَنْ تَبِينَا
فَقَدْ بَانَتْ بَكْرُهُ يَوْمَ بَانَتْ	مُفَارِقَةً وَكُنْتُ بِهَسَا ضُنِينَا

فَمَا سَمِعْنَا شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَقَالُوا : ارْجِعْ إِلَى مَكَّةَ ، فَكُلُّ مَنْ بِهَا يَشْتَاقُكَ ، وَلَمْ نَزَلْ نُرْعَبُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَمَضُوا لِحَاجَتِهِمْ ثُمَّ عَادُوا فَوَجَدُوهُ عَالِيًا ، فَقَالُوا لَهُ : مَا قِصَّتُكَ ؟ قَالَ : جَاءَنِي مِنْذُ لَيَالٍ قَوْمٌ ، وَكُنْتُ أُغْنَى فِي اللَّيْلِ ، فَقَالُوا :

(١) الهناه : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، وقد تزداد في النداء الألف والهاء .  
(٢) الأغاني : « آخرة الرحل » .  
(٣) أوطنت : اتخذته وطنا .  
(٤) الأغاني : « حين يفتقد » .

غَنَّنَا فَأَنْكَرْتُهُمْ وَخَفْتُهُمْ ، فَعَمِلْتُ أَعْنِيَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ غَنَّنِي :

لَقَدْ حَثُّوا الْجَمَالَ لِيَهِيَ رُبُوا مِنَّا فَلَمْ يَثْلُوا<sup>(١)</sup>

فَعَمِلْتُ ، فَقَامَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! وَدَقَّ رَأْسِي حَتَّى سَقَطْتُ  
لَا أَدْرِي أَيْنَ أَنَا؟ فَعَمْتُ بِمَدِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَأَنَا عَلِيلٌ كَمَا تَرَوْنَ ، فَمَا أَرَانِي إِلَّا سَامُوتَ .  
قَالَ : فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِقِيَّةِ يَوْمِنَا ، وَمَاتَ مِنْ غَدٍ ، فَدَفَنَاهُ وَأَنْصَرَفْنَا .

وَقَالَ أَبُو عَسَّانَ : زَعَمَ الْمَسْكِيُّونَ أَنَّ الْغَرِيضَ خَرَجَ إِلَى بِلَادِ عَكِّ<sup>(٢)</sup> ، فَفَتَى لَيْلًا :

هُمُورَ رَكْبٍ لَقُوا رَكْبًا كَمَا قَدْ تَجَمَّعَ الشُّبُلُ

فَصَاحَ صَاحٌ : أُكْفَفُ يَا مَرَّوَانَ ، فَقَدْ سَفَّهْتَ حُلَمَاءَنَا ، وَأَصْبَيْتَ<sup>(٣)</sup> سَفَهَاءَنَا !

قَالَ : وَأَصْبَحَ مَيِّتًا .

وَرَوَى أَبُو قَبِيلٍ مَوْلَى لَالِ الْغَرِيضِ ، قَالَ : شَهِدْتُ جَمْعًا لَالِ الْغَرِيضِ ،  
إِمَّا عُرْسًا أَوْ خِتَانًا ، فَقِيلَ لَهُ : تَعَنَّ ، فَقَالَ : هُوَ ابْنُ زَانِيَةٍ إِنْ فَعَلَ . فَقَالَ لَهُ بِمَضُ  
مَوَالِيهِ : فَأَنْتَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ ؛ قَالَ : أَوْ كَذَلِكَ أَنَا ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَنْتَ أَعْلَمُ بِي وَاللَّهِ  
ثُمَّ أَخَذَ الدُّفَّ فَرَجَى بِهِ ، ثُمَّ تَمَشَّى مِشْيَةً لَمْ نَرَ أَحْسَنَ مِنْهَا ، ثُمَّ تَعَنَّيَ :

تَشْرَبَ لَوْنَ الرَّازِقِ بِيَاضِهِ أَوْ الزَّعْفَرَانَ خَالِطَ الْمِسْكِ رَادِعُهُ<sup>(٤)</sup>

فَجَعَلَ يَغْنِيهِ مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا ؛ حَتَّى أُلْتَوَتْ عُنُقُهُ ، فَخَرَّ صَرِيحًا ، وَمَا رَفَعْنَاهُ  
إِلَّا مَيِّتًا ، وَظَنْنَا أَنْ فَالِجًا عَاجِلَهُ .

قَالَ أَبُو مَسْكِينٍ : إِنَّمَا نَهَيْتَهُ الْجِنَّ أَنْ يَغْنِيَ هَذَا الصَّوْتَ ، فَلَمَّا أَعْصَبَهُ مَوَالِيهِ  
تَعَنَّاهُ ، فَتَقَلَّتْهُ الْجِنَّ .

(١) لم يثلوا : لم يجدوا موثلاً وملاجئاً يعتصمون به .

(٢) عك : من قبائل اليمن .

(٣) أصبیت : دعوتهم إلى الصبا .

(٤) الرازقي : نيباب الكتان الأبيض .

## ذکر عیسیٰ طوئیس\*

طوئیس: لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَأَسْمُهُ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَنْتُهُ أَبُو عَبْدِ الْمَنَعِمِ ، وَغَيْرَهَا الْمُخَنَّثُونَ . فَجَعَلُوهَا : أبا عبد النَّعِيمِ ، وَهُوَ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ .

وقال جماعة : هو أوّل من غَتَّى بالعربيّة بالمدينة ، وهو أوّل من ألقى الخنثَ بها . وكان طويلاً أحوالاً ، وكان لا يَضْرِبُ بالموذ ؛ وإِنَّمَا يَنْقُرُ بالدُّفِّ ، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأَنسابِ أَهلِها ، وكان يُتَمَتَّى للسانِ .

وسئل عن مولده ، فذَكَرَ أَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ قُبُضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُطِمَ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، وَخُتِنَ يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ ، وَزُوجَ يَوْمَ قُتِلَ عُمَانُ ، وَوُلِدَ يَوْمَ قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وقيل : إِنَّهُ وُلِدَ لَهُ يَوْمَ مَاتَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وكانت أمه تَمَشَى بَيْنَ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ بِالنَّمِيمَةِ .

قال صالح بن حَسَّانِ الْأَنْصَارِيِّ : اجْتَمَعَ يَوْمًا جَمَاعَةٌ بِالْمَدِينَةِ يَتَذَاكَرُونَ أَمْرَ الْمَدِينَةِ ، إِلَى أَنْ ذَكَرُوا طَوَيْسًا ، فَقَالُوا : كَانَ وَكَانَ . . . ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَمَا لَوْ شَاهَدْتُمُوهُ لَرَأَيْتُمْ مَا تَسْرَوْنَ بِهِ ؛ عِلْمًا وَظَرْفًا ، وَحُسْنَ غِنَاءٍ ، وَجُودَةَ نَقْرِ بِالْدُّفِّ ، وَبُضْحِكَ كُلِّ تَكَلِّي حَرَّى .

فقال بعض القوم : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَشْتُومٌ ، وَذَكَرَ مَوْلِدَهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُطِمَ يَوْمَ مَاتَ صَدِيقُنَا ، وَخُتِنَ يَوْمَ قُتِلَ فَارُوقُنَا ، وَزُوجَ يَوْمَ قُتِلَ نَوْرُنَا ، وَوُلِدَ لَهُ يَوْمَ قُتِلَ أَخُو<sup>(١)</sup> نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

\* الأغانى ٣ : ٢٧-٤٤

(١) نورتا ، يريد عثمان بن عفان ، وكان يلقب ذا النورين .

وكان مع هذا مَخْنَثًا ، وَيَطْلُبُ عَثْرَاتِنَا ، وكان مُفْرِطًا فِي طُولِهِ ، مضطربًا فِي خَلْقِهِ ،  
أَحْوَلُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جِلَّةِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ : إِنْ كَانَ كَمَا قُلْتَ ، لَقَدْ كَانَ مُمْتَمًا فَهَمًّا ، يُحْسِنُ  
رِعَايَةَ مَنْ حَفِظَ لَهُ حَقَّ الْمَجَالِسَةِ ، وَرِعَايَةَ حَرَمَةِ الْخِدْمَةِ ، وَكَانَ لَا يَجْمَلُ قَوْلَ  
مَنْ لَا يَرَعَى لَهُ بَعْضَ مَا يَرَعَاهُ لَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ مَعْظَمًا لِمَوَالِيهِ بَنِي مَخْزُومٍ وَمِنْ وَالَاهُمْ مِنْ سَائِرِ قُرَيْشٍ ، وَمَسْأَلًا لِمَنْ  
سَأَلَهُمْ ، وَمَعَادِيًا لِمَنْ عَادَاهُمْ دُونَ التَّحْكِيمِ بِهِ ، وَمَا يُبْلِغُ مَنْ قَالَ بَعْلِمُ ، وَالظَّالِمُ  
الْمَلُومُ ، وَالْبَادِيُ أَظْلَمُ .

وَقَالَ رَجُلٌ آخَرُ : كَانَ كَمَا قُلْتَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ قُرَيْشًا يَكْتَنِفُونَهُ ، وَيُحَدِّقُونَ بِهِ ،  
وَيُحِبُّونَ مَجَالِسَتَهُ ، وَيُنْصِتُونَ إِلَى حَدِيثِهِ ، وَيَتَمَتُّونَ غِنَاءَهُ ، وَمَا وَضَعَهُ شَيْءٌ إِلَّا  
خَفْنَتْهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا بَقِيَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ إِلَّا أَدْنَاهُ .

وَقَالَ سَيْبُطٌ : أَوَّلُ مَنْ تَفَنَّى بِالْمَدِينَةِ بِنِغْنَاءٍ يَدْخُلُ فِي الْإِيقَاعِ <sup>(١)</sup> طُوَيْسٌ ، وَوُلِدَ  
وَهُوَ ذَاهِبُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ، وَكَانَ يَلْقَبُ بِالذَّائِبِ ؛ لِأَنَّهُ غَفَى :

قَدَّ بَرَانِي الْحَبُّ حَسْتِي كِدْتُ مِنْ وَجْدِي أَذُوبُ

قَالَ هَيْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ : إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ الطَّائِفَ . فَسَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَدِيَةِ بِنْتِ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مُعَقَّبٍ فَإِنَّهَا هَيِّفَاءُ شَمُوعٍ <sup>(٢)</sup> نَجْلَاءُ ،  
إِنْ تَكَلَّمْتَ تَغَنَّتْ ، وَإِنْ قَامَتْ تَشَنَّتْ ، تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ ، وَتُدْبِرُ بِبُهَانٍ <sup>(٣)</sup> ، بِشَغْرِ <sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّهُ الْأَفْحُوانُ ، وَبَيْنَ رِجْلَيْهَا كَالْإِنَاءِ الْمَكْفُوءِ ، كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

(١) الإيقاع : بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها .

(٢) الشموع : اللعوب الضحوك .

(٣) يريد أن عكس بطنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان .

(٤) الأغاني : « مع نثر » .

تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَمَا تَمَّ شَفَّ وَجْهَهَا بُزْفُ<sup>(١)</sup>  
 بَيْنَ سُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقَتْهَا حَدْوُ فَلَاجِبَلَةٌ وَلَا قَضْفُ

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لقد غلغلت النظر يا عدوَّ الله ، ثم جلاه عن المدينة إلى الحسي ، ولما فتحت الطائف تزوجها عبد الله<sup>(٢)</sup> بن عوف ، فولدت له بريهة ، فلم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما ولي أبو بكر ، كُلم فيه ، فأبى أن يرده . فلما ولي عمر كُلم فيه ، فأبى أن يرده ، وقال : إن رأيتُه ضربت عنقه .

فلما ولي عثمان كُلم فيه فأبى أن يرده ، فقيل له : قد كبير وضعف وأحتاج ؛ فأذن له أن يدخل في كل جمعة ، فيسلم<sup>(٣)</sup> ويرجع إلى مكانه .

وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وكان طويس جالسا يوما في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية ، فغسني :

\* تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ \*

فأشير إلى طويس أن أسكت . قال : فقال : والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة ، وإنما هذا مثلٌ ضرب به هيت في أم بريهة ، ثم اتفت إلى ابن عبد الله فقال : يا ابن الظاهر ، هل وجدت علي في نفسك ؟ أقسم بالله قسما حقا لا أغمي بهذا الشعر أبدا .

قال المدائني : حدثت أن طويسا تبع جارية فراوغته ، فلم ينقطع عنها ، فحدثت<sup>(٤)</sup>

(١) تغترق الطرف ، أي تغترق الناظرين إليها ؛ أي تشغلهم بالنظر لإيها عن النظر إلى غيرها لحسنها .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « عبد الرحمن » .

(٣) الأغاني : « فيسأل » .

(٤) حثت : أسرع . وفي الأغاني : « نجت » ، والحجب : ضرب من السير أيضا .



في الشئ فلم ينقطع عنها ، فلما جازت بمجلسٍ وقتت ، ثم قالت : يا هؤلاء ، لي صديقٌ ، ولي زوجٌ ومولّى ينسكحونى<sup>(١)</sup> ، فسألوا هذا ما يريد منى ؟ فقال : أضيّق ما وسّموه .

وكان طويسٌ مولعاً بالشعر الذى قالته الأوس والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء فقلّ مجلسٌ أجمع فيه هذان الحيمان فغنى طويس فيه إلا وقع فيه شرٌّ<sup>(٢)</sup> ، فنهى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يؤسدوني في التراب ؛ وذلك لكثرة تولّع القوم به ، فكان يبدى السرائر ، ويُخرج الضفائن .

وكان القوم ينشأءمون به ، وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبر عن حديثه .

وقد ذكر أبو الفرج هنا قتل مالك بن العجلان ، وطلب مالكٍ لسُمير<sup>(٣)</sup> وما جرى بينهما ، وقد تقدّم ذكرنا له في ترجمة قيس بن الخطيم ، فلم نختر إعادته هنا .

(١) الأغاني : « ينسكحني » .

(٢) الأغاني : « شئ » .

(٣) هو سمير بن يزيد بن مالك ، رجل من الأوس ، ثم أحد بني عمرو بن عوف . وانظر

القصة برمتها في الأغاني ٣ : ٤٠ ( طبعة دار الكتب ) .

## ذكر عروة بن الورد\*

هو عروة بن الورد بن زيد - وقيل : ابن عمرو - بن زيد بن عبد الله بن ناشب  
ابن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيمة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان  
ابن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وصعلوك من صعاليكها  
المدودين المقدمين الأجواد .

وكان يلقب عروة الصعاليك؛ لجمعه إياهم، وقيامه بأمورهم إذا أخفقوا في غزواتهم،  
ولم يكن لهم معاش<sup>(١)</sup> ولا مغزى .

وقيل : لقب عروة الصعاليك لقوله :

لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ	مَضَى فِي الْمَشَاشِ الْفَاكِلَ مَجْزِرِ <sup>(٢)</sup>
يَمُدُّ الْغَنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ	أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مَيْسِرِ <sup>(٣)</sup>
وَلِلَّهِ صُعْلُوكٌ صَحِيفَةٌ وَجْهُهُ	كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ

قال عمر بن شبة : بلغني أن معاوية قال : لو كان لعروة بن الورد ولدٌ لأحببتُ

أن أتزوج إليهم .

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ٧٣ - ٨٨ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) الأغاني : « معاش » .

(٢) المشاش : رءوس العظام اللينة . والمجزر : الموضع الذي تجزر فيه الإبل . وفي الأغاني .

« مصافق المشاش » ، وأثبت ما في الأصول والديوان .

(٣) يقول : إذا ملأ ذلك الصعلوك بطنه عند ذلك غنى كل الغنى ، ولم يبال بعد ذلك ما وراءه

من عياله وذوى قرابته . والميسر : الذي قد أقبل خير شأنه ؛ يقال : قد يسرت شأوه .

وقال : بلغني أن عمر بن الخطاب قال للحطيئة : كم (١) كنتم في حربكم ؟  
قال : كنا ألف حازم . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير ، وكان  
حازماً ، وكنا لا نعصيه ، وكنا نقدم إقدام عنترة ، وننقاد لأمر الربيع بن زياد ،  
ونأتم بشعر عروة بن الورد .

حدث معن بن عيسى قال : سمعت أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله  
عنه قال لمعلم ولديه : لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها :

دَعَيْنى لِلغنى أَسعى فَإِنى رأيت الناسَ شرَّهم الفَقيرُ

ويقول : إن هذا يدعوهم إلى الأعتراب عن أوطانهم في طلب الغنى ، وكان  
النبي صلى الله عليه وسلم قد جلّاه مع من جلّاه من بني النضير .  
وذكر أبو عمرو الشيباني أن عروة بن الورد أصاب امرأة من بني كنانة بكراً ،  
يقال لها : سلمى ، وتكنى أم وهب ، فأعتقها وأخذها لنفسه ، فكثت عنده  
بضع عشرة سنة ، وولدت له أولادا ، وهو لا يشك أنها أرغبت الناس فيه ،  
وهي تقول له : لو حججت فأمرت على أهلي وأراهم ! فحج بها ، وأتى مكة ، ثم أتى  
المدينة .

وكان يخالط بني النضير من يثرب ، فيقرضونه إذا احتاج ويبايعهم (٢) إذا غنم ،  
وكان قومها يخالطون بني النضير ، فاتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارج  
بى قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتمالوا إليه ، فأخبروه أنكم تستحيون أن تكون  
امرأة منكم معروفة بالنسب ، صريحته (٣) سبية ، وأفتدوني منه ، فإنه لا يرى أن أفارقته

(١) الأغاني : « كيف » .

(٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع .

(٣) فى الأغاني : « صحيفته » .

ولا أختار عليه أحدا ، فأتوه فسقوه الشراب ، فلما تميل قالوا له : فادنا بصاحبنا فإنها وسيطة<sup>(١)</sup> النسب فينا معروفة ، وإن علينا سبة أن تكون سيئة ، فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فأخطبها إلينا ، فإننا نُنكحك .

فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي الشرط فيها أن تُخبروها ، فإن أختارتني أنطلقت معي إلى ولديها ، وإن أختارتكم أنطلقتنم بها .

قالوا : ذلك لك ، قال : دعوني ألهُ بها الليلة وأفادها<sup>(٢)</sup> غدا . فلما كان الغد ، جاءوه فامتنع من فداها ، فقالوا : قد فاديتها<sup>(٣)</sup> منذ البارحة ، وشهد عليه جماعة ممن حَضَرَ ، فلم يقدر على الامتناع وفادها ، فلما فادوه بها خبروها ، فاختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة ، أما إنني أقولُ - وإن فارقتك - الحق ، والله ما أعلم امرأة من العرب ألت سترها على بعلٍ خيرٍ منك ، وأعصَّ طرفاً ، وأقلَّ فحشاً ، وأجودَ بدأً ، وأحمى للحقيقة<sup>(٤)</sup> ؛ وما مرَّ علىَّ يومٌ منذ كنتُ عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ إليَّ من الحياة بين قومك ! لأنني لم أكن أنا أسمعُ امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا ، فوالله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً ، فأرجع راشداً إلى ولدك ، وأحسن إليهم ؛ فقال عروة فيها أبياته التي فيها :

سَقَوْنِي الخمرَ ثمَّ تَكَنَّفُونِي  
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ  
وقالوا لستَ ببداءِ فدَاءِ سَلَمَى  
بمَنْ مَالِدَيْكَ وَلَا قَقِيرٍ

وأولها :

أرقتُ وصحبتني بمضيقٍ عمقٍ لبرقٍ من تهامةٍ مستطيرٍ<sup>(٥)</sup>

(١) وسيطة النسب : حسيبة في قومها .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « وأفادها » .

(٣) الأغاني « فاديتنا » .

(٤) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه .

(٥) عمق : موضع قرب المدينة من بلاد مزينة .

سَقَى سَلَمَى وَأَبْنَ دِيَارٍ سَلَمَى إِذَا كَانَتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ (١)

وقيل : إن قومها أغلوا الفداء فيها ، وكان معه طلقٌ جبار وأخوه وأبنُ عمه ، فقالا له : والله لئن تقبل ما أعطوك لا تفقر أبدا ، وأنت على النساء قادر متى شئت . وكان قد سكر ، فأجاب إلى فداها ، فلما صحّا ندِم ، فشهِدُ واعليه بفداها فلم يقدر على الامتناع .

وجاءت سلمى تُثنى عليه ، فقالت : والله إنك ما علمت لضحوك مُقبلاً ، كسوبٌ مُدبراً ، خفيفٌ على من الفرس ، ثقيلٌ على من العدو ، طويلُ العماد ، كثيرُ الرماد . فأستوصِ ببنيك .

[ ثم فارقتَه ] (٢) وتزوجها رجلٌ من بني عمها ، فقال لها يوم من الأيام : يا سلمى أئنبي على كما أئنبتِ على عُرْوَةَ ، وقد كان قولها فيه شهر ، فقالت له : لا تكلفني ذلك . فقال : عزمتُ لتأينني في مجلسي (٣) فلتعثنين علي بما تعلمين . وخرج مجلس في نادى قوميه ، وأقبلت فرماها الناسُ بأبصارهم ، فوقف عليهم وقالت : أنعموا صباها ؛ إن هذا عزم علي أن أئنبي عليه بما أعلم ، ثم أقبلت عليه فقالت : والله إن شملتكَ لآلتِحاف ، وإن شربك لأشتِفاف (٤) ؛ وإنك لتعنام ليلة تخاف ، وتشبع ليلة تُضاف ، وما تُرضي الأهلَ ولا الجار (٥) .

ثم أنصرفت فلامه قومه ، وقالوا : ما كان أغناك عن هذا القولِ منها .

(١) السرير : موضع ذكره ياقوت ، وفي ب ، ج « السدير » ، والصواب ما أنبته من

الأغاني .

(٢) تسكلمة من الأغاني .

(٣) الأغاني : « في مجلس تومى » .

(٤) الاشتفاف : شرب كل ما في الإنار .

(٥) الأغاني : « ولا الجانب » .

وقال أبو قَعَس : كان عروةُ بنُ الوردِ إذا أصابت الناسَ سنَّةٌ شديدةٌ ، تركوا في ديارهم المريضَ والكبيرَ والضعيفَ ، وكان عروةٌ يجمع أشباهَ هؤلاء من دون الناسِ من عشيرته في الثَّرَّة ، ثم يحْمِلُ لهم الأَسْرابَ ، ويكُنْفُ عليهم الكُنْفَ <sup>(١)</sup> ، ويسألُهُم <sup>(٢)</sup> فمن قسوى منهم خرج به معه ، فأغارَ ، وجعل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيبا ، فإذا أخصبَ الناسُ أَلْحَقَ كلَّ إنسانٍ بأهله ، وقسمَ له نصيبه من غنيمته ؛ فرَبَّما أتَى الإنسانَ أهله وقد أستغنى ؛ فلذلك سُمِّيَ عروةَ الصَّمَالِيكِ ؛ فقال في بعض السنن ، وقد ضاقتْ حاله :

لعلَّ أرتيادي في البلادِ وبُعيتي      وشدِّي حيازيمَ المطيِّةِ بالرحلِ  
سيدَ فَعْنِي يوماً إلى ربِّ هَجْمَةٍ      يُدافعُ عنها بالمعقوقِ وبالْبُخْلِ <sup>(٣)</sup>

فزعموا أن الله عزَّ وجل قيضَ له - وهو مع قوم من عشيرته في شتاء شديد - ناقتين دهما وتين ، ففجَّرَ لهم إحداهما ، وحَمَلَ متاعهم وضعفاءهم على الأخرى ، وجعل ينقلُ بهم من مكان إلى مكان ، فنزلَ بهم ماءٌ يقال له : ما وان <sup>(٤)</sup> .

ثم إن الله عزَّ وجل قيضَ له رجلا صاحبَ مائةٍ من الإبل ، قد فرَّ بها من حقوقِ قومه ؛ وذلك أول ما ألبَنَ الناسُ - فقتله ، وأخذ إبِلَه وأمرأته ، وكانت من أحسن الناس <sup>(٥)</sup> ، فأتى بالإبلِ أصحابَ الكنيفِ فحلبَها لهم ، وحملهم عليها ؛ حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبلَ يَقْسِمُها بينهم ، فيأخذ مثلَ نصيبِ أحدهم ، فقالوا له : واللآتِ والمُزَيِّ لا نرضى حتى تجعلِ المرأةَ نصيبا لمن <sup>(٦)</sup> أخذها ، فجعلَ يهْمُ أن يحْمِلَ

(١) يكنف عليهم الكنف ؛ أى يتخذ لهم حظائر يؤويهم إليها ، واحدها كنيف .

(٢) الأغاني : « ويكسبهم » .

(٣) الهجمة من الإبل : ما بين السبعين إلى المائة ، فإذا بلغت المائة فهي هنيئة .

(٤) ما وان : قرية في أودية الفلاة من أرض اليمامة .

(٥) الأغاني : « النساء » .

(٦) الأغاني : « فن شاء أخذها » .

عليهم ليقتلهم ، وينزع الإبل منهم ، ثم ذكر أنهم صنائمه <sup>(١)</sup> وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع ؛ فأفكر طويلا ، ثم أجابهم إلى أن يرُدَّ عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله ، فأبوا عليه حتى أتدب رجلا منهم ، فجعل له راحلة من نصيبه ؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي منها :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم      كما الناس لما أمرعوا وتمولوا  
فإني لمدفوعٌ إلىِّ ولاؤهم      بما وان إذ نمشي وإذ تتمللُ

وكان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، يقال لها : ليلى بنت شعواء ، فكثت عنده زمانا وهي ممجبةٌ به ، تربيه أنها تحبّه ثم أسترارته أهلها ، فحملها حتى أتاهم .

فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه ، وتوعدّه قومها بالقتل ، فأنصرف عنهم ، وأقبل عليها وقال لها : يا ليلى ، خبري صاحبك <sup>(٢)</sup> عني كيف أنا ؟ فقالت : ما أرى لك عقلا ، أتراني قد اخترتُ عليك ، وتقول : خبري عني ؟ فقال في ذلك :

تحنُّ إلى ليلى بجرُّ بلادها      وأنت عليها بالملأ كنت أقدرا <sup>(٣)</sup>  
وكيف ترُجِّها وقد حيلَ دونها      وقدجاوزت حياءً بتيمن منكرا <sup>(٤)</sup>  
لعلك يوما أن تسرِّي ندامةً      على بما جشمتني يوم غضورا <sup>(٥)</sup>

ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس ، ثم من بني سكين ، يقال لها :

(١) الأغاني : « صنيعته » .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي الأغاني : « صواحبك » .

(٣) حر بلادها : أكرمها ووسطها . الملا : الأرض الواسعة للمساء التي لا جبل فيها ولا

شجر ؛ وهي هنا موضع .

(٤) الأغاني : « بتياء » ، وتياء وتيمن : موضعان .

(٥) تسرى : تكشف . وغضور : مدينة فيما بين المدينة إلى خزاعة وكنانة .

أَسْمَاءَ ، فَمَا لَبِثْتُ عِنْدَهُمْ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا قَوْمُهَا ، فَبَلَغَ عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ أَنَّ عَامَرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فَخَرَ بِذَلِكَ ، وَذَكَرَ أَخْذَهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ عُرْوَةُ يَمُرُّهُمْ بِأَخْذِهِ لَيْلَى بِنْتُ شَعْوَاءِ الْهَلَالِيَّةِ :

إِنْ تَأْخُذُوا أَسْمَاءَ مَوْفِ سَاعَةٍ  
لَيْسِنَا زَمَانًا حُسْنَهَا وَشَبَابَهَا  
فَأَخَذُ لَيْلَى وَهِيَ عَذْرَاءٌ أُعْجَبُ  
وَرُدَّتْ إِلَى شَعْوَاءِ وَالرَّأْسُ أُشِيبُ

دَخَلَ ثُمَامَةُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ : يَا ثُمَامَةُ ، أَنْتِ حَفِظْتِ حَدِيثَ ابْنِ عَمِّكَ عُرْوَةَ الصَّمَالِيكَ ، ابْنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِيُّ ؟ قَالَ : أَيْ حَدِيثِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَدْ كَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ حَسَنَةً ؛ قَالَ : حَدِيثُهُ مَعَ الْهُدَلَى الَّذِي أَخَذَ فَرَسَهُ ؛ قَالَ : مَا يَحْضُرُنِي ذَلِكَ فَأَرْوِيهِ .

فَقَالَ الْمَنْصُورُ : خَرَجَ عُرْوَةُ حَتَّى دَنَا مِنْ مَنَازِلِ هُدَيْلٍ ، فَكَانَ مِنْهَا عَلَى نَحْوِ مِيلَيْنِ ، فَإِذَا هُوَ بِأَرْبَعِ فَرَمَاهَا ، ثُمَّ أَوْرَى نَارًا فَشَوَاهَا وَأَكَلَهَا ، وَدَفَنَ النَّارَ عَلَى مَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ اللَّيْلُ ، وَغَارَتِ النُّجُومُ ، ثُمَّ أَنَّى مَرَّحَةً<sup>(١)</sup> فَصَعِدَهَا ، وَتَخَوَّفَ الظَّلْبُ ، فَلَمَّا تَغَيَّبَ فِيهَا إِذَا الخليلُ قد جَاءَتْ ، وَتَخَوَّفُوا الْبِيَّاتَ<sup>(٢)</sup> .

قَالَ : جَاءَتْ جَمَاعَةٌ مَعَهُمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ ، فَجَاءَ حَتَّى رَكَزَ رُحْمَهُ فِي مَوْضِعِ النَّارِ ، وَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ النَّارَ هَاهُنَا ، فَتَزَلَّ رَجُلٌ ؛ كَخَفَرِ قَدَرِ ذِرَاعٍ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ، فَرَكِبَ الْقَوْمُ<sup>(٣)</sup> يَمْدُؤُونَهُ وَيَعْبِيُونَ أَمْرَهُ ، وَيَقُولُونَ : عَنَيْتَنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْقَرَّةِ ، وَزَعَمْتَ لَنَا شَيْئًا كَذَبْتَ فِيهِ .

(١) السرحة : واحدة السرح ؛ وهو شجر كبار عظام لا ترعى ؛ وإنما يستظل به .

(٢) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا دون أن يعلموا .

(٣) الأغاني : فأكب القوم على الرجل .



فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النارَ في موضعِ رُمحِي . فقالوا : ما رأيتَ شيئاً ؛ ولكنَّ تَحَذُّلُكَ<sup>(١)</sup> هو الَّذي حَمَلَكَ على هذا ، وما نَعَجِبُ إلا لأنفسنا حينَ أَطْعَمْنَا أَمْرَكَ .

ولم يزلوا بالرجل حتى رجع ، وأتبعهم عروةُ بنُ الورد ، وكَمِنَ<sup>(٢)</sup> في كَسْرِ بَيْتِ ، وجاء الرجلُ إلى امرأته ، وقد خالفه إليها عبدُ أسودَ ، وعروةُ يُنظرُ ، فأناها العبدُ بِمُلبَبةٍ فيها لَبَنٌ ، فقال : اِشْرَبِي . فقالت : لا أو تَبْدَأُ ، فبَدَأَ الأَسودُ فَشَرِبَ . فقالت للرجل حين جاء : لعن اللهُ صَلفَكَ<sup>(٣)</sup> ، عَنَيْتَ<sup>(٤)</sup> قومَكَ منذ اللَّيلةِ ! قال : لقد رأيتُ ناراً ، ثم دعا بالمُلبَبةِ لِيشْرَبَ ، فقال حين ذهب لِيَسْكُرَ : رِيحُ رَجُلٍ وَرَبِّ الكَمْبَةِ !

فقالت المرأةُ : وهذه أخرى ، أي رِيحُ رَجُلٍ تَجِدُهُ في إنائكِ غيرِ رِيحِكَ ! ثم صاحت ، فجاء قومُها فأخبرتهم خبره ، ثم قالت : يَتَهَمُنِي وَيظنُّ بِي الظَّنُّونَ ! فأقبلوا عليه حتى رَجَعَ عن قوله .

فقال عروةُ : هذه ثانية . ثم أوى الرجلُ إلى فراشه ؛ فوثبَ عروةُ إلى الفَرَسِ ، وهو يريد أن يذهب به ؛ فضربَ الفرسُ بِيَدِهِ ، وتحرَّكَ فَرَجَعَ عروةُ إلى مَوْضِعِهِ ، ووثبَ الرجلُ فقال : ما كنتَ تَكْذِبُني ، فما لكِ ؟ فأقبلتُ عليه امرأتهُ لَوْماً وَعَدْلاً .

قال : فصنعَ عروةُ كذلك ثلاثاً ، والفرسُ تَمَتَّعَهُ ، وتلك حالُ الرَّجُلِ ، ثم أوى إلى فراشه ، وضجَّ من كثرةِ قيامِهِ ، وقال : لا أقومُ إليك اللَّيلةِ .

(١) التحذلق : إظهار الخدق .

(٢) كمن : استخفى ؛ وكسر البيت : جانبه .

(٣) الصلف : مجاوزة الرجل قدره .

(٤) عنيت قومك : أتعبتهم .

وأناه عُرْوَةٌ ، فَجَالَ فِي مَتْنِهِ <sup>(١)</sup> يَقُولُ : الْحَقِي فإِنَّكَ مِنْ نَسْلِهِ ، قَالَ : فَلَمَّا انْقَطَعَ عَنِ الْبُيُوتِ قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، قِفْ ؛ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَنِي لَمْ تُقَدِّمِ عَلَيَّ ، أَنَا عُرْوَةٌ بِنُ الْوَرْدِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكَ اللَّيْلَةَ عَجَبًا ، فَأَخْبَرَنِي بِهِ وَأَرَدَ عَلَيْكَ <sup>(٢)</sup> فَرَسَكَ .

قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : جِئْتُ مَعَ قَوْمِكَ حَتَّى رَكَزْتَ رُحْمَكَ فِي مَوْضِعِ نَارٍ قَدْ كُنْتُ أَوْقَدْتُهَا ، فَتَنَوَّكَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَتَشَنَيْتَ وَقَدْ صَدَقْتَ ؛ فَأَتَبَعْتُكَ حَتَّى أَتَيْتَ بَيْتَكَ ، وَبَيْنَ مَنْزِلِكَ وَبَيْنَ النَّارِ مِيلَانِ فَأَبْصَرْتَهَا مِنْهُمَا ، ثُمَّ شَمَمْتَ رَأْحَةَ رَجُلٍ فِي إِيَّائِكَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ الرَّجُلَ حِينَ آثَرْتَهُ زَوْجَتُكَ بِالْإِنَاءِ وَهُوَ عَبْدُكَ الْأَسْوَدُ ، وَأُظَنَّ بَيْنَهُمَا مَا لَا تُحِبُّ ، فَقُلْتُ : رِيحُ رَجُلٍ ؛ فَلَمْ تَزَلْ تَتَشَنِيكَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى أَتَشَنَيْتَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى فَرَسِكَ فَأَرَدْتُهُ ؛ فَأَضْطَرَبَ إِلَيَّ أَنْ ضَحِجْتَ ، فَأَضْرَبْتَ عَنْهُ .

فَرَأَيْتُكَ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ كَامِلًا ، وَلَكِنَّكَ تَتَشَنَى وَتَرَجِّعُ ؛ فَضَحِكَ ، وَقَالَ : ذَلِكَ لِأَخْوَالِ السَّوَّةِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَ مِنْ صَرَامَتِي فَهِيَ مِنْ قَبْلِ أَعْمَامِي ، وَهُمْ هُدَيْلٌ ، وَمَا رَأَيْتَ مِنْ كَمَا عَتَى <sup>(٣)</sup> ، فَهِيَ مِنْ قَبْلِ أَخْوَالِي وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ خُرَاعَةَ ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي رَأَيْتَ أَمْرَأَةً مِنْهُمْ ، وَأَنَا نَازِلٌ فِيهِمْ وَذَلِكَ مَا يَتَّئِبُنِي عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، وَأَنَا لِأَحَقُّ بِقَوْمِي ، وَخَارِجٌ عَنْ أَخْوَالِي ، وَمُحَلٌّ سَبِيلَ الْمَرْأَةِ ؛ وَلَوْلَا مَا رَأَيْتَ مِنْ كَمَا عَتَى لَمْ يَقَوْ عَلَيَّ مُنَاوَأَةٌ قَوْمِي أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ .

فَقَالَ عُرْوَةٌ : خُذْ فَرَسَكَ ، وَأَمْضِ رَاشِدًا .

فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَخْذِهِ مِنْكَ ، فَعِنْدِي مِنْ نَسْلِهِ جَمَاعَةٌ ، نُخَذُهُ مُبَارَاكَ كَالَّذِي فِيهِ .

(١) كَذَا فِي ب ، ج ؛ وَفِي الْأَغَانِي : « فَجَالَ » .

(٢) الْأَغَانِي : « لِإِيَّاكَ » .

(٣) الْكَمَا عَتَى : الْجَبِينُ وَالضَّعْفُ .

ثم قال المنصور : أفلا أحدنُّك بحديثٍ هو أطرفُ من هذا ؟ قال : بلى يا أميرَ المؤمنين . فإنَّ الحديثَ إذا جاءَ منك كانَ له فضلٌ على غيره . قال : خرج عروةُ وأصحابُه حتَّى نزلَ ماوانَ ، فأنزلَ أصحابَه وكَنَفَ عليهم كَنيفًا من الشَّجرِ ، وهم أصحابُ الكَنيفِ الَّذي سمعته يقول فيهم :

ألا إنَّ أصحابَ الكَنيفِ وجدتهمُ  
كما النَّاسَ لما أمرُوا وتموَّأوا  
وفي هذه الغزاة يقول :

ألا إنَّ أصحابَ الكَنيفِ تروَّحُوا  
عشيَّةَ بَتْنَا عندَ ماوانَ رُزَحِ (١)  
ليبلُغَ عُذْرًا أو يَنالَ غَنيمَةً  
ومُبلِغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنْجِحِ (٢)

ثم مضى يبتغي لهم شيئًا ، وقد جهدوا ، فإذا هو بأبياتٍ شعرٍ وأمرأةٍ ، قد خلا سِنُّها ، وشيخٍ كبيرٍ كالجلد (٣) الملقى ، فكمن في كسر بيتٍ منها ، وقد أجدب الناسُ ، وهلكت الماشية ، فإذا هو في البيت بسُحورٍ ثلاثة مشويّة - والسُحورُ : الحلقوم بما فيه - والبيتُ خالٍ ، فأكلها وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئًا ، فأشبعته وقوى ، فقال : لا أبالي بمن لقيتُ بعدها ، ونظرتِ المرأةُ فظننتِ الكلبَ أكلها .

فقات للكلب : أفعلتَها يا خبيث ! وطردته ؛ فإنه لكذلك إذا هو عند المساء يا بابلٍ قد أقبلتُ ، وقد ملأتِ الأفقُ ، وإذا هي تلتفتُ فرقاءً ، فعملت أن راعيها جلدٌ شديدُ الضرب لها ، فلما أتت المناخَ بركتُ ، ومكث الراعي قليلا ، ثم أتى ناقةً منها فمرى (٤) أخلافها ، ثم وضع العلبَةَ على ركبتيه وحلبَ حتَّى ملأها ، ثم أتى الشيخَ

(١) رزح : جمع رازح ؛ وهو الهالك هزالا .

(٢) الأغانى : « أو يصيب غنيمه » .

(٣) الأغانى : « كالخفاء » ، والخفاء : الإزار .

(٤) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .

فَسَقَاهُ ، ثُمَّ أَتَى نَافَةَ أُخْرَى فَفَعَلَ بِهَا كَذَلِكَ ، وَسَقَى الْمَجُوزَ ، ثُمَّ أَتَى نَافَةَ أُخْرَى فَعَمِلَ بِهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَشَرِبَ ، هُوَ ثُمَّ التَّفَعُّعُ بِشُوبٍ وَأَضْطَجَعَ نَاحِيَةً .

فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْمَرْأَةِ - وَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ : كَيْفَ تَرَيْنَ ابْنِي ؟ فَقَالَتْ : لَيْسَ بِابْنِكَ : قَالَ : فَأَبْنُ مَنْ وَبَيْتِكَ ! قَالَتْ : ابْنُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ . قَالَ : وَمِنْ أَيْنَ ؟ قَالَتْ : أَتَذْكُرُ يَوْمَ مَرَّ بِنَا وَنَحْنُ نُزِيدُ سُوقَ ذِي الْمَجَازِ . فَقُلْتُ : هَذَا عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ ، وَوَصَفْتَهُ لِي بِجِلْدٍ ؟ فَإِنِّي اسْتَبْطَنْتُهُ<sup>(١)</sup> ، فَسَكَتَ حَتَّى نَوِّمَ<sup>(٢)</sup> ؛ وَثَبَّ عُرْوَةُ وَصَاحَ بِالْإِبِلِ فَاقْتَطَعَ مِنْهَا نَحْوًا مِنَ النِّصْفِ ، وَمَضَى وَرَجَا أَلَّا يَتَّبِعَهُ الْغُلَامُ - وَالْغُلَامُ : حِينَ بَدَأَ شَارِبُهُ - فَأُتْبِعَهُ ، فَأَتَّخَذَا<sup>(٣)</sup> وَعَالَجَهُ وَعَاجَلَهُ .

قَالَ : فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَوَقَعَ قَائِمًا ، فَتَخَوَّفَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ وَائْتَبَهُ ، فَضْرَبَ بِهِ وَبَادَرَهُ .

فَقَالَ : أَنَا عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ - وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُعْجِزَهُ عَنْ نَفْسِهِ - قَالَ : فَأَرْتَدِّعُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَبَيْتِكَ ! لَسْتُ أَشُكُّ أَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مَا كَانَ مِنْ أُمِّي .

قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَذْهَبُ مَعِيَ أَنْتَ وَأُمَّكَ ، وَهَذِهِ الْإِبِلُ وَدَعُ الرَّجُلَ فَإِنَّهُ لَا يَنْهَاكَ<sup>(٤)</sup> عَنْ شَيْءٍ .

قَالَ : الَّذِي بَقِيَ مِنْ عُمَرُ الشَّيْخِ قَلِيلٌ ، وَأَنَا مُقِيمٌ مَعَهُ مَا بَقِيَ ؛ فَإِنَّ لَهُ حَقًّا وَذِمَامًا ، فَإِذَا هَلَكَ فَمَا أَسْرَعَنِي إِلَيْكَ ، وَخُذْ مِنْ هَذِهِ الْإِبِلِ بَعِيرًا .

قُلْتُ : لَا يَكْفِينِي ، إِنَّ مَعِيَ أَحْسَابًا<sup>(٥)</sup> قَدْ خَلَّفْتُهُمْ . قَالَ : اثْنَانِ ؟ قُلْتُ : لَا .

(١) اسْتَبْطَنْتُهُ : وَوَقَفْتُ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ . وَفِي الْأَغَانِي : « اسْتَطْرَفْتُهُ » ، أَيْ عَدَدْتُهُ طَرِيفًا .

(٢) نَوِّمُ : مِبَالِغَةٌ فِي « نَامَ » .

(٣) يُقَالُ : اتَّخَذَ الْقَوْمُ ؛ إِذَا أَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْقِتَالِ .

(٤) كَذَا فِي الْأَغَانِي ؛ وَهُوَ الصَّوَابُ ؛ وَفِي ب ، ج : « يَنْهَيْكَ » .

(٥) الْأَغَانِي : « أَحْسَابِي » .

قال : فثلاثة ، والله لا زدُك على ذلك ، فأخذها ومضى إلى أصحابه ؛ ثم إن الغلام  
احق به بعد هلاك الشيخ .

قال مُمامة : والله يا أمير المؤمنين ، لقد زينتته عندنا وعظمتته في قلوبنا .

قال : فهل أعقب عندكم ؟ قال : لا ، ولقد كنا نتشاءمُ بأبيه ؛ لأنه هو الذى  
أوقع الحرب بين عبس وفزارة ، ولقد بلغنى أنه كان له ابنٌ أسنَّ من عروة ،  
وكان يُؤثره على عروة فيما يعطيه ويُقرُّ به . فقيمل له : أتؤثر الأكبر مع غناه  
على الأصغر مع ضعفه ؟

قال : أترون هذا الأصغر ؛ إن بقى مع ما أرى من شدة نفسه ، ليصيرن الأكبر  
عياً لا عليه .

## ذِكْرُ عُكَّاشَةَ الْعَمِّيِّ \*

هو عُكَّاشَةُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، مِنْ بَنِي الْعَمِّ، وَأَصْلُ بَنِي الْعَمِّ كَلْدَفُوعٌ، يُقَالُ: إِنَّهُمْ نَزَلُوا فِي بَنِي تَمِيمٍ بِالْبَصْرَةِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَسْلَمُوا، وَغَزَوْا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَحُمِدَ (١) بِلَاؤُهُمْ.

فَقَالَ النَّاسُ لَهُمْ: أَنْتُمْ - وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنَ الْعَرَبِ - إِخْوَانُنَا وَأَهْلُنَا، فَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ وَبَنُو الْعَمِّ. فَلَقَّبُوا بِذَلِكَ، وَصَارُوا فِي مُجْمَلَةِ الْعَرَبِ.

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَعْدَانَ الْأَشْجَرِيُّ يَهْجُو بَنِي نَاجِيَةَ وَيَشْبَهُهُمْ بِبَنِي الْعَمِّ:  
 وَجَدْنَا الْعَمَّ شَامَةً فِي قُرَيْشٍ كَمِثْلِ الْعَمِّ بَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ  
 حَدَّثَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ: لَمَّا تَوَاقَفَ (٢) جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ بِالْمَرْبَدِ لِلْهِجَاءِ، أَقْبَلَتْ  
 بَنُو يَرْبُوعٍ وَبَنُو مُجَاشِعٍ، فَأَمَدَّتْ بَنُو الْعَمِّ بَنِي مُجَاشِعٍ، وَجَاءَ وَهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ  
 الْخَشْبُ، فَطَرَدُوا بَنِي يَرْبُوعٍ.

فَقَالَ جَرِيرٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: بَنُو الْعَمِّ. فَقَالَ جَرِيرٌ يَهْجُوهُمْ:

مَا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ عِزٍّ يَلُودُ بِهِ سِوَى بَنِي الْعَمِّ فِي أَيْدِيهِمْ الْخَشْبُ (٣)  
 سِيرُوا بِبَنِي الْعَمِّ فَالْأَهْوَاؤُ مِثْرُكُمْ وَنَهْرُ تَيْرِي وَلَا تَعْرِفُكُمْ الْعَرَبُ (٤)  
 الضَّارِبُ النَّخْلَ مَا يَنْتَوُ مَا جِلْهُمُ عَنِ الْعُدُوقِ وَلَا يُغْنِيهِمُ الْكَرْبُ

\* ترجمته في الأغاني ٣: ٢٥٧ - ٢٦٥ (طبعة دار الكتب)

(١) الأغاني: «وحسن».

(٢) تواقفا: وقف أحدهما الآخر.

(٣) الأغاني: «إلا بني العم».

(٤) الأغاني: «فالأهواز داركم».

وَعُكَّاشَةٌ شَاعِرَةٌ مُقِلَّةٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، لَكِنْ لَيْسَ لَهُ شُهْرَةٌ  
وَلَمْ يَخْدُمْ الْخُلَفَاءَ .

قال سعيد الكاتب : كان عكاشة العمي صديقاً لي ، وكنا نتعاشر ولا نكاد  
أن نفرق ، ولا يكتم أحدنا صاحبه شيئاً ، فرأيتُه في بعض أيامه متغير الهيئة  
عما عهدته ، منقسم<sup>(١)</sup> الفكر ، غير آخذ فيما كنا فيه من الفكاهة والمزاح  
فسألتُه عن حاله ، فكأتمنئها ملياً ، ثم أخبرني أنه هوى جارية لبعض الهاشميين ،  
يقال لها : نعيم ، وأن مرامها عليه مستصعب ، لا يراها إلا من جناح لدارهم  
تُشرف عليه في الفينة<sup>(٢)</sup> بعد الفينة ، فتكلمه كلاماً يسيراً ، فماتتُه على ذلك ،  
فلم يزد جر .

ثم جاءني يوماً فقال : قد وعدتني الزيارة ؛ لأن شكواي إليها طالت .  
فقلت : فهل حقت لك الوعد على يومٍ بعينه ؟ فقال : لا ، إنما سألتها الزيارة .  
فقلت : نعم ، فقلت : وهذا أعجب من سائر ما مضى ، وأى شيء لك في هذا من  
الفائدة بلا تحصيل الوعد ؟

فقال : يا أخي ، إن لي في قولها [ نعم ]<sup>(٣)</sup> فرجاً كبيراً . فقلت له : أنت أفنع  
الناس ، ثم جاء بعد يومين وهو كسف البال مهموم . فقلت له : مالك ؟ فقال :  
مضيتُ إلى نعيم فتنجزتها وعدتها ، فقالت : إن لي صاحبةً أستنصحتها ، وأعلمُ  
أنها تُشفق على شفقة الأختِ على أختها ، والأم على ولدها ، وقد نهتني عن ذلك .  
وقالت : إن في الرجال غدرًا ومكرًا ، ولا آمن أن تقضحين ثم لا تحصلين منه  
على شيء ، وقد أقطعت عني ، وأنشدني لنفسه أبياتاً فيها :

(١) الأغاني : « مقسم القلب والفكر » .

(٢) الفينة : الحين .

(٣) من الأغاني .

عَلَامَ حَبْلِ الْوَفَاءِ مَنْصَرِمُ      وَفِيمَ عَنَى الصُّدُودُ وَالصَّمَمُ  
 يَا مَنْ كَفَيْتَنَا عَنْ أَسْمِهِ زَمَانًا      نَتَّبِعُ مَرْضَاتَهُ وَيَجْتَرِمُ  
 قَدْ عِيلَ صَبْرِي وَأَنْتِ لَاهِيَةٌ      عَنَى وَقَلْبِي إِلَيْكَ يَضْطَرِمُ  
 يَا رَبِّ حُدِّ لِي مِنَ الْوُشَاةِ إِذَا      قَامُوا وَقُمْنَا إِلَيْكَ نَخْتَصِمُ  
 يَا حَاسِدِينَنا مُوتُوا بِمَغِظَتِكُمْ      حَبْلِي مَتِينٌ بِقَوْلِهَا « نَعَمْ »

ثم طال ترداده إليها وأستصلاحها ، فلم ألبث أن جاءني رقعته في يوم خميس  
 يُعلمني فيها أنها حصلتَ عنده ، ويستدعيني ، فحضرتُ فقوارتُ عنى ساعةً ،  
 وهو يُخبرها أنه لا فرق بيني وبينه إلى أن خرجتُ ، فأجتمعتُنا وشربنا ، وغنّت  
 غناءً حسنًا إلى وقتِ العصر ، ثم أنصرفتُ فأخذتُ دواءً وكتب :

حُبًّا لِمَجْلِسِنَا الَّذِي كُنَّا بِهِ      يَوْمَ الْخَمِيسِ جَمَاعَةً أَصْحَابًا (١)  
 فِي عُرْفَةٍ مَطْرَتْ سَمَاوَةَ سَقْفِهَا      ثَمَرَ النَّعِيمِ مِنَ الْكُرُومِ شَرَابًا (٢)  
 إِذْ نَحْنُ نُسْقَاهَا شَمُولًا قَرْفًا      تَدَعُ الصَّحِيحَ بِعَقْلِهِ مُرْتَابًا  
 حَمَاءَ مِثْلِ دَمِ الْغَزَالِ وَتَارَةً      بَعْدَ الْمِزَاجِ تَخَالُهَا زُرْيَابًا  
 مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بِنَانَهَا      مِنْ فِضَّةٍ قَدْ قُمِعَتْ عُنَابًا  
 وَالْعُودُ مُتَّبِعُ غِنَاءِ خَرِيدَةٍ      غَرْدًا يَقُولُ كَمَا تَقُولُ صَوَابًا  
 وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ      تَلْقَى عَلَى بَدِّهَا الشَّمَالَ حِسَابًا  
 آلَيْتُ لَا الْحَيَّ عَلَى طَلَبِ الْهَوَى      مِثْلُذًّا حَتَّى أَكُونَ تُرَابًا

قال : ثم قدم قادمٌ من بَمَدَاد ، فأشترى « نعيمٌ » هذه من مولانا (٣) ،

(١) الأغاني : « سقيا لمجلسنا » .

(٢) السماوة : السماء . وفي الأغاني : « بحيا النعيم »

(٣) الأغاني : « مولاتها » .



ورَحَلَ بِهَا عَنِ الْبَصْرَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَسِيفَ عُكَّاشَةَ ، وَجَزَعَ عَلَيْهَا ، وَهَامَ بِهَا طَوْلَ  
عَمْرِهِ ، وَأَسْتَحَالَتْ صَوْرَتُهُ وَخَلِقَتُهُ وَطَبْعُهُ ؛ إِلَى أَنْ فَرَّقَ الذَّهْرُ بَيْنَهُمَا .  
وَكَانَ أَكْثَرَ شُغْلِهِ وَفِكْرِهِ أَنْ يَقُولَ فِيهَا الشَّعْرَ ، وَيَنُوحَ بِهِ عَلَيْهَا وَيَسْكِي ،  
فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِيهَا :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُنَّ مَا مَضَى	وَهَلْ رَاجِعٌ مَافَاتٍ مِنْ صِلَةِ الْحَبْلِ !
وَهَلْ أَجْلِسُنِي فِي مِثْلِ مَجْلِسِنَا الَّذِي	نَعْمِنَا بِهِ يَوْمَ السَّعَادَةِ بِالْوَصْلِ
وَقَيْنَتُنَا كَالظَّبْيِ تَسْمَعُ بِالْهَوَى	وَبَثَّ تَبَارِيحِ الْفُؤَادِ عَلَى رِسْلِ (١)
إِذَا مَا حَاكَتْ بِالْعُودِ رَجَعَ لِسَانُهَا	رَأَيْتَ لِسَانَ الْعُودِ مِنْ كَفِّهَا يُعْمَلِي
فَلَمْ أَرَ كَاللَّذَاتِ أَمْطَرَتِ الْهَوَى	وَلَا مِثْلَ يَوْمِي ذَاكَ صَادَفَهُ مِثْلِي

وَمِمَّا قَالَ فِيهَا :

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ الَّذِي	وَلَّى بِيَهْجَتِهِ الْقَصِيرِ
إِذْ نَحْنُ خُلَّانُ الْهَوَى	رَبِحَانُنَا عَمِيقَ الْعَبِيرِ
وَحَدِيثُنَا بِمُجَاجِبِ	نَطَقَتْ بِأُلسِنَةِ الضَّمِيرِ
بَلْ رُسُلُنَا الْكُتُبُ الَّتِي	تَجْرِي بِخَافِيَةِ الصُّدُورِ

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ : أَنْشَدَ عُكَّاشَةَ مُوسَى الْهَادِي قَوْلَهُ :

كَانَ فُضُولُ الْكَأْسِ مِنْ زَبَدَاتِهَا      خَلَاخِيلُ شُدَّتْ بِالْجَمَانِ إِلَى حِجْلِ (٢)

فَقَالَ لَهُ مُوسَى : وَاللَّهِ لِأَجْلِدَنَّكَ حَدَّ الْخَمْرِ ، قَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَإِنَّا نَقُولُ وَلَا نَقْمَلُ ؟ قَالَ : كَذَبْتَ ، قَدْ وَصَفْتَهَا صِفَةً عَالِمٍ بِهَا ، فَقَالَ : اجْعَلْ لِي

(١) الرسل : التثؤدة والرفق .

(٢) الزبدات : جمع زبدة ؛ وهى الطائفة من الزبد ؛ وهو طفاوة الماء . والجمان : اللؤلؤ

والحجل : الخلخال .

الأمانَ حتَّى أتكلّمَ بِحُجَّتِي ؛ قال : تكلّمَ وأنتَ آمِنٌ ، قال : أجدتُ صِفَتَهَا  
أولمَ أجد ؟ قال : بلى ، قد أجدت إن كنتَ لا تعرفُها ، قال : إن كنتُ وصفتُها  
بطبعمي دون امتحاني فقد شرّكتني في ذلك بطبعك ، وإن كان وصفُها لا يُعلمَ  
إلا بالتجربة فقد شرّكتني أيضا فيها .

فضحك موسى ، وقال : أغرب<sup>(١)</sup> عني ، قبحك الله !

ومما وجد من شعر عكاشة قوله :

وجاءوا إليه بالتعاويد والرقي      وصبّوا عليه الماء من ألم النكس<sup>(٢)</sup>  
وقالوا به من أعين الجن نظرة      ولو عقّلوا قالوا به أعين الإنس<sup>(٣)</sup>

---

(١) اغرب عني : تنح وابتعد .

(٢) التعاويد : جمع تعويذة ؛ وهي ما يرقى به من فرع أو جنون أو نحوه . والنكس :

عود المريض بعد البرء منه .

(٣) الأغاني : ولو صدقوا .

## ذکر عبد الرحيم\* [ الدَّفَاف ] (١)

هو عبدُ الرَّحِيمِ بنُ الفَضْلِ الكوفيّ الدَّفَاف ، وُيكنى أبا القاسم ، وهو عبد الرحيم بن سعد ؛ وقيل : ابن القاسم بن سعد ، مَوْلى لآل الأشعث بن قيس .  
وقيل : بل مَوْلى خُزاعة .

قال حمّاد : رأيتُ عبدَ الرَّحِيمِ الدَّفَافَ أيامَ الرَّشيدِ هارونَ بالرَّقَّة ، وسمّتهُ يَغْنى صوتا سُئِلَ عنه ، وذَكَرَ أَنَّهُ من صَنَعَتِهِ وهو :  
فَدَيْتُكَ لو تَدْرِينِ كَيْفَ أُحِبُّكُمْ      وكيف إذا ما غِبْتُ عَنْكَ أقولُ  
وكان عبدُ الرحيم منقَطِما إلى عليّ بن المديّ ، المعروف بأُمّه رَيْطَةَ بنتِ أبي العباس .

قال عبدُ الصّمدِ بنُ المعدّل : غنّت جاريةٌ بِحَضرةِ الرَّشيدِ .

قل لِعَلِيٍّ أَيَا فَتَى العَرَبِ      وخيرَ نامٍ وخيرَ منسِبِ (٢)  
أعلاكَ جَدَاكَ يا عَلِيّ إذا      قَصَرَ جَدُّ عن ذِرْوَةِ الحَسَبِ  
فأمرَ بَضْرُبِ عَنقِهَا ، فقالت له : يا سيدي ، ما ذُنُوبِي ؟ هذا صوتُ عَلِمَتُهُ ، والله ما أدري مَنْ قاله ، ولا فيمَنْ قيل .

فَعَلِمَ أَنَّهَا صادقة ، فقال لها : عَمَّنْ أَخَذْتَهُ ؟ فقالت : عن عبدِ الرَّحِيمِ الدَّفَافِ ، فأمرَ بِإحضاره ، فقال : يا عاصّ كذا وكذا من أمّه ، أنغني في شعري تفاخر فيه بيني وبين أخي ؟ جرّدوه ، فجرّدوه ، وأمرَ بالسّيّاطِ فضربَ بين يديه خمسمائة سوط .

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ٢٦٦ - ٢٦٩ (طبع دارالكتب)

(١) من الأغاني .

(٢) في الأغاني : « مكنسب » .

قال عبدُ الرَّحِيمِ الدَّفَّافُ : دخلتُ عليَّ عليُّ بنُ رِيْطَةَ يوماً ، وسِتارَتُهُ منصوبةٌ ، ففَعَّتْ جاريتهُ :

أنا سٌ أمناهُمُ فَنَمَّوا حَدِيثَنَا فلَمَّا كَتَمَّا السِّرَّ عنهمُ نَقَوُلُوا  
فَقُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ غَنَيْتُكَ هَذَا الصَّوْتِ وفيه نَمائِهِ (١) ، أَيُّ شَيْءٍ لِي عَلَيْكَ ؟  
فَقَالَ : خَلَعْتِي الَّتِي عَلَيَّ ، ففَعْنَيْتُهُ :

فَلَمْ يَحْفَظُوا الوُدَّ الَّذِي كانَ بَيْنَنَا ولا حِينَ هَمُّوا بِالقَطِيعَةِ أَجْمَلُوا  
قال : فَتَزَعَّ خَلَعَتَهُ فَجَعَلَهَا عَلَيَّ ، وَأَمَتُّ عِنْدَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِي عليَّ عَرَبِدَةً كانتَ فِيهِ .

---

(١) بعدها في الأغانى : « زيادة بيت واحد » .

## ذِكْرَ عَطْرَدَ \*

عَطْرَدَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ<sup>(١)</sup> مِنْ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ مَوْلَى مُزَيْنَةَ ، مَدَنِيٍّ ، يُكْنَى أَبُو هَارُونَ .

[وَكَانَ] <sup>(٢)</sup> يَنْزِلُ قُبَاءً ، جَمِيلَ الْوَجْهِ ، حَسَنَ الْغِنَاءِ ، طَيِّبَ الصَّوْتِ ، جَيِّدَ الصَّنْعَةِ ، حَسَنَ الرَّأْيِ <sup>(٣)</sup> وَالْمَرْوَةَ ، فَفِيهَا ، قَارِئًا لِلْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَغْنَى مُرْتَجِلًا .  
وَأَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَبَقِيَ إِلَى أَوَّلِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ مَعْدَلُ الشَّهَادَةِ بِالْمَدِينَةِ .

لِمَا وَلِيَ عَبَادُ بْنُ سَلَمَةَ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ ، كَادَ عَطْرَدُ قَدْ قَصَدَ آلَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَرَكِبَ عَبَادُ بْنُ سَلَمَةَ بْنُ عَبَادٍ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، ذَوِي الْقَلَانِسِ ، وَأَتَى إِلَى بَابِ عَطْرَدَ كَيْلًا ، فَخَرَجَ عَطْرَدُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَمَنْ مَعَهُ أُرْتَاعَ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تُرْعَ :

إِنِّي قَصَدْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَهْلِي فِي حَاجَةٍ يَأْتِي لَهَا مِثْلِي  
فَقَالَ : وَمَاهِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ :  
لَا طَالِبًا شَيْئًا إِلَيْكَ سِوَى «حَتَّى الْحُمُولِ بِجَانِبِ الْعَزْلِ»<sup>(٤)</sup>

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ٣٠٣ - ٣٠٧ ( طبع دار الكتب )

(١) الأغاني : « ثم مولى بني عمرو بن عوف » .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « الرأي » .

(٤) العزل : موضع في ديار قيس ، ذكره البكري في معجم ما استعجم ؛ والشطر الثاني من مطلع

قصيدة لامرئ القيس بن حجر في ديوانه ٢٣٦ ، وبقيته :

\* إِذْ لَا يُبَلِّغُنِي شَكْلَهَا شَكْلِي \*

قَالَ : انزِلُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَغْنِيهِمْ هَذَا وَغَيْرَهُ حَتَّى أَصْبَحُوا ؛ وَهَذَا الشَّعْرُ لَامِرِي الْقَيْسِ بْنِ عَابِسِ الْكِنْدِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ      وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيْبَةِ الرَّحْلِ (١)  
وَسَمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَمَا      نَبَحَتْ كَلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي

قَالَ خَالِدُ بْنُ كَثُومٍ : كُنْتُ مَعَ زَبْرَاءَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ وَالِ عَلَيْهِمَا ، وَهُوَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَحَدُ بَنِي رِبِيعَةَ بْنِ الْحَاوِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَأَمَرَ بِأَصْحَابِ الْمَلَاهِي مُخْسِئًا ، وَخَسِئَ فِيهِمْ عَطْرَدٌ ؛ فَجَلَسَ لِيُعْرِضَهُمْ ، وَحَضَرَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ شَفَعُوا فِي عَطْرَدَ ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْهَيْمَةِ وَالرُّوْمَةِ وَالنَّعْمَةِ وَالذِّينِ ، فَدَعَا بِهِ ، وَنَخَلَى سَبِيلَهُ ، وَأَمْرَهُ بَرَفَعَ حَوَائِجَهُ إِلَيْهِ ، فَدَعَا لَهُ وَخَرَجَ ؛ فَإِذَا هُوَ بِالْمَغْنِيِّينَ قَدْ أُخْرِجُوا (٢) لِيُعْرِضُوا ، فَمَادَ إِلَيْهِ عَطْرَدٌ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَعْلَى الْعِنَاءِ حَبَسْتَ هُوَلَاءَ ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَا تَظْلِمِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَحْسَنُوا مِنْهُ شَيْئًا ، فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ .

حَدَّثَ أَيُّوبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : أَمَّا اسْتُخْلِفَ الْوَلِيدُ بْنُ زَيْدٍ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْمَدِينَةِ بِأَشْخَاصِ عَطْرَدَ إِلَيْهِ .

قَالَ عَطْرَدٌ : فَأَقْرَأَنِي الْعَامِلُ الْكِتَابَ ، وَزَوَّدَنِي نَفَقَةً ، وَأَشْخَصَنِي إِلَيْهِ ، فَأَدَخِلْتُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي قَصْرِهِ عَلَى شَفِيرِ بَرَكَةِ مَرَصَّصَةٍ مَمْلُوءَةٍ خَمْرًا ، لَيْسَتْ بِالْكَبِيرَةِ ؛ وَلَكِنَّهَا يَدُورُ الرَّجُلُ فِيهَا ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَنِي أَسْلَمٌ حَتَّى قَالَ : أَعَطْرَدٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا زَلْتُ إِلَيْكَ مُشْتَقًا يَا أَبَا هَارُونَ . غَفَّنِي :

(١) وَرَدَ الْبَيْتُ مَحْرَفًا فِي ب ، ج ؛ وَأَنْبَتَهُ صَحِيحًا مِنَ الْأَغَانِي وَالِدِيَوَانَ .

(٢) الْأَغَانِي : « أَحْضَرُوا » .

حَىُّ الْجُمُوعِ بِجَانِبِ الْعَزَلِ      إِذْ لَا يُشَاكِلُ شَكْلَهَا شَكْلِي <sup>(١)</sup>  
اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ      وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيمَةِ الرَّحْلِ  
إِنِّي بِحَبْلِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي      وَبِرِيشِ نَبْلِكَ رَائِشُ نَبْلِي  
وَسَمَائِلِي مَا قَدَّعَلْتَ وَمَا      نَبِيحَتُ كَلَابُكُ طَارِقًا مِثْلِي

قال : فَمَنِّيئُهُ ، فوالله ما انعمتُهُ حَتَّى شَقَّ حُلَّةَ وَشَى كَانَتْ عَلَيْهِ ، لَا أَدْرَى  
كَمْ قِيمَتُهَا ! فَتَجَرَّدَ مِنْهَا كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَأَلْقَاهَا نَصْفَيْنِ ، وَأَلْقَى <sup>(٢)</sup> نَفْسَهُ فِي الْبِرِّ كَمَا  
فَنَهَلَ مِنْهَا حَتَّى تَبَيَّنَتْ - عِلْمُ اللَّهِ - أَنَّهَا قَدْ نَقَصَتْ نَقْصَانًا بَيْنَنَا ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا وَهُوَ  
كَلِمَتٌ سَكْرًا ، فَأَضْجِعْ وَغُطِّي ، فَأَخَذْتُ الْحُلَّةَ وَقَتُّ ، فوالله ما قال لي أَحَدٌ دَعَا  
وَلَا خَذَهَا .

فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنزِلِي مَتَمَجِّبًا مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ ظَرْفِهِ ، وَفِعْلِهِ وَطَرْبِهِ ؛ فَلَمَّا كَانَ  
فِي غَدٍ جَاءَنِي رَسُولُهُ فِي مِثْلِ الْوَقْتِ ، فَأَحْضَرَنِي ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ : يَا عَطْرَدُ ،  
فَقُلْتُ : لَبَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : غَنَّنِي :

أَيَذْهَبُ عُمْرِي هَكَذَا لَمْ أَتْلُ بِهِ      بَجَائِسِ تَشْفِي قَرَحَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ <sup>(٣)</sup>  
وَقَالُوا تَدَاوٍ إِنَّ فِي الطَّبِّ رَاحَةً      فَعَلَلْتُ نَفْسِي بِالذَّوَاءِ فَلَمْ يُجِدِ  
فَمَنِّيئُهُ إِيَّاهُ ، فَشَقَّ حُلَّةَ وَشَى كَانَتْ تَلْمَعُ عَلَيْهِ بِالذَّهَبِ ، إِحْتَقَرَتْ وَاللَّهُ  
الْأُولَى عِنْدَهَا ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبِرِّ كَمَا فَتَهَلَ مِنْهَا ؛ حَتَّى تَبَيَّنَتْ - عِلْمُ اللَّهِ -  
نَقْصَانَهَا ، وَأَخْرَجَ كَلِمَتٌ سَكْرًا ، فَأَلْقَى وَغُطِّي وَنَامَ ؛ وَأَخَذْتُ الْحُلَّةَ فوالله ما قال  
لِي أَحَدٌ دَعَا وَلَا خَذَهَا .

(١) الأغانى : « إذ لا يلام » .

(٢) الأغانى : « ورمى نفسه » .

(٣) الأغانى : « لم أتْل بها » .

وأنصرفتُ ، فلما كان في اليوم الثالث ، جاءني رسوله فدخلتُ إليه وهو في بهوٍ قد أُلقيتُ سُتورُهُ ، فكلمني من وراء السُّتور ، وقال : يا عَطْرَد ، قلتُ : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : كأنني بك الآن قد أتيت المدينة ، فمعت بي في مجالسها<sup>(١)</sup> وقعدت وقلت : دعاني أمير المؤمنين ؛ فدخلتُ إليه ، فأقترَح على ففنيته فاطرَته ، فشقَّ ثيابه وأخذتُ ثيابه ، وفعل وفعل . ووالله يا ابن الزانية ، إن تحركتُ شمتاك بشيءٍ مما جرى لأضربنَّ عنقك ؛ يا غلام ، أعطه ألفَ دينار . خذها وأنصرف إلى المدينة .

فقلتُ : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده ، ويزودني نظرةً منه ، وأغنيته صوتاً !

قال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فأنصرف .

قال : فخرجتُ من عنده ، وما علم الله أنني ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضتُ

من دولة بني هاشم مُدة .

(١) الأغاني : « في مجالسها ومحفلها » .



## ذِكْرُ عُبيدِ اللَّهِ الأَبْجَرِ\*

عُبيدُ اللَّهِ بنُ القاسمِ بنِ منبّه<sup>(١)</sup> ، يُكنى أبا طالب . والأبْجَرُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ .  
وقيل : إنَّ اسمَهُ مُحَمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ منبّه ، وهو مولى لسكفانة ، ثم لبني بَكْر .  
وقيل : إنّه كان مولى لبني لَيْث . وكان يلقَّبُ بالحسحاس .

ولم يكن بمكة أحدٌ أَظْفَرَ ولا أُسْرَى ولا أَحْسَنَ هيئَةً من الأَبْجَرِ . كانت  
حُتْمَتُهُ بمائة دينار ، وفرسُهُ بمائة دينار ، ومركبُهُ بمائة دينار ، وكان يَقِفُ بينَ  
المَأْزَمِينَ<sup>(٢)</sup> فيرفع عَظِيرَتَهُ<sup>(٣)</sup> ، فيقفُ الناسُ له ، يركبُ بعضهم بمضاً .

جلسَ الأَبْجَرُ في ليلةَ اليومِ الرَّابِعِ<sup>(٤)</sup> ، من أَيامِ الحُجِّ على قَريبٍ من التَّنْعِيمِ<sup>(٥)</sup> .  
فإذا عسكرُ جَرَّارٍ قد أَقْبَلَ آخرَ اللَّيْلِ ، وفيه دوابٌ تُجَنَّبُ ، وفيه فرَسٌ أَذْهُمٌ عليه  
سَرَجٌ حَلِيمَتُهُ ذَهَبٌ ، فَأَنْدَفَعَ يَغْنَى :

عَرَفْتُ دِيَارَ الحَيِّ خَالِيَةً فَفَرًّا      كَأَنَّ بِهَا لَمَّا تَوَهَّمْتُهَا سَطْرًا

وَقَفْتُ بِهَا كَيْمَا تَرُدُّ جَوَابَهَا      فَمَا يَبِينَتْ لِي الدَّارُ عَنْ أَهْلِهَا خُبْرًا

فَلَمَّا سَمِعَهُ مَنْ فِي القِيَابِ وَالْحَامِلِ أَمْسَكُوا ، وصاح صَاحٌ : وَيَحْكُ ! أَعْدِ

الصوت .

فقال : لا والله ، إلا بالفرس الأذهم بسرجه ، ولجأه ، وأربعمائة دينار ؛

\* ترجمته في الأغاني ٣ : ٣٤٤ - ٣٤٨ .

(١) الأغاني : « ابن ضبية » ، ونبه عليه محققه أنه لم يعثر على هذه التسمية فيما راجعه من

المصادر .

(٢) المأزمان : جبلا مكة .

(٣) الأغاني : « صوته » .

(٤) الأغاني : « السابع » .

(٥) التنعيم : موضع بين مكة وسرف .

وإذا الوليدُ بنُ يزيدَ صاحبُ المسكر<sup>(١)</sup>، فنُودِي: أينَ مَنزِلُك؟ ومَن أنت؟ فقال: أنا الأَبَجَرُ، ومَنزِلِي على رُفُاقِ بابِ الخُرَّازِينِ؛ فَعَدَا عليه رسولُ الوليدِ بذلكِ الفرسِ، وأربعمائةَ دينارٍ وتَخَّتِ ثيابٌ وَفِيهِ وغيرِ ذلكِ، ثمَّ أتَى به الوليدَ فأقامَ عنده .

وراحَ مع أصحابه عَشِيَةَ التَّرْوِيَةِ<sup>(٢)</sup>، وهو أحسنُهم هَيْئَةً، وكان هشامٌ قد أمرَ الوليدَ أنَ يَحْجُجَ، وكان قَصْدُهُ بذلكِ أنَ يَهْتِكَهُ عندَ أَهْلِ الحَرَمِ لِيَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى خَلْعِهِ، وظهرَ منه أَكثَرُ مِمَّا أَرَادَ به مِنَ التَّشَاغِلِ وَاللَّهْوِ بِالْمُغَنِّينَ، وَأَقْدَمَ الأَبَجَرُ مَعَهُ، فلم يزلَ هناكِ حَتَّى قُتِلَ الوليدُ، ثمَّ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ فَمَاتَ بِهَا .

قال: وَحَتَّى عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ بَنِيهِ، أَوْ بَنِي أَخِيهِ، فَكَانَ الأَبَجَرُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُغَنِّي لَهُمْ .

حدَّثَ عمرو<sup>(٣)</sup> بنَ حفصِ بنِ أبي كلابٍ، قال: كانَ الأَبَجَرُ مولانا، وكانَ مَكْتَبِيَا، وكانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ<sup>(٤)</sup> نَزَلَ عَلَيْنَا، فقالَ لنا يوما: أَسْمِعُونَا غناءَ أبنِ عائِشَتِكُم، فجمَعنا بينهما في بيتِ أبنِ هَبَّارٍ، فغَنَّى أبنُ عائِشَةَ .

فقالَ الأَبَجَرُ: كلُّ مملوكٍ لهُ حُرٌّ إِنْ غَنَيْتُ مَعَكَ إِلَّا بِنِصْفِ صَوْتِي، ثمَّ أَدخَلَ إِصْبَعَهُ فِي شِدْقِهِ وَغَنَّى، فَسَمِعَ صَوْتَهُ مَنَ فِي السُّوقِ، كَجَرَى النَّاسِ عَلَيْنَا، فلمَّ يَفْتَرِقَا حَتَّى تَشَانَمَا .

قالَ أشعْبُ: دعاَ الوليدُ بنُ يزيدَ ذاتَ يومٍ المَغَنِّينَ، وقالَ: أنتَ لا تَدخُلُ في جُلَيْتِهِمْ. فقلتُ: أنا أحسنُ غناءَ مِنهم، ثمَّ غَنَيْتُ. فقالَ: لقدَ سَمِعْتُ حَسَنًا؛ وَلِكَتِي أَخافُ؛ قلتُ: لا تَخَفُ، وَلَكِنَ شَرطُ؛ كلِّ ما أَصَبْتَهُ فَلَكَ شَطْرُهُ. فأشْهَدُ الجَماعَةَ وَمُضَيَّنًا .

(١) كذا في ب، ج؛ وفي الأغاني: «الإبل» .

(٢) عشية التروية؛ يعني عشية اليوم الثامن من ذي الحجة :

(٣) الأغاني: «عمر» .

(٤) الأغاني: «المدينة» .

فدخلنا على الوليد وهو لقيس<sup>(١)</sup> النفس ، ففتناه المغنون في كل فن ، خفيف  
وثقيل ، فلم يتحرك ، ولم يَبْسِط<sup>(٢)</sup> .

فقام الأجير إلى الخلاء وكان خبيثا داهيةً - فسأل الخادم عن خبره ، وبأى شيء  
هو حائر<sup>(٣)</sup> ؟ فقال : بينه وبين أمراته شرٌّ ؛ لأنه عَشِقَ أختها ، فغضبت عليه ،  
وهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها ، وحلف لها لا يذكرها أبدا ، ثم أتت  
ولم تخاطبه ، وخرج على هذه الحال من عندها .

فعاد الأجير إلينا ، وجلس ؛ فما استقرَّ به مجلسه حتى أندفع يفتني بشعر  
عبد الرحمن بن الحكم :

فبينى فإني لا أبالي وأبينى أساعدنا حُكْمُ الهوى أم تصوبا<sup>(٤)</sup>  
ألم تعلمى أنى عزوف عن الهوى إذا صاحبي من غير شيء تغصبا  
فطرب أوليد وأرتاح ، وقال : أصبت والله يا عبيد ما في نفسي ، وأمر له  
بمشرة آلاف درهم ، وشرب حتى سكر ، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأجير .  
فلما أيقنتُ بأن قضاء المجلس وثبت ، وقلت : إن رأيت يا أمير المؤمنين  
أن تأمر من يضربني مائة سوط الساعة بحضرتك ! فقال : قبحك الله ! وما السبب ؟  
فأخبرته بقصتي مع الرسول ، وقلت له : إنه بدأني بالكره في أول يومه بما أتصل  
على إلى آخره ، فأريد أن أضرب مائة سوط ، ويضرب بعدي مثلها .

فقال : لقد لطفت ؛ أعطوه مائة دينار ، وأعطوا الرسول خمسين دينارا من مالنا  
عوضاً من الخمسين التي أراد أن يأخذها من أشعب ، فقبضتها ، وقام وما حظى أحد  
غير الأجير وغيرى .

(١) لقيس النفس ؛ وصف من لقيت نفسه ؛ إذا غثت وخبثت .

(٢) الأغاني : « ولا نشط » .

(٣) الأغاني : « خاسر » .

(٤) الأغاني :

\* أصعد باقي حُكْمِ أم تصوبا \*

## ذِكْرُ عَلَسِ ذِي جَدَنَ \*

هو عَلَسُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَدِيَّ بْنِ مَالِكِ  
ابْنِ زَيْدِ الْجُمُهورِ بْنِ عمرو بْنِ قَيْسِ بْنِ معاوية بْنِ جُثَمِ بْنِ عَبْدِ شمسِ بْنِ وائلِ  
ابنِ الْغَوْثِ بْنِ قَطَنَ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَعزَّ بْنِ الهمِّ بْنِ هَمَيْسَعِ بْنِ حَمِيرِ بْنِ سَبَأَ  
ابنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ . عَلَسُ ذُو جَدَنَ مَلِكٌ مِنْ ملوكِ الْيَمَنِ ، لُقِّبَ  
ذَا جَدَنَ لِحُسْنِ صَوْتِهِ ، وَالْجَدَنُ : الصَّوْتُ بُلَغَتِهِمْ .

ويقال : إنه أول مَنْ تَغَنَّى بِالْيَمَنِ ، مِنْ شعراءه :

ما بالُ أَهْلِكَ يا رَبَّابُ خُزْرًا كَانَهُمْ غِضَابُ<sup>(١)</sup>  
إن زرتُ أَهْلَكَ أَوْعِدُوا وَتَهَرُّ دُونَهُم الْكِلَابُ

حدث رجلٌ مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ أَنَّهُمْ حَفَرُوا حَفِيرًا فِي زَمَنِ مَرْوَانَ ، فوقفوا على  
أَزْجٍ<sup>(٢)</sup> له باب ، فإذا هم بِرَجُلٍ على سَرِيرٍ كَأَعْظَمِ ما يكون مِنَ الرَّجَالِ ، عليه خاتَمٌ  
مِنْ ذَهَبٍ ، وَعِصَابَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ ، مَكْتُوبٌ فِيهِ :  
«أنا عَلَسُ ذُو جَدَنَ ، وَأنا ابنُ مائةِ سَنَةٍ مِنْ عُمرِي ، وَكانتِ الْوَحْشُ تَأْوِي<sup>(٣)</sup> لَصَوْتِي ،  
وهذا سَيْفِي ذُو الْكَفِّ عِنْدِي ، وَدِرْعِي ذاتُ الْفُرُوجِ ، وَرُحْمِي الْهَزْبَرِيُّ ، وَقَوْسِي  
الْفَجَاءُ<sup>(٤)</sup> ، أعددْتُ ذلكَ لِذَفْعِ الْمَوْتِ عَنِّي نِفْائِي .

قال : فنظروا ، فإذا جميعُ عُدَّتِهِ عِنْدَهُ .

قيل : وَكانَ طُولُ السَّيْفِ اثْنَيْ عَشَرَ شِبْرًا ، وَعَلَيْهِ مَكْتُوبٌ تَحْتَ شَارِبِهِ  
بِالْمُسْنَدِ<sup>(٥)</sup> : بئسَ<sup>(٦)</sup> أَمْرٌ كُنْتَ بِيَدِهِ وَلَمْ يَنْتَصِرِ .

\* ترجمته في الأغاني ٤ : ٢١٧ ، ٢١٨

(١) خزرا : جمع أخزر ؛ وهو الذي ينظر بلحظ عينه .

(٢) الأزج : بيت يبنى طولاً .

(٣) الأغاني : « تأذن » ، أي تسمع ، يشير بذلك إلى جمال صوته .

(٤) القوس الفجاء : هي التي بين وترها عن كبدها ؛ ومثماها : « الفجواء » ؛ وهو ما في الأغاني .

(٥) المسند : خط حبر . (٦) الأغاني : « باست امرئ »

## ذِكْرُ الْأَخْوَصِ عَبْدِ اللَّهِ\*

الأخوص لقبه ؛ وأسمه عبدُ الله على ما قيل ، ابنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عاصمِ ابنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ ، واسمُ أَبِي الْأَفْلَحِ قَيْسُ بْنُ عَصِيْمَةَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ أُمِيَّةِ ابنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ .

وكان يقال لبني ضُبَيْعَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : بنوكِسرِ الدَّهَبِ .

ولقبَ الأخوصَ لحَوْصٍ كان فِي عَيْنَيْهِ ، وكان جدُّه عاصمٌ يقال له : حَمِي الدَّبْرِ . وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ بَعَثًا ، فقتله المشركون ، وأرادوا أن يَصْلُبُوهُ ، فحَمَتَهُ الدَّبْرُ ، وهي النَجْلُ ، فلم يقدروا عليه ، وجاء السَّيْلُ<sup>(١)</sup> فِي اللَّيْلِ وَأَحْتَمَلَهُ ، ودَهَبَ بِهِ ، وفي ذلك يقول الأخوصُ مفتخرًا :

وَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتَ لَحْمَهُ الدَّبْرُ رُقَيْتِيلَ الْأَحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ<sup>(٢)</sup>

وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قَدِمَ عَلَيْهِ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلِ وَالْقَارَةِ<sup>(٣)</sup> ، فقالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا وَخَيْرًا ، فَأَبْعَثْ مَعَنَا نَقْرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَفْقَهُونَنَا فِي الدِّينِ ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَعْلَمُونَ الشَّرَائِعَ الْإِسْلَامِيَّةَ .

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ : خَالِدَ بْنَ الْبَكَّيْرِ ، وَعَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ ، وَزَيْدَ بْنَ الدَّثِينَةِ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَارِقٍ ، وَخُبَيْبَ ابْنَ عَدِيٍّ ؛ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مَرْتِدَ بْنَ أَبِي مَرْتَدٍ .

\* ترجمته في الأغاني ٤ : ٢٢٤ - ٢٦٨ (طبع دار الكتب).

(١) الأغاني : « فلم يقدروا عليه حتى بعث الله عز وجل الوادي في الليل فاحتمله . والوادي :

كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام » .

(٢) لحيان : حمي في هذيل .

(٣) عضل : بطن من الهون بن خزيمية بن مدركة والقارة : بطن من الهون .

نُفِرُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى الرَّجِيمِ (مَاءٌ لِهُدَيْلٍ بِالْحِجَازِ) غَدَرَ بِهِمُ الْقَوْمُ ،  
وَأَسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُدَيْلًا ، فَلَمْ يُرْعَ الْقَوْمُ وَهُمْ فِي رَحْلِهِمْ إِلَّا بِالرَّجَالِ ، فِي أَيْدِيهِمْ  
السُّيُوفُ قَدْ غَشَوْهُمْ ، فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوا الْقَوْمَ ؛ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قِتَالَكُمْ ؛  
وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَصِيبَ شَيْئًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ إِلَّا نَقُتِلَكُمْ .

فَأَمَّا مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ  
لَا نَقْبَلُ مِنْ مَشْرِكٍ عَهْدًا ، وَلَا عَقْدًا ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا جَمِيعًا .

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّيْنَةِ ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ ، فَلَانُوا  
وَرَعِبُوا فِي الْحَيَاةِ ، وَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ ، فَأَسْرَوْهُمْ ، وَخَرَجُوا بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ لِيَبِيعَهُمْ ؛  
حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالظَّهْرَانِ (١) ، أَنْزَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنَ الْقِرَانِ (٢) ، ثُمَّ أَخَذَ  
سَيْفَهُ ، وَتَأَخَّرَ عَنِ الْقَوْمِ ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ ؛ فَقَبْرُهُ بِالظَّهْرَانِ .

وَأَمَّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدَّيْنَةِ فَقَدِمَا بِهِمَا مَكَّةَ ، فَبَاعُوهُمَا ، فَأَتْبَعَ  
خُبَيْبًا حُجَيْرُ بْنُ أَبِي إِهَابٍ ، حَلِيفُ بَنِي نَوْفَلٍ لِعُقَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ  
— وَكَانَ حُجَيْرٌ أَخَا الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ لِأُمِّهِ — لِيَقْتُلَهُ بِهِ (٣) .

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّيْنَةِ فَأَتْبَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَيْدِيهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ،  
وَقَدْ كَانَتْ هُدَيْلٌ حِينَ قُتِلَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَرَادُوا أَنْ يَحْمِلُوا رَأْسَهُ إِلَى سُلَافَةَ  
بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدٍ (٤) ؛ لِيَبِيعَهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ (٥) أَبْنَاهَا يَوْمَ  
أُحُدٍ : إِنْ قَدَرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَنَّ فِي قِحْفِهِ (٦) الْخُمْرَ ، فَفَعَلَتْهُ الدَّبِيرُ .

(١) الظهران : اسم واد بين مكة وعسفان .

(٢) القران : الحبل .

(٣) في الأغاني : « ليقته بأبيه » .

(٤) ب ، ج : « سهيل » ؛ والصواب ما في طبقات ابن سعد (٣ ق ٢ ص ٣٧ طبع أوروبا)

(٥) الأغاني : « قتل » .

(٦) القحف : العظم الذي فوق الدماغ .

فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دَعُوهُ حَتَّى يُمَسِّي ، فَتَذْهَبَ الدَّبْرُ عَنْهُ ، فَنَأْخُذْهُ .  
فبعث الله سَيِّلاً فَأُحْتَمَلَ عَاصِماً ، فَذْهَبَ بِهِ .

وكان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً ألا يمسه مُشرك أبداً ، ولا يمسه مشرك أبداً  
في حياته ، فَمَنَعَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَدِّ وَفَاتِهِ .

وقيل : إن حُبَيْباً بَدِنَاً هو عند بعضِ بَنَاتِ الحَارِثِ ، استعارَ من إحداهنَّ  
مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا لَمَّا عَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَمَارَعَ المَرَأَةَ - ولها صبيٌّ يَدْرُجُ - إِلَّا بِحُبَيْبِ  
قد أجلس الصبيَّ على فَخْذِهِ والموسى في يده ، فصاحتِ المَرَأَةُ ، فقال حُبَيْبٌ : أَحْسَبِي  
أَقْتَلُهُ ؟ إنَّ المَدْرَ ليس من شأننا .

فقالَتِ المَرَأَةُ بعدُ : مَارَأَيْتُ أُسِيرَاً أَكْرَمَ مِنْ حُبَيْبٍ ، لِقَدْرَائِتِهِ وَمَا بَمَكَّةَ مِنْ عَمْرَةٍ ،  
وإن في يده لِقِطْفًا مِنْ عِنَبٍ يَأْكُلُهُ ، إن كان إلَّا رِزْقًا رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى حُبَيْبًا .

ولمَّا خَرَجُوا بِحُبَيْبٍ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قال : ذَرُونِي أَصِلُّ رَكَعَتَيْنِ فَتَرَ كَوَهُ ،  
فصَلَّى ، فَجَرَّتْ سُنَّةٌ لِمَنْ قُتِلَ صَبْرًا أَنْ يَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ، ثم قال : لولا أن يقال : جَزِعَ  
لَزِدْتُ ، ثم قال :

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتَلُ مُسْلِمًا      عَلَى أَى جَنْبٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي <sup>(٢)</sup>

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ      يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مَمْرَعِ <sup>(٣)</sup>

اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَخُذْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تَبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا ثُمَّ تَقْدِمُ أَبُو سَرْوَعَةَ  
ابن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فقتله .

حدث جعفر بن عمر بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بعثه وَحَدَّهُ عَيْنًا إِلَى قُرَيْشٍ .

(١) يستجد : يخلق شعر عاتته .

(٢) في الأغاني : د على أى شق ؛ ولم يرد فيه إلا العجز .

(٣) في ذات الإله : في طاعته . والشلو : الجسد . وممزع : مقطع .

قال : فجئتُ إلى خَشَبَةَ خُبَيْبٍ ، وأنا أتخوِّفُ العُيونَ ، فرَقيتُ فيها خَلَّتْ خُبَيْبًا فوَقَعَ إلى الأَرْضِ ، فَاسْتَدْرَتُ<sup>(١)</sup> غيرَ بَعِيدٍ حَتَّى أَلْتَفَتُ ، فَلَمَّ أَرُّ لُحْيِبِ أَرًا ، فَكَأَنَّما الأَرْضُ أُبْتَلَعَتْهُ ، فَلَمْ يَظْهَرْ لُحْيِبٍ رَمَّةٌ حَتَّى السَّاعَةِ .

وأما زَيْدُ بْنُ الدَّيْنَةِ ؛ فإنه لَمَّا خَرَجَ اجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فبِهِمْ أَبُو سَفِيانَ ابْنُ حَرْبٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفِيانَ حِينَ قَدَّمَ لِيُقْتَلَ : أُنشِدُكَ اللهُ يَا زَيْدُ ! أَتُحِبُّ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : لَوْ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جالِسٌ فِي أَهْلِ مَارِضِيَّةٍ .

قال : فَكانَ يَقولُ أَبُو سَفِيانَ : ما رَأَيْتُ مِنْ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَأَحْبابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، وَقَتْلَهُ نِسْطَاسٍ .

وَكانتْ كُنْيَةُ الأَحْوَصِ أبا مُحَمَّدٍ ؛ وَأُمُّهُ أُشَيْمِلَةُ بِنْتُ عُمَيْرِ بْنِ نَخَشِيٍّ ، وَكانَ أَحْمَرُ أَحْوَصَ العَمِينِينَ .

قَدِمَ الفَرَزْدُقُ المَدِينَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْها فَسُئِلَ عَنِ شُعْرائِها فَقَالَ : رَأَيْتُ بِها شاعِرِينَ ، وَعَجِبْتُ لَها ، أَحَدُها : أَخْضَرُ يَسْكُنُ خارِجا مِنْ بَطْجانَ<sup>(٢)</sup> - يَريدُ ابْنَ هَرْمَةَ - وَالآخرَ أَحْمَرَ كانَهُ وَحَرَّةً<sup>(٣)</sup> عَلى بُرودِيَّةٍ فِي شِعْرِهِ - يَريدُ الأَحْوَصَ .

وَقد جَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلامِ بْنِ قَيسِ الرُّقَيَّاتِ ، وَالأَحْوَصَ ، وَنُصَيْبًا ، وَجَميلَ ابْنَ مَعْمَرِ طَبَقَةَ سادِسةً مِنْ شُعراءِ الإِسلامِ .

وَقيلَ : لولا ما وَضَعَ الأَحْوَصُ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ دَنِيٍّ<sup>(٤)</sup> الأَفْعالَ لَكانَ أَشَدَّ تَقَدُّمًا عِنْدَ أَهْلِ الحِجازِ ؛ وَأَكْثَرَ الرِّوَاةِ ؛ وَهُوَ أَسْجَحُ طَبْعًا ، وَأَسْهَلُ كَلامًا وَأَوْضَحُ

(١) الأغانى : « فانقبذت » .

(٢) بطحان : أحد أودية المدينة .

(٣) الوحرة : دوية حمراء تلتق بالأرض .

(٤) الأغانى : « من دنى الأخلاق والأفعال » .



معنى منهم . ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية ، وحلاوةٌ وعذوبةٌ الفاظٍ ليست  
لواحدٍ منهم .

وكان قليلَ المروءة والدين هجاءً للناس ، مأبونا فيما يُروى عنه .  
وكان الأحوص يوماً عند سُكينة بنتِ الحسين عليهما الرضوان ، فأذن المؤذن ؛  
فلما تشهدت فخرت سُكينة بما سمعت ، فقال الأحوص :

فخرتُ وأتممتُ فقلتُ ذريني ليسَ جهلُ أبتِه ببديع<sup>(١)</sup>  
وأنا ابنُ الذي سمّتُ لحمه الدبُّ رُقتيلُ اللحيانِ يومَ الرجيعِ  
غسّلتُ خاليَ الملائكةُ الأبُّ رارُ ميمتاً طوبى له من صريعِ

ولما جاء ابنُ حزمٍ عاملاً على المدينة والحجّ من قبيل سليمان بن عبد الملك ،  
جاءه ابنُ أبي جهّم<sup>(٢)</sup> ، ومحمّد بن عبد الرحمن بن عوف وسراقه ، فدخلوا عليه ،  
فقالوا : إيها يا ابنَ حزمٍ ، ما جاء بك ؟ قال : استعملى أميرُ المؤمنين على رغمِ أنفِ  
من زعم<sup>(٣)</sup> .

قال ابنُ أبي جهّم : يا ابنَ حزمٍ ، فإنّي أولُ من رغمَ أنفه بذلك ، فقال له ابنُ  
حزمٍ : صدقت ، والله يحبّ الصادقين ؛ فقال الأحوص :

سليانُ إذ ولّاك ربك حُكمنّا وسلطاننا فأحكّم إذا قلتَ وأعدِلِ  
يومُ حجيجِ المسلمين ابنُ فرّتنى فذلك حجّ ليسَ بالمتقبّلِ<sup>(٤)</sup>

قوله : « ابنُ فرّتنى » ، يعنى ابنُ أمة ؛ لأنّ كلّ أمة يُقال لها : فرّتنى .  
وقيل : الأمة بنتُ الأمة .

(١) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « ليس جهلا » .

(٢) في الأغاني بعدها : « ابن حذيفة » .

(٣) الأغاني : « على رغم أنف من رغم أنفه » .

(٤) الأغاني : « فهب ذاك حجاً ليس بالمتقبّل » .

وَقَدَّ الْأَحْوَصَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَمْتَدَّحَهُ ، فَأَنْزَلَهُ مَنْزِلًا ، وَأَمَرَ بِطَبْخِهِ أَنْ يُيَمَّلَ عَلَيْهِ .

وَنَزَلَ عَلَى الْوَلِيدِ شُعَيْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ .

وَكَانَ الْأَحْوَصَ يُرَاوِدُ وَصَفَاءَ خَبَّازِينَ لِلْوَالِيدِ عَلَى (١) أَنْفُسِهِمْ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ . وَكَانَ شُعَيْبٌ قَدْ غَضِبَ عَلَى مَوْلَى لَهُ وَنَحَاهُ ، فَلَمَّا خَافَ الْأَحْوَصَ أَنْ يَفْتَضِحَ بِمُرَاوَدَتِهِ غَلِمَانَ الْوَالِيدِ ، قَالَ لِمَوْلَى شُعَيْبٍ ذَلِكَ : ادْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ شُعَيْبًا أَرَادَكَ عَلَى نَفْسِهِ (٢) ، فَفَعَلَ الْمَوْلَى ذَلِكَ .

فَالْتَقَتِ الْوَالِيدُ إِلَى شُعَيْبٍ ، فَقَالَ : مَا يَقُولُ هَذَا ؟ فَقَالَ : الْخِلَافَةَ غَوْرُ (٣) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاشْدُدْ بِهِ يَدَكَ يَصْدُقْكَ ، فَشَدَّدَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ : أَمَرَ نِي بِذَلِكَ الْأَحْوَصَ .

فَقَالَ : فِيهِمَ الْخَائِنُ (٤) ! إِنَّ الْأَحْوَصَ يُرَاوِدُ غَلِمَانَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ (٥) ، فَأَرْسَلَ بِهِ الْوَالِيدُ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ مِائَةً ، وَيَصُبَّ عَلَى رَأْسِهِ زَيْتًا ، وَيُقِيمَهُ عَلَى الْبُلْسِ (٦) ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ .

فَقَالَ وَهُوَ عَلَى الْبُلْسِ أَيْبَاتُهُ النَّوْنِيَّةُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْهُ أُمْنَى بِهَا      إِلَّا تَشْرَفُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي  
إِنِّي إِذَا خَفِيَ الْجَنَاءُ رَأَيْتَنِي      كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ (٧)

(١) الْأَغَانِي : « عَنْ أَنْفُسِهِمْ » .

(٢) الْأَغَانِي : « عَنْ نَفْسِكَ » .

(٣) غَوْرُ ؛ أَيْ امْتِحَانٌ وَاجْتِبَارٌ .

(٤) الْأَغَانِي : « فَقَالَ قِيمَ الْجَبَّازِينَ » .

(٥) الْأَغَانِي : « عَنْ أَنْفُسِهِمْ » .

(٦) الْبُلْسُ ، بَضْمَتَيْنِ : جَمْعُ بِلَاسٍ ، كَسَعَابٍ ؛ وَهِيَ غُرَاثُ كِبَارٍ مِنْ مَسُوحٍ يَجْعَلُ فِيهَا التَّبَنَ .

وَيَشْهَرُ عَلَيْهَا مِنْ يَسْكَلُ بِهِ وَيُنَادِي عَلَيْهِ .

(٧) الْأَغَانِي : « إِنِّي إِذَا خَفِيَ الْجَنَاءُ » .

قال عبدُ الله بنُ مُحَمَّد بنِ عُمارة : فرَئِنِّي أمُّ لهم في الجاهلية ، ثمَّ من بلقين<sup>(١)</sup> كانوا يُسبِّون بها ، لا أدري ما أمرُها ، وقد طرَّحوها من كتاب النسب .  
وهي أم خالد بن<sup>(٢)</sup> خالد بن شيبان بن وهب بن لوذان السَّعديَّة<sup>(٣)</sup> ، أم ابنِ حزم .  
وكان الأحوص قد أوسع قومه هجاءً ، وملاًم شراً .

ولقيه ابن جرير<sup>(٤)</sup> جدَّ بنى مجحلان ، وكان شديداً ضابطاً ، فقال له الأحوص :  
وإن بقومٍ سودُّوك لحاجةً إلى سيِّدٍ لو يظفرون بسيدٍ  
فألقي ثيابه ، ثم ألقى بحلق الأحوص ، ومع الأحوص راويته ، وجاء  
الناسُ يخلصونه ، تخلف إن خلاصه أحدٌ من يده ليأخذنه وليدَّ عن الأحوص ،  
فخنقه حتى أسترحتي ، وترَّكه حتى أفاق ، ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن سُمِعَ  
أو سمعتُ هذا البيتَ من أحدٍ من الناس لأضربتك ضربةً بالسيفِ أنذر<sup>(٥)</sup> بها  
راسك ، ولو كنت تحت أستار الكعبة .

فأقبل الأحوص على راويته ، فقال : [ إن هذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيت  
غيرك ، فإياك إن يسمعه منك أحد ]<sup>(٦)</sup> ، فقال الأحوص يمازحه :

ولكن سعد النار سعد بن مصعب	وليس بسعد النار من تزعمونه
بغوه فالتوه على شرِّ مركب	ألم تر أن القوم ليلة نوحهم
وفي بيته مثل الغزال المرَّب	فما يتغنى بالمي لا درَّ دره

قال : وسعدُ النَّار هو سعد بن حضنة ، وهو الذي جدَّد لزياد بن عبيد الله

- (١) الأغاني : « أم لهم في الجاهلية من بلقين » .
- (٢) في الأغاني : « بنت خالد بن سنان » .
- (٣) في الأغاني : « الساعدية أم بنى حزم » .
- (٤) في الأغاني : « ابن أبي جرير » .
- (٥) أنذر : أطار .
- (٦) تسكلمة من ب والأغاني .

الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد ، وهو آيات من القرآن ، أحسب منها :  
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . . . ﴾ الآية .

فلما فرغ قال لزيد : أعطني أجرتي . فقال له : انتظر ، فإذا رأيتنا نعمل بما  
كُتبت ، فتعال نخذ أجرتك .

فعمل سعد بن مضع سفرة ، وقال للأحوص : اذهب بنا إلى عند عبد الله  
ابن عمر تغدّي عليها ، ونشرب من مائه فذهب معه ، فلما صار إلى ذلك الموضع  
أمر غلمانَه أن يربطوه ، وأرادوا ضربه ، وقال له : ما جزعت من هجائك إياي ؛  
ولكن ما ذكرك زوجتي ؟

فقال له : يا سعد ، إنك لتعلم أنك إن ضربتني لم أكف عن الهجاء ، ولكن  
خير من ذلك أن أحلف بما يرضيك ، ألا أهوا أحداً من آل الزبير أبداً ، فأحلفه  
وتركه .

وكان الأحوص يشبب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ، ويتغنى به معبد  
ومالك ، ويشيع [ ذلك ] <sup>(١)</sup> في الناس ، فنهى فلم ينته ، فشكى إلى عامل سليمان  
ابن عبد الملك على المدينة .

وكتب سليمان بن عبد الملك فيه ، فكتب إليه يأمره أن يضر به مائة سوط ،  
ويقيم على البلس للناس ، ثم يسيره إلى دهلك <sup>(٢)</sup> ، ففعل به ذلك ، وبقى في دهلك  
بقية <sup>(٣)</sup> سلطان سليمان .

ثم ولي عمر بن عبد العزيز ، فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه ، فأبى  
أن يأذن له ، وكان مما كتبت إليه قوله :

(١) من الأغاني .

(٢) دهلك : جزيرة في بحر اليمن .

(٣) بقية سلطان سليمان ؛ أي بقية مدة سلطانه .

أَيَارَا كِبَاءً إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ      هُدَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَائِلِي  
وَقُلْ لِأَبْنِي حَفْصٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ      لَقَدْ كُنْتُ نَفَاعًا قَلِيلَ الْعَوَائِلِ  
فَكَيْفَ تَرَى لِلْعَيْشِ طَيِّبًا وَلَذَّةً      وَخَالِكَ أَمْسَى مُوثِقًا فِي الْحَبَائِلِ

وَأَتَى رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَكَلَّمُوهُ فِيهِ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُقَدِّمَهُ ،  
وَقَالُوا : قَدْ عَرَفْتَ نَسَبَهُ وَمَوْضِعَهُ وَقَدِيمَهُ ، وَقَدْ أُخْرِجَ إِلَى أَرْضِ الشَّرْكَ ، فَنَطْلُبُ  
إِلَيْكَ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَى حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَارِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَمَرُ :  
مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً      فَأُبْهِتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ  
قَالُوا : الْأَحْوَصُ ، قَالَ : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

أُدُورُ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ      بَأَيِّاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أُدُورُ  
وَمَا كُنْتُ دَوَّارًا وَلَا كُنْتُ ذَا الْهَوَى      إِذَا لَمْ يُزِرْ لَّا بَدَأَ أَنْ سَيَّرُورُ  
قَالُوا : الْأَحْوَصُ ، قَالَ : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

كَأَنَّ لُبْنَى صَبِيرَ غَادِيَةٍ      أَوْ دُمَيْةَ زَيْنَتْ بِهَا الْبَيْعُ (١)  
اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمِهَا      يَفِرُّ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ  
قَالُوا : الْأَحْوَصُ ، قَالَ : بَلِ اللَّهُ بَيْنَ قِيَمِهَا وَبَيْنَهُ ؛ فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

سَيَّبَقَ لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا      سَرِيرَةٌ حُبِّ يَوْمَ تَبَلَى السَّمَرَاءُ (٢)  
قَالُوا : الْأَحْوَصُ ، قَالَ : إِنَّ الْفَاسِقَ عَنْهَا يَوْمَئِذٍ لَمَشْغُولٌ ، وَاللَّهُ لَا أَرُدُّهُ  
مَادَامَ (٣) لِي سُلْطَانٌ ، فَكُنْتُ بَقِيَّةَ وَوَلَايَةَ عَمْرٍ وَصَدْرًا مِنْ وَوَلَايَةَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(١) الصبير : السحاب الأبيض الذي يبصر بعضه فوق بعض درجا . والغادية : السحابة تنشأ  
غدوة .

(٢) الأغاني : « ستبلى لكم في مضمر القلب والحشا » .

(٣) في الأغاني : « ما كان » .

فبينما يزيدُ وجاريتُهُ ذاتَ ليلةٍ على سطحِ تَفْنِيهِ بِشِعْرِ الأَحْوَصِ ، قالَ لها :  
مَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ قالتَ : لا أَدْرِي ، وَقَدْ ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ . قالَ : ائْبِثُوا إِلَى ابْنِ شِهَابِ  
الزُّهْرِيِّ ، فَأُتِيَ بِهِ مَرَّعًا ؛ فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : لا تُرْعَ ، لَمْ نَدْعُكَ إِلَّا لِخَيْرٍ ، اجْلِسْ ،  
مَنْ الَّذِي يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ ؟ قالَ : الأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قالَ : ما فَعَلَ ؟ قالَ : قَدْ طَالَ  
حَبْسُهُ بِدَهْلَكَ ، قالَ : عَجِبْتُ لِمُرِّ كَيْفِ أَغْفَلَهُ ! فَأَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعِمِائَةٍ  
دِينَارٍ .

فَأَقْبَلَ الزُّهْرِيُّ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى قَوْمِ الأَحْوَصِ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَبَشَّرَهُمْ بِذَلِكَ ، وَكَانَتِ الْجَارِيَةُ  
الَّتِي غَنَّتَهُ حَبَابَةَ جَارِيَتِهِ ، وَالشَّعْرَ الَّذِي غَنَّتَهُ :

أُيْهَذَا الْمُخَبَّرِي عَنْ يَزِيدٍ بِصَلَاحٍ فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي

مَا أَبَالِي إِذَا بَقِيَ لِي يَزِيدٌ مَنْ تَوَلَّتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي (١)

قالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : عَرَّضَ الأَحْوَصُ بِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْرَحَ  
مَعَ بَنِي مَرْوَانَ ؛ وَقِيلَ : إِنَّ الشَّعْرَ الَّذِي تَفَنَّتْ بِهِ حَبَابَةُ هُوَ :

كَرِيمٌ قَرِيشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقَرَّتْ لَهُ يَا مُلْكُ كَهْمَلًا وَأَمْرَدًا

وَلَيْسَ وَإِنْ أَعْطَاكَ فِي اليَوْمِ مَانِعًا إِذَا عُدَّتْ مِنْ أَضْعَافٍ أَضْعَافِهِ غَدًا

أَهَانَ تِلَادَ المَالِ فِي الحَمْدِ إِنَّهُ إِمَامٌ هَدَى يَجْرِي عَلَى مَا تَعَوَّدَا

وَكَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ جَفَا الأَحْوَصِ ، وَأَدْنَى يَزِيدَ بْنِ أَسَلَمَ ، فَقَالَ الأَحْوَصُ :

أَلَسْتَ أبا حَفِصٍ هُدَيْتَ مُخَبَّرِي أَفِي الحَقِّ أَنْ أَقْصَى وَيُدَنِّي ابْنُ أُسَلَمَا !

فقالَ لَهُ عَمْرُ : فَذَلِكَ هُوَ الحَقُّ .

وَدَخَلَ الأَحْوَصُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ وَهُوَ خَلِيفَةُ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : وَاللَّهِ

(١) رِوَايَةُ الأَغْنَانِي : « مَا أَبَالِي إِذْ يَزِيدٌ بَقِيَ لِي » .

لو لم نَمَتَّ إِلَيْنَا بِحُرْمَةٍ ، وَلَمْ تَصِرْ إِلَيْنَا بِدَالَّةٍ (١) ، وَلَمْ تُجَدِّدْ لَنَا مِدْحَةً ، غَيْرَ أَنَّكَ مَقْتَصِرٌ عَلَى الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ قَلْتَهُمَا فِينَا ؛ لَكُنْتَ مُسْتَوْجِبًا لِحُزْبِ الصَّلَاةِ مِنِّي حَيْثُ كُنْتَ [ تَقُولُ ] (٢) :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكُمْ أَنْ يَقُودَنِي إِلَى غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعٌ  
وَأَنْ أَجْتَدِيَ لِلنَّفْعِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ وَأَنْتَ إِمَامٌ لِلْبَرِيَّةِ مَقْنَعٌ  
وَهَذِهِ التَّقْصِيدَةُ مَدَحَ بِهَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَلَمَّا قَدِمَ الْأَخْوَصُ عَلَى زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أكرمَهُ ، وَأَجَازَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .  
فَلَمَّا قَدِمَ قُبَاءً صَبَّ الْمَالُ عَلَى نِطْعٍ ، وَدَعَا بِجَمَاعَةٍ قَوْمِهِ ، وَقَالَ : قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ  
طَعَامًا ، فَلَمَّا دَخَلُوا كَشَفَ لَهُمْ عَنِ الْمَالِ ، فَقَالُوا : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : أَفْسَحَرْتُ هَذَا  
أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ !

وَلَمَّا حَجَّ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ تَزَوَّجَ بِنْتَ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،  
وَأَصْدَقَهَا مَالًا كَثِيرًا ؛ فَكَتَبَ الْوَالِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو  
ابنِ حَزْمٍ : إِنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ تَزَوَّجَ بِنْتَ عَوْنٍ وَأَصْدَقَهَا مَالًا كَثِيرًا ،  
وَلَا أَرَاهُ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهَا خَيْرًا مِنْهُ . قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَهُ ! فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا  
فَادْعُ عَوْنًا ، وَأَقْبِضِ الْمَالَ مِنْهُ ، فَإِنْ لَمْ يَدْفَعْ إِلَيْكَ فَأُضْرِبْهُ بِالسِّيَاطِ ؛ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ  
ذَلِكَ مِنْهُ ، ثُمَّ أَفْسِخْ نِكَاحَهُ . فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَوْنٍ يَطَالِبُهُ بِالْمَالِ ، فَقَالَ : لَيْسَ  
عِنْدِي ، وَقَدْ فَرَّقْتُهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ لَمْ تَدْفَعْهُ إِلَيَّ  
كَلِّهِ أَنْ أُضْرِبَكَ بِالسِّيَاطِ ، ثُمَّ لَا أَرْفَعُ عَنْكَ حَتَّى أَسْتَوْفِيَهُ ؛ فَصَاحَ بِهِ زَيْدٌ : تَمَالَ  
إِلَيَّ ؛ فَجَاءَهُ ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ : كَأَنَّكَ خَشِيتَ أَنْ أُسَلِّمَكَ إِلَيْهِ ، أَدْفَعُ الْمَالَ إِلَيْهِ

(١) الْأَغَانِي : « وَلَا تَوَسَّلْتَ بِدَالَّةٍ » .

(٢) مِنَ الْأَغَانِي .

ولا تعرضه<sup>(١)</sup>؛ فإنه إن دفعه إلى رددته إليك، وإن لم يردده على أخلفته لك .  
فقمّل .

فلما ولي يزيدُ بنُ عبد الملك ، كتب في أبي بكر بن حزم وفي الأحوص فحُملاً  
إليه ؛ لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة .

وكان أبو بكر قد ضربَ الأحوصَ وغرّبه إلى دهلك ، فلما صار على باب يزيد  
أذن للأحوص ، فرفع أبو بكر يديه يدعو ، فسلم يخفضهما حتى خرج الغلمان  
بالأحوص مكبياً<sup>(٢)</sup> مكسور الأنف ، وإذا هو لما دخل عليه قال : أصلحك الله  
يا أمير المؤمنين ! هذا ابنُ حزم الذي سفّه رأيك وردّ نكاحك .

فقال يزيد : كذبت ! عليك لعنةُ الله وغضبه ، وعلى من يقول ذلك ، اكسروا  
أنفه ، فأخرج مكبياً .

ولما ولي يزيدُ بنُ عبد الملك وليَ عبد الواحد بن عبد الله النَّصرى المدينة ،  
فقرّب عراك بن مالك ، وكان عراك من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان  
في أنزاع ما حلزوا من الفئى والغنائم ، والمظالم من أيديهم .  
فكان عبد الواحد يجلس عراكا معه على السرير ، ولا يقطعُ أمراً دونه ،  
فبينما هو ذات يومٍ معه ؛ إذا أتاه كتابُ يزيد بن عبد الملك ، أن أبعث مع عراك  
ابن مالك حرسياً حتى يُنزله دهلك ، وخذ من مالِ حمولته ؛ فقال الحرسى بين  
يديه ، وعراك معه على السرير : خذ بيدِ عراك فابتع من ماله راحلةً ، ثم توجه  
به إلى دهلك حتى تُقرّه فيها ؛ ففعل الحرسى ذلك ؛ وأقدم الأحوص ، فمدّحه ،  
فأكرمه يزيدُ وأعطاه .

(١) الأغاني : « ولا تعرض نفسك » .

(٢) الأغاني : « مليا » ، والمليب : المأخوذ بتلابيبه ؛ وهو أن يجمع ثيابه عند صدره

ونجره ثم يجير منها .



قال : فأهلُ دَهْلَكَ يَأْتُرُونَ الشُّعْرَ عن الأَحْوَصِ ، والفقَهَ عن عِرَاكَ ابن مالك .

ولمَّا قُتِلَ يزيدُ بنُ المهَلَّبِ بَعَثَ يزيدُ بنُ عبدِ المَلِكِ إلى الشعراءِ ، فأمرَهم بهَجْوِ يزيدِ بنِ المهَلَّبِ ، منهم : الفرزدقُ ، وكثيرُ ، والأخوصُ .

فقال الفرزدقُ : لقد مدحتُ ابنَ المهَلَّبِ بمدائحٍ ما أمتدحتُ بمثَلها أحداً ، وإنه لقبِيحٌ بِمِثْلِي أن يكذِّبَ نفسه على كِبَرِ السِّنِّ ، فليُعْفِنِي أميرُ المؤمنينَ ، فأعفاه .

وقال كثيرُ : إنِّي لأُكرَهُ أن أعرضَ نفسي لشُعراءِ أهلِ العراقِ ، إن هجوتُ بني المهَلَّبِ .

وأما الأَحْوَصُ فهجَاهم .

فلمَّا بَعَثَ يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ إلى الجِرَّاحِ بنِ عبدِ الله الحَكَمِيِّ ، وهو بأذْرَ بِيْجَانٍ - وقد بَلَغَ الجِرَّاحَ هِجَاُ الأَحْوَصِ بنِي المهَلَّبِ - فبعثَ إليه بِزِقٍّ خَمْرٍ فأدخَلَ مَنزِلَ الأَحْوَصِ ، ثم بَعَثَ إليه خَيْلاً فدخَلتُ مَنْزِلَهُ ، فصبَّوا الخمرَ على رأسه ، وأخرَجوه على رءوسِ الناسِ ، فَأَتَوْا به الجِرَّاحَ ، فأمرَ بِحُلُقِ رأسِهِ ولِحْيَتِهِ ، وضربَهُ الحدَّ بينَ أوجهِ الرجالِ ، وهو يقولُ : ليسَ هَكَذَا تُضْرَبُ الحُدُودُ . فجعلَ الجِرَّاحُ يقولُ : أَجَلٌ ؛ ولَكِن لَمَّا تَعَلَّم .

ثم كَتَبَ إلى يزيدِ بنِ عبدِ الملكِ يَعْتَذِرُ ، فأغضِيَ له عليها .

قال أبو الفَرَجِ مامنها : ليسَ ذِكْرُنَا هَذَا إِرَادَةَ الحَطِّ<sup>(١)</sup> من شِعْرِ الأَحْوَصِ ؛

ولَكِن مَعْرِفَةَ حالِهِ من تَقَلُّباتِهِ من فَضِيلَةٍ وَنَقْصٍ .

وأما تَقَدُّمُهُ في الشُّعْرِ فمَعْلُومٌ في تَقَدُّمِهِ وَحُسْنِ رِوَايَتِهِ وَصَفَائِهِ ؛ وَكانَ حَمَادُ

الرَّوَايَةِ يَقَدِّمُ الأَحْوَصَ في النَّسَبِ .

(١) الأغانى : « إرادة الغض » .

وهما الأحوصُ رجلا من الأنصار يقال له : ابن بَشِير ، وكان كثيرَ المال ، فغَضِبَ من ذلك ، فخرجَ حَتَّى قَدِمَ على الفرزدقِ بالبَصْرَةِ ، وأهدى إليه وأطْفَه (١) ، فقبل ذلك منه ، ثم جَلَسَا يتحدَثَانِ (٢) .

فقال له الفرزدق : مِمَّن أنت ؟ قال : من الأنصار ، قال : ما أَقَدَمَكَ ؟ قال : جئتُ مستَجيراً باللهِ وبِكَ من رجلٍ هَجَانِي ، قال : أبارك اللهُ تعالى منه ، وكفناكَ مُؤْتَبَةً ، فأين أنت من الأحوص ؟ قال : هو الَّذِي هَجَانِي ، قال : فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثم قال : أليس هو الَّذِي يقول :

الْأَقِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فَاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا      ففقد هاجَ أحراني وذكرني نَعْمَى  
قال : بلى والله لا أهجو رجلاً هذا شعرُهُ .

فخرجَ ابنُ بَشِيرٍ فأشترى هديةً أفضلَ من الأولى ، وقَدِمَ بها على جرير ، فأخَذَهَا . وقال : ما أَقَدَمَكَ ؟ قال : جئتُ مستَجيراً باللهِ وبِكَ من رجلٍ هَجَانِي ، قال : قد أبارك اللهُ منه ، فأين أنت عن ابنِ عمِّكَ الأحوص ؟ قال : هو الَّذِي هَجَانِي . قال : فَأَطْرَقَ سَاعَةً ، ثم قال : أليس هذا الَّذِي يقول :

تَمَشَّى بِشَعْمِي فِي أَكَارِسِ (٣) مَالِكٍ      تُشِيدُ بِهِ كَالْكَلْبِ إِذْ يَنْبَحُ النَّجْمَا  
فَمَا أَنَا بِالْمُخْسُوسِ فِي جِذْمِ مَالِكٍ      وَلَا بِالسَّمْعِيِّ ثُمَّ يَلْتَرِمُ الإِسْمَا  
ولكنَّ بَيْدَتِي إِنْ سَأَلْتَ وَجِدْتَهُ      تَوَسَّطَ مِنْهَا العِزَّ وَالْحَسْبَ الأَكْمَى (٤)

قال : بلى ، قال : فلا والله لا أهجو شاعراً أبداً هذا شعرُهُ ؛ فأشترى أفضلَ من تلك الهدايا وقَدِمَ على الأحوص ، فأهداها إليه وصالحه .

(١) أطفه : أكرمه وبره بطرف التحف ، والاسم : اللطف ، بالتحريك .

(٢) في الأغاني : « يتحدَثَانِ » .

(٣) أكاريس : جمع أكارس ، وأكارس : جمع كرس ؛ وهو الجماعة من الناس .

(٤) الأغاني : « والحسب الضخما » .

قال تميم بن عبد الله بن سعد: قدم الأحوص البصرة، فخطب إلى رجل من بني تميم أخته، وذكر له نسبه، فقال: هات لي شاهدا واحدا يشهد أنك ابن حمي الدبر<sup>(١)</sup>، وأزواجك. فجاءه بن شهيد له على ذلك، فزوجه إياها، وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريبا من طريقهم، فقالت له: اعد لي إلى أختي، ففعل، فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أحسن الناس وجها، وكان زوجها في إبله.

فقالت زوجة الأحوص له: أمم حتى يأتي، فلما أمسواراح مع إبله ورعائه، وراحت غنمه، فراح في ذلك أمر كثير، وكان يسمى مطرا؛ فلما رآه الأحوص أزدراه، وافتحمته عينه، وكان قبيحا دميما.

فقالت له زوجته: قم إلى سلفك<sup>(٢)</sup> وسلم عليه، فقال - وأشار إلى أخت زوجته بأصبعه:

سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطْرُ عَلَيْهَا      وليس عليك يا مَطْرُ السَّلَامُ  
وإن يكن النكاح أحلَّ أنثى      فإن نكاحها مطراً حراماً  
فلا غفر الإله لمنكحها      ذنوبهم وإن صلوا وصاموا

وأشار إلى مَطْر بأصبعه، فوثب إليه مطر وثبة، وكاد الأمر بينهما يتفاقم. قال الزبير بن بكار: وكان الأحوص كثيرا ما يشبُّ بأم جعفر، وشاع ذكره فيها، وهذه أم جعفر امرأة من الأنصار، من بني خزيمة، وهي أم جعفر بنت عبد الله بن عرفة بن قتادة بن معبد بن غياث بن رزاح بن عامر بن عبد الله بن خزيمة ابن مالك بن جشم بن الأوس.

(١) الدبر: جماعة النحل، وحميها؛ أي حميها.

(٢) السلف، بالكسر ويفتح، هو للرجل زوج أخت امرأته.

فلما أَكْثَرَ تَوَعَّدَهُ أَخُوها أَيْمَنَ وَتَهَدَّدَهُ ، فَلَمْ يَنْتَهِهِ ، فَاسْتَمَعْدَى عَلَيْهِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ  
الْعَزِيزِ ، فَرَبَطَهُمَا فِي حَبْلِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمَا سَوْطَيْنِ ، وَقَالَ لَهَا : تَجَالِدَا ، فَغَلَبَهُ  
أَخُوها .

وقيل : سَلَحَ الْأَخْوَصُ فِي ثِيَابِهِ وَهَرَبَ ، وَتَبِعَهُ أَخُوها حَتَّى فَاتَهُ الْأَخْوَصُ  
هَرَبًا ؛ وَإِنَّمَا فَعَلَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذَلِكَ اقْتِدَاءً بِعَمَّانَ بْنِ عَقَانَ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا تَهَاجَى  
سَالِمُ بْنُ دَارَةَ وَرُمَّةَ بْنَ نَافِعِ الْغَطَفَانِيِّ ، قَرَنَهُمَا عَمَّانَ بِحَبْلِ ، وَأَعْطَاهَا سَوْطَيْنِ ،  
فَتَجَالَدَا بِهِمَا ، وَكَانَ الْأَخْوَصُ قَدْ قَالَ فِيهَا :

لئن مَنَعْتَ مَعْرُوفَهَا أمَّ جَعْفَرٍ فَأِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرٌ<sup>(١)</sup>  
وقد أنكرتُ بعدَ اعترافِ زيارَتِي وقد وَغِرْتُ فِيهَا عَلَيَّ صُدُورُ  
أزورُ على أن ليس أنفكُ كَلِّمَا أُتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبَنَانِ يُشِيرُ<sup>(٢)</sup>

فقال السائب بن عمرو بن عوف ، يميِّره فراره ويعارضه :

لقد مَنَعَ المَعْرُوفَ مِنْ أمِّ جَعْفَرٍ أَخُو ثِقَةٍ عِنْدَ الْجِلَادِ صَبُورُ  
عَلَاكَ بِعَمَّانَ السَّوْطِ حَتَّى اتَّقَيْتَهُ بِأَصْفَرَ مِنْ ماءِ الصَّفَاقِ يَفُورُ<sup>(٣)</sup>  
فقال الأخوص :

إذا أنا لم أَغْفِرْ لِأَيْمَنَ ذَنْبَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْفِرُ لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي<sup>(٤)</sup>  
أريدُ مِكَافَأَةً لَهُ وَيَصُدُّنِي يَدٌ لِأَدَانِيهِ مُبَارَكَةٌ عِنْدِي<sup>(٥)</sup>

(١) الأغانى « لقد منعت » .

(٢) الأغانى : « لست أنفك » .

(٣) الصفاق : جمع صفق ؛ وهو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج ماءً أصفر ؛ واسم ذلك الماء الصفق .

(٤) في الأغانى : « يغفو » .

(٥) رواية الأغانى :

\* أريد انتقام الذنب ثم يردني \*

وقال الأحوص في أم جعفر :

وإني ليدعونى إلى أم جعفر  
وإني لآتي البيت ما إن أحبه  
وأغضى على أشياء منكم تسوءني  
هيبني أمراً إماً بريئاً ظلمته  
ومازلت من ذكراك حتى كأنني  
أبشك ما ألقى وفي القلب حاجة  
لك الله إني واصل ما وصلتني  
وأخذ ما أعطيت عفواً وإني  
فلا تتركى نفسى شعاعاً فإنها

وجاراتها من ساعة فأجيب<sup>(١)</sup>  
وأكثر هجر البيت وهو حبيب  
وأدعى إلى ما سرّكم فأجيب  
وإماً مسيئاً مُدنياً فيتوب  
أهيم بأفناء الديار سليب  
لها بين جلدى والمظام ريب<sup>(٢)</sup>  
ومثن بما أوليتني ومثيب  
لأزود عما تكرهين هيوب  
من الوجد قد كادت عليك تدوب

ولما أكثر الأحوص ذِكْرَ أم جعفر ، جاءت إليه منتقبة<sup>(٣)</sup> ، فوقفت عليه في مجلس قومه وهو لا يعرفها - وكانت امرأة عفيفة - فقالت : أقبضني<sup>(٤)</sup> ثمن الغنم التي أبتعتها متى ، فقال : ما أبتعت منك شيئاً ، فأظهرت كتاباً وضعته عليه ، وبكت وشكت حاجةً وضراً وفقراً<sup>(٥)</sup> ، وقالت : يا قوم ، كلموه ، فلامه قومه ، وقالوا له : اقض المرأة حقها ، فجعل يحلف أنه ما يعرفها ، ولا رآها قط . فكشفت وجهها وقالت : ويملك أما تعرفني ! فجعل يحلف مجتهداً أنه ما رآها قط ، ولا يعرفها ، حتى إذا استفاض قولها وقوله ، وأجتمعت الناس وكثروا ، وسموا ما دار بينهما ، وكثرت لفظهم .

(١) الأغاني : « هوى أم جعفر » .

(٢) في الأغاني : « وفي النفس حاجة » .

(٣) انتقبت المرأة وتنقبت : وضعت النقاب على وجهها .

(٤) في الأغاني : « اقض » .

(٥) في الأغاني : « وفاقة » .

ثم قامت وقالت : يا عدو الله ! والله صدقت ، وما لي عليك من حق ،  
ولا تعرّفني ، وأنا أمّ جعفر ، وأنت تقول : قلتُ لأمّ جعفر ، وقالت لي أمّ جعفر  
في شمرِك .

تَفَجَّلَ الْأَخْوَصَ ، وَأَبْلَسَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَبُرَّتْ أُمُّ جَعْفَرَ عِنْدَهُمْ .

كانت بالمدينة جاريةً مَغْنِيَّةً يُقَالُ لَهَا : سَلَامَةٌ ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَتَمَّهِنَ  
عَقْلًا ، قَرَأَتِ الْقُرْآنَ وَرَوَتِ الشُّعْرَ (١) وَقَالَتْهُ .

وكان الأخوص وعبدُ الرحمن بنُ حَسَّانَ يجلسان إليها ، ويرويانها الشعر  
وينابذانها (٢) إِيَّاهُ ، فَمَلِئَتْ الْأَخْوَصَ وَصَدَّتْ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
يَمْرُؤُ بِمَا ظَنَّه مِنْ ذَلِكَ :

أَرَى الْإِقْبَالَ مِنْكَ عَلَى جَلِيسِي      وَمَالِي فِي حَدِيثِكَ كَمَا نَصِيبُ  
فَأَجَابَتْهُ :

لَأَنَّ اللَّهَ عَلَّقَهُ فُوَادِي      فِحَازَ الْوُدِّ دُونَكَ الْحَيْبِ (٣)  
خَلِيلِي لَا تَلْمُنِي فِي حَبِيبِي      هَوَاهُ أَلَدُّ مَا تَهْوَى الْقَلُوبِ (٤)  
فَأَنْصَرَفَ (٥) عَنْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

وخرج يمتدح يزيد بن عبد الملك (٦) ، فأكرمه وأعطاه . فلما أراد الأنصراف ،

(١) الأغاني : « وروت الأشعار وقالت الشعر » .

(٢) الأغاني : « ويناشداتها » .

(٣) الأغاني : « فحاز الحب » .

(٤) في الأغاني :

خَلِيلِي لَا تَلْمُنِي فِي هَوَاهَا      أَلَدُّ الْعَيْشِ مَا تَهْوَى الْقَلُوبُ

(٥) الأغاني : « فأضرب » .

(٦) الأغاني : « ابن معاوية » .

قال له : يا أمير المؤمنين ، عندى نصيحة . قال : ما هي ؟ قال : جاريةٌ خلقتُها بالمدينة  
لأمرأةٍ من قريش ، من أجلِ النساءِ ، وأكملهنَّ ، لا تصلحُ إلا أن تكونَ  
لأمير المؤمنين وفي سُمّاره .

فأرسل يزيدُ فأشترىته له ، وحمّلتُ إليه ، فوقعتُ منه موقعا عظيما ، وفضلها  
على جميع من عنده .

وقدم عبدُ الرحمن بنُ حسانِ المدينة ، فرأى بالأحوص ، وهو قاعدٌ على بابِه ،  
وهو مهموم ، فأراد أن يزيدَه على ما به ، فقال :

يا مُبتلىً بالهم مَقْرُوحا	يلقى من الحبِّ تباريحاً <sup>(١)</sup>
أُجمه الحبُّ فما يَنْثني	إلا بكأسِ الحبِّ مَصْبُوحا <sup>(٢)</sup>
قد نالها من أصبحت عنده	ينال منها الشَّمُّ والرَّيحاً <sup>(٣)</sup>
خليفةُ الله فسَلُّ الهوى	وعن قلباً منك بَجْرُوجاً <sup>(٤)</sup>

فأمسك الأحوص عن جوابه ، ثم إنَّ شابين من بني أمية ، أرادا الوفاة على  
يزيد ، فأتاهما الأحوص ، فسألها أن يحملا كتابا إليها ، ففعلتا ، وكتب معهما إليها  
من أبيات :

سَلَامٌ ذِكْرُكَ لِاصِقٌ بِلِسَانِي	وعلى هَوَاكِ تَعُودُنِي إِخْوَانِي <sup>(٥)</sup>
لَا تَقْتُلِي رَجُلًا يَرَاكَ لِمَا بِهِ	مِثْلَ الشَّرَابِ لَعْنَةُ الظَّمَانِ
ولقد أقول لقاطنين من أجلها	كانا على خلقتي من الإخوانِ
لا أستطيع الصبر عنها إنَّها	من مُهَجَّتِي نزلتُ أعزَّ مكانِ

(١) الأغاني : « مفدوحا » .

(٢) الأغاني : « لإلا بكأس الشوق » .

(٣) الأغاني : « قد حازها » .

(٤) الأغاني : « وعن قلبا » .

(٥) الأغاني : « ملصق » .

ثم غلبه الجزع ، فخرج إلى يزيد ممتدحاً ، فقرّبه وأكرّمه ، فدست إليه سلامة خادما ، وأعطته مالا على أن يدخله عليها ، فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك ، فأمره أن يمضيَ لرسالته ، فأدخل الأحوص ، وجلس يزيدُ حيث يراهما .

فلما أبصرتِ الجاريةُ الأحوصَ ، شكّت<sup>(١)</sup> إليه وشكّا إليها ، وأمرتُ فألقى له كرسيٌّ ، فعمد عليه ، وجملاً يتشاكيان شدة الشوق ، ولم يزالا إلى السّحر ، ويزيدُ يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما ريبه ؛ حتى إذا هم بالخروج قال :

أَمْسَى فَوَادِي فِي هَمِّ وَبَلْبَالٍ      فِي حُبِّ مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْهُ عَلَى بَالٍ  
[ فقالت ]<sup>(٢)</sup> :

صَحَّاحُ الْمُحِبِّونَ بَعْدَ الْيَأْسِ إِذْ بَدَسُوا<sup>(٣)</sup>      وَقَدْ يَبْسُتُ وَمَا أَصْحُو عَلَى حَالٍ  
[ فقال ]<sup>(٢)</sup> :

مَنْ كَانَ يَسْلُو بِيَأْسٍ عَنِ أُخَى ثِقَةٍ      فَمَنْكَ سَلَامٌ مَا أَمْسَيْتُ بِالسَّالِي<sup>(٤)</sup>  
فقات :

وَاللّهِ وَاللّهِ مَا أَنْسَاكَ يَا سَكْنِي      حَتَّى يَفَارِقَ مَتْنِي الرُّوحُ أَوْصَالِي  
فقال :

مَا خَابَ وَاللّهِ مَنْ أَمْسَى وَأَنْتَ لَهُ      يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي أَهْلِ وَفِي مَالٍ<sup>(٥)</sup>  
ثم ودّعها وخرّج ، فدعا يزيدُ به وبها ، فقال : أخبراني عما كان بينكما في ليلتكما ، فأخبراه ، وأنشدها ، ولم يغيراً شيئاً ممّا سمعه .

(١) الأغاني : « بكت لايه وبكى لايها » .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « بعد التأي » .

(٤) الأغاني :

\* فمن سلامة ما أمسيت بالسالي \*

(٥) الأغاني : « والله ما خاب » .



فقال يزيد : أتحبُّها يا أخوص ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين .

حُبًّا شَدِيدًا تَلِيدًا غَيْرَ مُطَّرَفٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِثْلَ النَّارِ يَضْطَرِمُّ

فقال : أتحبُّينه ؟ قالت : إى والله يا أمير المؤمنين .

حُبًّا شَدِيدًا جَرَى كَالرُّوحِ فِي جَسَدِي فَهَلْ يَفْرَقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

فقال يزيد : إنكما لتصِفَان حُبًّا شَدِيدًا ، حُدُّهَا يَا أَخوص ، فَهِيَ لَكَ ؛ وَوَصَلَهُ

بِصَلَّةٍ سَنِيَّةٍ ، فَأَنْصَرَفَ بِهَا إِلَى الْحِجَازِ .

قال عبدُ الأعلى بنُ عبدِ الله بنِ محمد بنِ صفوان الجَمَحِيُّ : حَمَلْتُ دَيْنًا بِمَسْكَرِ

الْمَهْدِيِّ ، فَرَكِبَ الْمَهْدِيُّ بَيْنَ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَمْرِ بْنِ بَرِيعٍ ، وَأَنَا وَرَاءَهُ فِي مَوْكِبِهِ

عَلَى بَرْدُونَ قَطُوفٍ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ : مَا أَنْسَبُ بَيْتِ قَالَتَهُ الْعَرَبُ ؟ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ :

قَوْلُ أُمِّ الْقَيْسِ :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَنِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبِي مُقْتَلٍ

فقال : هذا أعرابيٌّ قُحٌّ ، فقال له عمر بنُ بَرِيعٍ : قولُ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَلَّمْنَا تَمَثَّلْ لِي لِيَلِيَ بِكُلِّ سَبِيلٍ

فقال : ما هذا بشيءٍ ؟ وما له يريد أن ينسى ذِكْرَهَا حَتَّى تَمَثَّلَ لَهُ .

فقلت : عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين ، قال : الحقُّ بي ، قلتُ : لا لحاقَ بي ،

ليس ذلك في دابَّتِي . قال : احمِلوه على دَابَّةٍ ، فَلَحِقْتُ بِهِ فَقَالَ لِي : مَا عِنْدَكَ ؟

قلت : قولُ الْأَخوصِ :

إِذَا قُلْتُ لِي مَشْفَعٌ بِلِقَائِهَا وَحُمَّ التَّلَاقِ بَيْنَنَا زَادَنِي شَوْقًا <sup>(٢)</sup>

قال : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ؛ أَقْضُوا عَنْهُ دَيْنَهُ ، فَقَضَى عَنِّي دَيْنِي .

(١) القَطُوفُ : الدَابَّةُ الَّتِي تَبْطِئُ فِي سِيرِهَا .

(٢) الْأَغَانِي : « زَادَ فِي سَقْمَا » .

قال مطرف بن عبد الله الهذلي : بينا أنا أطوفُ بالبيتِ ومعي أبي ، إذا أنا  
بأمرأةٍ عجوزٍ ؛ يضربُ أحدُ لحييها بالآخر ، فقال أبي : أتعرف هذه ؟ قلتُ : لا .  
قال : هذه التي يقول فيها الأحوص :

يلومني فيكِ إخوانُ أجالسهم      فإبالي أطارَ اللومُ أمَ وقما  
أدعو إلى هجرها قلبي فينبئني      حتى إذا قلتُ هذا صادقُ نزعها  
فقلتُ : يا أبتِ ، ما أرى أنه كان في      هذه حُسنٌ قط ، فضحك وقال : هكذا  
يفعل الدهرُ بأهله .



## فهرست تراجم الكتاب

### حرف السين

- ۱۹- سعید الداری ۱۸۲-۱۸۶  
 ۲۰- سعید بن مسجح ۱۸۷-۱۹۱  
 ۲۱- سعید الهدلی ۱۹۲-۱۹۳  
 ۲۲- سلیمان بن سلام  
 الکوفی ۱۹۴  
 ۲۳- السمّوئل بن عادیاء  
 الفسانی ۱۹۵-۱۹۸  
 ۲۴- سعید بن عبد الرحمن  
 ابن حسان بن ثابت ۱۹۹-۲۰۱  
 ۲۵- سائب خاثر ۲۰۲-۲۰۴  
 ۲۶- سلامة القسّ ۲۰۵-۲۱۰  
 ۲۷- سويد بن أبي كاهل ۲۱۱-۲۱۴  
 ۲۸- سليمان بن القصار ۲۱۵  
 ۲۹- سليمان بن أبي الزوائد ۲۱۶-۲۱۸  
 ۳۰- سلامة الزرقاء ۲۱۹-۲۲۳  
 ۳۱- سُدَيْف ۲۲۴-۲۳۰  
 ۳۲- السائب أبو العباس  
 الأعمى المكي المذكور  
 في صحيح البخاري ۲۳۱-۲۳۴  
 ۳۳- سيف بن ذي يزن ۲۳۵-۲۴۸  
 ۳۴- سعید بن مُحمّد ۲۴۹-۲۵۵  
 ۳۵- سلم الخاسر ۲۵۶-۲۶۶

### حرف الراء

- ۱- ربيعة بن مكرم ۳- ۲۱  
 ۲- الرباب بنت امرئ  
 القيس ۲۲- ۳۸  
 ۳- ربيعة الرقي ۳۹- ۴۸  
 ۴- الربيع بن زياد العبسي ۴۹- ۵۱  
 ۵- ربيعة مسكين الداري ۵۲- ۵۸  
 ۶- رؤبة بن العجاج ۵۹- ۶۲  
 ۷- ربيعة بن مقروم الضبي ۶۳- ۶۷  
 ۸- الربيع بن أبي الحقيق ۶۸- ۶۹  

### حرف الزاي

۹- زيد بن عمرو بن نفيل ۷۰- ۷۳  
 ۱۰- زَند أبو دلّامة ۷۴- ۱۰۵  
 ۱۱- زهير بن أبي سلمى ۱۰۶- ۱۱۷  
 ۱۲- زياد النابغة الدبباني ۱۱۸- ۱۳۰  
 ۱۳- زياد الأعمج ۱۳۱- ۱۳۸  
 ۱۴- زيد الخليل ۱۳۹- ۱۵۵  
 ۱۵- الزبير بن العوام ۱۵۶- ۱۶۴  
 ۱۶- الزبير بن دحمان ۱۶۵- ۱۶۹  
 ۱۷- زهير بن جناب ۱۷۰- ۱۷۹  
 ۱۸- زهير السكب  
 التميمي الداري ۱۸۰- ۱۸۱

حرف الطاء

- ٣٦٠-٣٥٨ ٥٥- طُوَيْسٌ  
٣٧٢-٣٦١ ٥٦- ذَكَرَ طَرْبِجٌ  
٣٧٧-٣٧٣ ٥٧- ذَكَرَ الطَّرْمَاحَ

حرف الظاء

- ٥٨- أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ  
٣٧٨-٣٩٤ ظالم بن عمرو

حرف العين

- ٤٠٥-٣٩٥ ٥٩- عُبَيْدُ بْنُ سُرَيْجٍ  
٤٢٢-٤٠٦ ٦٠- ذَكَرَ الْمَرْجِيَّ  
٦١- ذَكَرَ أَخْبَارَ عَدِيِّ

- ٤٥٩-٣٢٣ ابن زيد ومقتله  
٤٦٩-٤٦٠ ذَكَرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَرْطَاةَ  
٤٨٩-٤٧٠ ذَكَرَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْغَرِيضَ  
٤٩٣-٤٩٠ ٦٤- ذَكَرَ عَيْسَى طُوَيْسَ  
٥٠٥-٤٩٤ ٦٥- ذَكَرَ عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ  
٥١٠-٥٠٦ ٦٦- ذَكَرَ عُرْكَاشَةَ الْعَمِّيَّ  
٦٧- ذَكَرَ عَبْدِ الرَّحِيمِ

- ٥١٢-٥١١ الدَّفَافُ  
٥١٦-٥١٣ ٦٨- ذَكَرَ عَطْرَدَ  
٥١٩-٥١٧ ٦٩- ذَكَرَ الْأَبَجَرَ عُمَيْدَ اللَّهِ  
٥٢٠-٧٠ ذَكَرَ عَلَسَ ذِي جَدَنَ  
٥٤٢-٥٢١ ٧١- ذَكَرَ الْأَخْوَصَ عَبْدَ اللَّهِ

- ٢٦٩-٢٦٧ ٣٦- سَرِيٌّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
٢٧١-٢٧٠ ٣٧- سَلَمَةُ بْنُ عَيَّاشَ  
٢٧٧-٢٧٢ ٣٨- سَعِيدُ بْنُ وَهَبَ  
٢٨٤-٢٧٨ ٣٩- السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ  
٢٩١-٢٨٥ ٤٠- السَّمْهَرِيُّ  
٤١- سُحَيْمُ بْنُ عَبْدِ  
٢٩٦-٢٩٢ بنِي الْحَسْحَاسِ  
٢٩٨-٢٩٧ ٤٢- سَجَّاحُ التَّمِيمِيَّةِ  
٣٠٥-٢٩٩ ٤٣- سَلِيمَانُ بْنُ وَهَبَ  
٣١٠-٣٠٦ ٤٤- سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ  
٣١٢-٣١١ ٤٥- سَعِيَّةُ بْنُ الْغَرِيضِ

حرف الشين

- ٣١٩-٣١٣ ٤٦- الشَّامَاخُ  
٣٢٤-٣٢٠ ٤٧- ذَكَرَ شَيْبَانَ بْنَ الْبَرِّصَاءِ  
٣٢٩-٣٢٥ ٤٨- ذَكَرَ الشَّمْرَدَلِ  
٣٣٣-٣٣٠ ٤٩- ذَكَرَ شَارِبَةَ

حرف الصاد

- ٣٣٦-٣٣٤ ٥٠- ذَكَرَ الصَّمَّةَ  
٣٤٦-٣٣٧ ٥١- ذَكَرَ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرَ  
٥٢- ذَكَرَ صَالِحَ أَبِي عَيْسَى  
٣٥١-٣٤٧ ابن الرَّشِيدِ  
٣٥٣-٣٥٢ ٥٣- ذَكَرَ الصَّلْتِ الْوَابِصِيَّ  
٥٤- ذَكَرَ صَخْرَ الْجَمْعِيِّ  
٣٥٧-٣٥٤ الْخَضْرِيَّ